MILLER, ABED RABHO, AWONDO, DE VRIES, DUQUE, GARVEY,
HAAPIO-KIRK, HAWKINS, OTAEGUI, WALTON AND WANG



الهاتف الذكي العالمي

ما وراء تكنولوجيا الشباب

UCL PRESS

الهاتف الذكي العالمي

الهاتف الذكي العالمي

ما وراء تكنولوجيا الشباب

دانيال ميلر وليلى عبد ربه وباتريك أووندو ومايا
ده فريس وماريليا دوكي وبولين جارفي ولورا هابيو-كيرك
وشارلوت هوكينز وألفونسو أوتايجي وشيرين والتون وشينيوان وانج



نُشر لأول مرة في 2021 بواسطة
مطبعة كلية لندن الجامعية
كلية لندن الجامعية
شارع جاور، لندن
WC1E 6BT

متاح للتنزيل مجانًا على www.uclpress.co.uk

لهذا الكتاب سجل فهرسي CIP متاح في المكتبة البريطانية.

رقم النظام القياسي الدولي لترقيم الكتب [ISBN]: 5 -963 -78735 -1 -978 [غلاف صلب]
رقم النظام القياسي الدولي لترقيم الكتب [ISBN]: 8 -962 -78735 -1 -978 [غلاف ورقي]
رقم النظام القياسي الدولي لترقيم الكتب [ISBN]: 1 -961 -78735 -1 -978 [نسخة إلكترونية PDF]
رقم النظام القياسي الدولي لترقيم الكتب [ISBN]: 2 -964 -78735 -1 -978 [نسخة إلكترونية epub]
رقم النظام القياسي الدولي لترقيم الكتب [ISBN]: 9 -965 -78735 -1 -978 [نسخة إلكترونية mobi]
المعرف الرقمي [DOI]: https://doi.org/10.14324/111.9781800081529

المحتويات

ملخص الفصول

الفصل الأول: تقديم

نقدم مشروع [ASSA] كدراسة عن الذكاء العام [«smart from below»] والتي تهدف للتعلم من الممارسات الذكية والإبداعية لمستخدمي الهواتف الذكية في كل مكان بالعالم. مصطلح الهاتف الذكي هو مصطلح مضلل أولًا لأنه لا ينبغي أن يعتبر الهاتف الذكي نوعًا من الهواتف في المقام الأول حيث أن المكالمات الهاتفية التقليدية لا تمثل الآن سوى جزء صغير من استخدامات الهاتف الذكي، وثانيًا لأن الهاتف الذكي كما رأيناه من خلال هذا المشروع ليس مثالًا جيدًا على الجهاز «الذكي»، أي الجهاز الذي يمكنه التعلم من خلال الاستخدام، فأهمية مثل هذا التعلم الذاتي في الهاتف الذكي الذي نستخدمه بالفعل هي أقل كثيرًا من الطريقة التي يتحول بها الهاتف الذكي على يد مستخدميه.

تستخدم جميع الفئات العمرية الهواتف الذكية الآن، لذا وجدنا أنه من المنطقي أن نتناوله بشكل أساسي من منظور كبار السن كما نتناوله من منظور الشباب. شارك في المشروع 11 باحثًا عملوا في 10 مواقع ميدانية وقضى كل منهم ما يقرب من 16 شهرًا في إجراء دراسة إثنوغرافية كان محورها التقدم في العمر واستخدام الهواتف الذكية وإمكانات الهواتف الذكية في مجال الصحة.

يعرض الفصل تاريخ موجز للهاتف الذكي يتبعه رصد قصير لمناحي البحث السابقة التي أجراها علماء الأنثروبولوجيا أولًا ثم علماء التخصصات الأخرى.

يركز هذا الكتاب على الأمور الواضحة في منهجنا الإثنوغرافي، ونقر بأننا نفتقر إلى الأدلة الكافية حول العوامل الخارجية المهمة مثل العواقب البيئية والعمالة المستغلة ودراسة الشركات ذات الصلة بموضوع الدراسة.

الفصل الثاني: ما يقوله الناس عن الهواتف الذكية

عادةً ما تكون آراء الناس عن الهواتف الذكية مليئة بالتناقضات، وهذه الازدواجية تعكس الطريقة التي غالبًا ما تُحدِث بها الهواتف الذكية الإيجابيات والسلبيات في الوقت نفسه.

الخطابات حول الهاتف الذكي تختلف عما يفعله الناس بالهواتف الذكية في الحقيقة، حيث أن تلك الخطابات تمليها على الأغلب الجدليات الأخلاقية والسياسية.

وبدلًا من ذلك، من الأفضل اعتبار تلك الخطابات خصائص مستقلة للهاتف الذكي والتي يجب فحص عواقبها بشكل مستقل.

وتضيف الدولة والإعلام والتجارة إلى تلك التناقضات، فعلى سبيل المثال، تدين الدول الإفراط في استخدام الهواتف الذكية ولكنها في الوقت نفسه تصعب على المواطنين التعامل مع الدولة دون اللجوء إلى العمليات الرقمية.

يميل كبار السن في الموقع الميداني الصيني إلى اعتبار الهاتف الذكي جزءًا من واجبهم كمواطنين لمساندة تقدم بلادهم

التكنولوجي، وهم بهذا يتخذون موقفا مناقضًا لكبار السن ذوي الاتجاه المحافظ في أماكن أخرى.

تهيمن موضوعات معينة على المناقشات، مثل الأخبار المزيفة والإدمان والرقابة. وعلى النقيض من ذلك، فإن النقاشات العلنية حول الاستخدامات العامة وعواقب الهواتف الذكية تعتبر محدودة. وكذلك نجد تناقضًا موازيًا في الأدلة الأكاديمية لأكثر الادعاءات شيوعًا فيما يخص عواقب الهواتف الذكية.

الفصل الثالث: الهاتف الذكي في سياقه

الهواتف الذكية هي أشياء مادية تستخدم كإكسسوار للأزياء أو كمؤشر على منزلة المرء أو دينه، كما أنها أشياء يمكن سرقتها.

لا يزال هناك انقسام عالمي حيث أن الدراسات المختصة بالهواتف الذكية تستبعد الأشخاص الذين لا يستطيعون شرائها أو الأشخاص الذين لا يزالون متمسكين باستخدام الهواتف المميزة كما في اليابان.

وقد تشكل تكاليف استخدام الهواتف وخطط الأسعار وتكاليف الاتصال بالإنترنت مثل الواي فاي أو الاتصال الشبكي قلقا بالنسبة لذوي الدخول المنخفضة، إلا أنهم واسعو الحيلة في إيجاد الطرق التي تبقيهم على اتصال.

يشير مصطلح «إيكولوجيا الشاشة» [screen ecology] إلى الطريقة التي تعمل بها الهواتف الذكية جنبا إلى جنب مع الشاشات الأخرى كالأجهزة اللوحية [الحواسيب] المحمولة والتليفزيونات الذكية، فاستخدام أحدًا من تلك الأجهزة يبدو منطقيا فقط في وجود الأجهزة الأخرى.

كما يستخدم مصطلح «الإيكولوجيا الاجتماعية» [social ecology] للإشارة إلى ما تفصح عنه استخدامات الهواتف الذكية عن العلاقات الاجتماعية في مجتمع ما، فبعض العائلات في كامبالا على سبيل المثال يتشارك أفرادها استخدام هواتفهم.

كما أن الهواتف الذكية يمكنها تيسير بناء شبكة العلاقات التي تتمحور حول شخص ما، ولكنها بالمثل يمكنها تعزيز الفئات الاجتماعية التقليدية، مثل العائلة أو الجماعة.

بدأ حديثا ظهور تأثير الهواتف الذكية كأجهزة تحكم عن بعد باستخدام تقنية «إنترنت الأشياء» [the internet of things].

الفصل الرابع: من التطبيقات للحياة اليومية

يركز مستخدمو الهواتف الذكية بشكل عام على المهام الخاصة بهم وليس على تطبيقات الهاتف في حد ذاتها، وغالبا ما يمزجون بين استخدام عدد من التطبيقات للوصول لأهدافهم.

فبالنسبة للصحة على سبيل المثال، نجد أن استخدام التطبيقات المخصصة للصحة يشكل للمستخدمين أهمية تقل كثيرا عن المزج بين التطبيقات العادية المختلفة مثل واتساب مع جوجل.

يصف مصطلح «حل المشكلات التوسعي/الحلول القابلة للتطبيق على نطاق أوسع» [scalable solutionism] نطاق الأشياء التي يفعلها الناس بتطبيقات هواتفهم، وهذا النطاق يتراوح من التطبيقات ذات الوظيفة الواحدة [عندما نقول «هناك تطبيق لهذا خصيصًا»] أو تلك التي تستخدم كما لو كانت ذات وظيفة واحدة إلى التطبيقات التي تهدف أن تكون مفيدة لكل أنواع المحادثات مثل الويتشات [WeChat].

ومعرفة الهاتف الذكي ومستخدمه بشكل جيد تتطلب النظر في كل تطبيقات هذا الهاتف ومعرفة إذا كانت هذه التطبيقات مستخدمة أم لا وكيفية استخدامها.

ويتطلب فهم التطبيقات أيضًا استكشاف الوسائل التي تطور بها الشركات التطبيقات والتي تستجيب بها للطرق الغير متوقعة التي يتم بها استخدام تلك التطبيقات بعد تطويرها.

ويشمل البحث في تطبيقات الهاتف أيضًا تحري الطرق المختلفة التي ينظم بها الناس شاشات هواتفهم الذكية.

الفصل الخامس: الانتهازية المتواصلة

يشير مصطلح «الانتهازية المتواصلة» [perpetual opportunism] إلى كون الهاتف الذكي متاحًا طوال الوقت وكيف أن هذا يؤدي لإحداث تغيرات في علاقة الأفراد بالعالم من حولهم.

فالتصوير الرقمي باستخدام الهواتف الذكية أصبح يعني تقريبا العكس تماما من التصوير التناظري باستخدام الأفلام.

كان التصوير الفوتوغرافي الفيلمي في الأصل معنيًا بالتمثيل وإنشاء السجلات الدائمة، ولكن التصوير بالهواتف الذكية يهتم أكثر باللحظة وإمكانية مشاركتها وقتيًا.

يبدي كبار السن استجابات مختلفة عندما يتم تصويرهم، فحقيقة الشخص يمكن أن تكون 1) ما يشعر به داخل نفسه أو 2) مظهره الخارجي أو 3) الصورة التي يصيغها باستخدام الفلاتر والتطبيقات.

تغير الانتهازية المتواصلة علاقتنا بالأماكن وأنظمة المواصلات مما يتيح لنا السفر كلما أردنا، كما أن تطبيقات الخرائط تسهل علينا إجازاتنا وأوقات فراغنا.

تتدفق الأخبار بشكل فوري بفضل الانتهازية المتواصلة، وقد تصبح الشغل الشاغل للناس، فالأخبار والمعلومات تتخذ أدوارًا جديدة بالنسبة للجماعة.

وتجعل الهواتف الذكية الترفيه ممكنا ومتاحًا في أي وقت نشعر فيه بالملل مثل أوقات الوقوف في الطوابير أو الانتظار للسفر، فنحن يمكننا استخدام الموسيقى بالعديد من الأشكال المختلفة على سبيل المثال.

الفصل السادس: الصياغة

تعد مرونة وحميمية الهاتف الذكي شيئا غير مسبوقًا، حيث يمكن للهاتف الذكي مضاهاة شخصية واهتمامات مستخدمه بدقة كبيرة.

وتعد الخوارزميات والذكاء الاصطناعي المطوران خصيصًا لهذا الغرض أقل أهمية من قدرة الأفراد على اختيار التطبيقات وتغيير الإعدادات وإنشاء أو تنسيق المحتوى، ويمكن رؤية صياغة المرء لهاتفه كعمل فني.

وتصاغ الهواتف أيضًا لملائمة العلاقات أكثر من الأفراد، وتشمل الأمثلة على ذلك العلاقة بين شركاء الحياة وبين الآباء والأبناء وبين الموظفين ورؤساء العمل.

تتجلى أعراف وقيم المجتمع بشكل عام في الأفراد وهذه الأعراف والقيم تشكل الأساس لما تصبح عليه الهواتف، ولكن قد يكون الأفراد ملتزمين بتلك الأعراف والقيم أو شاذين عنها.

وقد تتقيد الهواتف بالأعراف المتفق عليها كما يحدث في اليابان أو داخل الجماعات الدينية، كما أنها قد تسهل إحداث التغيير في تلك القيم الثقافية كما هو الحال في إرساء قيم الطبقة الوسطى في الكاميرون.

الفصل السابع: السن والهواتف الذكية

تعكس الهواتف الذكية بل وتغير أيضًا القواعد الاجتماعية كتلك الخاصة بالنوع الاجتماعي أو بالطبقة الاجتماعية أو – كما نعرض في هذا الفصل – بالسن.

تساعد الهواتف الذكية على إحداث التحولات، ونذكر على سبيل المثال مساعدة شباب «الجيل الثاني» في إيطاليا الذين يستكشفون أركان هوياتهم أو الأشخاص الذين يحاولون صنع حياة يومية جديدة بعد التقاعد.

بالنسبة لكبار السن يمكن للهواتف الذكية أن تمثل فقدان الاحترام للمعرفة التي راكموها على مر العقود والتي من الممكن أن ينظر إليها على أنها لا حاجة لها الآن.

يكرر الشباب دومًا الزعم الخاطئ أن تعلم استخدام الهواتف الذكية يحدث بالسليقة عندما يعلمون كبار السن كيفية استخدامها. وقد يعاني كبار السن من استخدام الهواتف الذكية حين يتطلب الأمر بعض الحنكة الرقمية أو حين تستخدم المصطلحات بطرق غير اعتيادية بالنسبة لهم، كما أنهم يواجهون المعيقات في تعلم كيفية النشر والاستخدامات الصحيحة.

وعلى الرغم من أن كبار السن غالبا ما يشعرون بالانعزال إلا أن إتقانهم لاستخدام الهواتف الذكية ينتج عنه إحساسهم بالقرب من جيل الشباب.

وقد تطور الشركات أحيانًا تطبيقات مخصصة لاستخدامات كبار السن مثل تطبيق ميبيان [Meipian] في الصين.

الفصل الثامن: قلب الهاتف الذكي: لاين وويتشات وواتساب

للتطبيقات مثل لاين [Line] وويتشات [WeChat] وواتساب [WhatsApp] حضورًا طاغيا حتى أن المستخدمين يرون الهواتف الذكية كأجهزة تتيح لهم استخدام تلك التطبيقات ليس أكثر.

ودمجت الوسائط البصرية كالملصقات stickers الحديث بالنص المكتوب وجعلتهما جزء لا يتجزأ من أي محادثة، فهي تقدم طرقًا جديدة لإظهار الاهتمام والحب رغم المسافات.

وقد تصبح تلك التطبيقات أيضًا عواملًا مهمة في إحداث التحولات في العلاقات العائلية حيث يمكنها على سبيل المثال عكس التحول الذي حدث تاريخيًا من العائلة الممتدة إلى الأسرة النواتية، ولقد اكتسبت تلك التطبيقات حضورًا مهمًا في قيام الجماعات بوظائفها وترتيبها لأمورها.

وبهذا تزيد الهواتف الذكية من «التواصل الاجتماعي القابل للتوسع» [scalable sociality] وتوفق بين طرق الاستخدام من ناحية وأحجام الفئات ودرجات الخصوصية المختلفة من ناحية أخرى.

وبدورها تتعلم المؤسسات من انتشار استخدام تلك التطبيقات اجتماعيًا وتطور التكنولوجيا الخاصة بها بناء على ذلك، ومن الأمثلة على ذلك تطوير تطبيق مرتبط بالويتشات كجزء منه.

الفصل التاسع: تأملات عامة ونظرية

نشير للهاتف الذكي بـ «المنزل المتنقل» [transportal home] حيث يساعدنا هذا الوصف على فهم أفضل للهاتف الذكي كمكان نعيش داخله وليس كجهاز نستخدمه، وهناك أوجه كثيرة يعتبر الناس بها هواتفهم كمساحات خاصة، فـ«موت المسافات» [death of distance] تبعه «موت التقارب» [death of proximity].

فقد ذهب الهاتف الذكي إلى «ما وراء التجسيد الآدمي» [beyond anthropomorphism] لأن الحميمية لا تأتي فقط بالتشبه بالبشر ولكن أيضًا بإتمام الخصال البشرية كالوظائف الإدراكية، ولهذا أصبح البشر يشعرون أن الهاتف الذكي جزءًا أساسيًا منهم. وكذلك يمكن للهاتف الذكي أن يتخذ كل الصفات الإنسانية الخبيثة من أول التنمر وحتى الإدمان. جعلت أزمة تفاقم وباء كوفيد-19 التناقض واضحًا، فالهواتف الذكية تزيد من فرص المراقبة ولكنها في نفس الوقت وسيلة جيدة لإبداء الاهتمام رغم المسافات.

يعرض مشروعنا البحثي أهمية النظر بعين التقدير لتجارب الناس على إثر أزمة كوفيد-19 ورؤية تلك التجارب كفرصة لاتخاذ قرارات مستقبلية بصدد استخدامات الهاتف الذكي، ونحن ندعو ذلك المنظور بـ«الذكاء العام» [smart from below].

قائمة الرسوم التوضيحية

قائمة الاختصارات

4G: الجيل الرابع من أجيال الاتصالات اللاسلكية الخلوية

5G: الجيل الخامس من أجيال الاتصالات اللاسلكية الخلوية

AI: الذكاء الاصطناعي

ARPANET: شبكة وكالة مشاريع الأبحاث المتطورة

ASSA: أنثروبولوجيا الهواتف الذكية والشيخوخة الذكية

BBC: هيئة الإذاعة البريطانية

COVID-19: فيروس الكورونا [2019]

DRC: جمهورية الكونغو الديمقراطية

ESPM: المعهد العالي للتسويق والإعلان [بالبرازيل]

GPS: نظام التموضع العالمي

HDR: التصوير بالمدى الديناميكي العالي [تقنية تستخدم في التصوير الفوتوغرافي]

IBM: المؤسسة الدولية للحاسبات الآلية [شركة]

ICT4D: تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات من أجل التنمية

LATAM: مجموعة خطوط لاتام الجوية بأمريكا الجنوبية هي شركة طيران مقرها مدينة سانتياغو بتشيلي. جاء الاسم نتيجة الدمج بين عمليات الشركة التشيلية 'الوطنية للطيران' والشركة البرازيلية 'الجنوبية للنقل الجوي'.

NoLo: شمال لوريتو، وهو حي بميلانو يقع في الشمال الشرقي من المدينة ويبدأ من ميدان لوريتو ويشمل المناطق المحيطة بشوارع بادوفا وباستور وباركو تروتر.

OTT: الضريبة الزائدة [ضريبة خدمة البث المباشر عبر الإنترنت] وهي ضريبة بدأت أوغندا في فرضها على استخدام منصات التواصل الاجتماعي بداية من 2018.

S.M.A.R.T: تكنولوجيا التقييم والتحليل والإبلاغ الذاتي

SUS: نظام الصحة الأول [نظام الرعاية الصحية بالبرازيل الممول من القطاع العام]

UGX: الشلن الأوغندي وهو العملة في أوغندا

قائمة المساهمين

ليلى عبد ربه باحثة بمعهد هاري س. ترومان من أجل تعزيز السلام. حصلت على درجة الدكتوراة من الجامعة العبرية بالقدس قسم دراسات الإسلام والشرق الأوسط، وهي أيضًا محامية بمحكمة الشريعة في القدس.

باتريك أووندو باحث زميل في كلية لندن الجامعية قسم الأنثروبولوجيا ومحاضر في جامعة ياوندي 1، وهو صاحب كتاب (الجنس ومضاعفاته) [2019]. قبل أن ينصب اهتمامه على الأنثروبولوجيا الرقمية عمل على قضايا النوع [الجندر] والمهاجرين خاصة أفراد مجتمع مثليي الجنس ومزدوجي التوجه الجنسي وللمتحولين جنسيًا وثنائيي الجنس [LGBTI] الذين هربوا من كراهية المثلية الجنسية في دول أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى ولجأوا لفرنسا. نشر مقالات في دوريات إنجليزية وفرنسية مثل (السياسة الأفريقية) [*Politique Africaine*] و(الشتات) [*Diasporas*] و(مجتمع معاصر) [Société *Contemporaine*] و(مجلة الدراسات الأفريقية) [*African Studies*] و(مجلة الاقتصاد السياسي الأفريقي) [*Review of African Political Economy*] و(أرشيفات السلوك الجنسي) [*Archives of Sexual Behavior*].

مايا ده فريس باحثة في دراسات ما بعد الدكتوراة بكلية لندن الجامعية والجامعة العبرية بالقدس. حصلت على درجة الدكتوراة في الاتصالات من الجامعة العبرية بالقدس في 2019 وتبحث في مواضيع الإثنوغرافيا الرقمية والإعلام الجديد والنشاطية والصراعات العرقية السياسية في فلسطين/إسرائيل.

ماريليا دوكي باحثة في المعهد العالي للتسويق والإعلان بمدينة ساو باولو وهي صاحبة كتاب (التعلم من الواتساب: أفضل الممارسات من أجل الصحة)، كما عملت أيضًا كمساعد أبحاث في قسم الأنثروبولوجيا بكلية لندن الجامعية. اهتماماتها البحثية تنصب على الأخلاق واستهلاك التكنولوجيا والشيخوخة والصحة في البرازيل.

بولين جارفي أستاذ مساعد في قسم الأنثروبولوجيا بجامعة ماينوث التابعة لجامعة أيرلندا الوطنية الواقعة بمنطقة ماينوث بمقاطعة كيلداري بأيرلندا. ألفت كتاب (تفكيك أيكيا: التصميم السويدي لجموع المشترين) [2018] كما قامت بتحرير كتاب (ثقافات البيت: سجل العمارة والتصميم والحيز المنزلي).

لورا هابيو-كيرك طالبة دكتوراة في قسم الأنثروبولوجيا بكلية لندن الجامعية وزميلة في الأنثروبولوجيا العامة بمعهد الأنثروبولوجيا الملكي. اهتماماتها البحثية تشمل الشيخوخة ودورة الحياة والصحة والتكنولوجيا الرقمية كما أنها حاصلة على درجة الماجيستير في الأنثروبولوجيا البصرية من جامعة أوكسفورد وتحب إدراج الرسوم التوضيحية في أبحاثها.

شارلوت هوكينز طالبة دكتوراة بقسم الأنثروبولوجيا بكلية لندن الجامعية. اهتماماتها البحثية تشمل محددات الصحة، والذاتية المشتركة والحكي، والسن والرعاية بين الأجيال، والإثنوغرافيا التعاونية، والإعلام والأخلاقيات.

دانيال ميلر أستاذ في الأنثروبولوجيا بكلية لندن الجامعية وهو رئيس مشروع أنثروبولوجيا الهواتف الذكية والشيخوخة الذكية [ASSA] وكان أيضًا رئيسًا لمشروع (لماذا ننشر). ألف وحرر وشارك في تأليف 42 كتابًا منها (كيف غير العالم منصات التواصل الاجتماعي) الذي كتبه مع ثمانية كتاب آخرين، و(منصات التواصل الاجتماعي في قرية إنجليزية)، و(حكايات من الفيسبوك)، و(الأنثروبولوجيا الرقمية) الذي حرره مع هـ. هورست، و(رفاهية الأشياء)، و(أغراض)، و(نظرية للشراء والثقافة المادية والاستهلاك الجماهيري).

ألفونسو أوتايجي باحث في دراسات ما بعد الدكتوراة في مركز أبحاث الثقافات المتداخلة والأصلية (بالجامعة البابوية الكاثوليكية في تشيلي). حصل على درجة الدكتوراة في الأنثروبولوجيا من معهد الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية بباريس في 2014. تتناول أبحاثه الفنون الكلامية بين شعوب الجران تشاكو في أمريكا الجنوبية ومحو الأمية الرقمية للكبار والممارسات الدينية والتواصلية لدى مهاجري أمريكا اللاتينية.

شيرين والتون محاضرة في الأنثروبولوجيا بكلية جولدسميث بجامعة لندن. حصلت على دكتوراة الفلسفة في الأنثروبولوجيا من جامعة أوكسفورد قبل إنضمامها لكلية لندن الجامعية كزميلة مُدرّسة ثم كباحثة في دراسات ما بعد الدكتوراة في مشروع [ASSA]. يتعلق عملها بالإعلام والتغير الاجتماعي، والحركة والهجرة، والأنثروبولوجيا الرقمية المرئية، كما أنها قامت بأبحاث إثنوغرافية في إيران والمملكة المتحدة وإيطاليا وعبر الإنترنت.

شينيوان وانج باحثة في دراسات ما بعد الدكتوراة بكلية لندن الجامعية. قامت بتأليف (منصات التواصل الاجتماعي في الصين الصناعية) وشاركت في كتابة (كيف غير العالم منصات التواصل الاجتماعي)، كما أنها الحائزة على جائزة دافني أورام للمحاضرين لإسهاماتها للعلم في المملكة المتحدة.

مقدمة السلسلة

بنيت سلسلة الكتب هذه على مشروع أنثروبولوجيا الهواتف الذكية والشيخوخة الذكية [ASSA]. ركز هذا المشروع على تجارب شريحة ديموغرافية ممكن هم بشكل عام لا يعتبرون أنفسهم شباب أو شيوخ. لقد كنا مهتمين بشكل خاص باستخدام هذه الفئة العمرية للهواتف الذكية وتبعات ذلك الاستخدام لأن هذه الأجهزة التي تعتبر حاليا تكنولوجيا عالمية وموجودة في كل مكان كان استخدامها في الماضي مرتبطًا بالشباب فقط. أردنا أيضًا معرفة كيف أثر الهاتف الذكي على الحالة الصحية لهذه الفئة العمرية وكيف لنا المساهمة في هذا المجال بالإدلاء برأينا حول الطرق التي يستخدم بها الناس الهاتف الذكي كوسيلة لتحسين حياتهم.

قام بالمشروع 11 باحثًا عملوا في 10 مواقع ميدانية في 9 بلدان كالآتي: ألفونسو أوتايجي [سانتياغو، تشيلي]؛ شارلوت هوكينز [كامبالا، أوغندا]؛ دانيال ميلر [كوان، أيرلندا]؛ ليلى عبد ربه ومايا ده فريس [القدس الشرقية]؛ لورا هابيو-كيرك [كوتشي وكيوتو، اليابان]؛ ماريليا دوكي [بنتو، ساو باولو، البرازيل]؛ باتريك أووندو [ياوندي، الكاميرون]؛ بولين جارفي [دابلن، أيرلندا]؛ شيرين والتون [نولو، ميلانو، إيطاليا]؛ شينيوان وانج [شنغهاي، الصين]. كثير من الأسماء المستخدمة لهذه المواقع الميدانية هي أسماء مستعارة.

قسم الأنثروبولوجيا بكلية لندن الجامعية هو مقر عمل معظم الباحثين في هذا المشروع، باستثناء ألفونسو أوتايجي الذي يعمل في الجامعة البابوية الكاثوليكية في تشيلي، وبولين جارفي التي تعمل في جامعة ماينوث التابعة لجامعة أيرلندا الوطنية بماينوث، وماريليا دوكي التي تعمل في المعهد العالي للدعاية والإعلان بساو باولو، وليلى عبد ربه وهي باحثة مستقلة، ومايا ده فريس التي تعمل في الجامعة العبرية بالقدس. قام الباحثون بالبحث الإثنوغرافي بشكل متزامن باستثناء البحث الذي أجري في القدس، فقد بدأ وانتهى لاحقًا.

تتكون هذه السلسلة من كتاب مقارن موضوعه استخدام الهاتف الذكي وتبعات ذلك وعنوانه (الهاتف الذكي العالمي)، وبالإضافة لذلك ننوي نشر مجموعة أعمال منقحة لتقديم عملنا في مجال الصحة عبر الهاتف. كما سنقدم بحثنا الإثنوغرافي من خلال تسعة أبحاث منفصلة monographs حيث دمجنا الموقعين الأيرلنديين معا في مجلد واحد. سوف تحتوي هذه المونوغرافات الإثنوغرافية على نفس عناوين الفصول باستثناء الفصل السابع، وهذا التكرار سوف يتيح للقارئ رؤية العمل بشكل مقارن.

كان هذا المشروع تعاونيا ومقارنا بدرجة كبيرة منذ البداية، وقد كنا ندون منذ بداية المشروع على مدونتنا على https://blogs.ucl.ac.uk/assa/، ويمكن معرفة المزيد عن المشروع من الموقع الرسمي للمشروع على https://www.ucl.ac.uk/anthropology/assa/. نواة الموقع مترجمة إلى لغات المواقع الميدانية للبحث، كما أن الكتاب المقارن والعديد من المونوغرافات سوف تترجم. سوف نحاول قدر الإمكان أن نجعل هذا العمل متاحًا مجانًا تحت واحدة من رخص المشاع الإبداعي. من المخطط لهذا المؤلف أن يكون متاحًا لجمهور كبير مع الكثير من المعلومات عن المناقشات الأكاديمية والمصادر المذكورة في الحواشي.

لقد أضفنا أفلامًا قصيرة لا تتجاوز مدة كل منها الثلاث دقائق إلى النسخ الرقمية من هذه الكتب، ونأمل أن تنجح في إضافة المزيد عن المواقع الميدانية التي عملنا بها بالإضافة إلى أنها فرصة للاستماع إلى بعض المشاركين في البحث بشكل مباشر. إذا كنت تقرأ هذا البحث في صورة كتاب إلكتروني فيمكنك ببساطة النقر على رابط كل فيلم لمشاهدته على موقعنا الإلكتروني، أما إذا كنت تقرأه في صورة كتاب ورقي فالروابط موجودة تحت كل صورة ويمكنك مشاهدتها وقتما تكون متصلًا بالإنترنت.

شكر وعرفان

نتوجه بالعرفان أولًا وأخيرًا لآلاف المشاركين الذين شاركوا في هذا البحث وأعطونا من وقتهم وتجاربهم، ولكن التزامنا بإبقاء هوياتهم غير معلنة يمنعنا من ذكر أسماءهم، ولكننا نشكرهم بعمق واحدًا واحدًا على مساهماتهم في هذا البحث. كما أننا ندين بالفضل كثيرًا لمعاون البحث في هذا المشروع جورجيانا موراريو لجهودها في تنظيمنا ومراجعة المخطوطات وتصميم العديد من البيانات المعلوماتية والمساعدة بطرق أخرى لا تعد ولا تحصى. نمتن أيضًا لساسكي ليز وألوم ميلي الذين قدموا لنا المساعدة في اثنين من مواقع البحث. نشكر أيضًا هؤلاء الذين قاموا بقراءة المخطوطات الأولى من هذا العمل وهم ريك أدريانز ووندي أليكساندر وريكي بورمان وأندرو كوبر وجاستن دافز وماركوس فيدر وهيثر هورست وفكتوريا إريساري وسوزانا جوفيتشيك وكاترين بايب وسيمن والتون وكريستوفر ويلبورن وأفراد مطبعة كلية لندن الجامعية ممن لا نعرف هوياتهم. شكر خاص لزملائنا الأكاديميين كيمورا يومي ومارجوري موراي ودافيد بريندرجاست وإليزابيث شرويدر-باترفيل وجاي سوكلوفسكي. كما ندين بالشكر لبن كولير الذي أنتج العديد من أفلامنا القصيرة وآخرين ممن اشتركوا في صنع هذه الأفلام ومنهم دانيال بالتينو. نمتن أيضًا لدعم مطبعة كلية لندن الجامعية ولكاثرين برادلي لمراجعتها اللغوية العميقة.

جاء معظم التمويل لهذا البحث وللباحثين من مركز البحوث الأوروبي تحت رعاية برنامج الاتحاد الأوروبي للبحث والتطوير أفق 2020 [الموافقة على المنحة برقم 740472]. بالإضافة إلى ذلك، حصل ألفونسو أوتايجي على تمويل من مركز أبحاث الثقافات المتداخلة والأصلية بمدينة سانتياغو في تشيلي [CIIR]، برقم ANID-FONDAP15110006. حصلت ليلى عبد ربه ومايا ده فريس على تمويل من مجلس الائتمان الإنساني ومن المركز السويسري لدراسة وإدارة وحل النزاعات ومن معهد الأسرة الذكية للاتصالات التابع للجامعة العبرية بالقدس. حصلت لورا هابيو-كيرك على تمويل إضافي من الصندوق المشترك لكلية لندن الجامعية وأوزاكا لمشروع الصحة عبر الهاتف الذي تقوم به مع كيمورا يومي وساسكي ليز. حصلت ماريليا دوكي على تمويل إضافي من المكتب التنسيقي لتحسين كوادر التعليم العالي بالبرازيل [CAPES] [الموافقة على المنحة برقم 88881.362032/2019-01].

الفصل الأول
مقدمة

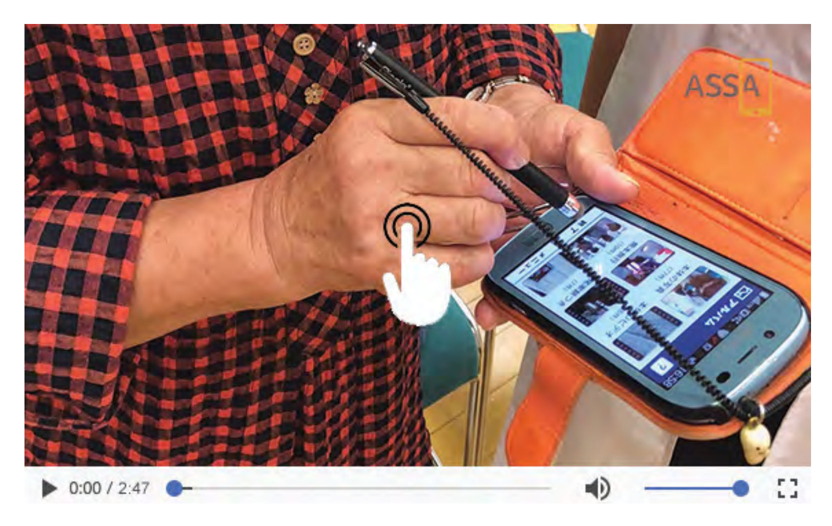
الذكاء والهاتف

السيدة ساتو من اليابان أستاذة في تنسيق الزهور [ikebana] وتبلغ 90 عامًا من العمر، وهي لاتزال تمارس وتعلم حرفتها للآخرين من منزلها في كيوتو. أصبح الهاتف الذكي محوريًا في حياة السيدة ساتو منذ أن قامت بحيازته منذ ثلاث سنوات، فهي تقوم بالترتيب لدروس طلابها على تطبيق الرسائل لاين [LINE] الذي أضافت عليه أكثر من 100 جهة اتصال، ويعجبها أن لاين يخبرها إذا كان المرسل إليه قد قرأ رسالتها، وأحيانًا ما تتبع رسائل البريد الإلكتروني التي ترسلها لطلابها برسائل على لاين تخبرهم فيها أنها قد أرسلت لهم على البريد الإلكتروني. تخبرها النتيجة على هاتفها متى تحتاج لتغيير معروضات الزهور في محلات كيوتو المتعددة، وهي أيضًا تكتب مدونة عن تنسق الزهور والمعارض التي تقدمها ويجدها الكثير من الطلبة عن طريق هذه المدونة.

بجانب عملها يجعل هاتف السيدة ساتو مهام الحياة اليومية مثل تفقد حالة الطقس أو مواعيد الأوتوبيسات أسهل عليها، فهي تطلب البقالة كصندوق الغذاء bento والمخلل والتوفو من متجر [Seven Eleven] في منطقتها باستخدام لاين ويتأكدون من طلبها بإرسال صورة لما طلبته لها مرة أخرى. وبما أنها تصف نفسها كشخص لديه فضول جارف عن العالم فساتو تستخدم هاتفها الذكي للحفاظ على صحة عقلها بممارسة التمارين العقلية كل يوم باستخدام تطبيقات مخصصة لذلك، كما أنها تتعلم كلمة جديدة في اللغة الإنجليزية كل يوم باستخدام تطبيق لغوي. الصحية الجسدية مهمة أيضا لساتو، وهي تتحقق من السعرات التي تحرقها باستخدام عداد الخطوات كل يوم وتبحث أحيانا حول سبب تورم ساقاها أو عن وصفة صحية قد سمعت عنها. استبدلت ساتو أيضًا المكالمات التي كانت تجريها مع ابنة أخيها لسؤالها عن الأشياء التي كانت تسمعها على التليفزيون بسؤال جوجل. تعترف السيدة ساتو بأنها تشعر بالإحباط أن معظم أصدقاءها ممن هم في مثل عمرها وحتى من هم أصغر منها لايزالون يستخدمون الهاتف ذو المميزات المحدودة [garakei]، وهم لا يملكون نفس فضولها حول التكنولوجيا الحديثة رغم تشجيعها لهم على ذلك، وترى تبنيها لاستخدام الهاتف الذكي كانعكاس لتوجه أخذته طيلة حياتها ووضعها دائما في المقدمة بين أقرانها ألا وهو اعتناق الجديد.

للسيدة ساتو طالبة تدعى ميدوري وهي سيدة في منتصف العقد السادس من عمرها تعمل كعازفة موسيقى محترفة. في الفيلم القصير المصور أدناه [شكل 1.1] تشرح السيدة ميدوري لم قررت أخيرًا أن تحصل على هاتف ذكي بعد التردد لفترة طويلة.

تستخدم ماري البالغة من العمر 80 عامًا والتي تعيش في أيرلندا تطبيق بينتريست [Pinterest] بكثافة لأنه يساعدها على هوايتها في رسم الزهور، فهي تبحث فيه عن أمثلة لأساليب الرسم التي يرسم بها الناس وأيضًا تتحقق



1.1 فيلم: (الهاتف الذكي شريان حياة). متاح من خلال http://bit.ly/smartphoneisalifeline

من الأسماء العلمية للنباتات. تجري ماري أيضًا محادثات فيديو مع صديقة تنوي زيارتها في هولندا باستخدام واتساب [WhatsApp] وتستخدم تطبيق يدعى [Measure] لمساعدة أحد أحفادها في واجبات الرياضيات الخاصة به. تساعد فيديوهات يوتيوب [YouTube] ماري في تدريباتها من أجل فرقة الكورال التي تغني بها، كما تستخدم مشغل الوسائط [RTÉ] لمتابعة البرامج التي تفوتها على الراديو. لم تتوقف ماري عن استخدام عداد الخطوات الخاص بها إلا منذ فترة قصيرة.

تتابع ماري على إنستاجرام [Instagram] ابنتها التي ظلت لمدة 6 أشهر تنشر رسم على صفحة حساب والدتها، كما تتابع مجموعة كبيرة من الفنانين الأيرلنديين المحليين، وتبحث في جوجل أيضًا عن معلومات حول صالات العرض في المعرض الوطني. تستخدم ماري الكاميرا الخاصة بهاتفها الذكي لأخذ لقطات للمشاهد الغريبة، مثل فرخة تبدو وكأنها تنتظر في محطة [الحافلة]. تقرأ ماري العديد من الصحف على تليفونها وتتابع فيسبوك [Facebook] وتستخدم تطبيقات لمواعيد الأوتوبيسات والقطارات كما تستخدم تطبيق ريل تايم [Realtime] لمعلومات أخرى عن المواصلات. تملك ماري رؤية واضحة لكيفية استخدام الوقت الذي تقضيه مع الأجهزة الرقمية، فهي على سبيل المثال تعتقد أن صديقتها تضيع وقتًا كثيرًا جدًا على الفيسبوك، ولكنها أيضا تقر بأنه يجب لكل شخص أن يتمتع بهواية. لا تحب ماري تطبيق فيس تايم [Facetime] لأنه يعني أنها لم يكن لديها الوقت لوضع الماكياج على وجهها قبل التحدث إلى شخص ما. بدأت ماري في حيازة الآيفون الخاص بها منذ خمس سنوات وتفضل أن تحاول فهم الأشياء وحدها بدلًا من طلب مساعدة الآخرين أو حضور دورة تدريبية. وفيما يخص الهواتف الذكية بشكل أكثر عموما تقول ماري أنه حين يأتيك الحصان كهدية فلا تنظر إلى أسنانه.

كمثال أخير يقدم الفيلم القصير المصور أدناه [1.2] انطباعا عامًا عن استخدامات كبار السن للهواتف الذكية في الصين.

العنوان الرئيسي والفرعي لهذا الكتاب هو (الهاتف الذكي العالمي: ما وراء تكنولوجيا الشباب). لم يكن ممكنًا حتى وقت قريب أن نكتب رصدًا عامًا لاستخدام الهاتف الذكي وتبعات ذلك كجهاز لكل يوم والذي نعتبر وجوده من المسلمات، فقد كان استخدام الهاتف الذكي محدودا فيما سبق أما الآن فقد وجد مكانًا بين من تتراوح أعمارهم



1.2 فيلم: (كيف يمكنني أن أعيش حياتي دونك). متاح من خلال http://bit.ly/lifewithoutyou

بين الـ80 و الـ90 عامًا وتجرد من أي افتراض سابق أن مكان هذه الهواتف الطبيعي هو بين الشباب. أثناء قيامنا بالمشروع الذي سبق مشروعنا هذا – وهي دراسة مقارنة لمنصات التواصل الاجتماعي أسميناها (لماذا ننشر)[1] – كان الناس في مناطق كثيرة متأكدين تمامًا أن منصات التواصل الاجتماعي لن تستخدم أبدًا بواسطة من هم أكبر من 40 عامًا، ولكن هذا الفصل تلاشى الآن تمامًا. لهذا نشعر أنه من واجبنا أن نحاول فهم هذا الجهاز الذي أصبح مركز حياة 3.5 مليار مستخدم،[2] فعلى سبيل المثال يمتلك 84 بالمئة من البالغين في المملكة المتحدة هاتفًا ذكيًا.[3]

نقول جدلًا أن الهاتف الذكي يتحول الآن إلى لازمة من لوازم الجنس البشري. كتبنا هذا الكتاب أثناء العزل الاجتماعي الذي أعقب وباء الكوفيد-19، وهو الوقت الذي تحول فيه الهاتف الذكي بالنسبة للكثير من الناس حول العالم إلى جل ما يمكنهم أن يصلوا إليه من تواصل اجتماعي، وفي حين أن معظم الناس أصبحوا مدركين لقصور التواصل عبر الهاتف لصالح التواصل المباشر إلا أنهم في الوقت نفسه كانوا يفزعون من فكرة أن يجربوا الحظر في بيوتهم بدون هواتفهم. حجم الاستخدامات التي وظف الناس هواتفهم الذكية لها مذهل، ولكنها أصبحت من المسلمات تقريبا فور ظهورها.

الهدف الرئيسي من هذا الكتاب هو فهم تبعات استخدام الناس حول العالم للهواتف الذكية، والهدف الثانوي هو محاولة فهم حقيقة الهواتف الذكية بشكل أفضل، ويعرض الفصل الأخير سلسلة من النتائج التي تربط هذين الهدفين معًا. أيضًا المصطلحات المستخدمة في ذلك الفصل وفي نتائج فصول سابقة كفصول «المنزل المتنقل» و «ما وراء التجسيد الآدمي» و «الانتهازية المتواصلة» هي بمثابة مزاعم حول طرق استخدام الهواتف الذكية والتغيرات التي أحدثتها في حياتنا كإدراكنا للمكان الذي نعيش به.

المنهج الذي اتبعناه في بحثنا الإثنوغرافي هو أن كل منا انتقل للعيش داخل مجتمع ما لمدة 16 شهرًا وشارك في حياة أفراده اليومية. ربما يكون البحث الاثنوغرافي هو الطريقة الوحيدة لاكتشاف ماهية الهواتف الذكية وهذا لأن لهذه الأجهزة قدرة غير مسبوقة على التحول. كان لابد لنا من دراسة إلام حول كل مستخدم هاتفه وكيف وظفه بعد ذلك وخاصة بشكل انفرادي. الإثنوغرافيا هي طريقة لبناء نوع الثقة طويلة الأمد التي يحتاجها بحث مثل هذا. يعتمد هذا الكتاب بشكل أساسي على الملاحظة المباشرة للطرق التي يستخدم بها الناس هواتفهم الذكية في حياتهم

اليومية بالإضافة إلى النقاش معهم حول ذلك باستثناء الفصل الثاني الذي اعتمد مجملًا على الأشياء التي يقولها الناس عن الهواتف الذكية.

لو أن هذا الكتاب في مجمله وصفًا لماهية الهواتف الذكية وتبعاتها على مستخدميها إلا أنه يبدأ بنقاش وجيز حول ما هي ليست عليه، وهذا النقاش ضروري لأن مصطلح الهاتف الذكي مصطلح مضلل. لفهم هذه الأجهزة يجب النظر في كلتا الكلمتين «هاتف» و «ذكي». كلمة ذكي [Smart] التي نستخدمها في مصطلحات مثل الهواتف الذكية والمدن الذكية والمنازل الذكية جاءت من اختصار عبارة «التكنولوجيا ذاتية المتابعة والتحليل والتقرير» [Self-Monitoring, Analysis and Reporting Technology] أو [S.M.A.R.T]. تم استخدام المصطلح لأول مرة في 1995 عندما بدأت شركة التكنولوجيا [IBM] متعددة الجنسيات بالتعاون مع شركة كومباك [Compaq] في إصدار نوع من الأقراص التي تعطي المستخدم إنذارات بالأعطال قبل أن تحدث،[4] ولكن الآن ومع بروز الذكاء الاصطناعي [AI] فإننا نفهم لفظ [smart] أي ذكي على أنه نوع الذكاء المبني على التعلم الذاتي مما يعكس فكرة أن الآلات والأجهزة تتكيف لموائمة مستخدمها عن طريق المتابعة والمعالجة الذاتيتين.

في المقابل فإن هذا الكتاب بني كليةً على مفهوم مختلف للذكاء الذي نوضحه من خلال استعارة عبارة «الذكاء العام».[5] الدلائل المعروضة في هذا الكتاب تقول أن قدرة الهواتف الذكية على التعلم من الطرق التي يتم استخدامها بها من خلال المراقبة الذاتية تبدو وكأنها خاصية ثانوية وأن ما يهم أكثر في تحديد ما يؤول إليه الهاتف الذكي هو الطريقة التي يتحول بها الجهاز على يد مستخدمه، وهو نوع من الصياغة لا يبدأ إلا بعد الشراء. هذه الصياغة هي ما تحول الهاتف الذكي إلى تلك الأداة الشخصية والحميمة المذهلة.

عندما يضع أحد مطوري الهواتف الذكية المراهقين في كوريا في اعتباره قد لا يأتي إلى ذهنه أن المهاجرين البيروفيين في تشيلي قد يستخدمون هاتفه بطريقة مختلفة جدًا عن المتقاعدين من الطبقة الوسطى في الكاميرون أو أيرلندا، ناهيك عن أستاذة تنسيق زهور تبلغ التسعين في اليابان. ما قمنا به هنا لم يكن توثيق الهاتف الذكي الذي يمكنه تعلم الأشياء عن تنسيق الزهور، ولكننا دراسة عجوزًا في التسعين من عمرها لديها من الذكاء الكافي لتوظيف هاتفها لمساعدتها في تنسيق الزهور. هذا النوع من الإبداع هو ما نطلق عليه مصطلح «الذكاء العام».

نقترح أيضًا الابتعاد الجذري عن كلمة هاتف، فالمعنى الدلالي للكلمة يشير إلى أن الهاتف الذكي هو أحدث نسخة من الجهاز الذي نعرفه بالهاتف، ولكن إلى أي مدى يمكن أن نعتبر الهاتف الذكي هاتف حقًا؟ كان التليفون جهازًا لعمل المكالمات الهاتفية، إنما الهاتف الذكي تطور ليشمل وظائف كثيرة جدًا تشكل المكالمات الصوتية جزء ضئيل جدا منها خاصةً بين الشباب،[6] وحتى استخدام الصوت أصبح له وظائف أخرى مثل الإملاء. لهذه الأسباب فإن النظر إلى الهاتف الذكي على أنه امتداد للهاتف العادي ربما يكون مضللًا، بل أن تسمية هذا الجهاز كأي نوع من أنواع الهواتف يعتبر بالتأكيد شيئًا غير ذا جدوى. أي عرض لتاريخ التليفون[7] أو الدراسات السابقة عنه سوف يستبعد معظم ما يمثله الهاتف الذكي الآن لأن الهاتف الذكي هو حصيلة العشرات من الممارسات السابقة له والتي لكل منها تاريخ ضخم. على سبيل المثال، جزء كبير من التقاط الصور اليومية ومشاركتها ومشاهدتها في عالم اليوم يحدث بواسطة الهاتف الذكي، فهل الأفضل أن نسمي هذا الجهاز كاميرا ذكية يمكنها أيضًا إجراء المكالمات؟ وهل ينبغي لنا حتى نفهمه التركيز على تاريخ التصوير الرقمي بدلًا من تاريخ الهاتف؟[8] هل يمكن أن يكون هذا أكبر تغيير ممكن حدوثه؟

اهتم التصوير الفوتوغرافي في الأصل بالتمثيل والأرشفة، ولكن الكاميرا-الهاتف الذكي يستخدم أكثر لمشاركة المواد المرئية على منصات التواصل الاجتماعي. ومع ذلك فإن الفوتوغرافيا نفسها هي جانب واحد فقط من الجوانب

البصرية للهاتف الذكي – انظر مثلا إلى تطبيق الخرائط من جوجل – لذا فالهاتف الذكي يستدعي تاريخًا أكثر عمومية من استخدام الوسائط البصرية.[9] إذا كنا الآن نشارك الصور الفوتوغرافية على منصات التواصل الاجتماعي فهذا يعني أن الهاتف الذكي هو الجهاز الذي من خلاله نشارك المعلومات عن حياتنا. منذ فترة قريبة نشر المؤرخ لي همفريز تاريخًا مذهلًا عن تلك المشاركات،[10] فعلى سبيل المثال كان القصد من كتابة اليوميات في العصر الفيكتوري هو أن يراها الآخرون، فقد كانت تلك هي الطريقة التي من الممكن أن تخبر بها الزوجة أبويها عن حياتها الجديدة في منزل زوجها، كما كان من الممكن أن تُقرأ يوميات الأطفال بصوت عال في المساء. يربط همفريز تلك الممارسة بما تلاها من تطور في المدونات ثم مدونات الفيديو وأيضًا الاستخدام المعاصر لفيسبوك، وهو تصحيح أنيق للافتراضات التي تقول أنك إذا أخبرت الناس بما أكلت على العشاء فأنت مثال على النرجسية المعاصرة. [11]

وعلى نفس النحو يشيرهمفريز لأصول منصات التواصل الاجتماعي مثل بينتريست الذي يرجعه إلى كشكول القصاصات الفكتوري، وبهذا هو يقوم بتعريف التاريخ الطويل وراء إخبار الآخرين عن إجازاتنا في الخارج أو إحياء الذكريات عن طريق الصور.

حين ننظر إلى المزيد والمزيد من استخدامات الهاتف الذكي الحديث ينمو داخلنا الشعور بصعوبة خدش سطحه السميك، وهذا جزئيا لأنه حتى إذا ما فكرنا في هذا الجهاز ككاميرا-هاتف يومياتي ذكي فإن هذا التفكير سيكون قاصرًا. لماذا تكون هذه الاستخدامات أكثر أهمية من الطريقة التي غير بها الهاتف الذكي احساسنا بالمكان؟[12] هل كل الأماكن الآن سواء إلى حد كبير حيث أن هاتفنا الآن معنا حيثما كنا كما قال أحد المعلقين؟[٣١] الهاتف الذكي هو أيضا المكان الذي نخزن ونستمع ونشارك الموسيقى به، كما أنه أصبح جهازًا للترجمة[14] ورابطًا مهما للانتقالات والسياحة ومكانًا للعب. أصبح الهاتف الذكي أيضًا مصدرًا رئيسيًا للمعرفة والمكان الذي يسعى الناس من خلاله وراء المعلومات في كل الموضوعات التي من الممكن تخيلها من القيل والقال حول المشاهير والأخبار الحقيقية والمزيفة وحتى الاكتشافات في مجال الفيزياء.[15]

ما يعنيه كل هذا هو أن هذا الفصل التقديمي لا يمكن أن يكون تقليديًا، فلا يمكن أن يعرض تاريخ كل الأشياء التي يمكن أن يكونها الهاتف الذكي بدءا من كيفية حصولنا على المعلومات وحتى الترفيه، كما أنه ليست هناك طريقة لعرض الدراسات السابقة بحيث تشمل كل شيء من تكنولوجيا الموقع وحتى التصوير الفوتوغرافي. لذا فربما كانت الطريقة المنطقية الوحيدة لهذا التقديم هو عرض التاريخ والدراسات السابقة لتطور قدرتنا على فعل العديد من الأشياء باستخدام جهاز واحد فقط. مقارنة الهاتف الذكي بالسكين السويسري هي مقارنة عادية هنا ولكنها أيضًا مقارنة محدودة جدًا، وهناك مقارنة أخرى تصفه بكمبيوتر الجيب بيد أن الكمبيوتر لم يكن أبدًا الجهاز الرئيسي لإجراء المكالمات أو التقاط الصور، ناهيك عن أن يكون جهازًا حميمًا لدرجة أن نشعر معه أنه امتدادًا لأجسادنا. بالإضافة لذلك تضمن هذا البحث مواقع ميدانية عديدة حيث القليل من الناس أو الشباب منهم فقط قد سبق لهم استخدام أجهزة الكمبيوتر لذا فبالنسبة للعديد من المستخدمين كان الهاتف الذكي هو أول اتصال لهم بالانترنت. حقًا ليس هناك سلفًا ممكنًا للهاتف الذكي.

ومع ذلك فإن هذه الإشارات المرجعية لأجهزة الماضي تقربنا مما سيكون مفتاحًا لفهم الهاتف الذكي وقدرته على إذابة الحدود التي كانت موجودة قبله بين الأنشطة المختلفة التي يستخدم لها. قد ذكرنا التصوير الفوتوغرافي بالفعل وأيضًا استخدام الهاتف الذكي لتسجيل المعلومات، ولكن الجديد بحق هو كيف ارتبط هذان النشاطان في الهاتف الذكي لدرجة أنه من الممكن للكاميرا تسهيل تخزين المعلومات فأصبح ممكنًأ للناس الاحتفاظ بملصق إعلاني عن حفل موسيقي على نافذة متجر أو بصفحة من مجلة أو بقائمة مشتريات عن طريق تصويرها. كذلك أصبح من السهل تغيير زمان ومكان الاجتماعات على عجالة حيث أن وظيفة التقويم داخل الهاتف الذكي يمكن ربطها

بسهولة بقنوات التواصل الجماعية في الواتساب. أصبح الهاتف الذكي مهما للربط بين الإمكانات المختلفة ولحشد هذه الإمكانات معًا بنفس القدر.

رؤية حجم الإمكانات التي يحتويها الهاتف الذكي تعطينا مبررًا أكبر لاختيار المنهج الإثنوغرافي لبحثنا، فبخلاف الدراسات تكنولوجية التوجه لا تتعامل دراستنا عن الهاتف الذكي على أنه مجرد جهاز ذو إمكانات لأن الكثير من هذه الإمكانات يظل غير مستغل. الهاتف الذكي بالنسبة لنا لا يمثل إلا الاستخدامات التي لاحظناها بين فئات الناس الذين عملنا معهم، فعبقرية الناس وليس الجهاز هي ما يتصدر منظورنا عن «الذكاء العام» بغض النظر عما إذا كانت توظيفاتهم للهواتف الذكية موجودة في مخيلة صانعيها أم لا. يمتلئ هذا الكتاب بأمثلة مذهلة على الاختراع والتصميم والتطبيق بواسطة أناس دمجوا الهواتف الذكية في حياتهم اليومية.

(الهاتف الذكي العالمي) هو أيضًا كتاب في الأنثروبولوجيا المقارنة والذى يعترف بالاختلافات الثقافية طيلة الوقت، ففي بعض الأحيان نجد الهاتف الذكي العالمي حيث يجوز إصدار التعميمات عبر مواقعنا الميدانية المختلفة، وفي أوقات أخرى نجد الهاتف المحلي. لا يوجد شعب أو مجموعة سكانية تمثل المستخدم العادي للهاتف الذكي ويعتبر معها الآخرون تنويعات أو انحرافات، فنحن يمكننا الحديث عن الاستخدام النمطي داخل كل فئة من الناس ولكن هذا يعني أنه يوجد الأفراد غير النمطيين أيضًا. يمكن للتعميمات أن تقام على أساس النوع الاجتماعي أو الطبقة الاجتماعية ولكن كل فرد هو أكثر من مجرد مثال أو رمز لفئة ما، ولهذا السبب فإن جزءًا كبيرًا من هذا الكتاب يتكون من بورتريهات للأشخاص تكون أحيانًا بهدف تمثيلهم كمثال وأحيانًا أخرى بهدف الاقرار بتفردهم.

موجز مشروعنا

يتكون المشروع من 11 باحثًا أجروا 10 أبحاثًا إثنوغرافية في 9 بلدان.[16] استغرق كل من هذه الأبحاث 16 شهرًا على الأقل من فبراير 2018 وحتى يونيو 2019 – باستثناء القدس – وأقام الباحثون بداخل أو على مقربة من المجتمعات التي درسوها. أيضًا أوجزنا منهجية البحث والتمويل وأخلاقيات البحث والسياق الأكبر للبحث في ملحق الكتاب. لم نختر المواقع الميدانية كنماذج أو كعينات وليس هناك أي أساس منطقي وراء اختيارنا لهم، فقد تم اختيارهم بناءًا على اهتمامات وخلفيات فريق البحث ليس أكثر. العامل الوحيد الذي كان مهمًا في الاختيار هو تمثيل هذه المواقع للتنوع ونطاق السلوكيات والقيم الموجودة في عالمنا المعاصر. كذلك لا ينبغي أن ينظر إلى هذه المواقع كنموذج للبلدان التي تنتمي لها، فمجتمع الطبقة الوسطى في ياوندي لا يمكنه أن يمثل الكاميرون كما لا يمكن لمهاجر بيروفي في سانتياغو أن يمثل تشيلي.

يتضمن البحث ثلاثة مواضيع رئيسية: التقدم في العمر والصحة والهواتف الذكية، وننوي أيضًا نشر تسعة دراسات فردية [مونوغرافات] تتمحور حول تجربة التقدم في العمر بالنسبة لهؤلاء الذين لا يعتبرون أنفسهم شباب ولا مسنين. يركز معظم بحثنا على هذه الفئة الديموغرافية مع الكثير من التباين نتيجة وجود نسبة أكبر من كبار السن في بعض الأماكن كاليابان على سبيل المثال مقارنة بأماكن أخرى كأوغندا. لهذا السبب نستخدم مصطلح كبار السن في هذا الكتاب، فنحن لم نقم بدراسة الفئة الأوهن والأكبر سنًا فهذا هو تخصص علم دراسة الشيخوخة، وهناك مناقشة مستفيضة حول قضايا التقدم في العمر تلك في المونوغرافات المنفصلة. أيضًا يبلغ العديد من الباحثين حوالي الـ 30 عامًا من العمر فكان من الطبيعي أن يتعرفوا على أفراد في مثل أعمارهم.

من الممكن أن يبدو تركيز فريقنا البحثي على دراسة كبار السن غريبًا لأننا أصبحنا معتادين جدًا على رؤية الشباب في الصدارة من هذا التركيز لأننا كنا نراهم المستخدمين الطبيعيين للهواتف الذكية. كما احتوت تلك الدراسات السابقة على موضوعات كتبت خصيصًا عن الشباب فإن هذا الكتاب كذلك يحتوي على أجزاء كتبت خصيصًا عن كبار السن مثل الفصل السابع. بشكل عام ساعد هذا التركيز على كبار السن في وضع دراسة الهواتف الذكية خارج أي حيز ديموغرافي محدد حتى ليمكن اعتبارها شيء يخص البشرية جمعاء، بل إن أهمية الهاتف الذكي للعلاقات بين الأجيال هي ما يتصدر هذا الكتاب.

بالإضافة إلى دراسة التقدم في العمر والهواتف الذكية فنحن نربطهما معًا من خلال دراسة مجال الصحة عبر الهاتف،[17] أي استخدام الهواتف الذكية للأغراض الصحية، فالتركيز على هذا المجال يعطينا مكونًا قابلًا للتطبيق حيث أن الغرض من هذا البحث هو الإسهام في تحسين حياة الناس بشكل مباشر. كانت نقطة إنطلاقنا لهذا المكون هي انتشار التطبيقات الموجهة التي يتم تطويرها لنطاق من الأنشطة مثل مساعدة المرضى على الحصول على المعلومات[18] أو إحداث التحول في الرعاية الصحية[19] أو تنفيذ التدخلات في مجال الصحة العامة[20] أو الجماعات المهتمة بالصحة على الانترنت.[21] يتم تقديم التطبيقات المتعلقة بالصحة إلى السوق للتعامل مع أي حالة بداية من متابعة اللياقة البدنية وحتى متابعة دورة الطمث أو السكر.

لكن منحانا البحثي «الذكاء العام» أسفر عن تغيرًا جوهريًا مع المضي قدمًا في البحث، فقد وجدنا أن استخدام تلك التطبيقات الموجهة الخاصة بالصحة محدود نسبيًا وأن غالبية المشاركين في البحث [سوف نسميهم المشاركين من الآن] يستخدمون تطبيقات أخرى بانتظام كإعداد مجموعات على الواتساب لتنسيق رعاية قريب مسن، وهو ما صرف انتباهنا إلى استخدام التطبيقات العامة كجوجل وويتشات من أجل الأغراض الصحية. لهذا قمنا بالتركيز على الاستخدامات المجانية للهواتف الذكية لأغراض الصحة في مقابل التطور التجاري لمجال الصحة عبر الهاتف. سوف ننشر المشاريع البحثية التي تمت من هذا الجزء من بحثنا في مكان آخر[22] ولكنها مرجع للإشارات المتكررة حول قضايا الصحة والرعاية في كتابنا هذا. هناك أيضًا مكون إضافي أضيف نتيجة لكوفيد-19، فقد كان من الطبيعي أن يظل جميع أعضاء الفريق على اتصال بأصدقائهم وبالمشاركين في المواقع الميدانية أثناء تلك الفترة، وكذا كان من الطبيعي أن ندرس الطرق التي يستخدم بها الناس هواتفهم الذكية إثر الوباء وحالة الانعزال الاجتماعي.

تم توصيف المنهج البحثي الذي استخدمناه في جزء ملحق بهذا الكتاب لأن هذا المنهج يعتبر على أصعدة كثيرة منهج إثنوغرافي نموذجي كما يستخدم في الأنثروبولوجيا، ولكن إن كان هذا المنهج لا يبدو مألوفا لك أو كنت تريد البدء بمعرفة الكيفية التي حصلنا بها على الدلائل التي نقدمها في هذا الكتاب فيمكنك بالطبع قراءة الملحق قبل فصول الكتاب نفسه. نص بروتوكول البحث على إجراء 25 مقابلة شخصية على الأقل في كل من المواقع الميدانية حول كل موضوع من موضوعات البحث الرئيسية وهي الهواتف الذكية والتقدم في العمر والصحة، ولكن منهجنا الأساسي اعتمد على ملاحظة المشاركين وعلى مشاركة أعضاء فريق البحث في الكثير من الأنشطة المحلية. قام بعض من أعضاء الفريق البحثي أيضًا بتعليم الكبار استخدام الهواتف الذكية والذي استغرق في بعض الحالات أكثر من عام.

المواقع الميدانية

يمكن للباحث أن يجمع القصص المثيرة للاهتمام في زيارة تستغرق أسبوعان، ولكن السبب وراء مشاركة الناس حياتهم لـ 16 شهرًا هو أولًا أن يتمكن الباحث الإثنوغرافي من تحديد ما إذا كان ما يشاهده هو شيئا اعتياديًا وشائعًا أم هو غير اعتيادي وخاص بفرد معين أو جماعة معينة. الحيز الزمني مهم أيضًا لبناء الثقة



1.3 خريطة المواقع الميدانية لمشروع ASSA [سوف يتم عمل مشروع صغير في ترينداد أيضًا]. الموقع الإلكتروني لمشروع ASSA متاح من خلال https://www.ucl.ac.uk/anthropology/assa/

والصداقة اللازمين للمشاركة في المحادثات والأنشطة على الانترنت حيث أن هذه الأشياء تكون غالبًا شخصية ويغلب عليها الأحاديث العائلية، كما أن إحدإحدى طرقنا في البحث كانت عن طريق النظر داخل الهاتف الذكي وفحص كل من تطبيقاته على حدة لمعرفة كيف وإذا كانت تستخدم. بنيت تلك الثقة على أساس من التأكيد على إبقاء هويات المشاركين غير معلنة ومن توضيح الأسباب التي تجعل الإرشاد حول استخدامات وتأثيرات الهواتف الذكية مستحيلًا بدون القيام بدراسة عن طريق الملاحظة المباشرة لتلك الاستخدامات والتأثيرات. في المواقع الميدانية الكبيرة كان وعدنا بالسرية غير متعارض مع استخدام الأسماء الحقيقية للأماكن، لكننا في حالات أخرى استخدمنا أسماء مستعارة في هذا الكتاب وكتب أخرى في السلسلة، وهناك أيضًا أفلام تعريفية قصيرة لمعظم المواقع الميدانية.[23] المواقع الميدانية لهذا الكتاب هي كما يلي [شكل 1.3]:

بنتو، ساو باولو، البرازيل

أجرت باحثة الأنثروبولوجيا البرازيلية ماريليا دوكي بحثها في حي سكني يدعى بنتو في مدينة ساو باولو بالبرازيل، وهذا الموقع هو حي للطبقة الوسطى ملئ بالخدمات الصحية ويقدم أنشطة متنوعة لخدمة كبار السن وتخدمه المواصلات العامة بشكل جيد بما في ذلك مترو الأنفاق. نتيجة لكل ذلك فإن الحي يزوره الكثير من الناس من أنحاء ساو باولو مما يعني أن الإثنوغرافيا غطت فئة سكانية أكبر من تلك التي تقطن في بنتو بما في ذلك من أتوا من أحياء أفقر. لمدة 18 شهرًا قدمت دوكي دورات تدريبية في كيفية استخدام الهواتف الذكية والواتساب وحضرت مجموعة كبيرة من الأنشطة المتوفرة للكبار مثل دورات وتجمعات ممارسة اليوجا والتأمل وريادة الأعمال.

كوان، أيرلندا

عمل باحث الأنثروبولوجيا البريطاني دانيال [داني] ميلر في بلدة ساحلية تدعى كوان وتبعد ساعة عن مدينة دابلن ويبلغ سكانها 10,000 شخص.[24] كانت البلدة في الأصل قرية صيد لم يتجاوز سكانها 2,300 شخص ثم اتسعت

لتشمل أراض جديدة في السبعينات، وهي بلدة للطبقة الوسطى بشكل كبير حيث نمط الوظائف يشمل التعليم والصحة والوظائف المصرفية والخدمة المدنية رغم وجود بعض مساكن الإسكان الاجتماعي أيضًا. ركز دانيال على المشاركين في أعمار الستين والسبعين وحضر الكثير من نشاطات التقاعد كان منها تعلم عزف الأكلال والمشاركة في سقيفة الرجال [Men's Shed]. أجرى دانيال معظم مقابلاته الشخصية في المقاهي والبيوت.

دار الهوى، القدس الشرقية

هذا البحث الإثنوغرافي هو مشروع مشترك بين الباحثة الفلسطينية ليلى عبد ربه والأكاديمية الإسرائيلية مايا ده فريس. دار الهوى هي منطقة فلسطينية بها حوالي 13,000 شخص وهي الآن حي من أحياء القدس. قبل أن تضمها إسرائيل كانت دار الهوى قرية واقعة بين مدينة القدس القديمة وبيت لحم، ويظل هذا الموقع حاضرًا في حياة الناس اليومية ومؤثرًا على علاقتهم بالبيروقراطيات المختلفة وبالخدمات الصحية والرقمية. ركزت ليلى ومايا على نادي كبار السن بالمركز الاجتماعي وأجرتا العديد من المقابلات الشخصية والمحادثات في المركز وأيضًا في البيوت، كما أن مايا قامت بإعطاء دورة تدريبية في استخدام الهاتف الذكي.

كامبالا، أوغندا

أجرت باحثة الأنثروبولوجيا البريطانية شارلوت هوكينز بحثها في حي يعيش به حوالي 15,000 شخص في كامبالا والتي يطلق عليها «لوسوزي» بمعنى «التل» في اللغة اللوغاندية. ساعدها في عملها معاون بحثي نشأ في المنطقة ندعوه بالاسم المستعار أمور، وقام أمور بترجمة المقابلات الشخصية إلى العديد من اللغات المستخدمة في المنطقة. جاء الناس الذين يعيشون في لوسوزي من كافة أرجاء البلاد وما حولها، ولكن بما أن غالبية المشاركين هم في الأصل من المناطق الريفية بشمال أوغندا لذا قضت شارلوت بعض الوقت في مساقط رأسهم في القرى القريبة من جولو وكيتجوم. حتى يمكنها فهم استخدام الهاتف الذكي على الأخص قامت شارلوت بالاستعانة بأدوات بحثية مثل استطلاعات الرأي والمقابلات الشخصية مفتوحة النهايات والمشاركة في الأنشطة المجتمعية مثل مجموعات النساء والتوفير.

كيوتو وكوتشي، اليابان

أجرت باحثة الأنثروبولوجيا البريطانية الفنلندية لورا هابيو-كيرك بحثها في موقعين ميدانيين، كان الأول منهما هو وسط مدينة كيوتو وهي مدينة يبلغ تعداد سكانها 1.4 مليون شخص، وكان الثاني هو منطقة ريوكو شمال محافظة كوتشي في الجنوب الغربي من اليابان. تعاني تلك المنطقة – مثلها مثل العديد من المناطق الريفية في اليابان – من تناقص أعداد سكانها ونسبة كبيرة من سكانها [40 في المئة] من كبار السن فوق الـ65 عام. احدى نقاط دخول هذا المجتمع بالنسبة للورا كانت من خلال التطوع للفحص الصحي السنوي لمن هم فوق الـ75 من العمر والذي يديره أطباء من جامعة كيوتو، وأتبعت ذلك بزيارات متكررة للمنطقة حتى يمكنها الوصول لفهم شمولي لحياة الناس هناك. تلقت لورا المساعدة والدعم من معاون البحث ساسكي ليز.

نولو، ميلانو، إيطاليا

أجرت باحثة الأنثروبولوجيا البريطانية الإيرانية شيرين والتون بحثها في ميلانو في حي ذي دخول مختلطة. تم إطلاق التسمية «نولو» [شمال لوريتو North of Loreto] حديثًا على المنطقة عملًا بفكرة الشارع الاجتماعي في إيطاليا.

[25]يعيش بالشارع ناس من مختلف مناطق إيطاليا كصقلية وآخرين من مصر وبيرو والفلبين، كما عملت شيرين مع جماعة الهزارة التي جاءت من أفغانستان. شاركت شيرين في نطاق متنوع من الأنشطة مثل كورال نسائي ومجموعة للحياكة ومركز للتعدد الثقافي ودروس اللغة الإيطالية، وسكنت في عمارة سكنية ذات سكان متنوعي الخلفية تقع في وسط الموقع الميداني والتي أصبحت المحور لبحثها الإثنوغرافي الحضري الرقمي.

سانتياغو، تشيلي

أجرى باحث الأنثروبولوجيا الأرجنتيني ألفونسو أوتايجي بحثه الميداني بين فئتين من السكان في سانتياغو، كانت الأولى هي المواطنين التشيليين المتقاعدين الذين حضروا الدورات التدريبية في استخدام الهواتف الذكية التي قدمها ألفونسو في مركز ثقافي لكبار السن، وأتاحت له الملاحظة الطويلة للمشاركين تحديد أنواع الصعوبات التي يواجهها الكبار عند البدء في استخدام تكنولوجيا جديدة. الفئة الثانية كانت المهاجرين البيروفيين المتمسكين بالطرق التقليدية للتعبير عن هويتهم المسيحية والمستمرون في تقديس قديسيهم وهم خارج بلادهم. لاحظ ألفونسو كيف أن هؤلاء المهاجرين متوسطي وكبيري العمر استطاعوا البقاء على اتصال بأهليهم وأصدقائهم من بلد المهجر باستخدام مجموعات الواتساب وعن طريق البث المباشر للحفلات عبر فيسبوك.

شنغهاي، الصين

أجرت باحثة الأنثروبولوجيا الصينية شينيوان وانج بحثها الميداني في شنغهاي التي هي أكبر مركز حضاري بالصين والتي يبلغ عدد سكانها أكثر من 27 مليون شخص، وركزت اهتمامها على عدد من المواقع الصغيرة بداخل شنغهاي مثل مجمع سكني ذو مباني قصيرة في وسط المدينة، وضاحية ذات مباني مزدحمة شاهقة من النوع الذي يسكن به معظم سكان شنغهاي، وبيت لكبار السن في ضاحية منخفضة الدخل، ومركز ضخم لرعاية المسنين في بلدة مجاورة لشنغهاي. منذ بداية عملها الميداني بحثت وانج وأنشأت معرضًا متغيرًا قائمًا على ألبومات الصور العائلية والتاريخ الشفهي للمنطقة السكنية التي قطنت بها.

ثورنهيل، دابلن، أيرلندا

تعيش باحثة الأنثروبولوجيا الأيرلندية بولين جارفي مع أسرتها في ثورنهيل،[26] وهي ضاحية ساحلية للطبقة المتوسطة في الجانب الشمالي من مدينة دابلن التي يبلغ عدد سكانها حوالي النصف مليون شخص، بينما يبلغ سكان المنطقة المركزية بثورنهيل حوالي 20,000 شخص. يعمل معظم الناس في المدينة وينتقلون بالمواصلات العامة من الضواحي إلى المركز، وتشمل أعمالهم الوظائف المصرفية والقطاع الحكومي والعمل الحر. شاركت بولين في العديد من المجموعات ذات الأنشطة المجتمعية مثل مجموعة الحرف والقهوة ومجموعة الكنيسة ونادي المشي، وبرغم أن غالبية عملها كان مع المتقاعدين إلا أن بحثها شمل مشاركين في الأربعينات والخمسينات من عمرهم أيضًا. بخلاف المواقع الميدانية الأخرى نستخدم هنا كلمات «أيرلندا» و«أيرلندي» الأكثر عمومية – رغم أن التعميمات على هذا المستوى عادة ما يتم تجنبها – لأن دراسة موقعي كوان وثورنهيل أجريت كشيء واحد، كما نستخدم أحيانا كلمة «دابلن» للدلالة على الموقعين.

ياوندي، الكاميرون

أجرى باحث الأنثروبولوجيا الكاميروني باتريك أووندو بحثه في ياوندي عاصمة الكاميرون والموطن لـ2.8 مليون شخص، وكان اهتمامه مركزًا حول منطقة للطبقة المتوسطة أعطيناها الاسم المستعار مفادينا. معظم سكان هذه المنطقة هم موظفون كبار بالإدارة المركزية أو بالشؤون العامة الأخرى مثل التعليم والثقافة، كما أن العديد من سكان المنطقة منخرطون في الأعمال التجارية الخاصة أو يعملون في شركات خاصة. جاء سكان هذه المنطقة من كل أنحاء البلاد كما يعيش بها بعض المغتربين. كانت مجموعات الرياضة الترفيهية ومساعدة الذات هما نقطتي دخول هذا المجتمع بالنسبة لأووندو، ويعرف المجتمع المحلي الأخيرة باسم «تونتينات [tontines]» .

تاريخ الهواتف الذكية

بما أن هذا الفصل لا يمكنه عرض كل أسلاف الهواتف الذكية إلا أن بإمكانه على الأقل تقديم تاريخ موجز للهاتف الذكي نفسه طالما سيكون هناك «هاتف» في هذا العرض التاريخي. أصبح الهاتف المحمول سلعة استهلاكية منذ التسعينات، ورغم الألفة التي شعر بها الناس تجاه الإصدارات القديمة للهاتف المتنقل إلا أن هذا لم يخفف من الدهشة والمهابة التي شعروا بها عندما ظهر الآيفون للعالم للمرة الأولى عام 2007.[27] ربما لم يحدث ظهور الآيفون تغيرًا جذريًا في اليابان حيث انتشرت الهواتف ذات المميزات المحدودة الموصولة بالإنترنت – المعروفة محليًا باسم جاراكي – والتي كانت مثل الحلقة الوسيطة[28] والتي لا تزال تتمتع بشعبية وانتشار بين المستخدمين الأكبر سنًا [شكل 1.4]. على أن أقرب حلقة يمكن تصورها كانت البلاكبيري الذي حاز شعبية كبيرة حول العالم[29] قبل ظهور الآيفون، وفيما عدا ذلك فقد ظهر هذا الجهاز ذو الشاشة التي تعمل باللمس والقائم على التطبيقات ليقدم لنا عالمًا جديدًا تمامًا.

لتاريخ الهاتف الذكي ثلاث لحظات فارقة.[30] كانت الأولى هي ظهور الآيفون لأن كل ما نراه مميزًا في الهاتف الذكي كان موجودًا في الإصدار الأول للآيفون الذي أذهل العالم في 2007. اللحظة الثانية كانت ظهور هواتف الأندرويد خاصة سامسونج جالاكسي، فقد حولت تلك الخطوة الهواتف الذكية إلى فصيلة هواتف مليئة بالتنوع مما أرجع الآيفون إلى تواجد محدود. اللحظة الفارقة الثالثة كانت ظهور هواتف ذكية رخيصة الثمن غالبًا من الصين، ولقد أطلقت هواوي هاتفها الذكي الأول في 2009 وشاومي في 2011.[31]

ليس هناك فروق هامة تذكر بين الطرز الرخيصة للهواتف الذكية وتلك التي تنتمي للماركات الراسخة عدا كونها دلالة على منزلة المرء. أتاح ظهور هواتف رخيصة للهاتف الذكي أن يكون ذا حضور عالمي وليس قصرًا فقط على المناطق يسيرة الحال، ومثل هذا التوسع كان شرطًا أساسيًا لهذا الكتاب حيث أن جزءًا كبيرًا من البحث شمل مجتمعات أقل ثراء ممن لا تتوفر لهم حيازة الهواتف الراقية.[32] وهناك أيضًا عدد من التطورات الأخرى حدثت في الخلفية مثل تطور سلاسل التجميع والتوريد وظهور طرف ثالث من مطوري التطبيقات، ولكن تبقى تلك خارج نطاق هذا البحث.[33]

لو أن المقارنة بـ «كمبيوتر الجيب» هي أقرب ما يكون للسلف السابق للهاتف الذكي فمن المهم أيضًا محاولة فهم التطور الذي حدث للإنترنت بالتزامن.[34] تم اختراع الشبكة العنكبوتية العالمية [the World Wide Web] في 1989 وقدمت أول صفحة ويب على «الإنترنت المفتوح» في عام 1991،[35] ولكن لم يكن لمعظم الناس أن يقعوا على كل هذا قبل إطلاق أول متصفح ويب الذي يدعى موزايك [Mosaic] والذي تسبب بشكل فعال في اضفاء الطابع الديمقراطي على استخدام الإنترنت عن طريق فتح المجال لتصفح الويب للمستخدم العادي منذ 1993 فصاعدا



1.4 مثال لهاتف مميز من اليابان [جاراكي]. تصوير لورا هابيو-كيرك.

كان السياق القومي لتلك التطورات فارقًا، ويذهب بيترز[37] إلى أنه رغم التنافسية الشديدة في الولايات المتحدة إلا أن تطوير الإنترنت تم بشكل أساسي عن طريق مزيج من التمويل الحكومي وبيئة البحث التعاونية. وعلى النقيض من ذلك فشلت محاولات إنشاء شيئًا شبيهًا بالإنترنت في الاتحاد السوفييتي – الذي من المفترض أنه كان دولة مركزية – بسبب البيروقراطيات والمؤسسات المختلفة التي اتبعت مصالحها الضيقة فقط فأصبح مشروع الإنترنت المحتمل مشروعًا تنافسيًا ممزقًا.[36]

في المقابل يقدم لنا التفكر في ظهور التكنولوجيا الرقمية في الصين درسًا آخر،[38] حيث أن تطوير تقنيات اتصالات جديدة كان سياسة واضحة ومحددة في الصين انطلاقا من الوعي بأهميتها الحيوية في مساعدة الصين على تخطي أمم أخرى في مسعاها نحو الحداثة.[39] في حين أن الدولة تقوم بالرقابة على شركات تقنية كبيرة مثل علي بابا [Alibaba] و بايت دانس [ByteDance] و تن سنت [Tencent] إلا أنها أيضا تدعمهم في محاولاتهم لمنافسة شركات مثل جوجل وفيسبوك،[40] ونتيجة لذلك أصبح هناك فاصل إقليمي أوحد جلي فيما يخص تقنيات الاتصالات الرقمية هو الفاصل بين الصين وبقية العالم. في حين أن تعداد سكان بقية العالم يبلغ أربعة أضعاف سكان الصين، إلا أن أكبر منصة اجتماعية في العالم – ويعتمد هذا على المقاييس المستخدمة للقياس – ربما تكون تن سنت وليس فيسبوك.[41]

تتمثل تلك النتيجة جليًا أيضًا في حقيقة أن ستة من أكبر عشر شركات للهواتف الذكية هي شركات صينية،[42] وهذه الشركات هي واوي [Huawei] وشاومي [Xiaome] وأوبو [Oppo] وفيفو [Vivo] ولينوفو [Lenovo] – التي تضم موتورولا [Motorola] – وتكنو [Tecno]. تعتبر كوريا هي المنافسة الجادة الوحيدة للصين من خلال الماركة المكتسحة سامسونج [Samsung] وأيضًا إل جي [LG]. باقي الشركات هي آبل [Apple] في الولايات المتحدة ونوكيا

إتش إم دي [HMD Nokia] في فنلندا. نجحت الماركات الثلاثة الأولى سامسونج وآبل وهواوي في الاستئثار بأكثر من 10 بالمئة من إجمالي السوق. على مدار السنوات القليلة الماضية كانت الشركات الصينية مثل هواوي ووان بلاس [OnePlus] تحرص على إصدار هواتف ذكية في نفس مستوى ماركات الامتياز سامسونج وآبل في حين احتفظت شركات أخرى بالهيمنة على سوق الهواتف الذكية الرخيصة. في الهند يتم تسويق بعض الهواتف الذكية بتكلفة بسيطة،[43] فمثلا هناك نسخ مقلدة من الآيفون 11 تبدأ من 679 جنيه في حين يمكن أن تصل نسخة البرو ماكس [Pro Max] لأكثر من 1,000 جنيه إسترليني.[44]

مما له نفس الأهمية بالنسبة لباحثي الأنثروبولوجيا هو كيفية تعامل الناس مع التقنيات السابقة. ما هي أسلاف الهاتف الذكي التي يمكنها تفسير استخدامه وقبوله ورفضه؟ درس الباحث في علم الاجتماع كلود فيشر[45] تأثير الخطوط الأرضية في الولايات المتحدة بين 1900 و 1940 ليخلص إلى أنه «لم يغير التليفون طريقة الحياة الأمريكية بشكل جذري، بل إن الأمريكان قد استخدموه ليمارسوا طريقتهم في الحياة بشكل أكثر قوة». قال فيشر في إحدى أهم ملاحظاته أن هؤلاء الذين سوقوا الهاتف للبيوت الأمريكية كانوا بطيئين في تقدير مدى انتشار استخدامه في التواصل الاجتماعي،[46] وكانت النتيجة أن هؤلاء الذين اخترعوا الخطوط الأرضية حقًا لم يكونوا المخترعين التقنيين أو الشركات التقنية، بل كانوا المستهلكين وخاصة الريفيين منهم الذين كانوا أكثر الناس حرصًا على حيازة التليفون وأكثر من استطاع تقدير إمكاناته المحتملة.[47] لم ير فيشر تأثير اجتماعي أو نفسي ملحوظ وخلص إلى أنه «بشكل عام وعلى أحسن تقدير فإن المكالمات التليفونية عززت ووطدت العلاقات الاجتماعية»[48] ولم تقم بإحلال العلاقات القائمة على التواصل وجهًا لوجه، ولهذا يبدو أن كل ما قام التليفون به كان التوسع في التحدث.[49]

إذا أردنا مقارنة التطورات المبكرة بالأخيرة نجد أن ملاحظات فيشر تقترب جدًا من خلاصة مشروع شارك به معظمنا مؤخرًا كان عنوانه (لماذا ننشر).[50] درس هذا المشروع الطرق التي قام بها جموع المستخدمين بإعادة تشكيل المنصات الاجتماعية بأشكال ابتكارية، وكشفت الدلائل أن أكثر استخدام المنصات الاجتماعية هو استخدام تقليدي حيث تُستخدم تلك الأوساط الجديدة لرتق التمزق والتشتت في حياة الناس دونها. المثال الأكثر وضوحًا على ذلك هو الطريقة التي تحاول بها العائلات التي تفرقت لأسباب مثل الحرب أو السعي وراء الفرص الاقتصادية الجديدة استخدام المنصات الاجتماعية لإعادة بناء التواصل مع أفراد العائلة بشكل مستمر وحميمي والذي بدون هذه المنصات يكون مفقودًا، ويساعدنا الانتباه لتلك الاستخدامات التقليدية على إضفاء بعض التوازن على انبهارنا بكل ما هو جديد وغير مسبوق.

توضح هذه الدراسات عن التليفون والمنصات الاجتماعية شيئًا آخر عن طبيعة السببية. لو كانت طبيعة التقنيات هي السبب الرئيسي وراء استخدام الأجهزة بالطريقة التي تُستخدم بها لكان من السهل رصد هذه الاستخدامات قياسًا على التقنيات المحددة المعدة لتلك الاستخدامات،[51] ولكن تشير دلائل مشروع (لماذا ننشر) إلى أن أنواع السلوكيات تنتقل بسهولة من منصة لمنصة. فمثلًا انتقل المزاح المدرسي بسلاسة من البلاكبيري للفيسبوك لتويتر رغم أن هذه المنصات الثلاثة مختلفة تمامًا، [52] ولو أن نوع الاستخدام يظل كما هو عبر المنصات المختلفة فلا يمكن إذًا أن تكون خواص المنصات هي ما يفسر كيفية استخدامها. كشفت سلسلة أبحاث (لماذا ننشر) أيضًا عن تنوع إقليمي في الاستخدام حتى أننا أسمينا الكتاب الذي نشرنا به نتائج هذا البحث (كيف غير العالم منصات التواصل الاجتماعي)[53] وليس كيف غيرت منصات التواصل الاجتماعي العالم.

إذا نظرنا لتاريخ منصة واحدة مثل فيسبوك – حتى وإن كان هذا التاريخ قصيرًا – تظهر لنا قضية أخرى. حاول مخترعه في البداية أن يمنع استخدامه لأي شخص من خارج جامعة هارفارد، ثم حاول قصره على طلاب الجامعات. مؤخرًا، أظهر مشروع (لماذا ننشر) أن شعبية فيسبوك انخفضت بين الشباب[54] خاصة في الأسواق الغنية مثل الولايات

المتحدة.[55] لا يوجد منطق تجاري يقول أنه من المحتمل أن يكون فيسبوك نفسه يريد خسارة صورته الشبابية في تلك الأسواق،[56] لذا فمن المؤكد أن هناك عوامل أخرى وراء تلك التغيرات، عوامل تتخطى اهتمامات الشركات ببساطة.[57]

عفى الزمن الآن على الهاتف الأرضي رغم أنه لايزال حاضرًا عند كبار السن، ولكن تستمر الهواتف الذكية في التواجد إلى جانب الهواتف ذات المميزات المحدودة والهواتف المحمولة خاصةً بين فئات الناس منخفضة الدخول التي درسناها، ولهذا فإن دراسة التاريخ ومحاولة الفهم لهذين القريبين مهمًا لأنهما يوثقان مسارات من الممكن أن يستمر تطورها من خلال الهاتف الذكي. ليس من المفاجئ أن الكثير من الدراسات السابقة المرتبطة بالهواتف الذكية قد ركزت على تبعات الحراكية، وتعطينا عناوين مثل (الاتصال المستمر) و(شخصي، متحرك، سائر)[58] بعض الدلالة على ذلك الاهتمام. من الأعمال المؤثرة في هذا الصدد هي أعمال لينج[59] الذي أسهم في تحليل الهواتف الذكية بعدة مصطلحات مفيدة، كما أنه أشار إلى كيفية استخدام الناس لتلك الهواتف من أجل أغراض التنسيق الأصغر مثل التصحيح في منتصف المسار والتنسيق التكراري وتحديد الجداول المرن، وهي كلها طرق يتمثل بها استخدام الهاتف الذكي لزيادة المرونة.[60] نظر لينج[61] منذ وقت أقرب في الوجود المطلق للهاتف المحمول وما يتبعه ذلك من اعتباره شيئًا مسلمًا به إلى جانب أشياء أخرى بتنا نعتبرها من المسلمات مثل الساعة والسيارة. من المفيد أيضًا النظر في فكرة الحراك التقني [technomobility] التي طرحها واليس.[62]

أكدت دراسات أجريت على الهواتف المحمولة[63] على طبيعتها الاقتحامية وعلى ذوبان الحدود الطبيعية بين الحيزين العام والخاص،[64] وهو ما يأخذنا بدوره للاهتمام بالآداب التي نشأت حول استخدام الهاتف.[56] كان الاهتمام في البداية منصبًا غالبًا على الشباب[66] - بما في ذلك علاقة الهاتف بالموضة وطريقة الملبس والجسم[67] - وأيضًا على تأثير استخدام الشباب على التربية. انبثقت الكثير من الأبحاث من دراسات الاتصالات والإعلام، وبالإضافة لذلك كان هناك اهتمام متزايد من دراسات التنمية ومجالاتها الفرعية مثل دراسات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات من أجل التنمية [ICT4D] التي تدرس تأثير الهواتف المحمولة على سكان العالم.[68]

الأنثروبولوجيا والعلوم الأخرى

من المبادئ الجوهرية في الأنثروبولوجيا هو تجنب المناظير التي ترى جهاز من الأجهزة كشيء يمكن قبوله أو استخدامه بواسطة المجتمعات السكانية المحلية. في دراستهما عن كيفية استخدام الناس في ترينداد للإنترنت أصر ميلر وسلاتر[69] على أنه لا يوجد ما يمكن أن نسميه بالإنترنت الحقيقي أو الصحيح وأن ما نطلق عليه الإنترنت هو ببساطة الاستخدامات التي تبتدعها أي مجموعة سكانية بإمكانات الاتصال بالإنترنت. لم يكن الاستخدام الترينيدادي تحريفًا أو توطينًا بل مجرد مثال مساو لطبيعة الإنترنت. وبالمثل فإن الجموع السكانية ليست ثابتة، فعندما يستخدم شخص ترينيدادي الإنترنت فهذا لا يقلل من كونه ترينيدادي شيئًا ولكنه بالتأكيد يمثل اختلافًا في معنى كلمة ترينيدادي. هذه العملية هي عملية يحكمها التغير المتبادل وتحترم المساواة بين جميع الفئات السكانية.

يميل باحثو الأنثروبولوجيا لتجنب المناظرات العامة حول ماهية الهاتف المحمول ويفضلون الغوص بعمق أكبر في الظروف والاستخدامات المحلية الخاصة جدًا. على سبيل المثال بحثت أرشمبولت[70] الهواتف المحمولة في ضاحية تابعة لبلدة ريفية في موزمبيق، وهي لم تستهل كتابها بالجدليات البريطانية أو الأمريكية حول تأثير الهاتف على الخصوصية، بل كان اهتمامها الأول هو إمكانات الهاتف المحمول في الخداع والسرية وتعزيزه لمهارات الإخفاء والإظهار وأيضًا تبعاته من أشكال جديدة للحميمية وطرق جديدة للكسب المادي. كيف – مثلًا – تظهر مستواك

الاجتماعي بدون جذب الحسد؟ كما أنها وثقت كيف أن الهاتف جعل مقابلة الحبيب شيئًا سهلًا وكيف خلق طرقًا جديدة لمراقبة الناس لبعضهم حتى أن الهاتف يتلقى اللوم على افتضاح أمورهم وليس على الخيانة نفسها. لا تتعلق صورة المرء واحترامه بما يفعله ولكن بقدرته على إبقاء ما يفعله سرًا، كما أن غض الطرف في المواقف الملتبسة ضروريًا أحيانًا من أجل البقاء الاقتصادي. الهواتف أيضًا سهلة السرقة والبيع، وهي بهذا قد خلقت اقتصادًا أسودًا خاصًا قائمًا على الجريمة. يثير وجود الهواتف المحمولة أسئلة أخرى كثيرة حول الثقة والحميمية وهي أسئلة تستحوذ على المناقشات المحلية حول ماهية الهاتف.

مثال آخر هو الدراسة التي أجرتها تينهونين بين عامي 1999 و2013 على الهواتف المحمولة في قرية بالبنغال الغربية يبلغ سكانها حوالي 2,400 شخص.[71] بمرور الوقت أخذ الهاتف مكانه وسط مجموعة متنوعة من أشكال الحضور المشترك. كان الهاتف يستخدم في البداية لأداء مهام محلية محددة مثل مساعدة الناس على حضور مراسم العزاء ثم أصبح بعدها جزءًا من تغيير سياسي واجتماعي واقتصادي أكبر، ولكن يظل الاهتمام الأكبر هو علاقات القرابة كاطلاع الأقارب على فرص العمل أو تنسيق الرعاية الصحية لهم. أحدث هذا تغيرًا جذريًا فالآن أصبح بإمكان النساء المتزوجات البقاء على اتصال بعائلاتهن التي ولدن بها على سبيل المثال، ولكن من الممكن أن يظل هذا التحرر محدود النطاق لاعتماد الزوجة على الزوج أو أقارب الزوج لعمل المكالمات الهاتفية. هنا - كما في أماكن أخرى - تتمثل الدوافع الرئيسية لاستيعاب الناس للهواتف في أشكال الترفيه والتسلية التي يمكنهم الحصول عليها من خلاله[72] وليس في المجالات السياسية أو الاقتصادية. الطوائف الأدنى التي لا تستطيع شراء التليفزيون تتخطى تلك التقنيات مع أنهم يمكنهم استخدامها لمعرفة أخبار وظائف المصانع؛ ورغم ذلك ليس للهواتف المحمولة تأثير كبير على النظام الاجتماعي الهرمي الأساسي.[73] في حين ركزت تينهونين على قرية واحدة فقط إلا أن عملها يكمله استبيان ممتاز حول تأثير الهواتف على الهند بشكل عام موجود في (دليل الهاتف الشامل للهند)[74] والذي يأخذ هذا العمل لأبعاد أكبر تتعلق بمدى التأثير على جموع الناس.

المثال الثالث على الإثنوغرافيا – وهو منهج البحث الذي قام عليه هذا الكتاب – تم إجرائه في مستوطنة صغيرة في جزر سليمان في جنوب المحيط الهادئ. تدعم هذه الدراسة التي أجراها هوبيز[75] نقاط أثرناها من قبل في هذا الفصل حول تعريف الهواتف الذكية بطرق استخدامها وليس بإمكاناتها، فالناس الذين درسهم هوبيز لا يستخدمون الرسائل النصية تقريبًا ويقتصرون في استخدامهم للمكالمات الصوتية على مكالمة واحدة تستغرق دقيقة أو اثنتان كل أسبوعان. ومع ذلك فللهواتف الذكية تبعات قوية على النظام الجوهري لهذا المجتمع من خلال علاقات القرابة، فهي تستخدم بكثافة في نواحي مثل رعاية الأطفال وديناميكيات النوع الاجتماعي، وربما كان هذا هو المثال الأكثر جموحًا على الهاتف الذكي الذي لا يبدو كذلك أبدًا.

تعتبر هذه الكتب الثلاثة نموذجًا للمهمة الأنثروبولوجية، أي المشاركة الجادة المستدامة في حياة الناس والتي تتيح للباحث نقل ما يعنيه أن يعيش المرء في الهند أو أن يكون شابًا معه هاتفًا متنقلًا جديدًا في منطقة حضرية بموزمبيق. هناك أيضًا بعض المناهج البحثية المكملة كالتي توجد في المجموعة التي نقحها فوستر وهورست[76] والتي تركز على منطقة المحيط الهادئ أيضًا. في هذه المجموعة تستقصي هورست عن ديجيسيل التي هي المورد الرئيسي للهواتف في منطقة المحيط الهادئ ونفس الشركة التي درستها هورست إلى جانب دانيال في جامايكا في 2005.[77] يكشف فحص هورست لإعلانات ديجيسيل كيف أن الشركة تحاول تقديم نفسها في صورة الصديق أو التجسيد للقيم الأخلاقية للمواطن الفاضل. يشير يورجنسن أيضًا إلى أن وجود أبراج الهاتف التي تنشئها ديجيسيل تثير مخاوف الناس حول الرقابة والتحكم، ولكنها أيضًا تتيح للسياسيين المحليين أن ينسبوا لأنفسهم الفضل في التنمية.[78]

تتفقد فصول أخرى في مجموعة فوستر وهورست سياقات محددة. يعرض ليبسيت[79] مثلًا حالة كان فيها الهاتف المحمول – وهو الآلية الأولى التي تمكن الناس من التواصل مع الغرباء – تحررًا من قيود علاقات القرابة التقليدية.

عملت ووردلو[80] أيضًا مع سيدات مصابات بـفيروس نقص المناعة البشرية [HIV] واللاتي يتجنبنهن أقاربهن فيتصلن بأرقام عشوائية للبحث عن الدعم عند الغرباء الذين يمنحونهن الرعاية النفسية والعملية، وعلى العكس من العائلة أو الأخلاء لا يطلب منهن هؤلاء الغرباء الكرماء المال أو الخدمات أو – في حالة الأخلاء – الجنس في المقابل. ترينا هذه المجموعة أيضًا أنه من الممكن أن يدرس باحثي الأنثروبولوجيا الشركات والاقتصاد السياسي الأكبر المرتبط بالتوسع في استخدام الهواتف الذكية.[81] تذهب هورست أيضًا إلى أننا نحتاج إلى المزيد من الاهتمام الإثنوغرافي بخصوص البنى التحتية للاتصالات المتنقلة.[82]

الأنثروبولوجيا ما هي إلا جزء من كوكبة من المجالات البحثية التي تسهم في فهمنا للهواتف المحمولة والذكية. تتلخص الأعمال عن الوسائط الجديدة والعلاقات الشخصية في كتابي (الاتصالات الشخصية في العصر الرقمي) و(منصات التواصل الاجتماعي والعلاقات الشخصية).[83] يهتم علماء الاجتماع أكثر بالفرد داخل الجماعة، ويتلخص هذا المنحى في كتاب (شبكي)[84] الذي يوظف العديد من الاستبيانات الممتازة والمستمرة التي يجريها مركز بيو للأبحاث في الولايات المتحدة. نشأت أيضًا مناحي بحثية مؤثرة أخرى في مجالات الكمبيوتر والإنترنت،[85] وكان أحد أهم الإسهامات هو دراسات الاتصالات مثل الأجزاء التي نقحتها باباتشاريسي[86] والتي استحدثت فيها الكثير من الاصطلاحات المتخصصة. بما أن الهاتف الذكي قد احتل جميع جوانب الحياة كما ذكرنا من قبل لذا هناك الكثير من المشاهدات المنبعثة من كل مجالات البحث سواء كان اهتمام تلك المجالات هو الدين أو الجريمة أو السياحة. غالبًا ما تحتوي الكتب التي تتناول مواضيع مثل تكنولوجيا الموقع على إسهامات من مختلف مجالات البحث،[87] ولقد ساهم باحثي الأنثروبولوجيا في العديد من تلك المجالات مثل بوستيل[88] الذي أضاف الكثير لدراسة السياسات الرقمية. هناك أيضًا مجالات بحثية وليدة تدرس التأثيرات الغير مسبوقة للاتصالات الرقمية ويساهم بها أيضًا باحثي أنثروبولوجيا مثل أعمال كولمان عن القراصنة وعن مجموعة المخترقين أنونيموس.[89]

الخارجيات

يثير المصطلح الذي نستخدمه للإثنوغرافيا «وضع الأمور في سياقها بشكل شمولي» إلى الرغبة في وضع كل ما يؤثر على قضية فهمنا للهاتف الذكي العالمي في الاعتبار. يعني المصطلح أننا لا يمكننا تحديد السياق المتعلق بموضوع بحثنا مقدمًا، ولهذا فإن ما تحاول الإثنوغرافيا عمله هو النظر في جميع جوانب الحياة اليومية لربما تكون ذات صلة، ورغم ذلك تؤثر الكثير من العوامل على الهواتف الذكية ولا تظهر تلك العوامل في الإثنوغرافيا. بالإضافة لذلك فإن هذا الكتاب يقوم على إثنوغرافيا المستخدمين ولا يحتوي على ما يقابل ملاحظات هورست وفوستر عن الشركات والبنى التحتية، وكما أشارت هورست فإنه دائما ما يكون هناك سياق اجتماعي واقتصادي أعرض من الممكن اعتباره جزءًا من البنية التحتية للهواتف الذكية كالقوانين الرسمية على سبيل المثال.[90]

ينذر هذا التمركز الإثنوغرافي لبحثنا بأن يسفر عن غياب لما يسميه باحثو الاقتصاد بالخارجيات، أي عندما يشتمل سعر منتج ما على تكلفته بالنسبة للمؤسسة المنتجة له ولكنه في نفس الوقت لا يشتمل على ثمن تلوث الهواء الذي نتج عن تصنيعه، ففي هذه الحالة يعتبر هذا التلوث عامل خارجي. ما هي التبعات الأخرى للهواتف الذكية التي لا تظهر بوضوح في مركز الرؤية الإثنوغرافية التي ننظر من خلالها؟

لحسن الحظ هناك دراسات أخرى تقدم نتائج مهمة تكمل تلك التي نقدمها هنا. على سبيل المثال ينظر ريتشارد ماكسويل وتوبي ميلر في كتابهما (إلى أي مدى يعتبر هاتفك الذكي صديقًا للبيئة؟)[91] في الطرق المختلفة التي يمكن أن تحدث بها الهواتف الذكية آثارًا سلبية قوية على البيئة وعلى معيشتنا. هناك أيضًا تبعات لمكونات الهاتف الذكي أكبر

من سياسات العناصر الأرضية النادرة ومن العواقب البيئية للطبيعة المادية للهاتف الذكي، مثل استخدامات الطاقة الغير ملموسة بنفس الدرجة بما في ذلك الشبكات الضخمة من البنى التحتية الرقمية التي تجعل الاتصالات العالمية ممكنة.[92] أصبحت الهواتف الذكية أيضًا جزءًا من البيانات المجمعة التي بدورها تدخل في تغذية الذكاء الاصطناعي والتطورات الجارية الأخرى، واستخدامها في تتبع تفاعلات الناس بغرض تحجيم وباء الكوفيد-19 يظهر جليًا إلى أي درجة أصبحت هذه الهواتف مؤثرة في هذا الصدد.

تهتم دراسات أخرى بالاقتصاد السياسي الأوسع للهواتف الذكية وللشركات الكبرى مثل آبل وفيسبوك وتن سنت وسامسونج،[93] ويذهبون إلى أبعد من هذا فيربطونها بالمفهوم الأوسع لـ«الرأسمالية المنصاتية».[94] أيضًا سلطت بعض الدراسات الجديدة الضوء على بعض الأشياء التي بخلاف ذلك يتم تجاهلها، كالوظائف المساعدة. قامت سارة روبرتس في كتابها (وراء الشاشة)[95] بدراسة ما أطلقت عليه «العمل الإنساني المشوش» لمديري المحتوى الذين برزوا كجزء من استجابة الشركات للضغوط المعنوية التي تطالبهم بتحمل مسؤولية المحتوى الخاص بهم.

في كتاب (عمل غير مرئي) لجراي وسوري نجد كشفًا مماثلًا.[96] في الفصل التاسع من كتابنا ننظر في أحد الخارجيات الأساسية والتي كشفتها الجدليات الأخيرة حول ظهور رأسمالية المراقبة[97] والدولة الرقابية،[98] كما ندرس الخيط الرفيع بين الرعاية والرقابة عن طريق دمج الخبرات الحديثة التي حصلنا عليها من الاستجابات لوباء كوفيد-19. بدورها تقدم قضية الرقابة دراسات موسعة حول تطور مجالي البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي الذين أصبحا جزءًا من العناصر «الذكية» للهاتف الذكي.[99] السبب الذي يجعلنا نطلق على هذه الأشياء مصطلح «الخارجيات» هو أنها لا يجب أن تكون خارجية، بل بالأحرى يجب فهمها كجزء لا يتجزأ من طبيعة الهواتف الذكية ومن التبعات التي تجلبها. ولكن بما أن هذه الخارجيات ليست واضحة من خلال الإثنوغرافات التي أجريناها لذلك قلنا أن هذا الكتاب يكمله الأعمال سالفة الذكر.

الاستنتاجات النهائية

يشير (الهاتف الذكي العالمي) إلى الدراسة المقارنة التي قمنا بها عن الهواتف الذكية والتي قامت على 10 دراسات إثنوغرافية. يميل باحثو الأنثروبولوجيا لصيغة الجمع، فهناك شبكات إنترنت ورأسماليات من الممكن أن تختلف كل منها اختلافًا كبيرًا حسب السياقات المحددة التي تتواجد بها.[100] كُتب هذا الكتاب كما لو كان مؤلَف موسيقي يتبع سلالمًا موسيقية – فنحن غالبًا نحاول الاستماع للألحان الفردية لمستخدم واحد للهاتف الذكي ونحاول ألا تغطي اهتماماتنا بما هو غير مألوف أو ما هو شائع على هذه الألحان. ولكن الألحان لا تعزف بالأفراد فقط ولكن أيضًا بالعائلات والمجتمعات، فنحن نستمع أيضًا للمؤلفات المختلفة من أيرلندا الحضرية ومن سانتياغو ونستمع للتباين بين الريف والحضر في اليابان وبين الأحياء المتوسطة والفقيرة في كامبالا وياوندي. حيثما وجد الدليل على عمل الهاتف الذكي كأداة للتعميم أو المجانسة العالميين نقوم بالاعتراف به – و لنا مثال في الدور المتزايد للأشكال المرئية للاتصالات والرعاية أو في انتشار استخدام عداد الخطوات. وحتى في حالة وضع النظرية في الفصل الأخير نجد أن التعميم والتجريد يخضع للفروق الدقيقة وللتنوع الذي يرجع في النهاية إلى تلك العائلات وهؤلاء الأفراد. يتيح العزف في هذه السلالم للأنثروبولوجيا أن تقف على الوجهين مبدية قدرًا متساويًا من الاحترام لما هو ضيق ومحدود وما هو عام وشامل.

يهتم منظورنا «الذكاء العام» بالطرق التي يصيغ بها الناس هواتفهم الذكية وليس فقط يستخدمونها، فهم يقومون بما هو أبعد بكثير من مجرد إضافة المحتوى فيرفضون مكونات مدمجة بالهاتف مثل المساعد الصوتي ويعيدون

تشكيل التطبيقات لمهام بعينها لتلائم الروتين الخاص بهم، كما أنهم يعرفون الإتيكيت الاجتماعي بما هو مقبول أو غير مقبول في الاستخدام؛ هكذا تساهم تلك الاختيارات في خلق الهاتف الذكي الذي نراه. تحدث كل تلك النشاطات في ظروف مقيدة، فقد تُمنع النساء أو كبار السن من الاتصال أو من المعرفة كما أن بعض الأشياء الجوهرية قد لا تكون في المقدور الحصول عليها. تدفع الشركات المستخدمين في الاتجاهات التي تدر الأرباح، وتبرهن الهواتف الذكية على طبيعتها المقتحمة حتى أن بعض الناس يشكون إدمانهم لها. لا يقوم هذا الكتاب بإصدار الأحكام ولكنه يسعى للاعتراف بالتنوع، فهذا التنوع – ليس فقط في المستخدمين ولكن أيضًا في تلك القيود التي تحكمهم – هي ما يصنع الهاتف الذكي العالمي.

ملاحظات

1 يمثل هذا الاستمرار لورا هابيو-كيرك ودانيال ميلر وشينيوان وانج الذين عملوا جميعا في مشروع (لماذا ننشر). هذه الدراسة التي أجريت على منصات التواصل الاجتماعي حول العالم كان مقرها قسم الأنثروبولوجيا بكلية لندن الجامعية أيضًا. المزيد من المعلومات حول هذا المشروع توجد على الرابط التالي: URL: https://www.ucl.ac.uk/why-we-post/ .

2 Statista 2019.

3 Mobile Internet Statistics 2020.

4 Clements 2014.

5 نعترف بأن مصطلح «الذكاء العام» مأخوذ من ورقة بحثية لـ Katrien Pype (2017). نعتقد أن عمل بايب في كينشانا كان من أفضل الأعمال الأنثروبولوجية عن الهواتف الذكية والتكنولوجيا الرقمية ونذكر العديد من أوراقها البحثية في قسم المصادر بهذا الكتاب.

6 *Telegraph* 2019.

7 لا نقول هنا أنه لا يوجد رصد مفيد لتاريخ الهاتف المحمول. انظر مثلا Agar 2013.

8 Sarvas and Frohlich 2011.

9 للمزيد من الدراسات المركبة والمتعمقة تاريخيًا حول أنواع الاتصالات المرئية [والمرئية-الرقمية] انظر مثلًا Mitchel 1992; Friedberg 2006; Dijck 2007; Mirzoeff 2015; Favero 2017.

10 Humphreys 2018, 29– 49.

11 كان الإعلام الجماهيري الحديث محل اعتقاد بأنه يسهل نشر «ثقافة النرجسية» كما ادعى المؤرخ كريستوفر لاش، ففي دراسته الأساسية عن المجتمع الأمريكي بعد الحرب اكتشف لاش «نرجسية مرضية» والتي زعم أنها تزامنت مع تهاوي مفهوم العائلة: Lasch 1979. هذا النوع من النقد تم تطويعه للثقافة الرقمية المعاصرة من داخل مجال علم النفس، وهو متجسد في الشواغل حول الروابط بين «ثقافة السيلفي» الحديثة والنرجسية. انظر على سبيل المثال Weiser 2015; sorokowski et al. 2015; Barry et al. 2017.

12 Frith 2015 and Greschke 2012.

13 Bogost 2020.

14 Cronin 2013.

15 Norman 2015.

16 بالإضافة لذلك، هناك دراسة متابعة محدودة من المخطط إجرائها في ترينداد، وهي لم تبدأ بعد.

17 على سبيل المثال Istepanian et al. 2006 و Donner and Mechael 2013.

18 Schaffer et al. 2008.

19 Oudshoorn 2011.

20 Hingle et al. 2013.

21 European Commission 2020.

22 يكتب الفريق حاليًا كتابًا عن مشاريعنا وملاحظاتنا المتعلقة بالصحة، ولكننا نشرنا بالفعل إرشادات استخدام للواتساب فيما يتعلق بالصحة. انظر Duque 2020.

23 أفلام تعريفية عن بعض المواقع الميدانية موجودة على https://www.youtube.com/playlist?list=PLm6rBY2z_0_jA3jTEJh5faHJoL0_ - Ow7j .

24 كان للموقعين الأيرلنديين سكان متشابهين وخرج الباحثين منهما بنتائج متشابهة جدًا، لهذا السبب جمعناهما في موقع واحد هو دابلن. على الرغم من أن كوان تقع على مسافة من مدينة دابلن، إلا أن دابلن هي أيضًا منطقة تشتمل على كوان.

25 كان الشارع الاجتماعي فكرة ولدت في بولونيا في ٢٠١٣ ولكنها الآن شائعة في إيطاليا كلها. تهدف الفكرة لتشجيع بناء الاجتماعيات بين سكان المنطقة. انظر إلى Social Street 2020، والموقع الإلكتروني على http://www.socialstreet.it. فكرة الشارع الاجتماعي لنولو ظهرت في ٢٠١٦ مع تأسيس مجموعة الفيسبوك الخاصة بالحي الاجتماعي لنولو.

26 انظر الملاحظة السابقة حول دمج الموقعين الأيرلنديين.
27 BBC News 2007.
28 Itō et al. 2005.
29 عملت العديد من أجهزة المنظم الشخصي كأسلاف لعناصر الهاتف الذكي مثل Palm pilot و Nokia communicator.
30 لملخص وافي عن هذا التاريخ انظر Woyke 2014.
31 Shirky 2015; Gupta and Dhillon 2014; Jia et al. 2018.
32 أو حيازة أي نوع من الهواتف. تظل الهواتف المحمولة أكثر شيوعًا من الهواتف الذكية في أفريقيا رغم أن الأخيرة تستخدم بواسطة أقلية متزايدة. انظر إلى Xinhua 2019. للهند انظر Counterpoint 2019.
33 لنقاش حول تطوير الهواتف الذكية رخيصة الثمن في الصين، انظر Li Sun at al. 2010; Fu et al. 2018; Liu et al. 2015.
34 الذي كتب عنه العديد من دراسات الرصد للتاريخ، منها مثلا Naughton 2000.
35 Web Foundation 2020.
36 Tagal 2008.
37 Peters 2016.
38 Shim and Shin 2016; Serger and Breidne 2007; Feigenbaum 2003; Plantin and de Seta 2019.
39 Hughes and Whacker 2003. لملخص أقصر انظر Keane 2020.
40 Jia and Winseck 2018.
41 Bhardwaj 2018.
42 Gadgets Now 2019.
43 ولكن المزاعم بوجود هواتف ذكية بسعر ٤$ يجب أن يتم تناولها بحذر. انظر Patil 2016.
44 Apple Inc. 2020.
45 Fischer 1992.
46 Fischer 1992, 85.
47 Fischer 1992, 119.
48 Fischer 1992, 266.
49 Fischer 1992, 268.
50 Miller et al. 2016.
51 رغم أن تكنولوجيا يمكنها أن تكون عاملًا رئيسيًا – انظر MacKenzie and Wajcman 1999.
52 Miller 2016, 183.
53 Miller et al. 2016.
54 Miller et al. 2016.
55 Al- Heeti 2019; Solon 2018.
56 الظاهرة مشار إليها بشكل كافي في الدراسات التجارية باستخدام مصطلح «عبور الصدع» - انظر Moore 1991.
57 على سبيل المثال يذهب ميلر إلى أن الاستخدام المتزايد لمصطلح «المصادقة» ليس انعكاسًا لكيفية استخدام الفيسبوك، بل إن فيسبوك هو ما يعكس في الحقيقة تغيرات طويلة الأمد في العلاقة بين القرابة والصداقة. انظر Miller 2017.
58 عناوين مثل Katz and Aakhus 2002؛ نسبة إلى Japan, Itō et al. 2005.
59 Ling 2004; Ling and Yuri 2002.
60 Ling 2004.
61 Ling and Yuri 2012.
62 Wallis 2013.
63 Ling 2004, 123– 43.
64 Licoppe and Heurtin 2002.
65 Kim 2002.
66 Livingstone 2019.
67 انظر أيضًا Fortunati 2002; Fortunati, Katz and Ricini 2003.
68 انظر على سبيل المثال Ling 2004. من أجل ملخص انظر Green and Haddon 2009. من أجل دراسات التنمية انظر Donner 2015.
69 Miller and Slater 2000, 1– 4.
70 Archambault 2017.
71 Tenhunen 2018.
72 *The Economist* 2019.
73 النتائج مماثلة لـفنكاترامان من خلال العمل على منصات التواصل الاجتماعي في الناحية الأخرى من الهند في تشيناي. انظر Venkatraman 2017.
74 Doron and Jeffrey 2013.
75 Hobbis 2020. للممارسات الإعلامية والديناميكيات العائلية بشكل أوسع انظر Hjorth et al. 2020.
76 Foster and Horst 2018.

77 بذلت Digicel مجهودًا خرافيًا لجلب الهواتف المحمولة للفئات السكانية الصغيرة بجزر الكاريبي بدءًا من جامايكا في ٢٠٠١. استغلت الشركة خبراتها بعد ذلك في المحيط الهادي بدءًا من ساموا في ٢٠٠٦ حتى وصلت في وقت ما إلى ٩٧ بالمئة من حصة السوق في بابوا ونيو غينيا.

78 Jorgensen 2018.

79 Lipset 2018.

80 Wardlow 2018.

81 لأمثلة من أفريقيا انظر Hell-Valle and storm-Mathisen 2020.

82 Horst 2013.

83 Baym 2010.

84 Rainie and Wellman 2014.

85 Graham and Dutton 2019.

86 Papacharissi 2010; Papacharissi 2018.

87 علي سبيل المثال Wilken, Goggin and Horst 2019.

88 Postill 2011; Postill 2018.

89 Coleman 2013; Coleman 2014.

90 Horst 2013.

91 Maxwell and Miller 2020.

92 Carroll 2020.

93 على سبيل المثال Garsten 1994; Kirkpatrick 2010.

94 Srnicek 2017.

95 Roberts 2019.

96 Gray and Suri 2019. هذه اهتمامات جديدة الآن، لسابقات حديثة من الهند انظر Xiang 2007. لسابقات أقدم بكثير انظر Kriedte, Medick and Schlumbohm 1981.

97 Zuboff 2019.

98 Greenwald 2014.

99 Boyd and Crawford 2012.

100 Miller 1997. انظر Bolter and Grusin 2003؛ Sarvas and Frohlich 2011؛ Dijck 2007؛ Bunz and Meikle 2017؛ Halavais 2017؛ Frith 2015؛ Duque 2020.

الفصل الثاني
ما يقوله الناس عن الهواتف الذكية

المواقع الميدانية: **بنتو** – ساو باولو، البرازيل. **دار الهوى** – القدس الشرقية. **دابلن** – أيرلندا. **لوسوزي** – كامبالا، أوغندا. **كيوتو وكوتشي** – اليابان. **نولو** – ميلانو، إيطاليا. **سانتياغو** – تشيلي. **شنغهاي** – الصين. **ياوندي** – الكاميرون.

كان الناس يقومون بتعريف الهاتف الذكي – على الأقل حتى وقت قريب – بالجهاز الذي يستخدم للتحدث مع أو لإرسال الرسائل لشخص آخر، ولكن مع قدوم عام 2021 أصبح الهاتف الذكي جهازًا مهمًا جدًا ليس فقط للتحدث من خلاله ولكن أيضًا للتحدث عنه، ويعرض هذا الفصل الأهمية التي أصبحت لهذه الخطابات عن الهواتف الذكية. أصبح الحديث عن الهواتف الذكية طريقة لمناقشة نطاق من الاهتمامات الأخلاقية واهتمامات أخرى حول الحياة المعاصرة. وجدنا أنه لفهم تبعات الهاتف الذكي يجب علينا التطرق ليس فقط للتكنولوجيا الخاصة به ولطريقة استخدامه ولكن أيضًا لدوره كأيقونة وكلغة. كما نهتم الآن بدقائق لغة الإنترنت[1] يجب علينا النظر إلى الخطابات حول الهواتف الذكية كجزء لا يتجزأ من طبيعة تلك الهواتف جنبًا إلى جنب مع الطبيعة المادية لها. تشير دلائل بحثنا أيضًا إلى أن تلك الجدليات حول الهاتف الذكي نادرا ما تكون موجهة لاستخداماتها الفعلية في الحياة اليومية – وهو موضوع الفصول المتبقية من هذا الكتاب – ولكن تكون موجهة لمناقشة الأخلاق التي هي وظيفة منفصلة من وظائف الهاتف الذكي، ألا وهي توظيف الهواتف الذكية لتعكس خطابًا أشمل عن الحياة العصرية. نحتاج إذا للنظر إلى والاعتراف بالخطابات حول الهاتف الذكي بشكل مستقل بما في ذلك الجدليات الرئيسية حول مواضيع مثل الإدمان والأخبار الكاذبة والرقابة.

غالبًا وليس دائمًا ما يكون الخطاب سلبيًا عندما يناقش الناس الهواتف الذكية بشكل عام، ولكنه يكون أكثر إيجابية حينما يناقشون تطبيقات أو استخدامات بعينها مثل تحديد الموقع أو التصوير الفوتوغرافي. كان من المعتاد في مواقع دابلن الميدانية أن يدعي الكبار أنهم لا يستخدمون الهواتف الذكية إلا للاتصالات الصوتية والرسائل النصية، إلا أننا حينما أجرينا المقابلات الشخصية بشكل أكثر تنظيمًا وفحصنا هواتف المشاركين وجدنا أن نفس هؤلاء الأشخاص غالبًا ما يستخدمون حوالي 25 أو 30 وظيفة وتطبيقًا مختلفًا. بدا لنا أن السبب الذي جعل المشاركون يقولون مثل تلك التعليقات هو رغبتهم في تمييز أنفسهم عن الشباب الذين دائمًا ما يبدون منكبين على هواتفهم على حد قولهم. وهؤلاء الأشخاص بعد ادعاء الاستخدام المحدود للهاتف الذكي يسارعون في الحديث عن المشاكل التي يربطونها بهذا الجهاز كاختراق الخصوصية والأخبار الكاذبة وهي بعض الموضوعات التي نتطرق لها في هذا الفصل. لهذا نجد أنه من المهم أن نفصل بين هذين النوعين من الدلائل: ما يقوله الناس عن الهواتف الذكية بشكل عام وما تقوله استخداماتهم اليومية له، وكلًا له أسبابه وتبعاته.

رغم ذلك فإن التركيز على الخطابات مهم لاستكشاف بعضًا مما أطلقنا عليه في الفصل السابق «الخارجيات» . من الواضح أن ما يقوله الناس عن الهواتف الذكية قد تأثر بقوى أكبر كالحكومات والإعلام والمؤسسات التجارية ومؤسسات أخرى مثل المؤسسات الدينية.[2] واحدة من تلك القوى هي النشاط الأكاديمي نفسه بما في ذلك إسهامات باحثي علم النفس والنظريات السياسية والمجالات البحثية الأخرى المتعلقة بقضايا السياسات والتشريعات[3]. يشكو المشاركون على سبيل المثال من تسلل الاهتمامات التجارية لحساباتهم ويبدون القلق من أمور الخصوصية والرقابة أو يعلقون على الآثار الصحية المترتبة على امتلاك واستخدام الهواتف الذكية، كما أنهم يكررون أخبار من الصحف عن اكتشافات علماء النفس أو ادعاءات الحكومات حول خطر إدمان الناس لهواتفهم الذكية. لم نحتج إلى استخراج تلك التعليقات من المشاركين إلا نادرًا فسرعان ما كانوا يبدأون في سرد المخاوف والادعاءات التي دومًا ما يقرأون عنها أو يسمعون عنها أو يناقشونها مع أقاربهم وأصدقائهم بمجرد ما كنا نخبرهم أننا ندرس الهواتف الذكية.

الدولة والإعلام

تعتبر معظم الحكومات الآن أن توفير بنية رقمية أساسية شيئًا أساسيًا لرخاء شعوبها ولذا تشجع تلك الحكومات تطوير شبكات الـ 4G والـ 5G ومناطق الواي فاي المجاني والوسائل الأخرى التي تسهل وصول الإنترنت للمناطق الريفية. على سبيل المثال كان اهتمام الحكومة المحلية مؤخرًا في الموقعين الميدانيين بالريف الياباني اللذين يعانيان من تناقص السكان هو إنشاء الحزم العريضة ذات السرعة العالية كجزء من جهود إعادة تنشيط تلك المواقع للحفاظ على سكانها من المغادرة ولجذب الناس للعيش فيها. تعي الحكومات بشكل جيد الميزات الانتقائية التي تأتي من توفير ما أصبح يعتبر مرفقًا أساسيًا من حق الناس التمتع به.

في نفس الوقت من الممكن أن يُنظر للدولة كواحدة من المتهمين الرئيسيين عندما يعبر الناس عن قلقهم من الرقابة. يقول تقرير حديث من أيرلندا على سبيل المثال أن وزارة من الوزارات الحكومية أعلنت عن مناقصة لمراقبة الوسائط الإعلامية بما في ذلك وسائط التواصل الاجتماعي وزعموا أن ذلك سيساعدهم على معرفة آراء المواطنين،[4] ورغم أن محتوى تلك الوسائط هو بيانات علنية في مجمله إلا أن المشاركين في البحث بشكل كبير يعتبرون تلك المراقبة مؤشرًا على اختراق الدولة للمراسلات الخاصة. نما ذلك التخوف إلى جانب جدليات عالمية مثل فضيحة كامبريدج أناليتيكا[5] التي قيل فيها أن كيانات سياسية قامت بجمع بيانات مستخدمين لمصالحها الخاصة أو مثل المكاشفات التي قام بها إدوارد سنودن عن رقابة الدولة. يمكن للانتخابات أيضًا أن تثير الجدل حول أمور مثل الخوف من تزايد الرقابة أو المطالبة بالنفاذية للـ [WiFi] أو الـ 4G، وبشكل أساسي هناك مساران متضادان يعتبر واحد منهما إيجابي والآخر سلبي ويستجيب الناس لهما بازدواجية بالغة.

أصبحت الجدليات حول التبعات الأخلاقية للهواتف الذكية في أوغندا تستخدم كلغة للتعبير عن الصراع بين الأجيال. يشكو الجيل الكبير في لوسوزي علي سبيل المثال من أن جيل الـ «دوت كوم» الأصغر سنًا يستهينون بالمعرفة التي اكتسبها الجيل الكبير على مر العقود ويقللون من شأنها ويستعيضون عن هذا بالمصادر المتعددة للمعرفة التي يحصلون عليها من الإنترنت والوسائط العالمية الأخرى، وتتضخم تلك الشكاوى بعد ذلك إلى تخوفات حول اكتساب المعلومات المغلوطة وتبني الثقافة الغربية وفقدان قيم الاحترام والتآزر التقليدية وأشكال أخرى من الضرر الواقع على الشباب.



2.1 ضريبة خدمة البث المباشر عبر الإنترنت في أوغندا المفروضة على شبكات التواصل الاجتماعي على الهاتف المحمول. متاح للمستخدم اختيار دفع الضريبة لرقمه ورقم آخر. تصوير شارلوت هوكينز.

تعكس الحكومة هذه الرواية وتغذيها في نفس الوقت، ففي عام 2018 ذهب الرئيس موسيفيني [الذي كان يبلغ من العمر 76 عامًا في 2020] إلي أن وسائل التواصل الاجتماعي تشجع على انتشار الأخبار الكاذبة – أو القيل والقال الذي تدعى هناك «أولوجامبو» [*olugambo*] – واتهامات السحر والإباحية والإدمان والزيادة في خدمة البث المباشر على الإنترنت [the top over]. في الأول من يوليو عام 2018 أدخلت الحكومة الأوغندية ضريبة خدمة البث المباشر على الإنترنت[6] أو الـ [OTT] [over the top tax] بتوجيه لشركات الاتصالات للحد من النميمة. اشتملت هذه الضريبة على رسم قيمته 200 شلن أوغندي [ما يساوي 1.20 جنيه إسترليني] على استخدام منصات التواصل الاجتماعي بما في ذلك فيسبوك وواتساب وإنستاجرام وتويتر وسكايب ولينكد إن [شكل 2.1]،[7] وعندما تم الإعلان عنها كانت السرعة التي انتشر بها الخبر بين 15,000 مستخدم للواتساب خبرًا في حد ذاته. أدى الإعلان عن الـ [OTT] لقيام العديد من الحملات والالتماسات منها حملات على وسائل التواصل الاجتماعي مثل حملة (لابد من إلغاء تلك الضريبة) [#ThisTaxMustGo]، وتصدرت أخبار المظاهرات عناوين الأخبار في أوغندا – بما في ذلك مظاهرات بوبي واين المغني الذي تحول إلى قائد معارضة و«متحدث باسم شباب أوغندا المحبط» – وحازت على اهتمامًا عالميًا. كثيرًا ما يعتمد بوبي واين [الذي كان يبلغ من العمر 38 عامًا في 2020] على منصات التواصل الاجتماعي في تحرير الأجيال الأصغر من الرئيس الأوغندي المسن.

يشتمل التحكم السياسي في استخدام الهواتف الذكية على محاولات تقييد النفاذية للإنترنت، ويحدث هذا في الكاميرون حيث قطعت الحكومة الاتصال بالإنترنت عن منطقة بأكملها معظم سكانها من الكاميرونيين الناطقين

بالإنجليزية. يُنظر لهذه المنطقة على أنها الفئة المعارضة للحكومة وللفئات السكانية الناطقة بالفرنسية التي هي غالبية الشعب،[8] وكما في أوغندا فإن هذا يحدث بزعم حماية الناس من الآثار الضارة للتكنولوجيا وهو الخطاب الذي يروج له القادة الشعبيين والصحفيين. في 2017 نُشر مقال بعنوان (الكاميرون: الهاتف المحمول – ما وراء قيمة الاستخدام – الموت)، ولخص المقال مخاطر استخدام الهاتف المحمول بأنها «المخاطر التي تنتج عن التعرض الطويل للموجات الإشعاعية» و «مشاكل السمع وخطر الإصابة بالسرطان» ومخاطر أخرى تأتي من القيادة أثناء التحدث في الهاتف.[9] لم يكتف كاتب المقال بعرض المخاطر الجسدية المرتبطة بالهاتف كمخاطر كبيرة وحقيقية ولكنه أيضًا علق على الكسل الذي يصيب الشباب الذين يعتمدون على الهاتف لتوطيد علاقاتهم الاجتماعية، وكل هذا إلى جانب مخاطر التعرض لحوادث الطرق أو الصعق بالكهرباء أو الاحتراق.[10] طورت الصين أوجه أخرى عديدة لرقابة الدولة على الإنترنت، فحكومتها المركزية تشكل البنية التحتية والقواعد للنظام المعلوماتي في البلد بشكل نشط وسريع جدا، كما أنها تتحكم في الدخول للإنترنت عن طريق محرك بحث قومي؛[11] وهي تقوم بالتحكم في الإنترنت عن طريق نظام فلترة ثلاثي: جدار الحماية العظيم والحظر بواسطة الكلمات الدلالية والمراقبة اليدوية.[12] يحجب جدار الحماية العظيم المواقع والمنصات الاجتماعية من خارج الصين والمحظورة داخلها مثل فيسبوك وتويتر وجوجل وويكيبيديا، ويقوم الفلتر الثاني – وهو الحظر بواسطة الكلمات الدلالية – بحجب المادة ذات المحتوى الشائك بشكل تلقائي، ويتطلب الفلتر الثالث استثمارًا مهولًا في العمالة نظرًا للكم الرهيب من المعلومات المتداول على الإنترنت. يقدر عدد الأفراد العاملين بشرطة الإنترنت ما بين 20,000 و 50,000 شخص في أرجاء الدولة، هذا إلى جانب ما بين 250,000 و 300,000 ناشر ترويجي مدفوع الأجر [من يُطلق عليهم حزب الخمسين سنتًا wu mao dang]، كما يوجد قرابة الـ 1000 رقيب داخلي الذين يعملون لحساب مواقع فردية من أجل «الرقابة الذاتية»،[13] وهذا لأن مواقع الإنترنت في الصين تحتاج للتراخيص كي تصبح قيد التشغيل مما يتطلب تنظيف نفسها وفلترة أي محتوى غير قانوني والذي يتراوح من المحتوى الإباحي للمحتوى ذا الحساسية السياسية.

تتمحور ممارسات الدولة في الكثير من البلدان حول الرقابة، ويمكن رؤية هذا بقوة في إسرائيل. يعرف قطاع كبير من العرب الذين يعيشون في إسرائيل أن المؤسسات الأمنية تراقبهم بما في ذلك ما يقال في المدارس أو المساجد. تعتبر المخابرات الإسرائيلية كيان مهم ومعروف، ورغم أن إمكاناته الكاملة تظل مخفية إلا أن قوته تظهر للعامة بشكل ملموس وخاصة المواطنين الفلسطينيين الذين يقطنون مناطق مثل دار الهوى. سهل الإنترنت والمنصات الرقمية عملية المراقبة نظرًا لتوفر المعلومات بشكل مفتوح،[14] ونجد الكثير من الأمثلة من عام 2014 لشباب فلسطينيين نشروا تصريحات أو رسائل وداع على فيسبوك قبل القيام بعمليات هجومية على الإسرائيليين، وهو ما زاد من عمليات المراقبة والتوصيف لأنشطة وسائل التواصل الاجتماعي بشكل خاص[15] مما أدى بدوره إلى انخفاض في تلك الأنشطة، ونتج عن ذلك حساسية شديدة تجاه ما يُكتب على منصات التواصل الاجتماعي. بعد ذلك وعقب انتشار كوفيد-19 أصبحت إسرائيل أحد الأمثلة المهمة للتوتر الناشئ بين متطلبات الرعاية والرقابة المتمثل في الهاتف الذكي حيث أن قدرة الهاتف الذكي على تتبع المخالطين أصبحت واضحة للجميع.

وجدنا في الكثير من المواقع الميدانية التي عملنا بها أن الصحافة أصبحت هي الأخرى تسهم بشكل أساسي في الخطابات السلبية حول الهواتف الذكية، وربما كان أحد العوامل وراء ذلك هو أن وسائط الاتصال عبر الإنترنت شكلت في البدء منافسة شديدة للصحافة وتحديًا لصلاحيتها المالية. بالإضافة لذلك ربما كان هناك أيضًا فاصلًا حادًا بين كبار السن الذين يعرفون الأخبار عن طريق الصحف [بما في ذلك النسخ الإلكترونية لتلك الصحف] والشباب الذين غالبًا ما يعرفون الأخبار عن طريق مصادر أخرى غير الصحف. من الوارد نتيجة لذلك أن نجد الصحف تستخدم خطابًا متحفظًا وسلبيًا عن الهواتف الذكية، وهذا الخطاب يلقى القبول لدى هؤلاء القراء من كبار السن بشكل خاص. بشكل عام تنظر الصحف لنفسها على أنها مؤسسات تدمج القواعد التقليدية مع المعايير العالية لكتابة الأخبار، كما أنها تضطلع بتقاليد مهمة سياسيًا متمثلة في المجابهات النقدية للدول والمؤسسات التي يُظن

أنها تنخرط في أنشطة غير قانونية من الرقابة وجمع البيانات.[16] كثيرًا ما تزعم الصحف المستقرة أن هناك اختلافًا بين ممارسات فحص وتمحيص الحقائق التي تتبعها من ناحية وانعدام المسؤولية والنزاهة التي نجدها في الأخبار على الإنترنت من الناحية أخرى، ففي حالات كثيرة يصعب تتبع المعلومة للوصول لمصدرها ويمكن أن يُنظر لهذه المصادر على أنها تروج للأخبار الملفقة. يزداد انطماس هذا الخط الذي يفصل بين الأخبار المتداولة على الإنترنت وخارجه لأن الكثير من الصحف الآن تنشىء لنفسها نسخ إلكترونية، ففي الصين على سبيل المثال نادرًا ما تجد صحيفة أو مجلة ليس لديها أيضًا حساب عام على ويتشات؛ ومع ذلك تستمر معاناة هؤلاء الذين يعتبرون أنفسهم صحفيين جادين ومعترف بهم لتفرقة أنفسهم عن الأشكال الأخرى للنشر.

هناك الآن في إيطاليا توجه واضح نحو القصص السلبية والتحذيرية حول الهواتف الذكية من مصادر أكاديمية ومنظمات حكومية وأيضًا جمعيات أهلية. يُعتقد أن الأطفال والمراهقين والشباب الصغير – هؤلاء الذين نعتبرهم «رقميين بالأصل» – عرضة للإدمان ولأن يصبحوا «عبيدًا للجهاز».[17] يلجأ الإعلام على سبيل المثال لعلم الأمراض النفسية لعرض قضية إدمان الهواتف الذكية المسبب للعديد من الاضطرابات النفسية بين الشباب الذين يصنفون ضمن الفئة «الأكثر عرضة للخطر»،[18] ولقد احتضن الإعلام والساسة معًا جدلًا واسعًا حول إدمان الهاتف الذكي بصفته تخوف شعبي جل.

في عام 2019 تم طرح وثيقة للبرلمان الإيطالي للتعامل مع «الانتشار الواسع لإدمان الهواتف الذكية» خاصة فيمن تتراوح أعمارهم بين 15 و 20 سنة بناءً على تقارير تقول أن هذه الفئة العمرية تتفحص هاتفها بمتوسط 75 مرة في اليوم،[19] وقالت فيتوريا كاسا السياسية بحزب حركة النجوم الخمسة أن «المشكلة تتفاقم بشكل سيء ويجب أن نتعامل معها كنوع من الإدمان... مثلها مثل المقامرة».[20] تقترح الوثيقة تقديم دورات تدريبية في المدارس عن أخطار إدمان الهاتف الذكي إلى جانب حملات لتوعية الآباء، وهناك أيضًا نقاش دائر حول إمكانية بناء مراكز صحية – على غرار مراكز إعادة التأهيل – تهدف إلى «إعادة بناء مفاهيم الشباب» نحو «استخدام أكثر وعيًا للإنترنت وللشبكات الاجتماعية» بعيدًا عن هواتفهم. تتحدث الصحافة في إيطاليا عن «فوبيا غياب الهاتف المحمول» لوصف القلق الذي ينتج عن عدم إمكانية استخدام الشبكات الاجتماعية أو تطبيقات المراسلة، وفي مثال آخر يقول عنوان لمقال «الإيطاليين دائمًا في جنون متزايد بالهاتف الذكي: 61 بالمئة يستخدمونه في السرير و34 بالمئة على المائدة» .[21]

في سبتمبر 2018 أبرزت صحيفة (الجمهورية) [*La Republica*] الإيطالية اليومية للأخبار العامة موضوع استخدام كبار السن للهاتف الذكي، وذكرت الصحيفة دراسة قامت على استطلاع رأي وُجد فيه أن 76 بالمئة من كبار السن في إيطاليا يستخدمون الهاتف الذكي بانتظام. يصف عنوان المقال أن من هم فوق الـ 55 لا ينفصلون عن هواتفهم ويتبع المقال ذلك بالتعليق أنه «لو وضعت البولينج والكوتشينة جانبًا تجد أن من هم فوق الـ 55 يقضون أوقاتهم على فيسبوك وتويتر وإنستاجرام».[22]

المواطنة والإجماع

تنتشر في الصين أيضًا تلك الانتقادات لتأثير الهواتف الذكية ولكن توجد هناك علاقة مختلفة بين الدولة والإعلام والشعب، فالصين شهدت اتساقًا عميقًا بين الحزب-الدولة والشركات التجارية والإعلام منذ المراحل الأولى من تطوير الإنترنت، فكما لاحظت شينيوان سابقًا[23] بات تطوير وسائط تكنولوجية جديدة من الاستراتيجيات الرئيسية التي تتبعها الصين للتقدم على بقية العالم، وزادت أولوية هذا المسعى مع ظهور البيانات الضخمة [Big Data] والذكاء الاصطناعي [AI]، وهما المجالان اللذان تزعم الصين على قيادة العالم فيهما.[24] النتيجة هي وضع الكثير من الأهمية على إيجابية الإمكانات المحتملة للوسائط الجديدة وعلى احتواء جميع قطاعات الشعب في هذا السير

نحو المستقبل. على سبيل المثال يقول مقال منشور في جريدة (الشعب اليومية)[25] – وهي الجريدة الرسمية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني – الآتي:

> بما أن قوة الإنترنت يتم دمجها بشكل متزايد في تطورات العصر نجد أن المجتمع يتغير باستمرار وأن العثور على طرق لمساعدة الناس من كل الأعمار لمواكبة والتأقلم مع تلك التغيرات هو مشكلة صعبة تحتاج لأن نعمل سويًا على حلها. من الضروري أن ننشط في مواجهة مشكلة تقدم الشعب في العمر وأن نساعد كبار السن في تخطي الحاجز الرقمي وليس أن نتركهم يتخلفون في عصر الإنترنت، وبهذا نكون قد حققنا التنمية الشاملة للمجتمع كله.

في 2014 نشرت عدة وسائل إعلام سائدة قصة الشاب چانج مينج بلهجة إيجابية مشجعة؛ وهذا الشاب حاول تعليم والديه استخدام الهواتف الذكية التي ابتاعها لهما ولكنه وجد أنهما يجدان صعوبة في تعلم المهارات المطلوبة وينسيان الإرشادات التي يعطيها لهما.[26] بعد أن عاد چانج مينج إلى بكين اتصل به والداه عدة مرات ليسألاه النصيحة في استخدام الويتشات، وإذ وجد الشاب نفسه منشغلًا بالقدر الذي لا يجعله قادرًا على تقديم المساعدة لهما لذا فقد كتب ورسم بخط يده كتيب إرشادات لاستخدام الويتشات من تسع صفحات. سبب احتفاء الإعلام بالشاب چانج مينج أن قصته تتسق مع موضوعين رائجين هما الاتجاه نحو التقدم في التكنولوجيا الرقمية والمعتقدات الكونفوشية القديمة عن احترام الأبوين، وظهر هذان الموضوعان هنا في شكل «مساعدة كبار السن في تخطي الحاجز الرقمي».

يتبنى المواطنون الأكبر سنًا في الصين نموذج للمواطنة يعتنقه من نشأوا بأيدلوجية شيوعية، حيث تنتشر مقولة أن مصير المرء [geren de mingyun] مرتبط بمصير الدولة [guojia de mingyun]. بالنسبة لكبار السن يعتبر هذا الارتباط الوثيق أو مجتمع المصير [mingyun gongtongti] بين الفرد والدولة الحزب شيئًا بديهيًا، ونتيجة لهذا نجد هذا الفارق الشاسع بين موقف كبار السن في الصين من الهواتف الذكية وموقف نظرائهم في البلاد الأخرى. يمكن في الصين أن تجد أن الشباب هم من يشكون أن الكبار دائمًا ما ينظرون في هواتفهم ويتجاهلون الحديث وجهًا لوجه، ويعتقد معظم الناس أنه في حين تصبح بعض الاستخدامات أكثر صعوبة مع التقدم في العمر إلا أنه لا يفوت الأوان أبدًا للبدء في استخدامه.

تتمثل درجة التدخل السياسي المباشر في استخدام الهاتف الذكي في ذلك التطبيق الغامض نوعًا الذي يدعى شويشي تشيانجوو [XueXi Qiangguo]. المعنى الحرفي لاسم التطبيق هو «الدراسة تصنع دولة قوية»، ولكنه أيضًا يحتوي على تورية ضمنية تحمل معنى «التعلم من الرئيس شي».[27] أصبح هذا التطبيق خلال أشهر قليلة أكثر تطبيق يتم تحميله على متجر ألعاب آبل المحلي، وأصبح وجوده على هاتف شخص ما مؤشر جيد على أنه كان – أو يتطلع إلى أن يكون – عضوًا في الحزب الشيوعي. يؤدي التطبيق دور منصة أخبار لتداول المقالات والفيديوهات القصيرة والأفلام الوثائقية حول الفلسفة السياسية للرئيس شي جين بينج، ويُحَصِل المستخدم نقاط الدراسة بدخوله إلى التطبيق وقراءة المقالات وإضافة التعليقات يوميًا وأيضًا بمشاركته في اختبارات الأسئلة متعددة الاختيارات عن سياسات الحزب، وتقول تقارير حكومية حديثة أنه يجب على كوادر الحزب استخدام التطبيق يوميًا وتسجيل أعلى النقاط. بشكل عام تشمل الدعاية للحزب الآن أشكال مناسبة للهواتف الذكية مثل ملصقات ويتشات التي تصور كارل ماركس [الشكلين 2.2أ و 2.2ب].

لقد نظرنا في حالة الصين هنا لتوضيح أوجه الاختلاف عن ما سبقها من نقاش، ولكن مثالنا الأخير وهو اليابان يمكنه العبور بنا من تلك الدلائل حول تأثير الإعلام والدولة إلى الأقسام اللاحقة التي نناقش فيها خطاب الشخص العادي عن الهاتف الذكي. توجد في اليابان آداب صارمة لاستخدام الهاتف في الأماكن العامة، فإجراء المكالمات الهاتفية في



2.2أ، 2.2ب ملصقات كارل ماركس كبطل خارق وقارئ جاد على ويتشات كما أرسلتها إحدى المشاركات في الدراسة للباحثة شينيوان وانج. لقطة الشاشة لشينيوان وانج.

المواصلات العامة مثلًا يعتبر فعلًا غير محبذًا منذ زمن.[28] رغم أن القطارات اليابانية غالبًا ما تكون ممتلئة بالناس الذين يستحوذ الهاتف على انتباههم إلا أنه بمجرد ما يبدأ أحدهم في التحدث في الهاتف يحدجه الآخرون بنظرات غاضبة. هناك أماكن مخصصة للمسنين ولذوي الاحتياجات الخاصة في القطارات التي تسافر بين أوزاكا وكيوتو وهذه بها لافتات تحذر الناس من استخدام الهواتف في تلك الأماكن بأي شكل من الأشكال حتى لا يمنعهم الاستغراق في شاشاتهم من ملاحظة إذا ما احتاج شخص ما للجلوس. توجد في قطارات كيوتو لافتات تحض الناس على إبقاء هواتفهم في الوضع الصامت [المعروف بالوضع المهذب]، وهو ما يشكل جزءًا من اتجاه أوسع في ملصقات الآداب العامة على القطارات اليابانية بشعارات مثل «آداب سليمة، حياة سليمة». تمثل هذه اللافتات خطاب شعبي تنظمه الدولة حول سلوكيات الفرد في الأماكن العامة[29] وهو شيئًا محوريًا في الحياة اليابانية ومتفقًا عليه بشكل عام.

تختص كل هذه الأمثلة بردود الفعل الشعبية، ولكن هناك أيضًا تبعات مهمة للهواتف الذكية تأتي من العلاقات الدولية. المثال الأحدث على هذا كان تأثير تدهور العلاقات الأمريكية الصينية على واحدة من أكبر شركات الهواتف الذكية ألا وهي شركة هواوي. أحدث توتر العلاقات السياسية أيضًا مشاكل لتطبيقات مثل تيكتوك ولتطوير شبكات 5G ولبرمجة مكونات الهواتف الذكية.

تجارة: الهاتف الذكي وصناعة التطبيقات

يأتي التأثير الهائل الآخر على خطابات الهواتف الذكية من القوى التجارية المتعلقة بها. تظل الهواتف الذكية مرتبطة بشكل كبير بالعلامات التجارية فترويج أكثر الهواتف الذكية شعبية في العالم – الآيفون وسامسونج جالاكسي – له صفة الاختراقية وفي أحيانًا كثيرة يكون مقنعًا. تتوفر الآن الكثير من الدراسات حول كيفية تطوير تلك الشركات الكبرى لاستراتيجياتهم التجارية وأيضًا الشركات التي دخلت السوق حديثًا مثل شاومي.[30] تميل الحملات الإعلانية للتكنولوجيا الرقمية لاستهداف المستخدم الشاب وهذا ما يكشفه عقد كامل من الإعلان عن أفضل هاتف ذكي لالتقاط صور «السيلفي»، في حين نجد القليل نسبيًا من الإعلان الموجه لكبار السن من المستخدمين على الرغم من القوة الاقتصادية لـ«الين الفضي»[31] في اليابان أو أيًا من المصطلحات المشابهة التي تبرز ثراء كبار السن في الدول

الأخرى، و كان السبب في هذا جزئيًا هو أن كبار السن – خاصة من هم تحت السبعين – غالبًا ما يشعرون بعدم الراحة إذا تم استهدافهم بصفتهم «مستخدمين مسنين». على الرغم من ذلك يوجد مجال ناشئ من التكنولوجيا المتوفرة للكبار والتي تشمل الهواتف الذكية الأبسط استخدامًا مثل تلك التي تسوقها دورو.

في 2019 قام مستخدمو الهواتف الذكية بتنزيل أكثر من 200 مليار تطبيق وبلغ حجم الإنفاق على التطبيقات والمشتريات المتعلقة بها للهاتف الذكي الواحد المتصل بالإنترنت أكثر من 21 دولار أمريكي في المتوسط، وتبلغ تطبيقات الألعاب 20 بالمئة من تلك التنزيلات.[32] لا يقلل هذا من حقيقة أن معظم الناس يتوقعون أن تكون التطبيقات مجانية[33] والكثير من المشاركين في بحثنا في كل المواقع الميدانية أعربوا بمنتهي الوضوح أنهم لن يدفعوا المال أبدًا مقابل التطبيقات، ورغم ذلك فهم من الممكن أن يقبلوا العديد من أشكال النفقات غير المباشرة مثل الإعلانات. يمكن لاستراتيجيات الكسب القائمة على الإعلانات أن تدر أرباحًا أكبر للشركات من بيع التطبيقات[34] ولكن يظل الثمن الأساسي الذي يدفعه المستهلك هو خصوصيته بسبب تحول الهاتف الذكي إلى أداة رئيسية لجمع البيانات التي هي مكون متزايد الأهمية للتجارة الحديثة. يعي الكثير من المشاركين أن شروط وأحكام استخدام التطبيقات تسمح بجمع البيانات التي لا تبدو ضرورية ليقوم التطبيق بوظيفته، وقبولهم لتلك الشروط والأحكام لا يعني أنهم موافقون عليها بل هو بالأحرى قبولها فقط كشرط لاستخدامهم التطبيق.

الصين هي المنطقة التي أصبحت فيها التجارة ممتزجة باستخدام الهاتف الذكي بشكل كامل حيث حل الدفع عن طريق التطبيقات الهاتفية محل الدفع النقدي أو الدفع بالبطاقات البنكية تقريبًا. حتى كبار السن – الذين غالبًا ما يستخدمون هذه الطرق على مضض في بادئ الأمر – أصبحوا يتقبلون ربط بياناتهم الشخصية الهامة[35] بما في ذلك بياناتهم البنكية بتطبيق التواصل الاجتماعي ويتشات. بالإضافة لذلك أصبح النموذج التجاري السائد بين مطوري تطبيقات الهواتف الذكية هو الجمع بين المجاني والمدفوع[36] أي أن يتم توفير التطبيق والوظائف الأساسية به مجانًا ولكن يمكن للناس الدفع مقابل بعض الوظائف والخدمات الأعلى قيمة، كما شهدت الصين أيضًا رواجًا للتطبيقات المجانية ذات «المحتوى المدفوع».

أحد السمات المذهلة لتلك الصناعات – نظرًا لحجمها – هو أن المعدلات الكلية للإعلان بها يعتبر منخفضًا نوعًا بالمقارنة بمنتجات استهلاكية أخرى،[37] ويمكن أن يكون أحد التفسيرات لهذا الانخفاض في الإعلان المباشر هو ببساطة أن هذا العالم التجاري يملك أدوات أكثر كفاءة بدرجة كبيرة للتأثير في عوام الناس، فمثلًا تنخرط الشركات بشكل كبير في رعاية الأحداث الرياضية كما أن لديهم نفاذية لأشكال التسويق المباشرة أكثر من خلال إرسال الرسائل النصية للهواتف نفسها.

بيد أن سلاحهم الأهم في تلك الحملات هو تأثير اللاعبين الآخرين في المجال – أي هؤلاء الذين يجعلون الحياة صعبة جدًا للأشخاص الذين لا ينجحون في توظيف هواتفهم الذكية. من العوامل الأساسية التي تدفع الناس للهواتف الذكية هو تزايد عجزهم عن القيام بالمهام اليومية بكفاءة وبسعر رخيص بدون هواتفهم الذكية، ففي دابلن مثلا تتزايد المعاملات البنكية وحجوزات الطيران التي تتم عبر الإنترنت من خلال الهواتف الذكية. ربما يكون الأثر الجانبي الأهم هو السعي الحثيث للمرافق العامة والهيئات الحكومية والقطاعات المصرفية في اتجاه خفض التكاليف حيث تحاول جميعها استبدال خدمة العملاء ومراكز الاتصال بالنفاذية لخدماتها عبر الإنترنت فقط. تراجع الخدمات المتاحة خارج الإنترنت – كما سنرى في الفصل السابع – يخلق جدار فاصل رقمي ضخم ويترك معظم الناس بلا خيار فإما يتعلمون استعمال تقنيات الإنترنت أو يصبحون عاجزين بجدارة. نجد مثالًا حديثًا على هذا في تلقي المساعدات المالية من الحكومة البرازيلية وقت أزمة وباء كوفيد-19 حيث تطلب ذلك استقبال كلمة سر مؤقتة عبر الهاتف الذكي للشخص الراغب في تلقي المساعدة.[38] توضح هذه الأمثلة أن الحكومات التي تلقي باللوم لكل أنواع

الإدمان والضرر على الهواتف الذكية هي نفسها من يجعل تجنب الاستخدام المستمر لها مستحيلًا بالنسبة للأشخاص العاديين. لا تحتاج الشركات المصنعة للهواتف الذكية وللمنصات في ظل هذه المعطيات لأن تنفق المال على الإعلان إلا فيما يتعلق باختيار الماركات، فترويج الهواتف الذكية مهمة يضطلع بها الأطراف الأخرى بكفاءة كبيرة.

الخطاب الشعبي والازدواجية

تشير الدلائل حتى الآن إلى وجود سلسلة من التناقضات المعقدة في تدخلات الدول والإعلام، على الأقل خارج الصين. تشعر الحكومات أنها يجب عليها توفير النفاذية للإنترنت كمورد عام ولكنها أيضًا تشعر بأنها مسؤولة عن التعامل مع قائمة من الآثار الضارة التي يُزعم أنها تؤثر على الشباب بشكل أساسي، وفي نفس الوقت فإن تحول البنى التحتية إلى بنى رقمية يجبر الناس على الاعتماد على الإنترنت. تفكر الآن وسائل الإعلام التقليدية مثل الصحف – التي كانت تنافس الوسائط الأخرى على الإنترنت في مجال الإعلان – في تحويل نشاطها مستقبلًا ليكون عبر الإنترنت. أيضًا وجدنا أن معظم المعاملات التي تتم عبر الإنترنت في بعض المواقع الميدانية التي عملنا بها تتم من خلال الهواتف الذكية لأن قليل من الناس يملكون الكمبيوتر أو الأجهزة اللوحية [التابلت].

إذا نظرنا في الخطاب الذي يستخدمه الأشخاص العاديين نجد أن هذا الكتاب عرضة للتحيز، فالشريحة الديموغرافية الأساسية التي تناولناها هي كبار السن الذين – فيما عدا الصين – يميلون إلى تكرار التقييمات السلبية لآثار الهواتف الذكية. ربما يرى بعض كبار السن أنهم ضحايا للمراقبة ولجمع البيانات ولكنهم في الوقت نفسه يرون أنهم غير عرضة لأشكال أخرى من الضرر، فهذه الأضرار الأخرى تؤثر فقط – كما يزعمون – على الشباب الذين ينتقدونهم.

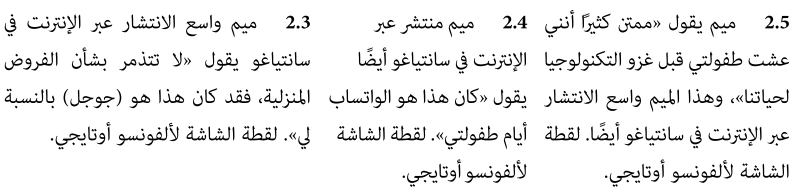
يبدو الكبار في سانتياغو كما لو كانوا في صراع ضد وصم التقدم في العمر، وهو صراع داخلي غالبًا، فهم من ناحية يعبرون عن مدى إحساسهم بأن تلك التقنيات الرقمية الجديدة «ليست لهم» إلى حد كبير ولكنهم في ذات الوقت يشيرون إلى رغبتهم في التعلم عن الهواتف الذكية وكيفية استخدامها. يقضي هؤلاء وقتًا كبيرا في إلقاء اللوم على الهواتف الذكية لشتى أنواع السلوكيات الاجتماعية الشاذة، فهم مثلًا يدعون أن «الناس في مترو مدينة سانتياغو يحدقون في هواتفهم ولا يتفاعلون مع العالم الواقعي ومع الآخرين»، ولكنهم في نفس الوقت يشاركون تلك المشاعر من خلال نشر ميمات الحنين إلى الماضي عبر هواتفهم الذكية كما في الأمثلة أدناه [الأشكال 2.3 و 2.4 و 2.5].[39]

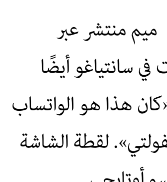
ما يضخم عندهم هذا الحنين إلى الماضي أيضًا هو إحساسهم بأن معرفتهم قد فقدت احترامها، فمثلًا هناك هذا الرجل الكبير من بنتو الذي كان يفخر أنه حفظ جميع شوارع ساو باولو عن ظهر قلب، ولكن أصبحت هذه المعرفة عديمة القيمة بعد انتشار برنامج ويز [Waze][40] وتكنولوجيا [GPS] وتطبيق خرائط جوجل. تظهر الميمات المنتشرة في نولو تخوفات مماثلة مع فقدان الروح الاجتماعية في مترو مدينة ميلانو، ويتفاعل الناس مع هذا الأمر بميمات الحنين إلى الماضي أيضًا [الشكلين 2.6 و 2.7].

على صعيد آخر يعترف هؤلاء المشاركون ذاتهم في ميلانو بفوائد استخدام الهواتف الذكية في الوقت نفسه، فكثيرًا ما نسمع منهم عبارة «هو يخدمني» مما يشير لنفعية الهواتف الذكية إذا كانت لغرض الاستيقاظ في الصباح أو التخطيط لليوم أو لتيسير العلاقات الأسرية عبر المسافات أو في السفر. ولكنهم سرعان ما يعودوا إلى الخطاب السلبي عندما يقرون أن الهواتف الذكية «تسرق» وقتهم أو انتباههم أو حضورهم مع الآخرين خارج عالم الإنترنت.





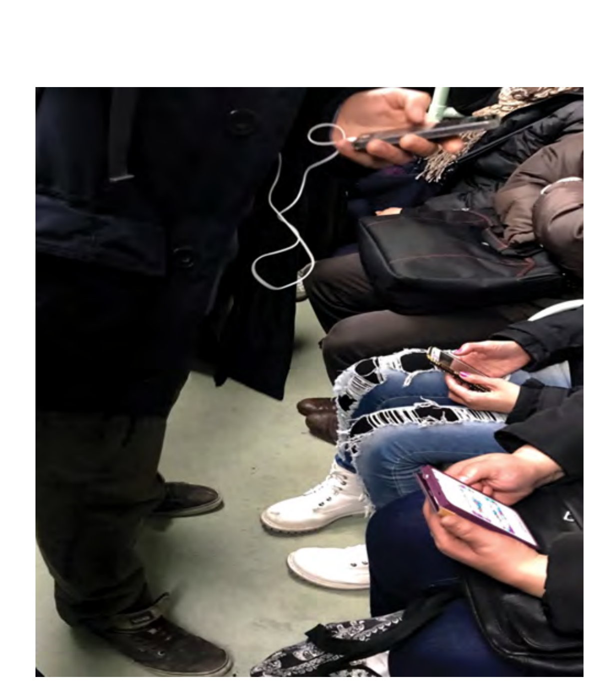




2.5 ميم يقول «ممتن كثيرًا أنني عشت طفولتي قبل غزو التكنولوجيا لحياتنا»، وهذا الميم واسع الانتشار عبر الإنترنت في سانتياغو أيضًا. لقطة الشاشة لألفونسو أوتايجي.

2.4 ميم منتشر عبر الإنترنت في سانتياغو أيضًا يقول «كان هذا هو الواتساب أيام طفولتي». لقطة الشاشة لألفونسو أوتايجي.

2.3 ميم واسع الانتشار عبر الإنترنت في سانتياغو يقول «لا تتذمر بشأن الفروض المنزلية، فقد كان هذا هو (جوجل) بالنسبة لي». لقطة الشاشة لألفونسو أوتايجي.



2.6 مترو مدينة ميلانو. تصوير شيرين والتون.

ليس من المفاجئ أن نجد أن الخطاب الشعبي يلجأ للسخرية أو الفكاهة في وجه تلك التناقضات. على سبيل المثال تتحدث آنا – وهي مدرسة من نولو – عن حالة الطقس غالبية الوقت، وهي تتعامل مع هاتفها الذكي كأنه خبير الأرصاد الجوية الخاص بها وحضوره في حياتها اليومية مفيد ومؤنس. فبرغم كل شيء يسمح لها التنبؤ بحالة الطقس بالتخطيط لكل ما تفعله بدءًا من حصصها مع الأطفال وحتى نوع الملابس التي ينبغي عليا ارتدائها لليوم. تلقي آنا الضوء هي الأخرى على فكرة سرقة الهاتف الذكي لأوقات الناس، فهي حين تجلس على مائدة مطبخها أو أريكتها في



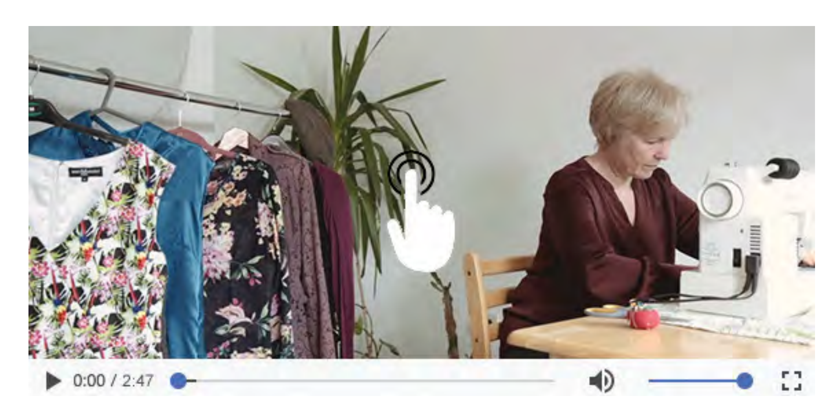


2.7 مثال معتاد على التعليقات حول انتشار استخدام الهواتف الذكية في كل مكان الآن، ويتم مشاركتها على الواتساب ومنصات التواصل الاجتماعي الأخرى باستخدام الهواتف الذكية. لقطة الشاشة لشيرين والتون.

المساء في شقتها الصغيرة الدافئة غالبًا ما تتفقد فيسبوك وواتساب لفترة ليست بالقصيرة، وتقول عن ذلك أنها تشعر كأنها «محبوسة» في الهاتف الذكي وتشعر بالخزي من تضييع وقتها بتلك الطريقة.

من الواضح رغم ذلك أن آنا أيضًا تعشق هاتفها الذكي وإمكانياته اللانهائية في البحث عن المعلومات والتواصل مع عائلتها. تحتاج آنا في الحقيقة لشيء «يسرق» وقتها فمنذ الانفصال المؤلم عن زوجها منذ سنوات قليلة وهي تقضي أمسيات شتاء ميلانو البارد في الحياكة أمام شاشة التليفزيون، وتوضح آنا قائلة: «أحبها [الحياكة] لأنها تشتت ذهني، وهو أمر مهم جدًا لي». تصرف الحياكة انتباه آنا عن أشياء أخرى، وهي نشاط مقبول اجتماعيًا وأخلاقيًا بالنسبة لآنا وهذا شيء في غاية الأهمية لآنا السيدة التقية المتفانية في خدمة عائلتها وفي الإبقاء على الأنشطة المنزلية مثل الطبخ. مع ذلك فإن الشيء الأكثر فاعلية في إبقاء آنا متصلة هو الهاتف الذكي الذي يصلها بعائلتها وبأبنائها في ميلانو وبالعديد من الأقارب الذين تتشارك معهم وصفات الطعام وتتحدث معهم على مجموعات واتساب التي تقلل من شعورها بالوحدة والملل. من ناحية أخرى فالهاتف الذكي يعتبر شيئًا حديثًا وغير معتادًا نسبيًا، وبمقارنة هذين النشاطين بعضهما ببعض نجد أنه رغم أن الهاتف الذكي يحيك عائلتها وأصدقائها ويربطهم ببعض إلا أنه لم يكتسب بعد – حتى الآن على الأقل – المعاني الأخلاقية الإيجابية التي تتمتع بها الحياكة، وهي الحرفة التقليدية المرتبطة بالأمهات والجدات اللاتي يكسين أبنائهن وأحفادهن بملابس من صنع أيديهن.

وعلى نفس الصعيد فإن الفيلم القصير التالي يخص ديردر من أيرلندا التي يخبرها هاتفها الذكي أنها تقضي أحيانًا قرابة الست أو السبع ساعات في اليوم مع الهاتف مما يبدو كحالة إدمان واضحة. ولكن رغم ذلك حاولت ديردر – كما نرى في الفيلم – إبداء التعاطف تجاه مأزقها الشخصي وتفسير التجربة بإيعازها لظروفها الصعبة جدًا في ذلك الوقت [شكل 2.8].



2.8 فيلم: (ديردرا). متاح من خلال http://bit.ly/DEirdre

بالإضافة لنشأة خطاب حول الهواتف الذكية تشكل تلك الأجهزة أيضًا في مناطق كثيرة الأساس لظهور أنواع جديدة من الخطابات. سوف ينظر الفصل الثامن في أنماط الاتصال التي تدمج الاتصال المرئي والنصي بشكل أكثر تفصيلًا، فكما يصف ماكينتوش[41] الوضع في كينيا – ولكنه ينطبق أيضًا على معظم المناطق الأخرى – فإن الرسائل النصية أنتجت شتى الأنواع الجديدة والمخلقة من اللغة والتواصل والتي هي نفسها تمثيلًا كبيرًا للهجات المحلية. يتيح هذا بدوره للناس التعبير عن تلك الازدواجية وعن مشاعر أخرى خاصة بالأشخاص في ذلك المكان حول الطريقة التي تغيرت بها الحياة بسبب الهواتف المحمولة.

في اليابان تعكس تلك الازدواجية أيضًا دقائق تاريخ المنطقة. كان الكثير من المشاركين اليابانيين يرون أن التقدم التكنولوجي هو مفتاح نمو بلدهم أثناء «حقبة الفقاعة» في الثمانينات من القرن الماضي، وكان هذا متمثلًا في الشركات العالمية مثل سوني. يحكي الجيل الذي كان في سن العمل في هذه الفترة عن تجربتهم مشيرين إلى أنها السبب الذي يجعلهم إيجابيين ومنفتحين بشكل عام تجاه الأجهزة الجديدة مثل الهواتف الذكية هذه الأيام. تشعر الأجيال الجديدة التي نشأت بعد انفجار الفقاعة أن الهاتف الذكي هو بشكل عام مجرد وسيلة أخرى لإنهاك المرء أو لجعله يختبر ضغوط الحياة الاجتماعية. غالبًا ما تحضر الازدواجية في المناقشات مثل تلك التي أجريناها مع السيدة إشيكاوا من كيوتو:

> أعتقد أنني لـ70 بالمئة من الوقت أنظر في هاتفي دون سبب معين، فهو مثل المخدر. ابنتي أيضًا هكذا. وجود هذا الجهاز في الجوار هو أمر طبيعي بالنسبة لها، لذا فوجود الهاتف الذكي لم يعد يبدو كوجود روبوت أو وجود جهاز، بل هو مجرد كيان آخر. ولكنني لا أظن أن هذا شيء سيء.

بدأت السيدة إشيكاوا حديثها قائلة أنها لا تستخدم هاتفها الذكي بكثرة وأنها غير مرتبطة به بشكل خاص، ولكنها مع نهاية حديثها أدركت كم المهام المرتبطة بهاتفها الذكي وكم تعتمد هي عليه، فقامت بوضع هذا في إطار الإدمان: «ربما كنت مدمنة لهاتفي بالفعل ولكني لا أدرك أو أعي هذا. فأنا في الحقيقة أبدأ يومي بهاتفي، بالمنبه!». شاركتها السيدة ساتو في تلك الازدواجية فقالت أن هاتفها الذكي في المركز من حياتها، ولكن هذا أيضًا يعني أنها أحيانًا تشعر بإهمال واجباتها خارج العالم الاجتماعي للهاتف: «الهاتف الذكي بالنسبة لي هو شيء أحتاج إليه، ولا أعتقد أن هذا شيئا جيدًا فأنا أجد نفسي مستغرقة في هاتفي بشكل زائد وأن أعمالي المنزلية لا تحصل على الاهتمام الكافي، وهذا شيء سيء. الهاتف الذكي أيضًا مركزيًا في صداقاتي». في معظم مواقعنا الميدانية وجدنا الازدواجية في قلب النقاشات الشعبية، وهذا النوع من العويل الذي يمزج كل أنواع الشكوى منتشرًا في

كل المواقع. يصف كبار السن في بنتو كيف تساعدهم الهواتف الذكية في أن يظلوا نشطي الإدراك وفي تحسين صحتهم العقلية وفي التواصل مع عائلاتهم ومغالبة الوحدة.[42] ولكن في نفس الوقت يشكو أوليفيو من أن:

> الهاتف الذكي أصبح دماغنا الثاني، فأنت تستطيع فعل أي شيء عن طريقه. ما لا أحب رؤيته هو عندما يصبح الناس اعتماديين، خاصة المراهقين الذين أحيانًا ينتحرون حين يقول شخص ما شيئًا لا يعجبهم على منصات التواصل الاجتماعي أو عندما يتعرضون للتنمر. هناك الكثير من الأشياء غير الملائمة، مثل إنهاء العلاقة مع شخص ما أو طرد شخص ما باستخدام الإنترنت.

ذكرنا سابقًا في هذا الفصل أنه تم تسجيل حالات لتدخل الدولة في النفاذية للإنترنت في الكاميرون وأوغندا. ربما تُستَمَد تلك الازدواجية التي يعبر عنها العديد من الناس حول الهواتف الذكية من خطابات أوسع حول مستقبل تلك الدول. في حين يشكو الناس فوق الخمسين في ياوندي مما يعتبرون أنه الآثار السيئة لاستخدام الهواتف الذكية إلا أنهم أيضًا يشعرون بالحاجة إلى استيعاب أيقونات «العصرية» و «الانفتاحية» تلك وللاستفادة من تعزيز القدرات الشخصية التي تصاحبها. تنحل ازدواجية هؤلاء الأشخاص جزئيًا – هنا كما في مواضع أخرى – عن طريق إسقاط انتقاداتهم على الشباب. يرى كبار السن أن الهواتف الذكية تغري النخب المثقفة عديمة الضمير على التلاعب بالشباب ويرونها أيضًا كعوامل أساسية في «فقدان خصوصيات الثقافة الأفريقية» كما وصفها أحد المدرسين.

تنطوي تلك الازدواجية في كامبالا داخل المصطلح اليومي «دوت كوم» الذي يستخدم – بشكل فكاهي غالبًا – للإشارة للتطورات العصرية. ويشير مصطلح دوت كوم بشكل خاص للتأثر بالثقافة الغربية الذي يحدث من خلال التعرض لوسائط اللإنترنت، وهو الأمر الذي ينطبق أكثر ما ينطبق على الجيل الأصغر الذي يدعى بـ «جيل الدوت كوم» أو «أطفال الدوت كوم» الذين نشأوا به. ينظر البعض للدوت كوم بعين الشك ويعتقدون في تأثيره الوبيل على الاحترام بين الأجيال، وهم يرونه كشيء خارج عن السيطرة ومشجع للأجيال الشابة على ارتكاب الرذائل مثل الإدمان والإباحية أو على الأقل للانفصال عن العالم المحيط بهم. تقول نافولا التي تتولى مسؤولية حفيديها المراهقين بأنها تعتقد أن الدوت كوم «يفسد الأبناء» وأنها هي نفسها تتجنبه:

> حياتي خالية من الدوت كوم لأنني حرة حيث أنا الآن. أنا لا أكترث بالتليفزيون ولا أهتم به. ربما كان ما أريده هو الراديو فقط، هذا كاف بالنسبة لي. البحث ليس من اهتماماتي. أنا فقط أستقبل وأجري المكالمات ولا أريد أن أعرف أكثر. يمكن لهذا الدوت كوم أن يفسد الأبناء إن لم تكن حازمًا معهم.

لكن من الممكن في الوقت نفسه أن يرى كبار السن الدوت كوم كشيء يريدون تعلمه من أبناءهم، حيث عبر بعض المشاركون عن امتنانهم بأن أبناءهم يعلمونهم كيفية استخدام الهواتف الذكية ويرون ذلك كدليل على الاحترام. هكذا يمكن اعتبار أن الدوت كوم يقلب التراتبية بين الأجيال الأكبر والأصغر التي يفترض فيها أن يتعلم الأطفال من آبائهم رأسًا على عقب، وفي نفس الوقت يدعم قيم التآزر واحترام كبار السن. نرى أن هذه الأمثلة تظهر الازدواجية بشأن الهواتف الذكية، ونرى أيضاً أن إمكانات تلك الهواتف عالقة في التوترات السياسية والجيلية الأكبر.

غير الازدواجيون

غالبًا ما تكون الدلائل في مشروع بحثي موسع مثل هذا البحث على درجة عالية من التنوع، فمن الممكن أن تكون الازدواجية قاعدة ولكنها ليست قاعدة عامة. نعرض هذه النقطة من خلال هذين المثالين الأخيرين.

تبدو كريمة – التي هي في الأصل من مدينة الإسكندرية بمصر والتي تعيش الآن بنولو – خالية من الإحساس بالذنب بخصوص الوقت الذي تمضيه على هاتفها الذكي، وهو النشاط الذي تعتبره قبل كل شيء كفرصة للاتصال بعائلتها وأصدقائها في الإسكندرية وميلانو. لا ترى كريمة أي فارق قيمي بين التواصل عبر الإنترنت وخارجه مثلها في ذلك مثل بعض المشاركات الأخريات من مصر، وبالنظر إلى الطريقة التي سهل بها الهاتف الذكي اتصالاتها الاجتماعية وساعدها على تخطي عقبات سابقة – مثل نفاذ البطارية وهي المشكلة التي عانت منها مع هاتفها القديم – لذا فهو نعمة خالصة. على أن أكثر ما يهم كريمة هو قدرتها على البقاء متصلة بصديقاتها المصريات طيلة الوقت عبر الإنترنت وخارجه واللاتي هن لب شبكتها الاجتماعية في ميلانو [شكل 2.9].

أوليفيا – التي تعيش في دابلن – صريحة بشكل كبير في إبداء آرائها. تدور مخاوف أوليفيا حول آثار التعرض للموجات اللاسلكية، فهي قد وجدت في قسم «الإعدادات» والقسم «القانوني» في هاتفها أن الشركة المصنعة تنصح بحمل الهاتف على مسافة 5 ميلليمتر من الجسم على الأقل، ونفس القسم ينصح بطرق الاستخدام التي توفر حرية اليدين مثل سماعات الأذن التي تأتي مع الجهاز، وهو ما أقلقها أكثر. بدأت أوليفيا بعد ذلك بأخذ أي معلومات تجدها حول الآثار الضارة للتعرض للأشعة وللموجات اللاسلكية بجدية، فقرأت المنشورات التي يعرضها الطبيب في عيادته الجراحية ثم قرأت كتبًا حول الموضوع وتحدثت إلى الأصدقاء، وأخيرًا سألت الطبيب الممارس الخاص بها إن كان هناك ما يثير القلق ورغم ذلك لم تطمئن بشكل كامل حين نفى طبيبها ذلك.

بدأت أوليفيا بتوزيع المنشورات التوعوية في مكان عملها وفي المدرسة الموجودة بمنطقتها بعد أن وجدت بيانًا صحفيًا أصدرته منظمة الصحة العالمية يقر مبدئيًا بأن مثل ذلك التعرض للأشعة يمكنه أن يسبب السرطان، وهي الآن تمسح البيئة المحيطة بها بحثًا عن أبراج المحمول وترسم خريطة ذهنية بمواقع تلك الأبراج في منطقتها. وجدت أوليفيا أن ردود الفعل على حملاتها تميل ناحية أحد الجانبين، فإما الناس يتفقون معها تمامًا أو يختلفون تمامًا ولا يبدو أن هناك أرضًا وسطًا في هذه الجدلية.



2.9 المهرجان العالمي للخبز La Festa del Pane هو أحد الأحداث الاجتماعية المتعددة في نولو. تصوير شيرين والتون.

الأخبار الملفقة

يتبنى الإعلام تصوير الهواتف الذكية بأشكال سلبية كثيرة كما أوردنا سابقًا. أحد أهم تلك الصور السلبية هي المراقبة والتي سوف نناقشها في الفصل التاسع، والصورة الأخرى التي يرد ذكرها كثيرًا – غالبًا لأنها تمس اهتمامات الصحف – هي الأخبار «الملفقة». يبدو المصطلح مؤسفًا بما أنه يحتوي على مدلولًا مضللًا يوحي بأنه من الممكن الاعتماد على طريقة الإعلام التقليدي في نقل الأخبار بأنها تقدم «أخبارًا حقيقية». في البرازيل تعتبر فئة كبار السن إحدى الفئات الرئيسية التي تروج للأخبار الملفقة وانتشرت مزاعم مماثلة في الولايات المتحدة،[43] وتضيف هذه الاتهامات للأشكال الأخرى من الوصم الذي يلحق بكبار السن.[44] يرد كبار السن بدورهم على هذا الوصم باستراتيجيات مختلفة، فالبعض يحتج مباشرة على أصدقائهم الذين نشروا أخبارًا ملفقة دون التحقق منها والبعض الآخر يحاولون التماس الصبر والانتظار حتى يجدوا بعض الإيضاح. ويقول أحد المجيبين عن استطلاعات الرأي التي قمنا بها: «أقوم بالانتظار. فبعد عدة دقائق سوف يقوم شخص ما بالتعليق على الخبر وحينها سأعرف إن كان الخبر كاذبًا أم لا». يعتبر 79 بالمئة من البرازيليين الآن أن الواتساب هو مصدرهم الرئيسي للمعلومات وفقًا لأحد استطلاعات الرأي.[45]

ظهرت قضية الأخبار الكاذبة للسطح بعد الحملة الانتخابية الحاسمة في 2018 وحكومة جايير بولسونارو التي تبعتها. تقول رويترز أنه تم إنشاء قرابة المليون مجموعة على الواتساب لدعم المرشحين السياسيين.[46] أدت نفس الظاهرة أيضًا لظهور مجموعات فحص الحقائق مثل تلك الخاصة بمشروع إثبات [Projeto Comprova] في البرازيل والذي استقبل 67,000 رسالة لمجموعة واحدة فقط من مجموعات فحص الحقائق التي أُنشئت في ذلك الوقت. ترتبط الأخبار الكاذبة أيضًا ارتباطا وثيقًا بالانتشار البغيض للغش الإلكتروني، وهنا أيضًا كان الواتساب مسؤولًا عن 64 بالمئة من تلك الروابط.[47]

لا يأخذ الناس تلك النقاشات بالضرورة على محمل سطحي. بلغت الأخبار الكاذبة مبلغًا ضخمًا من التغطية الإعلامية والنقاشات الرائجة في إيطاليا ونجد مثالاً على هذا فيما حدث في يوليو 2018، وهو مثال منطبق على نولو نظرًا لحجم فئات المهاجرين بها. لفت منشور عام على فيسبوك الكثير من الانتباه عبر وسائل التواصل الاجتماعي الإيطالية حتى وصل أخيرًا لبقية العالم، حيث نشر شخص ما صورة على فيسبوك بزعم أنها تصور آلاف الأشخاص في مرفأ مزدحم بشدة وظهرت المراكب الصغيرة وهي تحملهم ولكن نظرًا لأعدادهم الكبيرة فقد فاضت بهم فانزاحوا للأرصفة المحيطة. يقول التعليق على الصورة: «ميناء ليبيا ... إنهم لا يدعونك ترى مثل هذه الصور أبدًا ... وهم جميعًا مستعدون للإبحار إلى إيطاليا». كان الغرض من تلك الصورة هو إثارة غضب وتوتر الإيطاليين من هذا «الغزو» الوشيك لمن هم فرضًا مهاجرين. كانت الصورة ناجحة في البداية وانتشرت انتشارًا واسعًا عبر الإنترنت، فهذا السياق من الخطاب العدائي ضد المهاجرين في إيطاليا يتبناه ماتيو سالفيني السياسي اليميني المتشدد ووزير الداخلية السابق، ولكن بعد ساعات قليلة تم الكشف عن أن الصورة في الحقيقة تُظهر حفل موسيقي لبينك فلويد أُقيم في فينيسيا في 2018 [شكل 2.10].

أول ما ظهرت الصورة في نولو ظهرت في هيئتها اللاحقة «المكتشفة» كخبر كاذب يظهر مدى «سخف» تلفيق الأخبار. تحولت الصورة من خلال المنصات الاجتماعية في نولو – التي يوجد بها حضور ليبيرالي قوي – إلى مرجع للأشخاص الذين ينشطون في التعبير عن معارضتهم للعنصرية ومعاداة الأجانب. يفطن الكثير من الناس أيضًا للجذور التاريخية الخاصة بالطريقة التي تستخدم بها الهواتف الذكية لنشر المعلومات المغلوطة، فرغم كل شيء كانت بعض وسائل الإعلام المؤسسية في الدولة تُستخدم لنشر القلق حول أمور بعينها مثل الهجرة في عقود سابقة كفترة حكم بيرلسكوني على سبيل المثال. احتج بعض الأشخاص ممن عاش آبائهم أثناء العهد الفاشي وشهدوا أساليبه الدعائية على الطرح القائل بأنه كانت توجد فترة تاريخية سادت فيها «الأخبار الصحيحة».



2.10 منشور واسع الانتشار على وسائل التواصل الاجتماعي والذي ادعي خطئًا أنه يصور مهاجرين ليبيين وهم يستعدون للإبحار إلى إيطاليا ولكن ظهر فيما بعد أنه من حفلة لبينك فلويد في 1989. لقطة الشاشة لشيرين والتون.

الدراسات الأكاديمية لهذه الخطابات

يقدم هذا الكتاب دلائل قليلة يمكن أن تساعد في تحليل الادعاءات التي يدعيها الناس في الخطابات السائدة حول الهواتف الذكية،[48] ولقد تعاملنا مع مفهوم الخطاب كخاصية مستقلة للهاتف الذكي وليس كدليل على الاستخدام الفعلي له لأسباب شرحناها في مقدمة هذا الفصل. في دراساتنا الإثنوغرافية يوجد القليل مما يمكن أن يسهم في النقاش حول ما إن كانت تلك الادعاءات صحيحة أم لا، ونفضل التركيز على الشيء الذي نملك الدلائل الوافية عليه ألا وهو استخدام تلك الادعاءات للمشاركة في الجدليات الأخلاقية في كل من المواقع الميدانية. لكن نظرًا للأهمية الفائقة وللتبعات الضخمة لهذه الخطابات فنحن نقدم لكم دليل مختصر للأبحاث الأكاديمية التي تقدم مثل تلك التحليلات.

ربما تكون نقطة البدء المناسبة هي تاريخ تلك الخطابات الذي أجرى آدم بيرجس أبحاثًا كثيرة على المرحلة المبكرة منه.[49] فحص بيرجس مختلف المخاوف العامة حول المخاطر التي كان يُعتقد أن الإصدارات المبكرة للهواتف المحمولة تشكلها على الصحة، كما أنه بحث في مصادر تلك المخاوف وفي الأسباب التي جعلتها منتشرة بين شعوب بعينها. تضيف تلك النقاشات لجدل أكاديمي قديم حول الطرق التي ترى بها الشعوب المخاطر وتكشف عمق

البعد الزمني للكثير من تلك التخوفات وكيف أن تلك التخوفات نجحت في الاستمرار حتى بعدما تغير الجهاز الذي أُسقطت عليه تلك التخوفات تمامًا.

غالبًا ما تركز الجدليات الأكاديمية الموسعة حول الهواتف الذكية على تأثيرها السياسي، وهو الشيء الذي عادة ما يناقشه المشاركون في هذا البحث أيضًا. في حين توجد بعض النقاشات المتزنة حول هذا الموضوع[50] إلا أن هذا المجال ينزع إلى إفراز الجدليات المستقطبة بشدة. هناك على سبيل المثال ذلك الجدل الذي استمر لعدة سنوات حتى الآن حول ما إذا كانت الوسائط الجديدة قد خلقت فقاعة مرشح [filter bubble] أو حجرة صدى [echo chamber]، وتشير هذه المصطلحات إلى أن الهواتف الذكية ووسائط التواصل الاجتماعي قامت بتقييد تعرضنا للخطابات السياسية لتلك التي توافق آرائنا فقط، وهي بهذا تمنعنا من رؤية الآراء المضادة. من ناحية تقول العديد من الكتب أن فقاعات المرشح قد زادت بدرجة كبيرة ربما تكون كارثية،[51] وفي الوقت نفسه تسعى كتب أخرى لدحض تلك الادعاءات موحية بأن الدلائل تؤدي لنتائج مختلفة تماما.[52]

يهتم جدلًا آخر أكثر صعوبة بمفهوم الإدمان، وهذه الصعوبة سببها أن الشيء الذي يشير إليه المصطلح ليس واضحًا تماما. يوظف المستخدمون ذلك المصطلح كثيرًا – غالبًا في الحديث عن أنفسهم – كما أن هناك رتل من كتب المساعدة الذاتية التي تهدف لمساعدة المدمنين.[53] ولكن ماذا يعني إدمان الهواتف الذكية حقًا؟ من الواضح أنه لا أحد يحدق في شاشة فارغة وإنما يشاهد نوعًا من أنواع المحتوى، لذا فربما يشير هذا الإدمان إلى أي شيء كإدمان ألعاب الورق أو الاهتمام القهري بأخبار ترامب أو متابعة المشاهير على إنستاجرام، أو ربما يشير لطلبة المدارس الذين يرغبون بشدة في معرفة ما يقوله زملاؤهم عنهم. كل اهتمام من تلك الاهتمامات هو اهتمام خاص له دوافعه وتبعاته ويجب ألا نصف النتائج بأنها تشير إلى إدمان الهواتف الذكية، بل بالأحرى بأنها تدل على أن الهواتف الذكية قد يسرت إدمان محتويات أو ممارسات محددة. وبالمثل تشمل فكرة «إزالة سموم» الهواتف الذكية – كما يوضح ساتون – قطاعًا عريضًا من النوايا والمفاهيم المتعلقة بالإدمان.[54]

ربما تمثل الجانب الأكثر أهمية – وربما الأقدم أيضًا[55] – لمثل هذا الإدمان للمحتوى في إدمان معرفة ما يقوله الآخرون عنك، وهو السبب الذي يجعل مراهقًا يتفحص هاتفه تحت وسادته في الثالثة بعد منتصف الليل. لا أحد يعتبر أن هذه الممارسة ممارسة صحية ويعزوها المدرسون أحيانًا إلى ضعف الثقة بالنفس،[56] ولكن الغريب بالفعل هو اعتبار تلك الاهتمامات بأنها اهتمامات منافية للطبيعة أو أنها اهتمام بالهاتف الذكي نفسه، فذلك يبدو معاكسًا للادعاء الشائع أن الهواتف الذكية تجعلنا نهتم بالشاشات أكثر من الناس. يبدو لنا من المعقول أيضًا أن نجمع بين هذا الموضوع وبين شيئًا آخر يطل بقوة في نقاشات المستخدمين ألا وهو الهاتف الذكي كاستجابة للملل.[57]

من المؤسف أنه نادرًا ما يتم فصل هذه الظواهر عما يجب أن نعتبره إدمانًا حقيقيًا للهواتف الذكية حيث الرغبة المستمرة في مشاهدة أي محتوى بغض النظر عن نوعه. هذا النوع من الإدمان حاضرًا ضمنيًا في النقاشات الأوسع حول «الانتباه»، أي نقد الهواتف الذكية لأنها تجعل الناس غير منتبهين أو تجعلهم يعانون في الانتباه للعالم خارج شاشاتهم. تبدو هذه التخوفات مرتبطة بالاهتمام الهائل في الوقت المعاصر بمفاهيم الوعي والعافية المعنية بنشر التفكير المتأمل اليقظ والحضور في اللحظة والعناية بالنفس على الرغم من أنه من الشائع – وهذا من المفارقات الساخرة – أن تجد الناس ينفذون إلى الوعي عن طريق تطبيقات الهاتف الذكي مثل تطبيق هيد سبيس [Headspace].[58]

حتى وإن كان من الصعب استخلاص المعنى من عبارة «إدمان الهواتف الذكية» إلا أنها بالتأكيد تهتم بالدرجة التي تسهل بها الهواتف الذكية الإدمان بشكل أعم. يناقش ألباران-توريس وجوجين[59] مثلًا انتشار رهانات الهواتف الذكية. من ناحية هناك شركات تجارية مثل الشركة الأيرلندية بادي باور [Paddy Power] الحريصة على زيادة

أرباحها عن طريق توسعة مجال الرهانات ليشمل تطبيقات الهواتف، ومن ناحية أخرى هناك مطالبات بتدخل الدولة وسن القوانين الناجمة عن التخوف من أن الهواتف الذكية زادت من أرجحية إدمان القمار. تقول الدلائل أن المستخدمين يوظفون الهواتف الذكية لتخطي القوى التجارية التقليدية مثل وكلاء المراهنات وبدلًا من ذلك يراهنون مباشرة ضد بعضهم البعض، وتتم هذه الرهانات جزئيًا بغرض بناء الاختلاط الاجتماعي بين المراهنين على الإنترنت. دفعت هذه التطورات الشركات التجارية بدورها لإصدار تطبيقات «الرهان الاجتماعي» والتي ظهرت للمرة الأولى عام 2013 وهي الآن جزءًا مهماً من رهانات الهواتف الذكية. في هذه الحالة على الأقل لدينا حجة واضحة على كيفية التي يرتبط بها الإدمان بالهواتف الذكية بالضبط.

اخترنا المثال الثالث لأنه أكثر تعقيب ينبع من عملنا الميداني، وهو الفكرة القائلة بأن الهواتف الذكية تضر الشباب بشكل خاص. لخصت ورقة بحثية حديثة نشرت في مجلة (ساينتيفيك أمريكان) [*Scientific American*][60] بعضًا من المحاولات العلمية والإكلينيكية لتقييم تبعات استخدام المنصات الاجتماعية على الشباب من منظور مجالات بحثية مثل علم النفس. بشكل عام تنزع نتائج البحوث الأولية لأن تكون سلبية جدًا، ولكن الدراسات الحديثة تركز على النتائج السلبية والإيجابية، وبشكل عام يُنظر للتأثيرات على أنها خفيفة رغم أن هذا ليس صحيحًا بالنسبة لكل الشباب. تستحق الدراسات الأكاديمية حول الأطفال والتربية في العصر الرقمي إلقاء الضوء عليها لأنها المجال البحثي الذي أفرز محاولات – ربما كانت هي الأمثل والأكثر استدامة في العلوم الاجتماعية – للملاحظة والتحليل واستخراج النتائج وتفعيل السياسات المناسبة وتقديم النصيحة المتعقلة الملمة لجمهور الآباء القلقين. من خلال سلسلة من الدراسات التي جمعت بين الإثنوغرافيا والمنهجيات الأخرى بذل الباحثون الكثير من أجل أن يكون استخدام الأطفال للإنترنت والهواتف الذكية مفهومًا في سياقه الأكبر.

ذهب بويد[61] على سبيل المثال إلى أن شكوى الآباء من اعتماد أطفالهم على التواصل والمحتوى الإلكتروني بدأ في نفس الفترة التي أصبحوا فيها متشددين بشأن لعب أطفالهم في الأماكن العامة مع أطفال آخرين. أوضحت أبحاثًا أجراها كلارك[62] في الولايات المتحدة كيف أن هذه الصراعات بين الأجيال حول سلوكيات الأطفال ترتبط ارتباطا وثيقًا بقضايا أكبر تخص الطبقة الاجتماعية، في حين بحثت ليم فيما أطلقت عليه التربية المتسامية في سنغافورة.[63] أطلقت سونيا ليفنجستون[64] اسم (الأول بين أقرانه) [*Primus Inter Pares*] على عملها المبني على مجال واسع من المشاريع البحثية في هذا الموضوع، وتتنوع هذه المشاريع من أبحاث إثنوغرافية كما في كتابها الأخير (الطبقة الاجتماعية) [*The Class*] إلى استطلاعات مقارنة ضخمة عبر أوروبا، والنتيجة هي عرض متعقل ومتزن للمكتشفات، فالنتائج تعترف بالأضرار الممكنة ولكنها أيضًا تتعامل بحذر مع المخاوف العديدة التي يسقطها الآباء ويميلون لافتراضها حول سلوكيات أبناءهم. المثير للإعجاب في عمل ليفنجستون أيضًا هو أنها أخرجت عملًا أكاديميًا جدًا ومتشابكًا في نفس الوقت مع السياسيات وردود الأفعال عليها، وبالإضافة لذلك فإن ليفنجستون وزملائها قد أنشأوا وسائل التفاعل الرقمي الخاصة بهم والتي يمكن للآباء النفاذ إليها مباشرة، وهذا من خلال مبادرات حديثة مثل مدونة (التربية من أجل مستقبل رقمي).[65] تتيح الموارد التي يوفرونها من خلال تلك الوسائل للآباء أن يكونوا على درجة أعلى من الوعي أثناء اتخاذ قراراتهم اليومية فيما يخص الحياة الرقمية لأبنائهم.

كان من المهم أن نختتم هذا العرض بتلك النبرة الإيجابية عن الإمكانات المحتملة للإسهامات البحثية، حيث تنزع الكثير جدًا من تلك الجدليات لأن تكون تدخلات متصلبة واستعراضية والتي من الممكن أن تضفي الغموض أكثر مما تساعد على الفهم وأن تثير القلق أكثر مما تقدم العون. يُظهر هذا المثال الأخير عن طريق المقارنة أنه من الممكن إجراء تقييم متزن وعلى دراية جيدة وذا منطق سليم فيما يخص واحدًا من أكثر الخطابات حول الهواتف الذكية شيوعًا. نحن كفريق استفدنا أيضًا من هذه المبادرات بشكل مباشر، فعندما تنخرط في العمل الميداني لمدة 16 شهر

في موضوع مثل الهواتف الذكية تقابل العديد من الآباء القلقين، ومن الجيد أن يكون هناك مكان توجه المشاركين إليه وتكون متأكدًا أنهم سوف يحصلون على نصائح مفيدة وحكيمة منه.

الاستنتاجات النهائية

بدأنا هذا الفصل بمسألة مثيرة للدهشة ألا وهي أن الناس وهم يتحدثون بشكل عام عن الهواتف الذكية نادرًا ما يكونون يشيرون إلى استخدامهم الشخصي لها. هؤلاء الأشخاص تكون استجاباتهم مختلفة جدًا في المقابلات الشخصية التي تتناول استخدامات محددة: مثلًا هناك قصة الشخص الذي استخدم تطبيق خرائط جوجل لموعد في المستشفى، أو كم عدد المرات التي يستمعون فيها للموسيقى، أو كيف يعانون مع المعاملات البنكية الإلكترونية. هذا الفارق كان الأول في سلسلة من تناقضات كثيرة، فالنقاش حول تأثير الدولة بدأ بملاحظة أن الدول تعد بنفاذية أفضل ولكنها أيضًا تعتبر مصدرًا للمراقبة. تشير أمثلة أخرى كثيرة إلى أنه يُنظر للهواتف الذكية على أن لها آثار إيجابية وسلبية في الوقت نفسه.

نزعت هذه التناقضات إلى خلق ازدواجية عميقة بين جمهور الناس، ورغم أننا خرجنا بهذا الاستنتاج من بحثنا الإثنوغرافي بالفعل إلا أن قوة هذا الاستنتاج زادت من بعد وباء كوفيد-19. اهتم جزءًا أساسيًا من ردود الفعل على الوباء بإمكانات تطبيقات الهواتف الذكية المختصة بتتبع المخالطين، وهو ما جعل استخدامات الهواتف الذكية لأغراض المراقبة والتدخل أكثر وضوحًا. ومع هذا فقد تم طرح نفس الإمكانات كحل تكنولوجي للوباء، أي طرحها كمثال على الرعاية، فمنذ مارس 2020 شهدنا تجانسًا كبيرًا في ردود الفعل العالمية التي تتراوح من رد فعل دولة مثل كوريا الجنوبية التي زادت فيها شعبية الحكومة لأنها فضلت المعرفة العامة على حساب خصوصية الفرد، إلى رد فعل الجمهوريين في الولايات المتحدة الذين ينحازون لخصوصية الفرد فوق رغبة الدولة في البيانات الصحية. يأتي هذا التنوع في التوجهات من حقيقة أن الموازنة بين الرعاية والمراقبة هي في الأصل قضية أخلاقية وليست قضية تكنولوجية، لذا فإن هذا المثال يجعل النقطة الأساسية التي نؤكد عليها منذ بداية هذا الفصل واضحة جلية، ألا وهي أن الخطابات حول الهواتف الذكية تستخدم بشكل عام للمجادلة حول اهتمامات سياسية وأخلاقية أوسع.

غالبًا ما تتولد هذه الخطابات حول الهواتف الذكية من اهتمامات الفئات الكثيرة المعنية. من الممكن أن تدين الحكومات استخدامات الهواتف الذكية التي تنتقد طرق إدارتها؛ ومن الممكن أن يدير الإعلام المؤسسي ديموغرافيا قراءهم والتهديدات التي يواجهونها لمصالحهم المادية؛ ويقلق الصحفيون ذوو الخبرة من الآثار بعيدة المدى للهواتف الذكية على الجودة والإحكام في نقل وكتابة الأخبار ومن التهديد الذي تشكله استخدامات تلك الهواتف على الصحافة النقدية؛ في حين تهتم القوى التجارية بالحفاظ على أرباحها قبل أي شيء آخر؛ وأخيرًا، هناك من الأسباب ما يجعل كبار السن – الذين رأوا كيف تقوض الهواتف الذكية الاحترام الذي كانت الأجيال الصغيرة تكنه يومًا ما لمعرفتهم المتراكمة على مر سنين عديدة – أن يردوا على هذا بقول أن الهواتف الذكية هي الدليل على ضحالة الشباب. يبقى الهم المستمر للحكومات والشركات هو تجاوز الكثير من تلك التخوفات – وهو التوجه الذي غالبًا ما ينافي بشكل مباشر رغبتهم المعلنة في تقليل استخدام الهواتف الذكية – كمحاولة لتوفير النفقات عن طريق جعل المعاملات في شكل رقمي.

بَنَت المناطق المختلفة طرقًا مختلفة جدًا للتوافق بين الدولة والمواطن. في الصين على سبيل المثال نجد أن كبار السن هم من يعتقدون أنه من صفات المواطن الصالح أن يساعد الدولة على القفز فوق بقية العالم عن طريق تطوير الإمكانات التكنولوجية. في اليابان تعبر الدولة بشكل أساسي عن اهتمام تقليدي بالانسجام الاجتماعي وتجنب الفرقة. في الكاميرون نجد أن استخدام الهواتف الذكية يعتبر دليلًا على التمدن والتطور في كلًا من الجدليات

السياسية والشعبية. يتأرجح الناس العاديون أنفسهم بين التقييمات السلبية والإيجابية للهواتف الذكية، وأحيانًا يفعلون هذا في نفس الجملة، فعندما يزعم الأشخاص أن الهواتف الذكية هي نعمة ونقمة في الوقت نفسه لا يقولون هذا من باب النفاق أو الجهل بل ربما يكون هذا القول هو الاستجابة المنطقية الوحيدة لهذا الوضع الذي فيه – كما سوف نرى كثيرًا في هذا الكتاب – تجلب الهواتف الذكية لهم فوائدًا عظيمة ولكن في الوقت نفسه تخلق مشاكل جمة. سوف نعود في نهاية هذا الكتاب لما هو حاليًا المثال الأكثر بروزًا على ذلك التوازن بين الرعاية والرقابة ألا وهو رد الفعل على وباء كوفيد-19.

للخطابات حول تأثيرات الهواتف الذكية نتائجها الخاصة إذًا، وبالنسبة للأنثروبولوجيا تتعلق بعضًا من أكثر تلك النتائج أهمية بالأثر على العلاقات الاجتماعية، وكان استخدام هذه الخطابات في الصراع بين الأجيال مثالًا جيدًا على هذا. تُظهر الكثير من الجدليات الأخلاقية التي قدمناها هنا الهاتف الذكي كلهجة يلجأ من خلالها بعض كبار السن إلى مناقشة وإدانة سلوكيات الشباب. سوف نرى في فصل لاحق كيف يستغل الشباب أحيانًا الصعوبات التي يواجهها كبار السن مع الهواتف الذكية للإدلاء بتعليقات جارحة بنفس القدر عن الكبار. لا يتعلق الشد والجذب بين الأجيال بمن يحترم من فقط، فهو أيضًا يطرح أسئلة معقدة حول الاعتمادية والاستقلالية والكرامة وعدم المساواة القائم على السن. يثبت هذا الفصل أن جزءًا كبيرًا من هذا الصراع لا يقوم على الهواتف الذكية نفسها بل بالأحرى على ما يقوله الناس عنها، ولكننا في هذه المرحلة سوف ندير رؤوسنا إلى موضوع أوسع كثيرًا ألا وهو تأثير ما يفعله الناس بالهواتف الذكية – وليس ما يقولونه عنها – على علاقاتنا الاجتماعية.

ملاحظات

1 McCulloch 2019.
2 لمثال على التأثير الديني انظر Pype 2016.
3 تشمل الأمثلة النمطية على هذا النوع من النقاشات الأكاديمية Deursen وآخرون 2015. انظر أيضًا Elhai وآخرون 2020.
4 Edwards 2018. أيضًا في حديث على الإذاعة القومية للتليفزيون والراديو بأيرلندا RTÉ News at One في 15 يناير 2020، أشار ديفيد كوشراين المحرر الإلكتروني لجريدة (أيريش تايمز) *Irish Times* أن 66 بالمئة من الشعب الأيرلندي يملكون حسابات على فيسبوك وأن أكثر من النصف منهم يستخدمونه يوميًا، كما قال أن فيسبوك يمثل أحد الطرق الرئيسية التي يصل بها مرشحو الانتخابات للمصوتين. أشار كوشراين أيضًا إلى أن أعداد مستخدمي الفيسبوك تناقصت في 2018، وهو ما عزاه كوشراين لتخوفات بشأن الخصوصية. وعلى الرغم من ذلك فقد ارتفع هذا العدد مرة أخرى منذ ذلك العام. انظر News at One 2020.
5 استخدمت كامبريدج أناليتيكا – وهي شركة مملوكة للمياردير صندوق التحوط [hedge fund] روبرت ميرسر – بيانات شخصية مأخوذة من على موقع فيسبوك دون التخويل لها لفعل ذلك في أوائل عام 2014 لبناء مخطط توصيفي لـ50 مليون مصوت أمريكي بغرض توجيه إعلانات سياسية مخصصة لهم. انظر Cadwalladr و Graham-Harrison 2018.
6 Mugerwa and Malaba 2018.
7 Boylan 2018.
8 Al Jazeera 2017.
9 Bikoko 2017.
10 Bikoko 2017.
11 Jiang 2012.
12 Wang 2016, 129– 30.
13 Chen and Ang 2011.
14 بشكل أكثر عمومًا انظر Morozov 2012.
15 Hirshauga and Sheizaf 2017.
16 (الجارديان) *The Guardian* [تحريري] 2013. تم أيضًا أخذ إجراءات قانونية للتصدي لبرامج المراقبة العامة وقوانين المراقبة الموجودة، أسفرت القضيتان المترابطتان (الحقوق الرقمية بأيرلندا) *Digital Rights Ireland* و (سايتلنجر وآخرون ضد أيرلندا)*Seitlinger and Others v Ireland* عن إبطال قرار الاحتفاظ بالبيانات الذي أصدرته محكمة العدل للاتحاد الأوروبي. انظر Court of Justice of the European Union 2014.
17 De Pasquale وآخرون.
18 Servidio 2019.

19 The Local 2019.
20 Scancarello 2020.
21 Merola 2018.
22 Wired Italy 2019. ذكرت وايرد استطلاع الرأي الأصلي الذي أجرته شركة إبسوس Ipsos ونشرته أمبليفون Amplifon باسم (الشيخوخة الذكية: التكنولوجيا ليس لها سن).
23 Wang 2016, 25.
24 Hughes and Whacker 2003.
25 Fan 2018 and Sina Technology Comprehensive 2019.
26 Luo 2014.
27 Huang 2019.
28 Ito 2005.
29 يوجد في البرازيل أيضًا قانون يلزم بوضع سماعات الأذن عند استخدام الأجهزة التي تصدر الموسيقى في المواصلات العامة بما في ذلك الهواتف المحمولة. انظر قاعة مدينة ساو باولو 2013 [Prefeitura de Sáo Paulo].
30 على سبيل المثال Shirky 2015.
31 Long 2012.
32 البيانات من تقارير شركة آب آني App Annie مع تقرير شركة إريكسون Ericsson، انظر Kemp 2020. انظر Tiongson 2015.
33 انظر Tiongson 2015.
34 Petsas وآخرون .2013
35 يوجد في الصين سياسة تلزم باستخدام الأسماء الحقيقية على حسابات التواصل الاجتماعي.
36 Kumar 2014.
37 ليس هذا الوضع متطابقًا، فهناك حجم أكبر من الإعلان في البرازيل على سبيل المثال.
38 الحكومة البرازيلية ٢٠٢٠ [Governo Federal].
39 يتم مشاركة ميمات مماثلة في بنتو.
40 ويز Waze هو تطبيق للسفر والتنقل والذي تم تطويره في إسرائيل وإطلاقه في البرازيل في ٢٠١٢. انظر Grupo Casa 2012.
41 انظر McIntosh 2010.
42 Vieira 2019 or de Sousa Pinto 2018.
43 يزعم Guess وآخرون أن الناس فوق سن الـ 65 يشاركون تقريبا ما يعادل سبعة أضعاف عدد المقالات الصادرة من النطاقات المزيفة بالمقارنة بالفئات الأصغر سنًا. رغم أن هذا ينطبق على البرازيل، إلا أن هذا الدليل جاء في الأصل من دراسة أمريكية.
44 Monnerat 2019.
45 DataSenado 2019.
46 معهد رويترز [Reuters Institute] ومعهد أكسفورد للإنترنت [Oxford Internet Institute] 2019.
47 Simoni 2019.
48 لمثال على كتاب من الكتب التي تدعي أنها تقدم تقييمًا شاملًا لتأثير الهواتف الذكية انظر Carrier 2018.
49 Burgess 2004.
50 أصبح عندنا الآن تغطية عامة معقولة للكيفية التي تؤثر بها منصات التواصل الاجتماعي في السياسة، وفي Bruns et al. 2018 و Margetts et al. 2016 مثالان على هذه التغطية.
51 تشمل الأمثلة Pariser 2012، وللتهديد الأعم للديمقراطية انظر McNamee 2019.
52 تشمل الأمثلة كتاب عالم الرياضيات ديفيد سمبتر؛ انظر Sumpter 2018 أو Bruns 2019.
53 على سبيل المثال Price 2018 و Burke 2019.
54 انظر Sutton 2020.
55 Standage 2013.
56 كما وُجد في عمل ميلر السابق في المدارس كجزء من دراسته لمنصات التواصل الاجتماعي في قرية إنجليزية. انظر Miller 2016, 123– 36.
57 Jovicic، قيد المراجعة.
58 Headspace 2020. يأتي هذا من شركة رعاية صحية إنجليزية أمريكية متخصصة في التأمل من خلال ذلك التطبيق.
59 Albarrán-Torres and Goggin 2017.
60 Denworth 2019.
61 Boyd 2014.
62 Clark 2013.
63 Lim 2020.
64 على سبيل المثال Livingstone 2009 و Livingstone and Sefton-Green 2016.
65 انظر مدونة (التربية من أجل مستقبل رقمي).

الفصل الثالث
الهاتف الذكي في سياقه

المواقع الميدانية: **بنتو** - ساو باولو، البرازيل. **دار الهوى** - القدس الشرقية. **دابلن** - أيرلندا. **لوسوزي** - كامبالا، أوغندا. **كيوتو وكوتشي** - اليابان. **نولو** - ميلانو، إيطاليا. **سانتياغو** - تشيلي. **شنغهاي** - الصين. **ياوندي** - الكاميرون.

الهواتف الذكية كأشياء

قبل أن نتناول استخدام الهاتف الذكي في التواصل يجب أن نعترف بحضوره كشيء مادي، فمن الممكن لماديته أن تهم بعض الشعوب أكثر من غيرها ولأسباب مختلفة. يدرك معظم الإيطاليين على سبيل المثال أنهم معروفون بالأناقة،[1] وربما لم تكن مصادفة أن بعضًا من أكثر الأعمال الشيقة حول الهواتف الذكية كعناصر للموضة كانت أعمال عالم الاجتماع الإيطالي ليوبولدينا فورتوناتي.[2] تقع نولو داخل ميلانو وهي المدينة التي يرتبط اقتصادها ارتباطا وثيقًا بالأناقة والموضة وينطبق فيها مفهوم الأناقة على محتويات مثل الشاشة والمظهر الخارجي والإضافات أو الإكسسوارات، أما في أماكن أخرى فالجانب المادي الذي يهم في الهواتف الذكية هو التكلفة، ولا يعني هذا تكلفة السماعات فقط ولكن أيضًا القدرة على توفير اتصال البيانات أو الواي فاي بالإنترنت.

تعيش الأرملة الوحيدة إلينورا في ميلانو، وهي جدة نشطة وتحضر أحفادها كل يوم من الحضانة وتعتني بهم حتى يأتي آبائهم من العمل في حوالي الساعة السابعة وتنسق تلك المهام مع الآباء من خلال هاتفها الذكي. هاتف إلينورا الذكي هو أيضا مقامًا بصريًا لأحفادها، فخلفية الشاشة عبارة عن صورة لهم في واحدة من إجازاتهم كما أن هناك صورًا أخرى لهم ملصقة بالهاتف من الخلف. يشبه الكولاج الذي صنعته باب ثلاجتها الزاخر بالصور والذكريات التي يتم استعمالها كمغناطيس. أصبحت الثلاجة التي تطعم أحفادها منها والهاتف الذكي الذي تتواصل مع عائلتها من خلاله مواضعًا لرؤيتهم حتى في الأوقات التي لا يتواجدون فيها معها بشخصهم.

في اليابان يمكن أن تعبر بيوت الهواتف الذكية وأي حلى تتدلى منها عن الحس الجمالي الشخصي. اختارت السيدة ميدوري مثلا - وهي مغنية في الستينات من عمرها وترتدي ثيابًا زاهية - بيتاً لهاتفها تشعر أنه يعبر عن شخصيتها المرحة المفعمة بالأنوثة، وهو جرابًا بلاستيكيًا يصور البطة ديزي ويتدلى منه حلى على شكل أحمر شفاه وحذاء ذا كعب عالي [الشكل 3.1]. يختار الناس في الأغلب جرابات لها هيئة الدفتر والتي توحي بالجدية وتكون عادة مصنوعة من الجلد وهي أيضًا توفر الحماية لشاشاتهم، وكانوا عادة ما يضعون بطاقات التعارف في جيب داخلي من الجراب. أوضحت سيدة أخرى في الستين من عمرها أنها لا ترتدي الملابس الملونة أبدًا ولا الملابس التي تعطي مظهر



3.2 بيت تليفون أحمر اللون والذي اعتبره كاهن بوذي شيئًا غير لائق وأوضح أن زوجته كانت تستخدمه في السابق. تصوير لورا هابيو-كيرك.



3.1 مغنية محترفة في العقد السادس من عمرها تستخدم تمائم الحظ على هاتفها الذكي لتظهر بصورة معينة. تصوير لورا هابيو-كيرك.

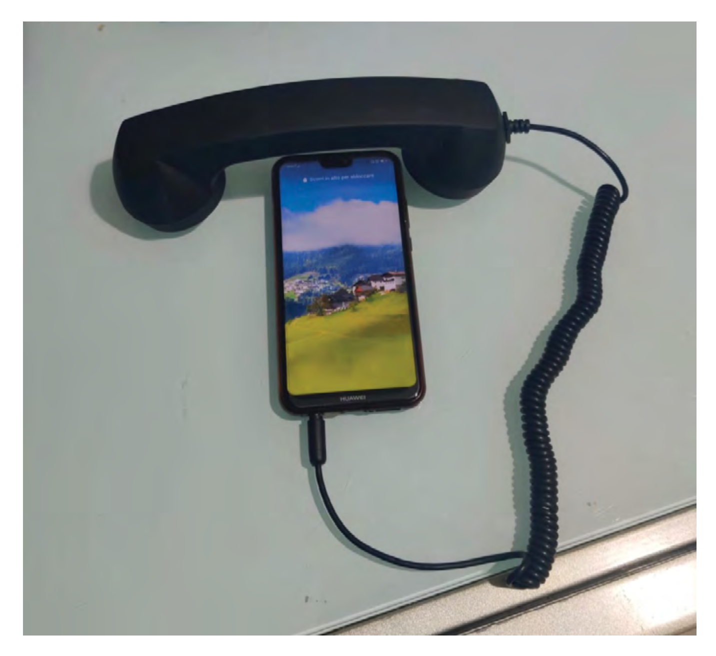
«الشباب» لأنها تشعر أنها غير لائقة في عمرها، وبالمثل كان جراب هاتفها الذكي امتدادًا لجماليات ملائمة العمر تلك فأخذ التصميم البسيط الذي يبدو كالدفتر.

تشارك العديد من المشاركين في البحث من النساء والرجال هذا الاهتمام بعدم الظهور بمظهر مبهرج خاصة مع التقدم في العمر. تظهر الصورة أدناه منشور نشره السيد سوادا – وهو كاهن بوذي في الستينات من عمره من كيوتو – على فيسبوك يوضح فيه لأصدقائه السبب الذي يجعله يستخدم بيتا أحمر اللون والذي يعتبره مبهرجًا [الشكل 3.2]، وكتب فيه أن الجراب كان لزوجته ولكنه الآن يستخدمه بدلًا من جرابه الأزرق القديم الذي بلي. وقال السيد سوادا أيضًا أنه حاول أن يجعل الجراب الجديد يبدو أقل بهرجة فقام بإضافة شريط تجليد الكتب إليه وطلب من أصدقائه تفهم موقفه إذا رأوه به.

بالنسبة لأونونو – وهو شرطي من لوسوزي – ترتبط زينة هاتفه بدينه المسيحي، فهو يضع صورة المسيح كخلفية لشاشته «من أجل الحماية»، ويضيف قائلًا: «إذا كان لديك أي مشكلة فقط ضع هذه الصورة وأبقي الأنوار مضاءة»؛ ولقد اختار أونونو هذه الصورة من متجر ألعاب جوجل. يضع أونونو في الليل صورة للمسيح على الصليب بغرض الحماية الاستثنائية ويغير هذه الصور باستمرار ليعبر بها عن الفصول مثل عيد الميلاد أو عيد الفصح. يعلق أونونو هذه الصورة أيضًا على سريره إذا سمع أخبارًا سيئة أو انتابته أحلامًا مزعجة.

يمكن للأشخاص أن يتوصلوا لإمكانات لطيفة وإبداعية، فمثلًا قامت إليسا التي تعيش في نولو بمدينة ميلانو بتجربة توصيل هاتفها الذكي بسماعة مصممة للخطوط الأرضية [الشكل 3.3]. أعطي هذا لإليسا رابطًا ملموسًا بين القدرة على التحدث لـ«وقت غير محدود» من خلال واتساب وفي نفس الوقت الإحساس بالألفة التي تشعر بها مع الهاتف الأرضي.

يمثل كلًا من هذه الأمثلة نوعًا من الاستئناس الجمالي للهواتف الذكية[3] ويجعلها تبدو أقرب للإكسسوار الذي يضاف للأناقة. الوجه الآخر لاصطدام الهاتف الذكي بنا كشيء هو الحاجة إلى وضعه في مكان ما أثناء استخدامه أو حتى



3.3 هذا الجهاز – الذي يعتبر في المنتصف بين التليفون الأرضي والهاتف الذكي المتصل بالإنترنت – قامت بتجميعه إليسا وهي إحدى المشاركات في الدراسة. تصوير شيرين والتون.

أثناء حمله، وهو ما يمكن أن يمثل عبئًا أحيانًا. تتطلب أحد المهام اليومية لدينا – التي هي في الأصل من مصر ولكنها تعيش الآن في نولو – الإمساك بهاتفها للتحدث لأقاربها وأصدقائها أثناء اعتنائها بابنها ذي الأربع سنوات أو السير ودفع عربة التسوق في نفس الوقت. مثلها مثل الكثير من النساء في نولو اللائي يرتدين الحجاب اكتسبت دينا عادة دس هاتفها في غطاء رأسها وهو ما يمكنها من إرضاع طفلها أو استخدام ماكينة الخياطة أثناء التحدث في الهاتف.

الهاتف الذكي والمكانة

كانت يوكو هي الطالبة الوحيدة التي حضرت للدورة التدريبية على واتساب التي قدمتها ماريليا في بنتو القريبة من ساو باولو بهاتف آيفون، ولقد برز بوضوح على الطاولة حيث وضعته. بسبب تصميمه وسمعته وسعره كان هاتف الآيفون الخاص بيوكو يعطيها الشعور بأنه نوع من أنواع الدلالة على المكانة الاجتماعية مما سبب لها مشكلة لأنها شعرت أنها تحت ضغط أن تستخدمه بكفاءة عالية حتى تضاهي وجاهته. كان الحل بالنسبة ليوكو هو إخبار الآخرين أنها لم تشتر هذا الهاتف بنفسها، فهو مثله مثل معظم هواتف الآيفون التي يستخدمها الكبار في بنتو أعطاه لها أبناءها.

يمتلك معظم الناس في ياوندي اثنين من الهواتف الذكية، وهذا يرجع جزئيًا لوجود العديد من الشبكات التي تختلف في درجة جودتها في مناطق الكاميرون المختلفة. ويوضح مدرس ثانوي من ياوندي قائلًا:

في بعض الأحياء لا ترى إلا الشركتين الرئيسيتين أورنج و [MTN]. ولكنك تجد نفسك مرغمًا على امتلاك خط ثالث والذي يمكن أن يكون نيكستل أو حتى كامتل. لدى البعض من أصدقائي شريحتين أو ثلاثة، وهم يعتقدون أن هذا حلًا جيدًا.

يمكن لامتلاك عدة هواتف أن يشير للثراء وأن يدعو للاحترام ولكن يحدث هذا فقط إن كان أحد تلك الهواتف من ماركة مرموقة، ولكن حتى هذه لا تقول الكثير عن كبار السن من المستخدمين الذين غالبًا ما يأخذون هذه الهواتف من أبنائهم الذين يستبدلونها بهواتف أحدث كما في حالة يوكو. من الشائع في ياوندي أن يضع الناس هواتفهم على مرأى من الجميع. يضع الكبار ممن يعانون في الحركة هواتفهم على الطاولات أو على أي سطح آخر يمكنهم الوصول إليه بسهولة، بينما يهتم الشباب بالمظهر وعادةً ما يطبعون صورهم الشخصية على الجراب وربما كان حملهم للهواتف في أياديهم أو جيوبهم هو ما شجع على انتشار نشل الهواتف في المدينة.

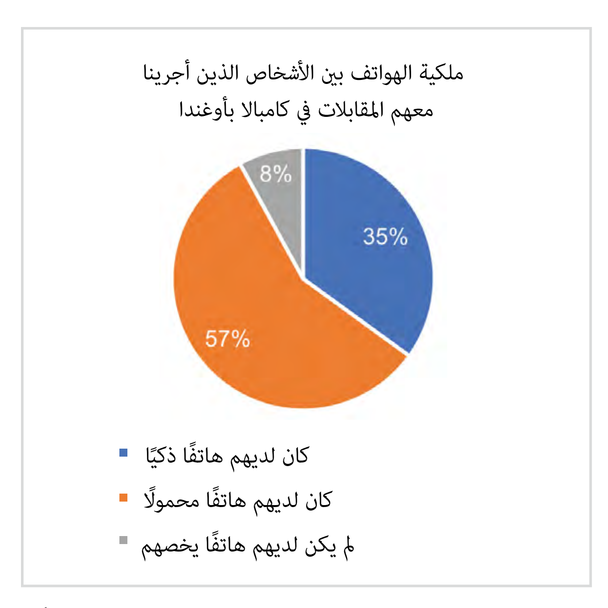
اكتشفت ماري – وهي أرملة كانت تعمل سابقًا كمدرسة في ياوندي – أن الهواتف القديمة المهداة للكبار تكون أحيانًا غير صالحة ولا يمكن الاعتماد عليها. لدى ماري تسعة أبناء وقد أهدوها خمسة هواتف بالفعل، ولكن هذه الهواتف تعطل سريعًا خاصة حينما يستخدمها الأحفاد ومن ثم يكسرونها. يشكل هذا عائقًا كبيرًا في طريق محاولاتها لتعلم كيفية استخدام الهواتف الذكية، وهو أيضًا شيئًا مزعجًا جدًا لها لأن الهاتف يعطل عن العمل بعد أن تكون هي قد اعتادت واعتمدت على وظائفه المختلفة، مثل المنبه الذي هو ضروريًا جدا لأنظمة العلاج المعقدة الخاصة بها ومثل واتساب وسكايب وقدرة الهاتف على الاحتفاظ بالصور.

المكانة الاجتماعية ليست هي البعد الاجتماعي الوحيد الذي تعكسه الهواتف. في اليابان مثلًا – حيث أصبحت الهواتف المحمولة متصلة بالإنترنت منذ أوائل القرن الواحد والعشرين – تظل الهواتف ذوات المميزات المحدودة [الجاراكي] بتصميمها المميز ذا النصفين اللذان يفتحان ويغلقان على بعضهما شائعة الاستخدام خاصة بين المشاركين الأكبر سنًا.[4] كنا غالبًا نجد أن استخدام الهواتف الذكية يختلف باختلاف النوع، حيث كانت للمشاركات شبكات اجتماعية من الأقارب والأصدقاء خارج العمل أكثر قوة من شبكات المشاركين وكن يملن لتحديث هواتفهم للهواتف الذكية ولحضور الدورات والفصول التدريبية عنها على عكس المشاركين الذين كانوا يميلون للاحتفاظ بالجاراكي أو حتى بالتليفونات الأرضية كوسيلتهم الأساسية في التواصل. أوضح أحد المشاركين من كيوتو والذي يبلغ الستين من عمره أنه احتفظ بالجاراكي الخاص به حتى الآن وقد أصبح لديه هاتفًا ذكيًا أيضًا، والسبب في ذلك أن الجاراكي يحتوي على أرقام كل معارفه من العمل التي هي مهمة لهويته المهنية.

تكاليف الهواتف الذكية

بينما أصبحت الهواتف الذكية تستخدم في كل مكان إلا أنه يظل هناك فاصلًا رقميًا كبيرًا بين هؤلاء الذين يستطيعون شرائها وهؤلاء الذين لا يقدرون على تكاليفها. في لوسوزي كان غالبية المشاركين لايزالون يستخدمون الهواتف المحمولة وليس الهواتف الذكية كما نرى في هذا الرسم البياني الدائري القائم على 204 شخص متوسط أعمارهم 51 سنة [الشكل 3.4]. أحد الـ19 شخصًا الذين أجابوا عن استبياناتنا لم يكن معه هاتف و15 منهم سرقت هواتفهم و4 لم يسبق لهم حيازة الهواتف من قبل.

تصنع عدم استطاعة شراء الهاتف الذكي فارقًا كبيرًا هنا خاصة مع كونه نقطة الاتصال الأساسية بالإنترنت[5] حيث أن 3 بالمائة فقط من الأسر في لوسوزي لديها كمبيوتر يعمل.[6] رغم ذلك تستطيع أقلية متزايدة شراء الهواتف الذكية الرخيصة الآن مثل ذلك الهاتف الذي تبيعه شركة تكنو الصينية بـ 12,50 جنيهًا إسترلينيًا، وتصبح هذه الهواتف هي



3.4 استطلاع ميداني قامت به الباحثة شارلوت هوكينز. احتسبت النسبة المئوية استنادًا إلى 204 مجيب عن الاستطلاع.

الوسيلة الأرخص للاتصال بالانترنت.[7] لكن هناك تكاليف أخرى لاحقة، وربما كانت هذه الأنواع الرخيصة تحتوي على سعة تخزينية محدودة للرسائل والصور. لقد وجدنا أن حيازة الهواتف الذكية ترتبط بأشكال أوسع من عدم المساواة فيما يتعلق بالسن والنوع[8] وإذا ما كان الشخص يعيش في المدينة أو في الريف.[9]

يمتلك 19,1 مليون مواطن كاميروني اشتراك للهاتف المحمول وفقًا لاستطلاع رأي عالمي.[10] يملك معظم أفراد الطبقة الوسطى الآن هاتفًا ذكيًا حتى وإن كان مستعملًا أو منخفض الجودة، وهذا بفضل إنخفاض أسعار الهواتف الذكية لأسعار بمتوسط 54 جنيهًا إسترلينيًا في 2014 و 36 جنيهًا إسترلينيًا في 2018. يقلق الناس من مدى تحمل واستمرارية تلك الأجهزة نظرًا لأسعارها الرخيصة، حيث يشير الناس لهواتفهم من تلك النوعية أحيانًا بلفظ «ثورونكو» أي ماركة غير ذات ثقة. يجد المستخدمون أنفسهم أحيانًا وقد صرفوا أموالًا أكثر لأنهم ابتاعوا سماعة رخيصة، ولكن هذه الهواتف الذكية البسيطة توفر لهم الاتصال بتطبيقات واتساب وجوجل من أجل الحصول على المعلومات وبتطبيق يوتيوب كذلك، وهذا الاتصال مهم حيث أن كبار السن يقضون أوقاتًا كثيرة في مشاهدة الفيديوهات على هواتفهم.

كما في لوسوزي يجد الأشخاص الذين يملكون هاتفًا ذكيًا من ماركة رخيصة مشاكل في التخزين أو ذاكرة الـ [RAM]، وهو الأمر الذي يجعل حصولهم على أحدث الأنظمة والتطبيقات محدودًا. لاحظ أستاذًا جامعيًا يملك هاتف من ماركة آيفون أن السعة التخزينية في هاتفه نفذت عندما انتهى من تثبيت تطبيقاته المفضلة [فيسبوك، وواتساب، وتطبيق لصور الكولاج من إنستاجرام، وفوتو جريد، ومراسلات لينكد إن، وجي ميل، وياهوو، وتطبيقات أخرى].

لم يقتصر وجود التكلفة كعامل يحول دون الاتصال بهذين الموقعين الميدانيين فقط. في البرازيل كان هناك انتشارًا ملحوظًا في استخدام الهواتف الذكية بين الأشخاص ذوي الدخول المنخفضة بعد إطلاق موتورولا لموديل الهاتف [Moto G] في 2013. في اليابان قال العديد من المشاركين أن السبب في أنهم لا يملكون هاتفًا ذكيًا هو تكلفة الباقات الشهرية، ولقد أصدرت الحكومة وثيقة تهدف لتقليل تلك التكلفة[11] مما نتج عنه طوابيرًا طويلة أمام الكثير

من متاجر الهواتف المحمولة في كيوتو والتي بدورها أعلنت عن خصومات كبيرة على الهواتف الذكية. تزامن هذا الضغط من الحكومة لجعل الهواتف الذكية متاحة بشكل أكبر مع الدفع في اتجاه المزيد من الرقابة من خلال نظام رَقْمي جديد للضمان الاجتماعي والضرائب والذي يدعى «رَقَمي» والذي يربط بيانات الضمان الاجتماعي للمرء ببياناته المالية والطبية. أخيرًا، هناك مواقع ميدانية مثل دابلن ينتشر فيها هواتف الآيفون وسامسونج جالاكسي عالية المستوى، ولأن الجميع تقريبًا في هذه المواقع يستطيعون شراء الهواتف الذكية لذلك لا يوجد ذلك الشعور بالتنافسية حول المكانة الاجتماعية.

مشاكل الاتصال

تفتح الهواتف الذكية المجال للمزيد من الفواصل بين الناس بسبب قدرة البعض على الاتصال بالإنترنت دون غيرهم. يتطلب استخدام جيجابايت واحدة من البيانات في اليوم باقة أسبوعية تصل لـ 14 جنيهًا إسترلينيًا. عادة ما ينفق ذوو الدخل المنخفض من المشاركين ما يقرب من 3,50 جنيهًا في الشهر للاتصال بالإنترنت بينما ينفق المشاركون من الطبقة الوسطى حوالي 10 جنيهات. يتوفر اتصال الواي فاي في مواقع ميدانية أخرى مثل سانتياغو في أماكن كثيرة مجانًا مثل محطات المترو والمكتبات العامة والميادين. في دابلن يستطيع كبار السن من المشاركين شراء الباقات الشهرية بسهولة، ولكن الكثير منهم كانوا لا يعرفون الفرق بين اتصال الواي فاي واتصال البيانات إلا بشكل مبهم وكانوا غالبًا ما يردون على أسئلتنا عن تحميل الأفلام بأنهم لا يقومون بتحميل الأفلام بواسطة الواي فاي المنزلي ظنًا منهم أن هذا يتطلب تكلفة إضافية. يرتبط هنا الفاصل الرقمي القائم على السن بالمعرفة وليس بدخل المرء.

في لوسوزي كان السبب الآخر لعدم امتلاك بعض المشاركين الهواتف هو التكلفة الباهظة للتصليح أو الاستبدال. تعرف تكلفة المكالمات محليًا باسم «وقت البث»، وفي استبيان أُجري على 50 شخصًا يمتلكون هواتفًا محمولة وُجد أن 74 بالمائة منهم يملؤون «وقت البث» أي يشحنون رصيد هواتفهم بأصغر الباقات المتاحة التي تتكلف ما بين 20 و 40 بنس عند الحاجة وبقدر الحاجة؛ قال مجيب واحد فقط عن الاستبيان أنه يملأ وقت البث الخاص به بما يعادل 20 جنيهًا شهريًا. ما يعنيه هذا هو أن معظم مستخدمي الهواتف الذكية لا تكون لديهم إمكانية إجراء المكالمات أو الاتصال بالإنترنت على الأقل مرة في اليوم، وبسبب هذه القيود تستخدم الهواتف بشكل مقنن. من الممكن مثلا أن يتجنب هؤلاء المستخدمين مجموعات الواتساب ويستعيضون عنها بطرق المراسلة الأقل استخدامًا للبيانات، وهم نادرًا ما يستخدمون إنستاجرام ويوتيوب ويفتحون اتصال البيانات فقط حين يستخدمونه.

أثناء عملنا الميداني في أوغندا كانت شركات الاتصالات قد سبق لها أن أوقفت بيع بطاقات الخدش لإعادة شحن وقت البث، وهي الطريقة التي كانت مستخدمة بشكل رئيسي خاصة في المناطق الريفية. كان هذا يعتبر تحديًا بالنسبة لـ 31 من أصل 50 مشارك في البحث الخاص بشارلوت وهو ما أفرز تعليقات مثل «من الصعب الحصول على وقت البث، خاصة في الليل» و«إنه شيء فظيع أن تضطر للسير لمسافات كبيرة بحثًا عن وقت البث». يضطر الأشخاص في القرى الآن للذهاب لأقرب مركز تجاري في كل مرة يرغبون فيها في إعادة شحن وقت البث الخاص بهم.

كانت بيوت معظم المشاركين في لوسوزي مزودة بالكهرباء، والذين لم يكن لديهم كهرباء في منازلهم كان يمكنهم شحن هواتفهم في أماكن الشحن في المتاجر أو في محلات صيانة الهواتف أو في كافيهات الإنترنت في مقابل ما يعادل 11 بنس بينما كان يفضل آخرون شحن هواتفهم في أماكن عملهم. غالبًا ما كنا نجد تقدير من هؤلاء الناس لبطاريات الهواتف المحمولة القديمة الأطول عمرًا نسبيًا حيث استبدل أحد كبار السن هاتفه الذكي بـ «هاتف صغير» موضحًا أنه يفضل ألا يقلق بخصوص شحن الهاتف. ألواح توليد الطاقة الشمسية هي المصدر الرئيسي

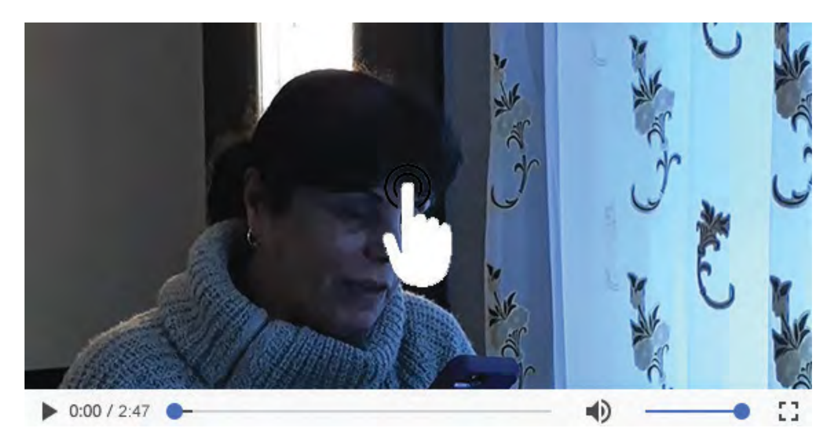
للكهرباء في شمال أوغندا، وينتظر الناس في القرى دورهم لشحن هواتفهم. مثلا هناك تلك السيدة التي يمثل الهاتف لها وسيلة الاتصال بأبنائها وأقاربها ولهذا فقد اشترت لوحًا شمسيًا كلفها 11 جنيهًا إسترلينيًا لغرض وحيد هو شحن هاتفها الذي يمكنها أن تنتظر لساعتين أو ثلاثة حتى يتم شحنه.

تنطبق مشاكل الاتصال تلك على الطبقة الوسطى في ياوندي أيضًا. يحب الكثير من المشاركين ألعاب الفيديو، ولكن تلك الألعاب تتطلب اتصالًا ثابتًا بالإنترنت وبعض الصبر لتحميلها. تحتوي منطقة وسط أفريقيا التي تقع الكاميرون بها على أدنى مستوى من تغطية الإنترنت حيث بلغت نسبة النفاذ للإنترنت 25 بالمائة فقط في 2018,[12] تتصدر الكاميرون هذه التغطية في المنطقة، ولكنها لازالت تتخلف عن بقية أفريقيا[13]. تتطلب متاجر التطبيقات مثل متجر ألعاب جوجل أو متجر آبل حسابات للعملاء والتي لا يعرف بعض مستخدمي الهواتف الذكية كيفية إدارتها خاصة أنهم أحيانًا يكتشفون أن الكاميرون لا تقع ضمن «المنطقة المصرح لها» استخدام تطبيق ما،[14] فتبدو لهم العملية «فنية جدًا وطويلة جدًا ومتطلباتها كثيرة جدًا» حيث تحتاج أرقام بطاقة ائتمان وأرقام تعريف آبل وأشياء أخرى ربما كانوا لا يعرفونها. في مفارق الطرق وفي الأسواق تجد «المحملين» [graveurs] الذين يقومون بتصليح الهواتف المعطلة ويستطيعون أيضًا إنشاء حسابات وهمية تظهر صاحب الحساب وكأنه من فرنسا وليس من الكاميرون حتى يكون للحساب صلاحيات أكبر.

أحيانًا ما تعكس مشاكل الاتصال نوعًا من الإعاقة أيضًا. ليلى عبد ربه التي تقيم بدار الهوى – وهي إحدى مؤلفي هذا الكتاب – كفيفة منذ طفولتها بسبب مرض أصابها في العين. لا تتذكر ليلى سوى القليل عن الوقت الذي سبق فقدانها لبصرها، وهي قد تعلمت القراءة والكتابة بطريقة برايل بسرعة كبيرة وتخرجت من الجامعة وواصلت دراستها حتى الدكتوراة. حتى عام واحد مضى كانت ليلى تملك هاتفًا بسيطًا «غبيًا» لا يتصل بالإنترنت، وكانت قد علمت نفسها كيف تستخدم أزراره وترسل الرسائل وتتصل بمن تريد، ولكنها لم يكن لديها وسيلة لمعرفة هوية من يتصل بها وكانت دائما تعتمد على التخمين. جعل الهاتف حياتها أسهل رغم كل ذلك، فعندما تركت ليلى المنزل كان لايزال بوسعها التواصل مع عائلتها متى أرادت أو أن تطلب سيارة أجرة عن طريق الاتصال وليس المراسلة، ولكن كان هذا هو أقصى ما يمكنها فعله بالهاتف.

ابتاعت ليلى هاتفها الذكي الأول قبل انضمامها لهذا المشروع البحثي بسنة واحدة، وقد اختارت آيفون لأنه قيل لها أن هواتف الآيفون بها أنظمة داخلية صوتية ممتازة للمكفوفين. اشترت ليلى هذا الهاتف من مالها الخاص بالإضافة لمنحة حكومية مقدمة من إسرائيل للمكفوفين، وللمستفيدين ماديًا من هذه المنحة الحق أيضًا في الحصول على إرشاد مجاني من متخصص في استخدام المعاقين للأجهزة الرقمية. أعطاها هذا المتخصص ثمانية جلسات في منزلها استغرقت كل جلسة منهم ساعتان، وهو لم يكن بالتدريب السهل لأنه كان لابد لليلى أن تنتظر بصبر حتى يلفظ الصوت ما تنقره هي على الشاشة فيتفعل الصوت، وكان هناك بضع ثوان من التأخير بين ما يظهر على شاشة الهاتف وما يصفه الصوت. كان من الصعب جدًا اعتياد هذه الوقفات في جهاز يتميز بالاستجابة الفورية بالنسبة للآخرين.

عند نقطة ما يصبح الصوت غير محتملًا بالنسبة لليلى، وكثيرًا ما تسكته بنقرتين على زرار التشغيل على الشاشة. لا تكون القراءة سلسة دائمًا وغالبًا ما تحتوي على أشياء لا تهمها مثل قراءة رموز الجي ميل التي لا علاقة لها بما تريده. رغم ذلك غير الآيفون حياة ليلى وجعل التواصل مع أقرانها المتخصصين ومع من تعرفهم من المكفوفين أسهل كثيرًا، وسواء كان للمسنجر أو للإيميل فالنظام الصوتي يقرأ ويكتب بدرجة جيدة جدًا. لكن تأتي الصعوبات التي تواجه ليلى من الجانب البصري للهاتف الذكي، فهي بالطبع لا تستطيع رؤية الصور ولهذا تقول: «ليس عندي تطبيق إنستاجرام ولا أريد أن أنشئ حسابًا، فلماذا أفعل؟». ومع ذلك تضم مجموعة الواتساب الخاصة بها أشخاصًا غير مكفوفين وعادة ما يتشاركون إرسال الصور، وهو أمر محبط بالنسبة لليلى لأنها لا تستطيع رؤية هذه الصور ولهذا



3.5 فيلم: (هاتف ليلى الذكي). متاح من خلال http://bit.ly/lailasmartphone.

تطلب منهم أن يصفوها لها. تضيف ليلى: «أستمع للقرآن أيضًا وأبحث عن المواد مثل الأخبار على جوجل بسهولة أكبر، ولكنني لا أعرف كيف ألتقط الصور على الآيفون». الشئ الآخر الذي ساعد ليلى كثيرًا هو القاموس، وتوضح فتقول: «عندما أريد البحث عن معنى كلمة سواء كانت في اللغة العربية أو الإنجليزية فإنني أستخدم الآيفون».

تتحدث ليلى في هذا الفيلم القصير عن تجربتها في استخدام الهاتف الذكي أثناء بحثها مع مايا من أجل هذا الكتاب [شكل 3.5]:

> أحيانًا أنقر بطريق الخطأ على زر ما أو أنقر عليه عدد مرات أكثر مما ينبغي فأدخل على ال آي كلاود بدلًا من الجي ميل، وعندها تساعدني زوجة أخي وتنقر على الأزرار الصحيحة. أحيانًا يختفي الواتساب ولا أستطيع أن أجده فأطلب من شخص ما إصلاح هذا الخطأ.

من الواضح أن أكثر ما يهم ليلى هو أن تكون قادرة على المضي قدمًا في أبحاثها وأنشطتها الأخرى بمفردها وألا تضطر لطلب المساعدة من الآخرين في كل مرة تحتاج فيها لضبط وظيفة من وظائف هاتفها أو لتخطي مرحلة ما ولا تستطيع فعل هذا بدون رؤية الشاشة. تجد ليلى استخدام التطبيقات أكثر سهولة من استخدام الجهاز نفسه، وهذا بسبب أن الواجهة الأساسية للهاتف الذكي هي ما يشعرها أنها إن نقرت على الشاشة بطريقة خاطئة وذهبت إلى المكان الخطأ فهي لا تستطيع أن تعود للنقطة التي بدأت منها بدون طلب المساعدة. ومع هذا فهي في هذه المرحلة تحب هاتفها الذكي الذي يحبطها أحيانًا أكثر من الكمبيوتر الذي كانت تستخدمه بشكل أساسي في السابق.

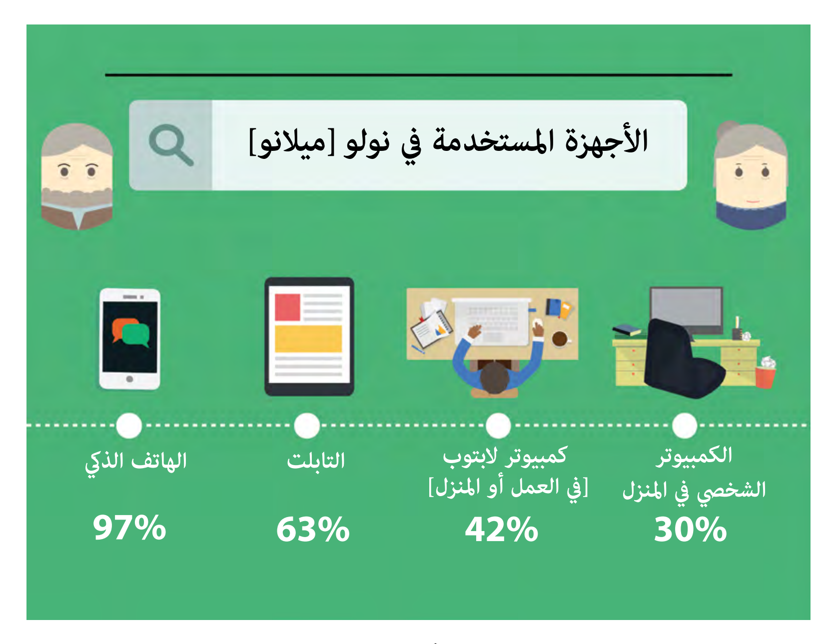
هناك من الأسباب ما جعلنا نضع هذا القسم الذي نتحدث فيه عن التكلفة والاتصال بعد القسم الذي تحدثنا فيه عن الهاتف الذكي كشيء مادي مباشرة، فالتكلفة هي ما تجعل خصائص الهاتف الذكي المادية في المقدمة. يقول هوبيز[15] في دراسته عن الهاتف الذكي في منطقة لاو لاجون في جزر سليمان أن المفتاح لفهم الهاتف هو شريحة الذاكرة. ولاحظ دونر في كتابه (بعد الاتصال) تأثير إنفاق الناس على استخدام هواتفهم الذكية بما في ذلك انتشار «العقلية المقياسية» التي نراها عندما «يدرك الناس التكلفة التزايدية لاستخدام أجهزتهم»[16]. أوضح الكثير من المشاركين في لوسوزي على سبيل المثال كيف وافقوا ووائموا استخدامهم لمنصات التواصل الاجتماعي لتقليل تكلفة اتصال البيانات في نفس الوقت الذي نرى فيه بائعي وقت البث وقد أصبحوا معلم بارز من معالم المشهد الحضري في كامبالا وياوندي. الاستماع إلى التحديات التي تواجهها ليلى ينبهنا إلى المشاكل التي تأتي من النقر نقرة واحدة خاطئة وإلى تلك التكنولوجيا التي تدير واجهة الهاتف الذكي، وفي أغلب الأحيان ترتبط المادية بالأشياء التي لا يتسنى للناس إلا ملاحظتها. تؤثر هذه النقاشات

على مفهومنا عن الهاتف الذكي نفسه، فهو لم يعد مجرد منصة من الإمكانات اللانهائية بل أصبح أيضًا أداة تستخدم بإدارة حاذقة للأولويات من أجل تحقيق أهداف محددة في التواصل.

إيكولوجيا الشاشة

القسمان القادمان من هذا الفصل مستمدان من وصفنا للإثنوغرافيا بوضع الأمور في سياقها بشكل شمولي. القسم الأول «إيكولوجيا الشاشة» يضع الهاتف الذكي في موقعه بالنسبة للشاشات الأخرى مثل الأجهزة اللوحية وأجهزة الكمبيوتر والتليفزيونات الذكية. القسم الثاني «الإيكولوجيا الاجتماعية» يبين كيف أن مالك الهاتف الذكي ليس فردًا معزولًا عن الآخرين، ففي بعض الأحيان يتشارك بضعة أشخاص استخدام الهاتف الذكي. كان للناس إمكانية النفاذ لأنواع مختلفة من الشاشات في معظم المواقع الميدانية التي عملنا بها، ويظهر هذا في البيانات المعلوماتية الخاصة بـ 30 مشارك في نولو وفي استطلاعات الرأي التي أجريناها مع 146 شخص في كيوتو ومقاطعة كوتشي في اليابان [الشكلين 3.6 و3.7].

يمتلك معظم المشاركين في مواقع دابلن الميدانية جهازًا لوحيًا [تابلت] وجهاز كمبيوتر – سواء كان كمبيوتر محمول [لابتوب] أو كمبيوتر مكتبي – وتليفزيونًا ذكيًا بالإضافة لهاتفهم الذكي، ونجد أن حجم الشاشة هو أكثر الأسباب التي تجعل الناس يختارون جهازًا دون الآخر. في حين يهتم بعض كبار السن من المشاركين بحجم الشاشة لمعاناتهم من مشاكل في النظر إلا أنه يبدو أن الروتين له نصيب مساو من الأهمية، فبعض الأشخاص يقولون أن الهاتف الذكي غير مناسب لمشاهدة البرامج التليفزيونية إلا أنهم في الحقيقة يستخدمون الهواتف الذكية لمشاهدة البرامج على



3.6 بيان معلوماتي يظهر شريحة الذين يستخدمون أجهزة مختلفة في نولو استنادا إلى آراء 30 من المجيبين تتراوح أعمارهم من 45 لـ 75 في استطلاع أجرته شيرين والتون.



3.7 بيان معلوماتي يظهر شريحة الذين يستخدمون أجهزة مختلفة في المواقع الميدانية باليابان [كيوتو ومحافظة كوتشي] استنادا إلى آراء 146 من المجيبين في استطلاع أجرته لورا هابيو-كيرك.

اليوتيوب. للهاتف الذكي أيضًا ميزة حركية واضحة وقد يكون أحيانًا الشاشة الوحيدة المتاحة لمشاهدة الأحداث الرياضية المهمة عندما يكون الشخص خارج المنزل.

كان الآيباد في دابلن اكتشافًا بالنسبة لكبار السن، فحتى هؤلاء ممن هم في عمر الثمانينات والتسعينات الذين كانوا في السابق يعارضون استخدام أي نوع من أنواع الكمبيوتر سرعان ما أصبحوا يتواصلون مع أقاربهم وينشئون ألبومات الصور على أجهزة الآيباد الخاصة بهم. بحلول عام 2019 خسر التابلت بعضًا من انتشاره لصالح الهواتف الذكية الجديدة كبيرة الحجم والتي توفر حرية الحركة،[17] فمايا مثلًا تحادث الناس عن طريق وظيفة الفيس تايم في هاتفها الآيفون ورغم ذلك فهي تحتفظ بالآيباد الخاص بها لتستخدمه في كتاباتها الإبداعية. مع ذلك ذهب بعض الناس في الاتجاه المعاكس وزاد استخدامهم للآيباد، فإيمون مثلًا يستخدم الآيباد الخاص به كهاتف وكاميرا ويفضله بسبب أيقوناته كبيرة الحجم التي تناسب أصابعه التي طالتها الشيخوخة ويصطحب الآيباد معه في السيارة أو القطار، ولتحقيق هدفه في تغطية جميع استخداماته المختلفة من خلال الآيباد قلل إيمون أيضًا مشاهدته للتليفزيون بما في ذلك نتفليكس وأصبح يشاهد ما يريد على الآيباد. يتصدر اللابتوب استخدامات الشاشة بالنسبة لمشاركين آخرين من دابلن، فهم يجرون معاملاتهم البنكية الإلكترونية ويقومون بالتسوق الإلكتروني ويستخدمون مواقع الإنترنت بشكل عام بسهولة أكبر من خلال اللابتوب وليس من خلال تطبيقات الهاتف الذكي، وقالت سيدة في الأربعينات من عمرها أنها تجد تطبيقات الهاتف الذكي مزعجة وغير مناسبة بالمقارنة بالمواقع نفسها، ولذا فهي تتجنب كل التطبيقات تقريبًا.

بالنسبة لآخرين في دابلن كان هناك بعض التحول للتليفزيونات الذكية والتي لا يستخدمونها لعرض البرامج التليفزيونية فقط ولكن أيضًا لعرض المحتوى الذي يفضل عرضه على الشاشات الكبيرة مثل الفيديوهات وصور

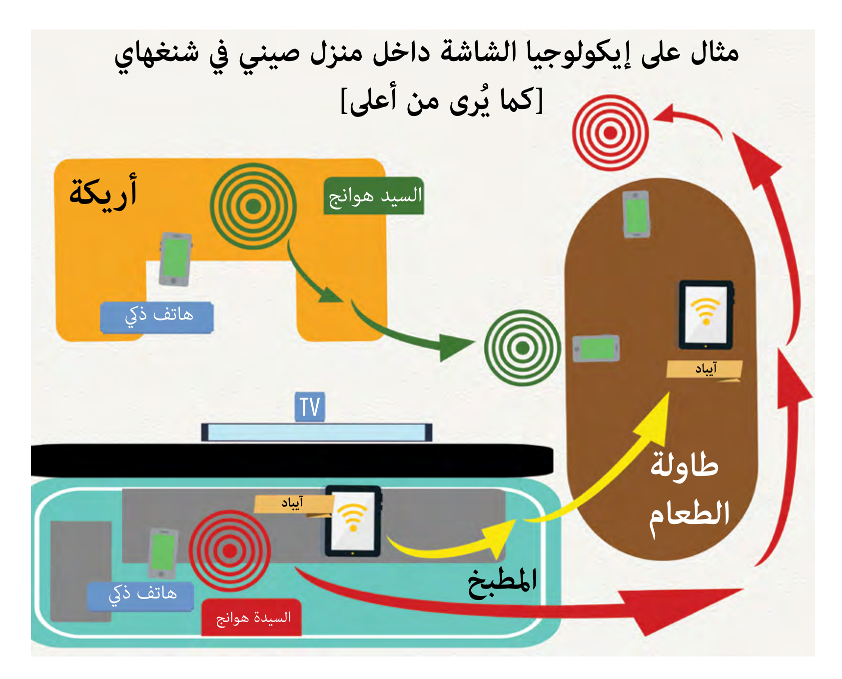
الإجازات والأفراح. الخلاصة هي أنه من الممكن للناس الاعتماد على جهاز واحد فقط مثل التابلت أو اللابتوب ليكون نقطة اتصالهم الوحيدة بالإنترنت، ولكن هذا نادر الحدوث لأن معظم الناس ينتقلون من شاشة لأخرى بناءً على الشيء الذي يريدون فعله. مع انتشار الحوسبة السحابية والمزامنة التلقائية للبيانات أصبح الناس يستخدمون الهاتف الذكي وهم خارج المنزل ويستخدمون التابلت وهم يستعدون للنوم ويستخدمون اللابتوب حين يكتبون شيئًا مطولًا ويستخدمون التليفزيون لمحادثة عائلية على سكايب. وأخيرًا، لا تحتوي كل الأجهزة على الشاشات ويبقى الخط الأرضي مهمًا بالنسبة لبعض كبار السن في أيرلندا لأن لهم آباء على قيد الحياة – ربما يكونون في التسعينات من عمرهم – والذين لا ينوون أن يستخدموا أي شيء غيره أبدًا. على النقيض من ذلك يلغي الناس في بنتو خطوطهم الأرضية بما أن المحادثات اليومية قد انتقلت من الهاتف الأرضي إلى الواتساب لأنهم أصبحوا يضيقون بالاتصالات العشوائية التي لا تنتهي من مندوبي المبيعات.

قلنا قبلًا أن الناس في ياوندي غالبًا ما يملكون اثنين من الهواتف الذكية لاستخدام شبكتي الاتصالات الرئيسيتين، ولكنهم ربما يفصلون بين هواتفهم بناءً على طريقة استخدامهم لها أيضًا. غالبًا ما يخصص الأشخاص المتقاعدون على سبيل المثال هاتفًا لواتساب وآخر للمنصات الاجتماعية الأخرى مثل فيسبوك. الجميع تقريبًا لديهم تليفزيون كبير الحجم وكبار السن لديهم أجهزة راديو، ولكن القليل من الناس لديهم أجهزة كمبيوتر محمول أو كمبيوتر مكتبي وإذا وجد فهم يستخدمونه لتخزين أو نقل الملفات مثل الصور والفيديوهات بطريقة تشبه كثيرًا ألبومات الصور التقليدية. الشاشة التي تتصدر المشهد هي شاشة التليفزيون الذي يعتبر كجهاز عائلي وليس فقط كشاشة خاصة بفرد معين، وبشكل عام يبدو تشغيل التليفزيون فور الاستيقاظ أثناء تناول الفطور فعلًا تلقائيًا وربما يكون بعد أداء الصلاة أو الرياضة.

في ياوندي يتبع ديفيد وإسي مثلًا هذا الروتين اليومي فيفتحون التليفزيون بعد رجوعهم من الكنيسة الساعة السادسة صباحًا، وفيما عدا ذلك تتوزع الشاشات على العائلة فيستخدم الزوجان التابلت – الذي أهداه لهما أحد أبنائهما والذي يعمل طبيبًا – للعب ألعاب مثل سوليتير وزوما، في حين يستخدمه ابنهما الأصغر لألعاب السباق والتسوق الإلكتروني. يستخدم كل فرد من أفراد العائلة هاتفه الذكي الخاص، وربما يتم توزيع أجهزة التليفزيون أيضًا حيث يحدث أحيانًا أن يشاهد أحد الأبناء التليفزيون الآخر. يستخدم الهاتف الذكي بشكل أساسي لمشاركة الصور ومقاطع الفيديو، وكما في حالة مشاركتهم على التليفزيون يعلق الأصدقاء والعائلة على هذه الصور ومقاطع الفيديو. لذلك تجد أن كثيرًا ما يصل إلى سمعك شخصًا يقول «هل رأيت هذا...؟» أو «ما رأيك في هذا الفيديو الذي أرسله صديق للتو؟»، وفي غرفة بها عشرة أشخاص تجد الهواتف الذكية تمرر بينهم وتجدهم يتحدثون حول محتوياتها.

لا تقتصر إيكولوجيا الشاشة على العائلة فقط، فالمثال التالي من شنغهاي يوضح كيف يمكن لتأثيرها على البيوت والعائلات أن يكون تأثيرًا عميقًا. اعتاد السيد هوانج على أن توبخه زوجته حينما يحاول إنهاء قراءة مقال ما على تطبيق ويتشات وقد نادته هي لتناول العشاء رغم أنهما متفقان على أنه لا مانع من مشاهدة الأخبار على التليفزيون أثناء الطعام [شكل 3.8]. تذكر الأخبار معرضًا للزهور فتتفقد السيدة هوانج حالة الطقس في حين يتفقد زوجها تطبيق جاو دي [Gao De تطبيق صيني لاستخدام الخرائط والتجول]، ويصل الزوجان إلى أن الرحلة باستخدام المترو أو الأوتوبيس سوف تستغرق منهما ساعتين.

في هذه اللحظة يرن الآيباد الذي كان يقبع ساكنًا فوق طاولة المطبخ فتهتف السيدة هوانج في ابتهاج «لابد أن هذا شياوتاو!» وتحضر الآيباد من المطبخ لتضعه على طاولة الطعام ليتحدثا إلى حفيدهما الذي يعيش في بكين حيث يعمل زوج ابنتهما. تزورهما ابنتهما مرة كل ثلاثة أشهر فقط، ولكنها أعطت لهما جهاز آيباد حتى يستطيعا التحدث إليهم باستخدام ويتشات من خلال شاشة محمولة أكبر حجمًا. من آن لآخر يلتقط السيد هوانج الصور للسيدة هوانج وهي تتحدث بسعادة مع شياوتاو ثم يرسل هذه الصور إلى مجموعة ويتشات الخاصة بالعائلة. وهم



3.8 إعادة تصوير لغرفة الطعام بمنزل السيد والسيدة هوانج في شنغهاي قامت بها شينيوان وانج. يظهر الرسم أين تم وضع الشاشات المختلفة في المنزل.

لايزالون يتحدثون تعلق جدة شياوتاو لأبيه على الصور بملصقات ويتشات ظريفة تقول «صورة جميلة»، وحيث أنها كانت تزور شياوتاو استطاعت أن تنشر صور للمحادثة من الجهة الأخرى. بدورها تنشر السيدة هوانج الصورة على مجموعة الواتساب التي تسميها «أخواتي» والتي تضم صديقاتها الثلاثة المقربات.

ليس هناك شيئًا استثنائيًا في مشهد العشاء هذا الذي احتوى على ثمان شاشات في ساعة واحدة والذي دعمت الصورة فيه لحظات تقوية أواصر العلاقات بين الأجيال بالنسبة لزوجين متقاعدين. إذا تفحصت مواضع تواجد هذه الشاشات تجد أنها تعزز من إحساسهم بمحيطهم المنزلي وتقربهم من قريب بعيد في الوقت نفسه. كان وضع الصور الفوتوغرافية حول الغرفة يؤدي نفس الغرض في الماضي، ولكن الآن وبفضل هذه الشاشات تبدو هذه الصور وكأنها دبت فيها الحياة. تبدو إيكولوجيا الشاشة المنزلية هذه على درجة كبيرة من التعقيد، فغرفة النوم تحتوي على تليفزيون آخر بالإضافة إلى كمبيوتر محمول وكمبيوتر مكتبي أعطتهما لهما ابنتهما ويستخدمهما السيد هوانج في أغلب الأحيان، وأيضًا مكان لنوم القط [شكل 3.9].

يجلس الزوجان في الشرفة بعد الظهيرة لاحتساء الشاي إذا كان اليوم صحوًا ويمسك كل منهما بهاتفه الذكي. وجود الآيباد مع السيد هوانج في الشرفة يعني أنه يمكنه مشاهدة المسلسلات هناك أو أن يأخذه معه للمطبخ ليكمل المشاهدة أثناء طهو السيدة هوانج للطعام. يشتمل طهي الطعام على استخدام تطبيق «هيا إلى المطبخ» [Xia Chu Fang] من أجل وصفاتها المصورة بالفيديو، كما يشتمل على تطبيق إيتشيي [iQiyi] وهو واحد من أكبر مواقع الفيديو في العالم وتبلغ ساعات المشاهدة عليه 6 مليار ساعة في الشهر ودومًا ما يوصف بأنه «نتفليكس الصين». بعد العشاء يفضل الزوجان لعب الشطرنج الصيني على الكمبيوتر المكتبي أو القيام بالتسوق الإلكتروني أو متابعة سوق البورصة. إحدى مشاكل الهاتف الذكي الخاص بالسيدة هوانج هي أنه يغريها بتفقد أسهمها كل بضع دقائق وهو ما



3.9 رسم تخطيطي لمنزل عائلة هوانج يظهر غرفتي النوم كما أعادت تكوينه شينيوان وانج استنادًا إلى البحث الإثنوغرافي الذي أجرته مع الزوجين.

جعلها تزيل التطبيق من على هاتفها كلية، وتعلق على هذا فتقول: «كان هذا التطبيق مستحوذًا على عقلي بالكامل، فقد كان كالإدمان وكان شيئًا غير صحيًا على الإطلاق وكنت أشعر بالقليل من الراحة في تلك الأيام». رغم أن غرفة النوم بها تليفزيون إلا أن الشاشات الأكثر استخدامًا هي هاتفي الزوجين، ويتضمن هذا الاستخدام الوقت المخصص للقراءة قبل النوم الذي يتخلله متابعة حسابات الأصدقاء على ويتشات – بالنسبة للسيدة هوانج – والاستماع إلى المدونات الصوتية [podcasts] التاريخية على تطبيق شيمالايا إف إم [Ximalaya FM] – بالنسبة للسيد هوانج.

تمثل هذه النتيجة التجربة العصرية لتعدد الوسائط[18] [polymedia] أي تجربة العيش في بيئة بها وسائط متعددة ومكملة لبعضها ومتاح لمعظم الناس استخدامها، وحيث يطور كل وسيط الحيز «الإيكولوجي» الخاص به داخل المنظومة ككل. في المثال السابق من ياوندي قدمنا التليفزيون الموقد دائمًا والذي يمثل العائلة ككل حتى حين ينشغل أفرادها بهواتفهم الذكية في نفس الوقت. ما يعنيه هذا لنا هو أن تعاملنا مع الهاتف الذكي بمعزل عن غيره هو شيء لا معنى له، وهذا لأن تعريف ماهية الهاتف الذكي والتجربة التي تأتي من خلاله يرتبطان بالبدائل التي تتواجد معه في نفس الوقت وبتطور أفكار الناس عن ملائمة كل منها للمهام المختلفة.

الإيكولوجيا الاجتماعية

كما أن الهواتف الذكية لا معنى لها إلا نسبة للشاشات الأخرى، كذلك يجب النظر إلى أصحابها نسبة إلى الآخرين، وهذا هو المحور الأساسي لما نطلق عليه الإيكولوجيا الاجتماعية.[19] نجد المثال الأوضح على هذا في لوسوزي حيث كان

أربعة أشخاص فقط من أصل 50 شخص أجرينا عليهم استطلاع الرأي هم من يمتلكون هاتفًا خاصًا بهم وحدهم، والباقون ذكروا ثلاثة أشخاص في المتوسط يتشاركون معهم أجهزتهم. من الممكن أن تشمل هذه المشاركة الأبناء والأشقاء والآباء والأزواج والجيران والأصدقاء الذين يستخدمون الجهاز للعب الألعاب أو التقاط الصور أو الاتصال بالأصدقاء أو الاستماع للموسيقى. قال بعض الأشخاص في إجاباتهم عن الاستبيان أنهم أحيانًا يرفضون إعارة هواتفهم إذا ما شعروا أنها يساء استخدامها في حالة قيام شخص ما باستخدام وقت البث الخاص بهم مثلًا أو باستخدام الكثير من مساحة التخزين أو بإجراء المكالمات بعد منتصف الليل.

من الشائع أن يتشارك أفراد العائلة والأصدقاء تكاليف إجراء المكالمات حيث قال 33 شخص [66 بالمائة] أنهم شاركوا وقت البث الخاص بهم مع غيرهم في الأشهر الست الأخيرة، في حين قال 30 شخص [60 بالمائة] أنهم أخذوا بعضًا من وقت البث الخاص بغيرهم. تنتشر ممارسة تعرف بـ «التصفير» أيضًا، وهي حين يجري الشخص مكالمة ولكن يغلق الخط بعد أن يرن على الجهة الأخرى مرة واحدة أو مرتين أملًا في أن يتصل الشخص الآخر ويتحمل هو تكلفة المكالمة. تتيح كل تلك الممارسات للناس توزيع مواردهم عبر الشبكات الاجتماعية المختلفة، مما بدوره يرسخ لذلك التكافل الاجتماعي.

تملك ناكيتو وتدير مع ابنها صالون للشعر في لوسوزي [شكل 3.10]. بينما تملك ناكيتو «هاتف صغير» خاص بها تستخدمه لمكالمات العمل إلا أنها لا تملك ما يكفي من المال لشراء هاتف ذكي خاص بها ولهذا تتشارك استخدام واحد مع ابنها. كل أسبوع وآخر تتبادل الأم وابنها دور الحامل الرئيسي للهاتف الذكي فيغيران كلمة السر وصورة خلفية الشاشة، وبهذا يكون لكل منهما فترة ملكية مستقلة للهاتف ولكن في الوقت نفسه يمكن لكل منهما استخدام الهاتف في غير فترته بعد الاستئذان من المالك الحالي. يوجد في الهاتف تطبيقات يستخدمها واحدًا منهما أو الآخر فقط مثل تطبيق «أقوال مقتبسة في الحب» الذي يستخدمه الابن لاختيار رسائل يرسلها لصديقته، وهو أيضًا



3.10 ناكيتو مع ابنها وحفيدها في صالون منزلهم. تصوير شارلوت هوكينز.

من يعرف كيفية تحميل الموسيقى على الهاتف من شريحة الذاكرة التي يحدثانها باستمرار خاصة حين يسمعان شيئًا جديدا يعجبهما على الراديو. خلال الأسبوع تبحث ناكيتو عن الموسيقى الخاصة بها على الهاتف حيث أنها تفضل أغاني الباجاندا،[20] ولكنها وابنها يتشاركان نفس الصور التي هي في معظمها صور التقطتها ناكيتو لأحفادها «للاحتفاظ بالذكريات» خاصة المناسبات المميزة مثل أعياد الميلاد.

هناك أمثلة أخرى على المشاركة لا تتسم بالتبادل أو بالمساواة. يبحث بوريل[21] - الذي يعمل في أماكن أخرى بأوغندا – في الطرق التي تعزز بها المشاركة الفروقات الاجتماعية. على سبيل المثال تسمع آسين – وهي أم وحيدة من لوسوزي – عن الإنترنت ولكنها لا تعرف ما هو، وكثيرًا ما تسمع من الآخرين أنه يمكن معرفة ما يحدث خارج أوغندا من خلال الإنترنت. بلا تعليم أو وظيفة ثابتة أو دعم مادي من أبي أولادها تجد آسين نفسها تعاني لدفع إيجار منزلها أو مصاريف مدارس أولادها ولا تملك المال ليكون لديها هاتفها الخاص. اعتادت آسين مرة أو مرتين في الشهر أن تشتري بعضًا من وقت البث لاستخدامه على هاتف إحدى جارتها للتواصل مع أقاربها في قريتها الأم، وعادة ما تشرح لها جاراتها كيف تستخدم الأزرار لإجراء المكالمات. عادة ما تتصل آسين بأقاربها للاطمئنان عليهم والتأكد أن كل شيء على ما يرام وأن الجميع بصحة جيدة ولا أحد منهم مريض، وحين يريد أقاربها الاطمئنان عليها أيضًا فهم يتصلون بها على رقم نفس الجارة. في المرة الأخيرة التي اتصل بها أقاربها أخبروها أن والدتها مريضة، وكانت آسين لتعود للقرية لتطمئن عليها بنفسها لولا أنها لم تنجح في توفير المال اللازم للانتقال ولهذا أرسلت إليهم بعض المال بدلًا من ذلك.

حين كنا نجري المقابلة مع آسين كانت هي تنتظر أخبارًا عن صحة والدتها حيث أنها لم تستطع الاتصال بأقاربها منذ ذلك الوقت لأنها واجهت بعض الصعاب في طلب استخدام الهاتف من جيرانها. كانت آسين أحيانًا تسمع جيرانها يقولون حين يرونها قادمة ناحيتهم «إنها قادمة لتضايقنا» مما جعلها تعزف عن طلب استخدام الهاتف منهم. حاولت آسين طلب الهاتف من جارة أخرى ولكنها «رفضت تمامًا بكل الأشكال» وتحججت أن هاتفها ضعيف البطارية وأنها تخرج كثيرًا. تترك هذه التجارب شعورًا بالعجز داخل آسين ولكنها عازمة على أن تكون قوية لأنها الآن «الأم والأب معًا» بالنسبة لأطفالها.

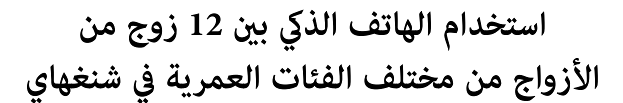
غالبًا ما كنا نسمع من الأشخاص في لوسوزي أنهم قد اشتروا هاتفًا لقريب لهم كبير في السن يعيش في القرية للبقاء على اتصال بهذا القريب والاهتمام به من بعيد، وكان الوضع مماثلًا بالنسبة للفلسطينيين في دار الهوى حيث قال ثلث المشاركون في البحث أنهم لم يشتروا هاتفهم الذكي لأنفسهم بل أعطاهم إياه أحد أفراد عائلتهم. رغم أن عمل ليلى ومايا كان مع سيدات غير متزوجات وأرامل إلا أنه لم يكن هناك في المجموعة الرئيسية للمشاركين من يعيش وحده، فدائمًا من المتوقع أن يعيش الفرد مع أفراد أسرته إن كان الأبوين أو الأبناء أو الأشقاء، وهو ما ينعكس على استخدامات الهاتف الذكي في الحياة اليومية. بما أن معظم كبار السن يعيشون في بيوت العائلة لذلك تجدهم يشاركون في رعاية الأحفاد بانتظام، وهو ما يعني مشاركة الجدود هواتفهم الذكية مع الأحفاد الذين يشاهدون برامج الأطفال عليها. ليس هذا هو ما يريده الجدود دائما ولكن لدى الأطفال في معظم المناطق قدرة عجيبة على إقناع الكبار بالسماح لهم باستخدام هواتفهم.

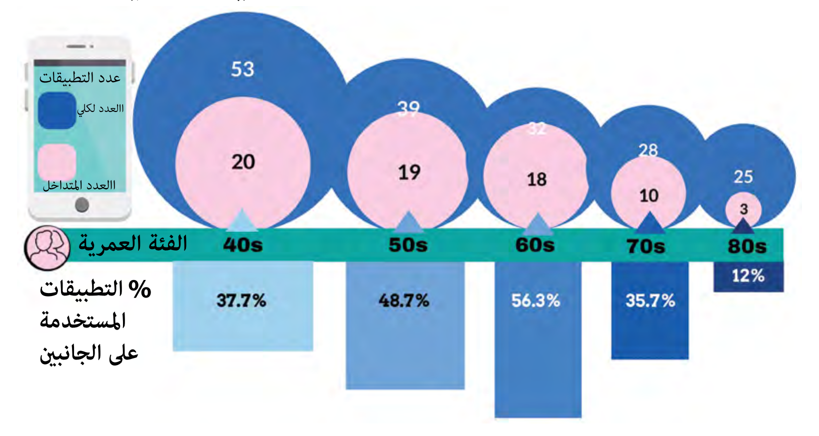
أحيانًا تجد أن نمط الاستخدام المتمثل في كون المستخدم الرئيسي للهاتف الذكي هو زوجين وليس فردًا واحدًا لا يزال موجودًا في المناطق التي اختفى فيها مفهوم العائلة الممتدة بشكل كبير. في دابلن كان هناك رجل لا يحمل هاتفًا كمبدأ، ولكنه أحيانًا يعطي رقم هاتف زوجته للآخرين كوسيلة للاتصال به أو يطلب منها فتح تطبيق خرائط جوجل على هاتفها أثناء قيادته للسيارة، ومع ذلك فقد كان يقوم بمعاملاتهما البنكية الإلكترونية ومعاملات أخرى لا تحب الزوجة القيام بها باستخدام كمبيوتر المنزل. المفتاح هنا هو فهم التقاليد الخاصة بالأدوار الجندرية، فإن كان الهاتف الذكي يُنظر إليه كجهاز للتواصل مع العائلة والأصدقاء لهذا ربما يقع استخدامه ضمن نطاق مسؤوليات الزوجة

ودورها. من الممكن أيضًا أن يعتبر المتزوجون هواتفهم متبادلة بينهم فيكون كل من الزوجين على معرفة بكلمة السر لهاتف الآخر أو يرد كل منهما على هاتف الآخر إذا كان الأقرب له، ولكن هذا النمط ليس هو النمط السائد. هناك أيضًا سيدة في دابلن تعترف أنها تستخدم ضعف مهاراتها في استخدام الهاتف لمدح مهارات أبنائها، وتقول:

> أحيانًا لا يكون لدينا مانع من التظاهر بالسذاجة لإعطائهم الفرصة لفعل شيء ما، فنقول لهم مثلًا «أنت تستطيع فعل هذا لأنك أفضل»، كأنك تلعب معهم لعبة تبادل الأدوار.

نشرح هذا النوع من المشاركة بين الأزواج بالمزيد من التفصيل في الشكل 3.11 وهو بيان معلوماتي بُني على مقابلات شخصية مع 12 زوج من شنغهاي تم تقسيمهم لشرائح حسب السن [الشكل 3.11]. نجد حاليًا أن عدد التطبيقات المستخدمة يقل مع التقدم في العمر، فالأزواج ممن هم في العقد الرابع من العمر يشتركون في استخدامهم لتطبيقات مثل ديانبينج [Dianping] – وهو تطبيق لإعطاء النصائح والتقييمات واسع الانتشار [ويقال عنه أنه المعادل الصيني لتطبيق يلب Yelp] – لأن هذه الفئة العمرية أكثر قابلية لتجربة مطاعم جديدة أو زيارة أماكن غير مألوفة لها. تشترك هذه الفئة أيضًا في استخدام التطبيقات الوظيفية مثل التطبيقات الخاصة بالتسديدات ومعلومات السفر. أما الفئة العمرية التي تبلغ الخمسينات والستينات من العمر فيشتركون في استخدام التطبيقات الترفيهية مثل تطبيقات الألعاب والفيديو حيث أنها فئة متقاعدة ولديها وقت الفراغ الذي يسمح بذلك. يشير استطلاع الرأي أيضًا إلى أن الأزواج فوق سن السبعين يشتركون في عدد أقل من التطبيقات، ولكن المقابلات الشخصية تقول عكس ذلك. هؤلاء الأزواج الأكبر سنًا أصبحوا معتمدين على بعضهم بشكل كبير ويفعلون الكثير سويًا لدرجة أنهم يتشاركون الهواتف نفسها، ولهذا لا معنى لوجود نفس التطبيقات على الهاتفين. نجد مثلًا تطبيق طلب سيارات الأجرة الذي يدعى ديدي [Didi] على هاتف واحد من هاتفي زوجين في السبعينات من عمرهم، بينما تجد تطبيقي التسوق الإلكتروني تاوباو [Taobao] أو بيندوودو [Pinduodo] على هاتف الزوجة فقط لأن التقاليد هي أن الزوجة هي من يقوم بالتسوق للعائلة. بهذه الطريقة أصبح الهاتف الذكي وسيلة يعبر بها الناس عن أفكارهم المتغيرة حول معنى الزواج.





3.11 بيان معلوماتي يظهر استخدام تطبيقات الهواتف الذكية بين 12 من الأزواج في مراحل عمرية مختلفة في الموقع الميداني بشنغهاي. قامت بالاستطلاع شينيوان وانج.

تشير الإيكولوجيا الاجتماعية إلى الروابط بين الأجيال وبين الأزواج، وكشفت المسوحات التي أجريناها على هواتف الكبار عن نغمات رنين أو ألعاب قام بتحميلها الأبناء أو الأحفاد الذين يستعيرون الهاتف. في سانتياغو كانت واحدة من المتدربات في الدورات التي قدمها ألفونسو حول الهواتف الذكية تشعر دومًا بالغضب من أن حفيدها يستخدم هاتفها دون استئذان، وفي يوم طلبت من ألفونسو حذف فيديو كان حفيدها قد قام بتنزيله واعتبرته هي «مقرفًا» وأيضًا بعض الألعاب والتطبيقات التي كلفتها 60 جنيهًا استرلينيًا، وكانت كل تلك الألعاب وذلك المحتوى يدور حول الفتيات. كانت المشكلة هي أن بصمة حفيدها مسجلة بالفعل على هاتفها وكان يعرف كلمة السر، لذا ففي فصول الهاتف الذكي التي أخذتها قام ألفونسو بمساعدتها في تغيير عوامل الحماية لهاتفها.

الشبكات

يشير كلا المصطلحان إيكولوجيا الشاشة والإيكولوجيا الاجتماعية إلى الأسباب التي تجعل دراسة الهواتف الذكية كعلاقة بين جهاز ومالكه الفردي فقط شيئًا مضللًا، وحتى المنزل غير كاف كوحدة أساسية فقد رأينا كيف يستخدم عائلة هوانج شاشاتهم للتواصل مع عائلات أخرى والتي بدورها تملك العديد من الشاشات. هكذا يمكن القول أن الهواتف الذكية غالبًا ما تربط بين الشبكات وليس فقط الأفراد. قبل هذا المشروع كان هناك كتاب مهم هو (شبكي)[22] والذي أشار إلى أن النتيجة الجزئية لانتشار الإنترنت والتقنيات الجديدة في الاتصالات هو أنه أصبح علينا أن نفكر ليس من منطلق الأشخاص الذين يعيشون في مجموعات أو داخل جماعات يحكمها التقارب ولكن من منطلق الشبكات حيث الفرد هو المركز. اتضح بعد ذلك أن الدلائل الرئيسية التي خرج بها مشروع (لماذا ننشر) الذي بحث في منصات التواصل الاجتماعي كانت مناقضة لهذا الطرح، حيث وجد الباحثون بهذا المشروع أن منصات التواصل الاجتماعي غالبًا ما تستخدم لترميم والحفاظ على المجموعات الاجتماعية التقليدية كالعائلة والجماعة.[23]

حين يتعلق الأمر بالهواتف الذكية التي تقدم أكثر من منصات التواصل الاجتماعي نجد أنه من الصعب جدًا أن تلائم نتائجنا أي مسار من مسارات نزعة المخالطة الاجتماعية. رغم ذلك يمكن الذهاب إلى أنه أصبح من الأسهل في الوقت الحالي أن نوفق بين هذين الاتجاهين اللذين يبدوان متناقضين – أي التحول إلى الشبكات في مقابل ترميم الجماعات – واللذين يبدوان حقيقيان في نفس الوقت. من ناحية نرى الهاتف الذكي يستخدم باستمرار كمركز يتواصل منه الأفراد مع شبكاتهم أي أنه يصلنا بأصدقائنا وأقاربنا مثلًا أينما كانوا، ومن ناحية أخرى رأينا في مواقع مثل دابلن وميلانو كيف أن فيسبوك يمثل مجتمعًا رئيسيًا لنشر الأخبار عن الأنشطة المحلية مثل الإفطارات الجماعية أو المستجدات في التخصيصات المحلية أو الأنشطة الرياضية أو مسابقة المدن النظيفة[24] [Tidy Towns]. لقد بينا في القسم الخاص بإيكولوجيا الشاشة كيف أن الهواتف الذكية لا تحل محل التشكيلات الاجتماعية بل تقوم بدمج وتوسيع مفهوم العائلات، ونشعر أننا متصالحون أكثر مع مفهوم الشبكات عندما يشير هذا المفهوم إلى الكيفية التي تربط بها الهواتف الذكية بين الشبكات – كما في الحالة التي رأيناها في الصين – وليس الكيفية التي تربط بها الأفراد للشبكات.

إذا أدرنا وجوهنا بعيدًا عن الطريقة التي تقوم بها الهواتف الذكية بمشابكة الأشخاص ونظرنا إلى الطريقة التي تقوم بها بدور مركز التحكم لمشابكة الأشياء نجد أن نقاطًا مماثلة تنطبق أيضًا. قيل لنا لعقود أننا على وشك أن نشهد تغييرًا كبيرًا في حياتنا بواسطة ما يعرف بـ«إنترنت الأشياء»[25] والذي يسفر أيضًا عن ظهور تخوفات جديدة حول قضايا الحماية.[26] تعكس الكثير من الادعاءات التي تقال عن إنترنت الأشياء ضجيج المطامح التجارية، ولكن حتى وإن كان ازدهاره لايزال بعيدًا إلا أننا نستطيع رؤية البراعم الصغيرة في دابلن بالفعل. كانت هناك القليل من المرات التي رأينا فيها الهاتف الذكي يستخدم للتحكم في الأجهزة المنزلية كتشغيل أنظمة التدفئة قبل الوصول للمنزل أو

كتفقد أنظمة الأمن أثناء السفر، وبدأ الناس في تركيب أجراس الباب المزودة بالفيديو بالفعل. لقد بات من الشائع في دابلن الآن أن يصل الناس سياراتهم بهواتفهم الذكية بواسطة البلوتوث لإجراء المكالمات الطويلة أثناء القيادة، فمثلًا هناك رجل يجري بانتظام مكالمات مطولة من السيارة مع شقيقته في طريق عودته من زيارة والدهما المسن لينقل لها أخبار الوالد. لم نرى بعد انتشارًا كبيرًا لتوصيل المساعدين الإلكترونيين بالأجهزة الأخرى؛ يتحدث البعض عن سيري، وفي حين أن الكثير من الناس في دابلن يستخدمون أليكسا إلا أنه تم تقليص دوره ليكون مجرد راديو يعمل عن طريق الأوامر الصوتية. كل تلك الأشياء متواجدة بشكل محدود جدًا ولكنها توضح كيف أن الهاتف الذكي مقدر له أن يتصاعد في الأهمية كمركز تحكم عن بعد للتفاعل مع التقنيات الأخرى في إطار شبكي.

الاستنتاجات النهائية:

لم يكن القصد من وراء استخدام كلمة «سياق» في عنوان هذا الفصل أن يبدو الفصل وكأنه مقدمة أو خلفية تمهيدية للكتاب قبل الدخول في موضوع الكتاب نفسه. على العكس، فالمادة التي قدمناها في هذا الفصل – مثله مثل الفصل الثاني – تصف مكونات مهمة للهواتف الذكية ولأسباب انتشارها. يساعدنا هذا الفصل على فهم مدى تأثير الهواتف الذكية كأشياء مادية، فمن الممكن لقيمتها المادية أن تعكس مستوانا الاجتماعي أو تعرضنا للسرقة، كما أن تكلفتها ربما تكون عبئًا كبيرًا على الأشخاص ذوي الدخول المنخفضة. تغير الهواتف الذكية أيضًا علاقة بعض الأشخاص بتقنيات الشاشات الأخرى مثل اللابتوب والتابلت والتليفزيون.

تساعد مشاركة الهواتف الذكية في صياغة العلاقات بين الأزواج ومع الآخرين التي هي علاقات متبادلة، ولهذا فالمصطلح الذي نستخدمه للإثنوغرافيا – أي وضع الأمور في سياقها بشكل شمولي – هو مصطلح مهم جدًا. يشير المصطلح ضمنيًا إلى أن السياق تبادلي، فالناس لا يستخدمون الهواتف الذكية فقط بل تشكل الهواتف الذكية بدورها العلاقات بين الناس. من الممكن أن تكون العلاقات بين الأزواج سياقًا مناسبًا لفهم استخدامات الهواتف الذكية، ولكن الهواتف الذكية أصبحت الآن جزءًا من الحياة اليومية التي تشكل السياق لكيفية ارتباط الأزواج بعضهم ببعض. في حالة عائلة هوانج في شنغهاي لم تكن القضية فقط قضية استخدام عدة شاشات مختلفة ولكن كانت النقطة المهمة أيضًا أنه من خلال فهم العلاقات الداخلية بين الأجهزة أصبحنا نقدر ليس فقط طبيعة العلاقات المنزلية بل وأيضًا التغيرات التي طرأت على كيفية إدارة العائلة في الوقت الذي أتاحت لهم الشاشات فيه أن يضموا أقرباء خارج حدود الأسرة المباشرة.

كانت جدران المنزل في الماضي تصنع فاصلًا بين الأسرة التي تعيش داخله وأفراد العائلة الذين يعيشون في مكان آخر وكانت الصور الفوتوغرافية هي الدليل الوحيد على وجود هذا الإطار الأكبر، ولكن اليوم يستطيع الأقارب البعيدون أن يظهروا في المساحة المنزلية للعائلة من خلال هذه الشاشات التي تعمل كوسائط متعددة فيظهرون بشكل دائم على روابط ويتشات أو روابط الفيديو. من الممكن الآن أن نتسائل عما إذا كان هذا الدمج للعائلة الكبيرة شيئًا جديدًا أم هو فقط عودة للمفهوم التقليدي للعائلة الممتدة الذي كان الناس في الصين يعيشونه قبل الانتقال للعيش في المدن؟ النقطة المهمة هنا هي أن إيكولوجيا الشاشة تسهم في فهم ديناميكيات العائلة بنفس القدر الذي تسهم به الإيكولوجيا الاجتماعية في فهمها.

بطريقة مماثلة نرى أن مشاكل التكلفة والاتصال ليست مجرد الوجه الاقتصادي للهواتف الذكية وأن الآثار المترتبة عليها ليست مقتصرة على فهم من يستخدم ماذا. الاثنان يعكسان ويؤثران على علاقات القوة وعدم المساواة الأكبر، فمثلًا الشخص الذي يعتمد على جيرانه لشحن هاتفه أو لإجراء الاتصالات يعرض نفسه للإهانة والإذلال.

من الممكن للفروقات الرقمية أن تصبح فواصلًا كبيرة، فعلى جانب تجد هؤلاء الذين يستطيعون الاتصال وبهذا يستطيعون أن يصبحوا جزءًا من الاتصالات العالمية – الهاتف الذكي يقرب العائلات التي هاجر أفرادها بغض النظر أين يعيشون – وعلى الجانب الآخر تجد هؤلاء الذين لا يملكون القدرة على الاتصال أو يفتقرون إلى المعرفة أو المهارات اللازمة، وهم لا يبقون في حالة جمود إزاء التكنولوجيا بل يتحولون إلى طبقة دنيا أمية رقميًا بالمقارنة بمن حولهم. على العكس من ذلك يمكن في بنتو أن تسفر هذه الحالة عن علاقات إيجابية من الاهتمام لأن الأشخاص يطلبون المساعدة من أصدقائهم فيخلقون بذلك نوعًا من التضامن والتكافل. من الضروري جدأ بالنسبة لجهاز مثل الهاتف الذكي أن نهتم بالسياق الخاص به، فهو جهاز من شأنه أن يصبح مركزًا للتحكم والذي منه تنطلق تقنيات أخرى وحوله يصطف أشخاص آخرون. هناك القليل من الأشياء التي تشابكت مع حياتنا اليومية ومع علاقاتنا مثلما يفعل الهاتف الذكي الآن، ولهذا فالسياق في حالتنا هذه مهم بحق.

ملاحظات

1 أوضح نيكولسكوفي دراسته عن منصات التواصل الاجتماعي في جنوب إيطاليا أن الإيطاليين يعتبرون الاهتمام بالأناقة وحسن المظهر كما لو كان واجبًا قوميًا وليس مجرد شيء فردي نظرًا إلى سمعتهم في هذا الصدد. انظر Nicolescu 2016, 121-48.

2 Fortunati 2013.

3 يشير مصطلح «الاستئناس» أيضًا إلى نظرية أوسع عن استئناس الإعلام، للمزيد عنها انظر Silverstone and Morley 1992, 16-22.

4 Holroyd 2017.

5 National Information Technology Authority (NITA) 2018.

6 National Information Technology Authority (NITA) 2018.

7 انظر Deloitte 2016, 4.

8 وفقًا لاستطلاع رأي أجرته شارلوت مع 50 شخص بين سبتمبر وديسمبر من عام 2018 بمتوسط 5.6 أشخاص يعيشون معهم بالمنزل، كان عدد الذكور الذين يملكون هاتفًا محمولًا 1 وعدد الإناث 0.65، ومتوسط الذكور الذين يملكون هاتفًا ذكيًا 0.9 في مقابل 0.6 من الإناث. كان متوسط أعمار أصحاب الهواتف الذكية في المنزل هو 31 سنة في مقابل 38 سنة لأصحاب الهواتف المحمولة.

9 يوجد في كامبالا نفاذية أعلى للاتصالات والكهرباء وبنية تحتية أفضل لخدمات الإنترنت من المناطق الريفية. انظر Namatovu and Saebo 2015, 38.

10 WeAreSocial 2018.

11 Kyodo News Agency 2019.

12 WeAreSocial 2018.

13 للاستطلاعات الخاصة بالإنترنت في الكاميرون في 2018 انظر WeAreSocial 2018 والصفحة الثانية من مقال Mumbere 2018.

14 لا تتوفر بعض تطبيقات متجر آبل في كل الدول لأن المتجر يفرض القيود الجغرافية، فإذا كان المستخدم من دولة «غير متاحة» فلن يستطيع تنزيل أو استخدام بعض التطبيقات والألعاب. يتسبب هذا في شعور المستخدمين في تلك المناطق بالإحباط.

15 Hobbis 2020.

16 Donner 2015, 215.

17 Spadafora 2018.

18 Madianou and Miller 2012, 125– 39.

19 نحن ندرك أن هذا هو استخدامنا الخاص لمصطلح الإيكولوجيا الاجتماعية ولا نقصد به الإشارة لأي استخدامات أخرى لهذا المصطلح (انظر Ling 2012).

20 الباجاندا هم عرق وموطنهم هو بوجاندا، وهي أكبر مملكة تراثية موجودة في أوغندا الحالية. تشير كلمة باجاندا أيضًا إلى تراث موسيقي تم بواسطة شعب أوغندا.

21 الإثنوغرافيا التي أجراها بوريل في جنوب غرب أوغندا (2010).

22 Rainie and Wellman 2014.

23 Miller et al. 2016, 181– 92.

24 هذه مسابقة سنوية في أيرلندا حيث تُمنح أجمل البلدان المشاركة جائزة لجهودها في تحسين جودة الحياة لسكانها.

25 هناك على سبيل المثال دورية بعنوان (دورية إنترنت الأشياء IEEE) والتي من الممكن الوصول إليها من خلال هذا الرابط: https://ieeexplore.ieee.org/xpl/RecentIssue.jsp?punumber=6488907. انظر IEEE 2020.

26 Li et al. 2017.

الفصل الرابع
من التطبيقات للحياة اليومية

المواقع الميدانية: **بنتو** - ساو باولو، البرازيل. **دار الهوى** - القدس الشرقية. **دابلن** - أيرلندا. **لوسوزي** - كامبالا، أوغندا. **كيوتو وكوتشي** - اليابان. **نولو** - ميلانو، إيطاليا. **سانتياغو** - تشيلي. **شنغهاي** - الصين. **ياوندي** - الكاميرون.

مقدمة:

عند النظر في الهاتف الذكي يكون من المغري أن نتخيل أنه – في جوهره – آلة للتطبيقات، فنختزله للتطبيقات المختلفة التي توجد عليه؛ التطبيقات بدورها يمكن فهمها كآليات تضع الهواتف الذكية على نفس الخط مع الأهداف المحددة المرتبطة بكل تطبيق. إذا كان الأمر كذلك فإن إجابة السؤال «ما هو التطبيق؟» سوف يجعلنا نقطع شوطًا طويلًا في إجابة سؤالنا الأساسي في هذا المشروع ألا وهو «ما هو الهاتف الذكي؟» . ومع ذلك تتناول الإثنوغرافيا هذا السؤال من منظور الاستخدامات الملحوظة وليس الاستخدامات الممكنة. على هذا الأساس سوف يتسلسل هذا الفصل كبيان عن الأشخاص الموجهين نحو المهام وليس التطبيقات، وللإتيان بتلك المهام يوظف هؤلاء الأشخاص توافيق من الأجزاء المناسبة لذلك الغرض من تطبيقات مختلفة.[1]

سوف ينظر هذا الفصل أيضًا في العوامل الخارجية التي يبدو جليًا ارتباطها بموضوع الفصل، وتشمل المطورين الذين ربما لا يظهرون في الإثنوغرافيا نفسها ولكن أعمالهم في إنشاء التطبيقات وتصور المهام تظهر بوضوح في الهاتف الذكي نفسه. يستكمل هذا الفصل أيضًا نظرتنا للهاتف الذكي كشيء مادي والتي عرضناها في الفصل الثالث. التطبيقات هي أيضًا أشياء مادية تظهر ساكنة على شاشة الهواتف الذكية في هيئة أيقونات تدب فيها الحياة بمجرد لمسها، كما يمكن تحريك تلك التطبيقات في صورتها كأيقونات عبر الشاشات المختلفة وتنظيمها في مجلدات وفقًا للاهتمامات والوظائف وكثرة الاستخدام. تتفاوت التطبيقات أيضًا بشكل هائل في درجة قيامها بأدوار عامة أو محددة داخل الهاتف الذكي، وهي صفات سوف يتم تناولها في هذا الفصل.

إذا تدرج هذا الفصل من التطبيقات إلى مهام الحياة اليومية فسوف يكون هذا التدرج مسارًا يعكس منهج رئيسي من مناهجنا البحثية ألا وهو المنهج المعني باستنباط تغطية شاملة للتطبيقات. لكن بما أن هذا المنهج أخذ شكل السرديات التي تحكي قصص الاستخدام لذا فقد تحولت رؤيتنا للتطبيقات سريعًا من تقنيات منفصلة داخل الهاتف الذكي إلى جزء من سياق الحياة اليومية. بعد تتبع هذا المسار سوف يتجه هذا الفصل أكثر نحو التطبيقات التي نفهمها من استخداماتها الاعتيادية من خلال نوعًا محددًا من التوظيفات ألا وهو توظيف التطبيقات لأغراض

الصحة. سوف يؤدي هذا لاستنتاج آخر وهو تعزيز منظورنا لفهم التطبيقات من خلال طرق توظيفها وليس من خلال خواصها التقنية، فقد وجدنا أن التطبيقات التي تستخدم لأغراض الصحة ليست هي التطبيقات المصممة خصيصًا لهذا الغرض. نحن لا نقول هنا أن هناك تعارضًا بين طريقة الاستخدام والتصميم، بل نقول أن الكثير من التطبيقات – مثلها مثل سماعات الهواتف الذكية – تم تصميمها بشكل منفتح بطريقة تجعل إمكاناتها تظهر فقط من خلال الخيال الإبداعي للمستخدمين.

المقابلات الشخصية التي أجريت بخصوص التطبيقات

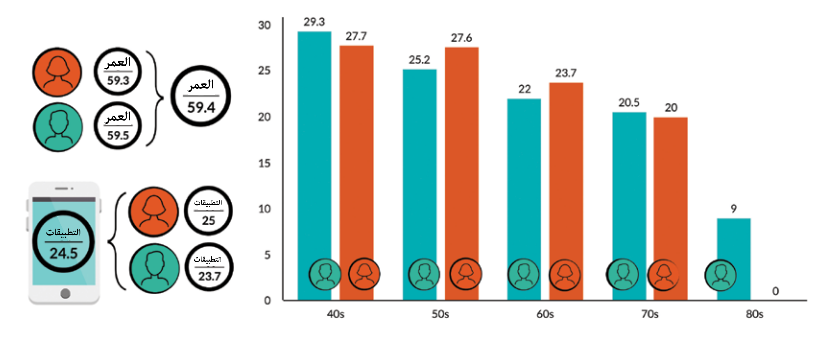
عندما كنا نخطط للإثنوغرافيا اتفقنا كفريق على أن يلتقي كل منا بـ25 مشارك على الأقل بخصوص تطبيقات هواتفهم الذكية. كان مخطط لتلك اللقاءات أن تجري بشكل محدد جدًا وهو أنه بدلًا من التحدث مع الأشخاص عن هواتفهم الذكية بشكل عام أو مطلق فسوف نطلب منهم فتح هواتفهم الذكية لنرى كل التطبيقات الموجودة على كل صفحاته ومن ثم نناقش كل من هذه التطبيقات على حدة [الشكل 4.1]. في حالة هواتف الأندرويد تشمل هذه الشاشة الرئيسية والشاشة الخلفية الخاصة بالتطبيقات.

كانت هذه الطريقة ضرورية لأن تفقد التطبيقات بهذه الطريقة الممنهجة سمح للمشاركين بالتعليق مرارًا على نسيانهم لبعض التطبيقات، فكما يحدث في الحياة اليومية تصبح مثل هذه الأشياء سريعًا من المسلمات ونحتاج



4.1 الشاشة المعتادة لسامسونج جالاكسي وهي تظهر تطبيقات مختلفة. تصوير دانيال ميلر.

متوسط عدد التطبيقات لمختلف الفئات العمرية والنوعية في موقع شنغهاي الميداني



4.2 متوسط عدد التطبيقات للفئات العمرية والنوعية المختلفة في الموقع الميداني بشنغهاي. قامت شينيوان وانج باستطلاع آراء المشاركين في 2018.

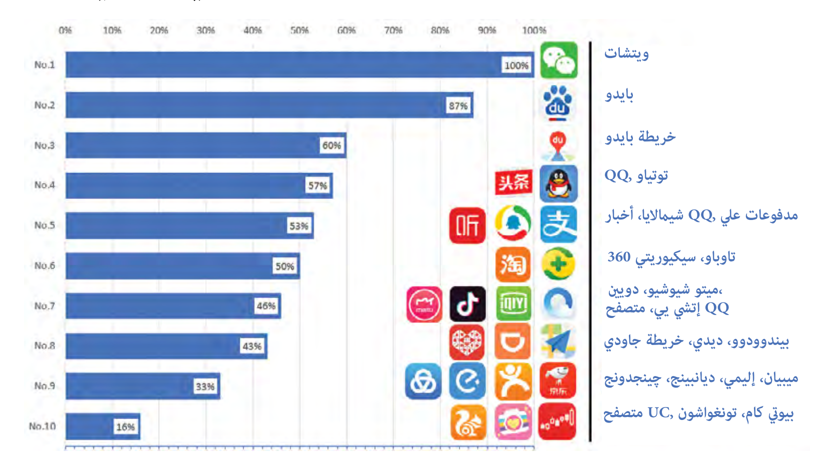
لإنعاش الذاكرة لتذكرها. كانت الإشارة للأيقونة الخاصة بأحد التطبيقات على الشاشة كثيرًا ما تثير مناقشة أو حكاية لم تكن لتحدث لولاها، فلولا تفحص الهاتف الذكي تطبيقًا تلو الآخر لم نكن لنرى المجال الواسع للمهام المرتبطة باستخدام الهواتف الذكية. منحتنا هذه الطريقة أيضًا إدراكًا لعدد التطبيقات المستخدمة ولماهية تلك التطبيقات كما هو موضح في هذين الملخصين.

قام المخطط البياني [الشكل 4.2] الموضح في صفحة 63 على معلومات استقيناها من 30 مشارك متوسط أعمارهم 59 سنة في شنغهاي. يشير المخطط إلى أنه كلما كان الأشخاص أكبر سنًا كلما كانوا يستخدمون عددًا أقل من التطبيقات، ولكن من الممكن أن تذوب تلك الفروقات حين تشيخ تلك المجموعة التي تبلغ منتصف العمر في الوقت الحالي. إذا أخذنا هذه المجموعة في مجملها نجد أن عدد التطبيقات المستخدمة هو 24.5 تطبيق، وفي صفحة 64 نجد أن المخطط البياني الأول يربط بين هذا وبين السن والنوع في حين أن المخطط البياني الثاني [الشكل 4.3] يوضح أيًا من هذه التطبيقات هو الأكثر شيوعًا.

في دابلن كان هناك 57 من تلك المقابلات عبر موقعي دابلن الميدانيين، وكان عمر المشاركين يتراوح بين الأربعينات والثمانينات. كما في شنغهاي احتوى استطلاع الرأي على التطبيقات التي يتم استخدامها بالفعل وترك تلك التي توجد على الهاتف الذكي ولا تستخدم. قبل النظر في التطبيقات بحد ذاتها كان هناك أيضًا الوظائف الداخلية التي يستخدمها كل الناس تقريبًا، وتشمل هذه الوظائف الكاميرا والساعة\المنبه والمصباح والهاتف الناطق والرسائل النصية. بعد ذلك تأتي التطبيقات التي يستخدمها على الأقل 80 بالمائة من المستخدمين بما في ذلك واتساب وتطبيق بريد إلكتروني شبيه بجي ميل وتطبيق تقويم وتطبيق متصفح مثل كروم وسافاري.

اشتملت التطبيقات التي يستخدمها أكثر من 50 بالمائة ولكن أقل من 80 بالمائة من المشاركين على تطبيقات المواصلات مثل تطبيق حافلات دابلن وتطبيق السكك الحديدية الأيرلندية، وتطبيقات الأخبار مثل [RTÉ news] و [Journal.ie] و [BBC] و التايمز الأيرلندية والإندبيندنت والجارديان، وتطبيقات الطقس مثل [Met Eireann] أو [YR]، وتطبيقات الصور مثل المعرض أو صور جوجل، وتطبيقات الراديو مثل [RTÉ radio]، وتطبيقات الخطوط الجوية مثل [RyanAir] و [Aer Lingus]، وتطبيقات كاميرا الويب مثل [Skype] و [Facetime]، وتطبيقات

التطبيقات العشرة الأكثر استخدامًا بين 30 مشارك في شنغهاي



4.3 المخطط البياني أعلاه يمثل التطبيقات العشر الأكثر استخداما بين 30 من المشاركين في البحث الذي أجرته شينيوان وانج في الموقع الميداني بشنغهاي. [2]

الموسيقى مثل [Spotify] و [iTunes] وتطبيقات الخرائط مثل تطبيق خرائط جوجل، وأيضًا فيسبوك ومراسل فيسبوك ويوتيوب. توجد أمثلة على التطبيقات الأخرى الأقل شيوعًا في الاستخدام في هذا البيان المعلوماتي [الشكل 4.4].

عادة ما يستخدم المستخدمون الأكبر سنًا ما بين 25 و 30 وظيفة وتطبيق على هواتفهم الذكية، ولكن من الممكن أن يصل هذا العدد لـ 100 تطبيق بالنسبة للشباب في نفس هذه المواقع الميدانية، كما نجد أن شريحة المستخدمين الشباب للتطبيقات المذكورة أعلاه أكبر كثيرًا.

كان من الممكن أن يكون المتوقع منا هو تقديم نتائج أكثر من تلك النوعية الكمية، ولكن بقيامنا بذلك الإجراء شعرنا كفريق أن النتائج يمكن فهمها بشكل أفضل كتصورات لما هي في الأصل ملاحظات كيفية. كانت الفائدة الأساسية من تلك المقابلات هي الحكايات المتعمقة وقصص الاستخدام التي نتجت عنها، وهذه يمكنها أن تكون مضللة إن تم تقديمها في صورة أرقام كمية، والسبب وراء هذا هو صعوبة تعريف ما يعنيه أن نقول أن تطبيق ما يتم استخدامه أو لا. من الممكن مثلًا أن يكون أحد الأبناء هو من وضع التطبيق على الهاتف وفي حالات كثيرة يتم تنزيل التطبيق واستخدامه مرة واحدة فقط ولا يستخدم بعد ذلك، أو أن يكون قد استخدم مرتين أو ثلاثة ويكون الأشخاص غير محددين بشان ذلك فيقولون أنهم لا يستخدمونه ثم فجأة يتذكرون أوقاتًا استخدموه فيها. ثانيًا، من الممكن للتطبيق أن يكون طريقة واحدة من عدة طرق للنفاذ لخدمة ما، فمثلًا من الممكن أن يكون لدى الشخص تطبيق [Tripadvisor] على هاتفه، ولكنه رغم ذلك يعلن أنه غالبًا ما ينفذ إلى [Tripadvisor] عن طريق المتصفح وليس عن طريق التطبيق، إذًا ففي هذه الحالة هل نعتبره من مستخدمي [Tripadvisor] أم لا؟

ثالثًا، هناك كل التعقيدات التي وثقناها في الفصل الثالث تحت العنوانين «الإيكولوجيا الاجتماعية» و«إيكولوجيا الشاشة» . مثلًا، إذا كان الشخص لا يحمل تطبيقات المعاملات البنكية على هاتفه لأن شريكه هو من يقوم بالمعاملات البنكية فهل يعتبر هذا تواجدًا موكلًا للتطبيقات البنكية على هاتفه؟ إذا كان الشخص يستخدم

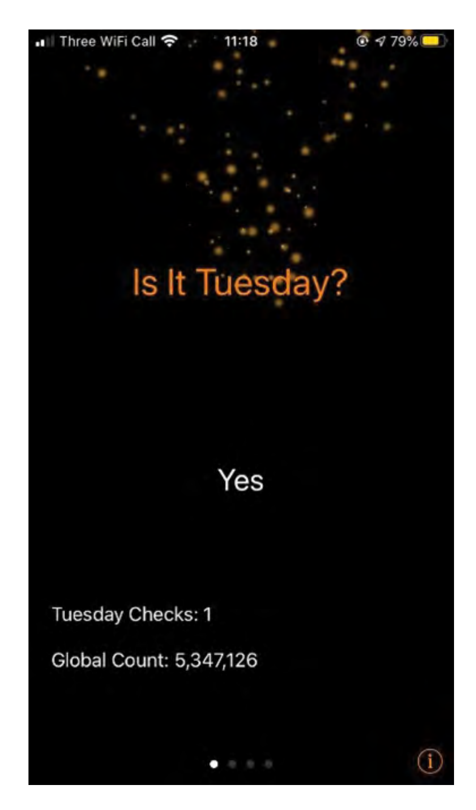


4.4 مجموعة منتقاة من التطبيقات الأكثر استخداما في المواقع الميدانية بأيرلندا استنادًا إلى 57 مقابلة شخصية، ولكن يجب التنويه أن الرسم التوضيحي ليس شاملًا. تم الرسم بواسطة جورجيانا موراريو.

التطبيقات على الآيباد بدلًا من الهاتف الذكي فهل يعتبر هذا نوعًا من النفاذية للهاتف الذكي؟ أم هل نعتبره شيئًا منفصلًا عن الكيفية التي يستخدم بها هاتفه الذكي؟ لهذا السبب نميل في هذه الحالة وفي الكتاب ككل إلى التحفظ في تقديم النتائج الكمية مع وضع قدرًا أكبر من الثقة في جانبها الكيفي في معظم الأحيان، فالتفاصيل المتعلقة بكيفية استخدام التطبيقات والآثار المترتبة على هذا الاستخدام هو ما يهمنا وليس محاولة تعريف ما يعتبر استخدامًا أو لا على وجه التحديد، وليس محاولة إحصاء النسب المحددة للاستخدام وسط مجموعات صغيرة ومحددة من الأشخاص على أي حال.

حل المشكلات التوسعي

كل هذا يلتمس السؤال الذي يتناول الماهية الفعلية للتطبيقات. نرى كلمة «تطبيق» نفسها ككلمة مضللة في بعض النواحي حيث أنها تجمع معا وحوشًا مختلفة جدًا، ففي الكثير من الأحيان يمكن فهم تطبيق ما بشكل أفضل على أنه مصطلح يعني حديقة حيوان بدلًا من كائن بمفرده. يساعدنا كتاب (مطبق)[3] الذي نشر مؤخرًا في فهم هذه النقطة حيث أن كل فصل من فصول الكتاب الـ 30 مخصص لتطبيق من التطبيقات ويأخذ عنوانه من اسم ذلك التطبيق. أحد تلك التطبيقات يدعى «هل هذا يوم الثلاثاء؟»،[4] وهذا التطبيق



4.5 لقطة شاشة لتطبيق «هل هذا يوم الثلاثاء؟» [Is It Tuesday?] الخاص بهواتف آيفون. تظهر الشاشة عدد المرات التي تحقق المستخدم من خلالها إن كان اليوم هو الثلاثاء أم لا كما تظهر عدد مرات التحقق عالميا لنفس اليوم. لقطة الشاشة لجورجيانا موراريو.

مزحة مقصودة فالشيء الوحيد الذي يفعله التطبيق هو الإجابة عن السؤال عما إذا كان اليوم هو الثلاثاء أم لا [الشكل 4.5]، وحتى الآن وجدناه دقيقًا. يكشف هذا التطبيق عن الطريقة التي نستخدم بها الدعابة والسخرية للتعامل مع فهمنا لتلك الثقافة الجديدة الخاصة بالتطبيقات، وهو الفهم الذي يتلخص في العبارة القائلة: «هناك تطبيق مخصوص لهذا». أبدى كاتب ذلك الفصل ملاحظة تقول أنه كما بالنسبة للمطرقة يبدو كل شيء كمسمار، كذلك بالنسبة للمطور يبدو كل شيء كمشكلة يمكن حلها بواسطة تطبيق. تأخذ تلك الملاحظات الكاتب لمناقشة موضوعات مثل الوظيفية الصغرى micro-functionality والقدرة على حل المشكلات solutionism.

في الطرف الآخر من الصورة هناك تطبيق صيني يناقشه الكاتب في فصل آخر من فصول نفس الكتاب.[5] يعتبر ويتشات هو السكين السويسري متعدد الأغراض في عالم التطبيقات، فمن التواصل الاجتماعي لدفع فواتير المياه يقوم هذا التطبيق بوظائف تفوق بمراحل تطبيقات أخرى مثل فيسبوك مثلًا. يذهب مؤلف الفصل إلى أنه هناك أسباب محددة تجعل تطبيقات المراسلات – القائمة على إرسال الرسائل النصية – هي التي تميل لتطوير الوظيفية المتزايدة التي يقوم عليها نجاح تلك التطبيقات. يطور التطبيق بنية تحتية يمكن تحويلها لأي شيء يحتاجه مستخدمي

الهواتف الذكية تقريبًا والتي تتراوح من طرق دفع المشتريات إلى حجز مواعيد زيارات الأطباء ومئات الوظائف الأخرى التي كان من الممكن – في سياق مختلف – أن يمثل تطبيق منفصل كل منها على حدة.

في الأدبيات التي تركز أكثر على الجانب التكنولوجي نجد أن الثقل ينتقل لمصطلح إمكانيات أو مزايا الاستخدام والذي يعني أن الطريقة التي صُمم بها التطبيق هي السبب وراء نزوع الناس لاستخدامه بشكل معين، ولكن من منظور إثنوغرافي فالتطبيق هو فقط ما يستخدمه الناس له فعليًا. لهذا السبب نجد أن ملاحظة الجانب الآخر له نفس القدر من الأهمية بداية من الجانب المعقد ورجوعًا إلى الجانب البسيط: مثل شارب الخمر الذي يمتلك السكين السويسري ولكنه لا يستخدم من أدواتها إلا المثقاب. عندما كان ألفونسو يعلم المواطنين التشيليين الأكبر سنًا في سانتياغو كيفية استخدام الهواتف الذكية وجد أن بعض طلابه حولوا تطبيق يوتيوب واختزلوه إلى وظيفة واحدة فقط بالنسبة لاستخدامهم اليومي له ألا وهي الاستماع إلى الموسيقى. أثناء بحثها في البرازيل وجدت ماريليا أن واحدًا من المشاركين في بنتو يستخدم فيسبوك لغرض واحد فقط هو تذكر أعياد الميلاد.

سوف نستخدم مصطلح «القدرة التوسعية على حل المشكلات \ الحلول القابلة للتطبيق على نطاق أوسع» للإشارة إلى هاتين الجدليتين. أولًا، التطبيقان «هل هذا يوم الثلاثاء؟» وويتشات يمثلان اتجاهين هما طرفي النقيض: التطبيق ذا الوظيفة الواحدة المحددة والتطبيق الذي يقوم بكل شيء. تقع كل التطبيقات في مكان ما بين هذين النقيضين، وهذا مثال على الحلول القابلة للتطبيق على نطاق أوسع scalable solutionism. ينطبق المصطلح أيضًا على عامل مهم آخر ناقشناه في الفقرة أعلاه وهو الذي يشير إلى أن التطبيقات ليست فقط التصميم أو الهدف الذي وضعه لها المطور. فغالبًا يكون عند المستخدم مشكلة يسعى لحلها أو مهام يرغب في إتمامها، وبالنسبة للمستخدم يصبح التطبيق مجرد ذلك الجزء الصغير من إمكاناته العديدة الذي يساعده فيما يهمه من أمور وبذلك يصبح هذا الجزء ببساطة هو كل ما يمكن أن يقدمه ذلك التطبيق بالنسبة للمستخدم.

لاختيار كلمة «حل المشكلات» مغزى مهم لأن المصطلح يدل على نتيجة أخرى مهمة لانتشار ثقافة التطبيقات. يأتي المثال على ذلك من دراسة عن البنى التحتية الرقمية والشركات الناشئة قامت بها عالمة الأنثروبولوجيا كاترين بايب والتي عملت في كينشاسا بجمهورية الكونغو الديمقراطية، حيث لاحظت بايب أبعادًا أكبر من مجرد الطريقة التي يصنع بها الناس ويستخدمون التطبيقات. تقول بايب أن انتشار التقنيات الرقمية كان له تأثيرًا عامًا على الطريقة التي ينظر بها الناس إلى العالم حولهم[6] فهو في حقيقة الأمر قد روج لمفهوم حل المشكلات. في كينشاسا هناك خطاب كامل عن إمكانية وجود الحلول solvability، وهو المفهوم الذي يلاقى صدى في سرديات المعونات التنموية والذي يستخدم الآن داخليًا ليعبر عن الحلول الرقمية الواعدة لمختلف أنواع المشاكل الحضرية. يمكن لهذا أن يكون مثالًا محليًا لما وصفه موروزوف في كتابه (لحفظ كل شيء اضغط هنا) كتوجه عالمي نحو هذا النوع من الحلول التكنولوجية للمشكلات.[7]

تتبع هذه الفرضية الفصل الثاني في الاعتراف بأن أحد التبعات المهمة للهواتف الذكية يتعلق بالخطاب وليس بالاستخدام. تبتدع التطورات في مجال التكنولوجيا الرقمية لغة وتوقعات جديدة كلية، فالناس الآن يميلون لرؤية العالم من خلال منظور حل المشكلات وتخيل الـ«vivre mieux» [أن نحيا حياة أفضل]. نجد هذا المفهوم داخل الخطابات الرسمية عن التكنولوجيا وعن فكرة المدن الذكية ولكننا وجدنا أن تلك الرؤية المثالية الخاصة بجمهورية الكونغو الديمقراطية كانت بعيدة كل البعد عن تجارب الناس الفعلية مع البنى التحتية الضعيفة والقيود التي تحكم الاتصال بالإنترنت. حين يتعلق الأمر بإيجاد الحلول يلجأ الناس «للذكاء العام» وهو المفهوم الذي صاغته بايب أيضًا.

كيف غير العالم التطبيقات

كانت النتيجة الواضحة لتبني منظور الذكاء العام هي أن التطبيقات يتم توظيفها وفقًا لاعتبارات محلية وثقافية. (كيف غير العالم منصات التواصل الاجتماعي) هو عنوان الكتاب المقارن الذي أفرزه مشروع (لماذا ننشر)،[8] وهذا العنوان يسير على نهج الملاحظة التي تقول أن منصات التواصل الاجتماعي بعيدة عن كونها تقوم بمجانسة العالم، بل إن كل منصة من تلك المنصات كانت تشهد استخدامات مختلفة جدا في كل موقع من المواقع الميدانية التي درسها المشروع. سار هذا المشروع بدوره على خطى إصدار سابق وهو (حكايات من فيسبوك)[9] الذي بحث في شكل فيسبوك حين دراسته من خلال استخدام الناس له في ترينداد. جاء فيسبوك للمجتمع الترينادادي لكي يدمج سماتًا خاصة جدًا بهذا المجتمع، ونتيجة لهذا صار من المستحيل فهم فيسبوك الخاص بترينداد بشكل جيد بغير فهم مصطلحات مثل commess و bacchanal اللذان يشيران للطرق المحددة التي تنتشر بها النميمة والفضائح في المجتمع الترينادادي.

تظهر الاختلافات بوضوح أكبر من خلال المقارنة المباشرة بين المادة البصرية المنشورة على فيسبوك في ترينداد من ناحية وفي إنجلترا من ناحية أخرى،[10] وأظهر لنا مشروع (لماذا ننشر) تنوعًا مماثلًا عبر كل المواقع الميدانية التي دخلت في الدراسة. على سبيل المثال من الممكن أن ينشر البرازيليون ذوو الدخول المنخفضة صورًا لأنفسهم بجانب حمامات السباحة والصالات الرياضية لإظهار تطلعاتهم، في حين أن التشيليون ذوو الدخول المنخفضة يتبعون عرفًا مختلفًا يتلخص في رؤيتهم لفيسبوك كمساحة لإظهار حقيقة حياتهم.[11] ينطبق الاعتراف بأهمية الاختلافات الثقافية في استخدام المنصات الاجتماعية على استخدام الهواتف الذكية أيضًا. لا يقتصر الأمر فقط على أن الناس في منطقة ما يستخدمون واتساب وفي منطقة أخرى يستخدمون ويتشات، إنما هناك أيضًا اختلافات في الطريقة التي تستخدم بها المنصة الواحدة مثل فيسبوك حتى أن علماء الإثنوغرافيا يجدون أنفسهم يتعاملون مع أكثر من منصة لفيسبوك وليس فقط منصة واحدة.

يشتق وجه من أوجه ذلك التنوع ليس فقط من الاختلافات في استخدام التطبيق الواحد ولكن أيضًا من الطريقة التي يجمع بها الناس بين التطبيقات لإنجاز المهام. حين نعمل مع كبار السن يصبح من المهم الابتعاد قليلًا عن وضع التطبيقات في بؤرة التركيز، ويمكننا البرهنة على ذلك باتخاذ فيرناندا من بنتو كمثال. فيرناندا منظمة جدًا ومسؤولة عن أسرتها وعن الأمور المالية لعملها الخاص، وهي تضع قائمة المهام الخاصة بها كلها في تطبيق التقويم بما في ذلك تسديد الفواتير. تأتي معظم الفواتير عبر البريد الإلكتروني وعندما يحين موعد التسديد تستخدم فيرناندا التطبيق البنكي للتسديد ثم ترسل الإيصالات باستخدام واتساب لصاحب العقار الذي تسكن به مثلًا.

لا يعتبر أي من هذا مفاجئًا، ولكن هناك آخرون يتجاوزون التطبيقات البديهية لإنجاز تلك المهام ويتعاملون معها بطريقة ملتوية أكثر. هناك مثلًا سوزانا التي هاجرت من فينزويلا إلى سانتياغو والتي لا تستخدم تطبيقها البنكي ولكنها حين تريد دفع فاتورة فإنها تبحث عن بنكها باستخدام جوجل ثم تزور موقع البنك وتقوم بدفع الفاتورة من خلال الموقع. أما إرنستينا فهي تعقد الأمور أكثر من ذلك، فهي حين تحتاج لإعادة إرسال الفواتير عبر البريد الإلكتروني لأختها وهي لا تعلم كيفية فعل ذلك تلجأ لأخذ لقطة شاشة للفاتورة من داخل تطبيق البريد ثم تذهب لمعرض الصور وترسل لقطة الشاشة لأختها عن طريق واتساب. في معظم الأحيان كان عدم فهم تلك التطبيقات بشكل كاف هو ما يدفع هؤلاء الأشخاص الأكبر سنًا لتطويع استخدام تطبيقات أخرى بطرق إبداعية، وهم يجعلوننا نرى بوضوح أن تسجيل إمكانات الاستخدام لكل تطبيق فقط لن ينفعنا كثيرًا. لا يكترث هؤلاء الأشخاص بالتطبيقات بل بدفع الفواتير، وللقيام بذلك العمل فهم يستخدمون مزيجًا من التطبيقات بطرق ربما لم توجد في مخيلة مطوري تلك التطبيقات أصلًا. ورغم ذلك نجد أن تلك الأمثلة هي أمثلة استثنائية، وللتحدث عن تلك النقطة بشكل أكثر عمومية فإن القسم التالي يتحرى عن ضرب كامل من ضروب استخدام التطبيقات.

الصحة فيما وراء حلول المشكلات

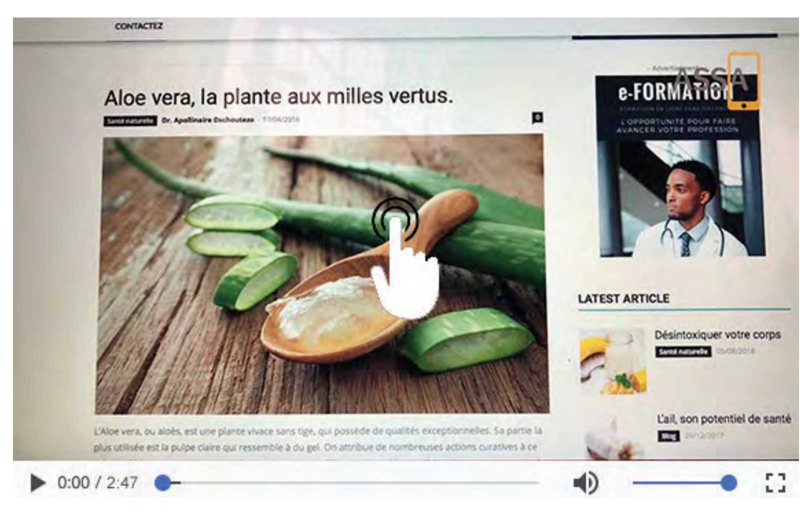
بدأ هذا المشروع البحثي بالتزام نحو المساعدة في تسهيل المبادرات في مجال الصحة عبر الهاتف [mHealth]، وعلى هذا فهو اتبع خطى الكتابات في هذا المجال والتي تهتم بشكل أساسي بالتطورات الجارية في التطبيقات المتخصصة للهواتف الذكية.[12] تكون هذه التطبيقات في المعتاد تطبيقات لمعاينة الأعراض أو لتمرينات إعادة التأهيل أو لنوم أفضل أو للياقة البدنية. نقول بشكل آخر أن الصحة عبر الهاتف مثال أساسي لحل المشكلات أملًا في وجود تطبيق لكل مشكلة صحية والذي من الممكن أن يساهم ولو قليلًا في الحل. سوف تُنشَر نتائج هذا الجزء من المشروع في موضع آخر وليس هنا، ولكن يكفي أن نقول أن هذا الهدف الأصلي سرعان ما تقوض بسبب النتائج التي خرجنا بها كعلماء إثنوغرافيا.

لقد قررنا التركيز على مجال الصحة عبر الهاتف لأن الفئة العمرية التي استهدفناها تكون عادةً عرضة للمشاكل الصحية، ولكن سرعان ما اتضح لنا أن هذا لا يعني تقبلًا كبيرًا لتطبيقات الصحة بأي شكل. على سبيل المثال ففي استطلاع رأي أجراه ألفونسو في المركز الثقافي لكبار السن في سانتياغو وجد أن 52 من أصل 64 مشارك [أي 81 بالمائة] لا يستخدمون تطبيقات الهواتف المحمولة المخصصة للصحة، وحتى هؤلاء الذين يستخدمون تطبيقات تتعلق بالصحة لا يستخدمون التطبيقات الطبية الحيوية التي تعتبر تطبيقات مخصصة للصحة عبر الهاتف. كانت كل التطبيقات المتعلقة بالصحة التي رأيناها بوضوح في الكثير من المواقع الميدانية تقريبًا من النوع الذي يمثل «الصحة البسيطة» مثل عداد الخطوات وتطبيقات التأمل والحميات الغذائية. وبالمثل وجدت ليلى ومايا أن الـ27 سيدة اللاتي التقيا بهن في دار الهوى [وكلهن فوق الـ40 عام من العمر] لم يكن من بينهن من تستخدم تطبيقات الصحة رغم أنهن سمعن عنها بشكل مبهم؛ سيدة تدعى هالة مثلًا كانت قد سمعت عن وجود تطبيق للعيادة الصحية بمنطقتها وكانت تستخدم هاتفها الذكي للاتصال بتلك العيادة ولكنها لم تشعر بالحاجة لتنزيل التطبيق الخاص بالعيادة على هاتفها نظرًا لأنها تسكن بالقرب منها.

رغم ذلك فهؤلاء الأشخاص الأكبر سنًا كانوا يستخدمون تطبيقات الهواتف الذكية لأغراض الصحة أكثر مما تصورنا بكثير. هم فقط لم يأخذوا طريق حلول المشكلات بالبحث عن تطبيقات مصممة خصيصًا لمشكلات صحية محددة، بل على العكس فقد كيفوا ودمجوا وقربوا التطبيقات التي يستخدمونها لأغراض أخرى. في ياوندي قال 19 من أصل 65 مشارك [29 بالمائة] أنهم عادة ما يستخدمون تطبيقات للصحة، وربما تكون هذه تطبيقات مخصصة لو كانت مثبتة مسبقًا مثل عداد الخطوات ولكن في معظم الأحوال يكونوا يقصدون تطبيقات الهاتف الذكي واسعة الانتشار. تنقسم استخدامات الهواتف الذكية للأغراض الصحية لثلاثة أقسام: القسم الذي يعني بالتغذية والقسم المتعلق بالرياضة واللياقة البدنية والقسم الخاص بالمهام الطبية مثل التطبيقات التي تساعد المرء على متابعة نومه أو مواعيد أدويته. من الاستخدامات المنتشرة للهواتف الذكية هو عندما يبحث الناس في جوجل أو يوتيوب عن استخدامات النباتات الطبية ومعلومات أخرى متعلقة بالصحة. وتتنوع هذه النباتات بشكل كبير، فعلى سبيل المثال هناك تلك السيدة التي استخدمت نبات ملك الأعشاب للمشاكل الجلدية والسيترونيلا وزيت النخيل لآلام المعدة، وهناك سيدة أخرى استخدمت أوراق الجوافة كعلاج لمشاكل الغدة الدرقية، كما أن هناك إداري تنفيذي سابق يطلب دومًا من الأشخاص في مجموعة الواتساب الخاصة به معلومات ونصائح عن الروماتيزم وسرطان المثانة وهما مرضان منتشران جدًا بين السكان في هذا المكان بالعالم.

هذا الفيلم القصير [الشكل 4.6] يوضح استخدام الهواتف الذكية في استخراج المعلومات عن العلاجات التقليدية.

بالمثل فإن تطبيق الصحة الرئيسي الذي يستخدمه الكبار في دار الهوى هو مجموعات الواتساب حيث يعيد الأشخاص إرسال الرسائل الخاصة بالتغذية والرياضة لكبار السن. هناك أيضًا الرسائل المتداولة عن داء السكري الذي



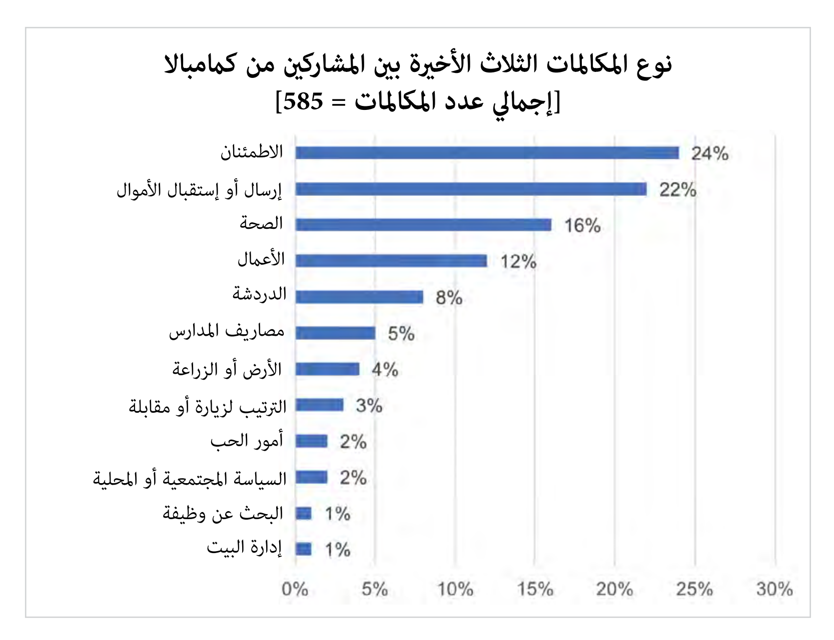
4.6 فيلم: (الرعاية الصحية في ياوندي). متاح من خلال http://bit.ly/healthcareyaounde.

يعاني منه الكثير من سكان القدس من العرب.[13] ربما يكون هناك الكثير من تلك الرسائل قبل العطلات لأن تلك العطلات هي الأوقات التي يكثر فيها الناس من أكل الحلويات والأطعمة الاحتفالية.

هناك نوعًا من التطبيقات المخصصة للصحة يستخدم في بعض المواقع الميدانية وهو تلك التطبيقات التي توفرها شركات التأمين الطبي. تسمح هذه التطبيقات مثلًا بتصوير الفواتير وإرسالها من خلال التطبيق لتسريع عمليات دفع المطالبات، وهذه الخدمة موجودة وقيد الاستخدام في دابلن. في المقابل فإن الناس في بنتو يعانون مع التطبيقات التي تتيح لهم حجز الزيارات الطبية على سبيل المثال، ويتلافاها الناس بإيجاد طرق بديلة بواسطة تطبيقات أخرى. تستخدم ساندرا من بنتو النظام الصحي الموحد [SUS]، وحاولت أن تستخدم تطبيق الأجندة السهلة [Agenda Fácil] الذي يحجز مواعيد الزيارات على الشبكة العامة بالإضافة إلى أنه يقوم بإنتاج نسخة رقمية من البطاقة الصحية القومية ولكنها لاقت الصعوبات في استخدامه فأصبحت تلجأ لأخذ لقطات الشاشة لبطاقتها الصحية وحفظها على قرص جوجل [Google Drive] وفي يوم الزيارة تفتح ساندرا الصورة من على قرص جوجل وتريها للشخص المسؤول على شاشة هاتفها الذكي.

من المحتمل أن التطبيقات ليست هي المفتاح لتوظيف الهواتف الذكية للأغراض الصحية. في لوسوزي يأتي التأثير الجوهري للهواتف الذكية فيما يخص الصحة من حركة الأموال، فالمكالمات الصوتية والمعاملات المالية الهاتفية من أكثر استخدامات الهواتف المحمولة انتشارًا وهي غالبًا ما تصل الناس بأقاربهم في القرى البعيدة. يحدث أن يتصل الأشخاص بهؤلاء الأقارب للاطمئنان عليهم أو لطلب المساعدة المالية والذي عادة ما يتبعه تحويل الأموال بواسطة المعاملات المالية الهاتفية.

في استطلاعي رأي مختلفين سألت شارلوت الناس عن مكالماتهم الثلاثة الأخيرة: من كانوا الأشخاص الذين اتصلوا بهم وماذا كان الغرض من تلك المكالمات وكم كانت مدة المكالمات. أجاب عن تلك الأسئلة 195 شخص وقالوا تفاصيل عن 585 مكالمة، ويحلل المخطط البياني المصور أدناه أهداف تلك المكالمات [الشكل 4.7]. كانت الكثير من المكالمات بغرض طلب أو إرسال المساعدة التي تكون أحيانًا في صورة نقود وأحيانًا أخرى في صورة طعام، ووضح الأشخاص ذلك قائلين: «كان يريد مني مساعدته» أو «لقد اتصلت لتطلب إرسال بعض المال لشقيقتي».

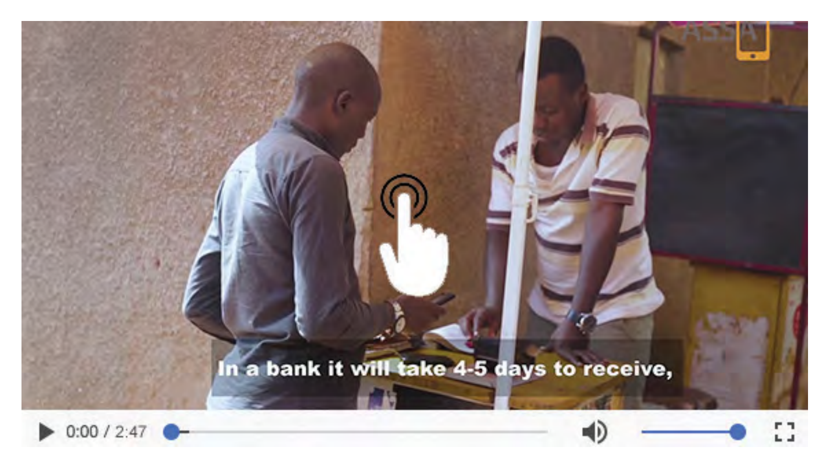


4.7 مخطط بياني للمكالمات الهاتفية الثلاث الأخيرة للمشاركين في البحث في كامبالا. قامت بالاستطلاع شارلوت هوكينز.

كانت الكثير من المكالمات في هاتين الفئتين – الاطمئنان على الأقارب وإرسال الأموال – لها علاقة بالصحة بالإضافة إلى أن 16 بالمائة من المكالمات كانت تتم من أجل أغراض صحية فقط، واشتملت تلك المكالمات على 60 مكالمة للوقوف على الحالة الصحية لأفراد العائلة: «كانت متوعكة فاتصلت بها لأعرف كيف كانت تشعر عند استيقاظها» أو «كان يحكي لي عن مرض أبيه». كان هناك أيضًا 23 مكالمة أجريت مباشرة مع أخصائيين في المجال الصحي منهم 15 طبيبًا و 8 ممرضات، ووصفوا هذه المكالمات بأنها «للمتابعة» أو «للتأكد من الدواء» أو «لمعرفة إن كانت صحتي تتحسن».

غالبًا ما تُمدح المعاملات المالية الهاتفية كمثال على تطويع التكنولوجيا للاحتياجات العامة وهو ما يمنح المرونة المالية والاتصال المالي.[14] ترسخت هذه الممارسة الآن في الحياة اليومية في لوسوزي وتستخدم مثلًا للعناية بصحة الآباء عن بعد، ويستخدم كل المشاركون في البحث هناك تقريبا المعاملات المالية الهاتفية. نظرًا لوجود 33 متجر للهواتف المحمولة في لوسوزي تعتبر المعاملات المالية الهاتفية أكثر أنواع المعاملات البنكية وتحويل الأموال سهولة وملاءمة للناس. يأخذ الراغبون في إرسال الأموال الأوراق النقدية للوكيل الذي يتولى التحويل لرقم هاتف المستلم من خلال هاتفه الخاص. استفسرت شارلوت أيضًا من المشاركين عن المرات الثلاث الأخيرة التي أرسلوا فيها أو استقبلوا الأموال من خلال المعاملات الهاتفية. من أصل 130 حوالة كانت 37 منها [28 بالمائة] للمساعدة والتي من الممكن أن تكون مالًا للصيانة أو للطعام أو كمصروف أو هدايا، يليها 32 حوالة [25 بالمائة] لأغراض صحية بما في ذلك فواتير المستشفيات والأدوية والانتقالات للمستشفى وتكاليف الجراحات.

يشرح الفيلم القصير التالي طرق استخدام المعاملات المالية الهاتفية [الشكل 4.8].



4.8 فيلم: (الأموال المحمولة في أوغندا). متاح من خلال http://bit.ly/mobilemoneyuganda.

تجعل الدلائل الإثنوغرافية الافتراضات التي تقول أن تقنيات الدوت كوم تزيد من الفردية والأنانية أكثر تعقيدًا لأن تلك الدلائل تشير أيضًا إلى أن تقنيات الدوت كوم تعلي قيمة الواجبات العائلية والاحترام بين أفراد العائلة حتى ولو عن بعد. قالت إحدى السيدات أنها هي الشخص الوحيد الذي ينفق على أبويها في موطنهما، وقالت أيضًا أن أمها أصبحت مؤخرًا تعاني من قرحة بالمعدة ولهذا أرسلت إليها بعض المال للذهاب للمستشفى. قال أحد كبار السن بالقرية أيضًا أن الحياة الآن أسهل لوجود الهواتف التي تجعل في استطاعتهم التحدث عن مشاكلهم إلى أقاربهم في المدينة الذين يستطيعون «جمع» التمويلات اللازمة.

في كامبالا أيضًا تم تبني واتساب بشكل واسع للأغراض الصحية حيث تنتشر مجموعات واتساب كبيرة بغرض مشاركة المعلومات داخل الأحياء أو بين أصحاب الوظائف المتخصصة كالتمريض. أثناء تفشي مرض الكوليرا في لوسوزي منذ فترة قريبة لم تكن وزارة الصحة تبث أنباء المرض على الراديو والتليفزيون فقط بل كانت ترسل أيضًا رسائل نصية للأفراد في المناطق المصابة والتي كان يتم تداولها وتنتشر من خلال واتساب بعد ذلك. بالإضافة إلى ذلك فجميع العاملين في المستشفى الحكومي يشتركون في مجموعة على واتساب يتم من خلالها تداول الأخبار، كما أن لكل قسم مجموعة الواتساب الخاصة به والتي من خلالها يبلغ العاملون بعضهم بتغيبهم عن العمل أو يتبادلون المعلومات عن آخر تطورات المرضى أو الإمدادات الطبية، ويستطيعون أيضًا تداول تلك المعلومات من خلال مجموعات واتساب مع شبكات من خارج المستشفى. أوضح أحد عمال الكهرباء قائلًا: «في المجموعة التي أشترك بها هناك معلم وطبيب ... لذلك فأي معلومة يصل إليها أحدهما تصل إلي أنا أيضًا»، وقالت سيدة أخرى أنها «تعلمت الكثير» عن الصحة من خلال واتساب مثل فحص سرطان الثدي أو المعلومات الخاصة بالتغذية.

ركز مشروعنا على كبار السن أكثر من المسنين، ونتيجة لذلك كانت أحد مشاكلهم المتكررة المتعلقة بالصحة هي العناية بآبائهم الهزال الذين ربما يكونون في التسعينات من عمرهم.[15] تصفح تاريخ مكالمات هاتف فرانسيس من أيرلندا يكشف أن حوالي 80 بالمائة من المكالمات الصوتية والرسائل النصية التي ترسلها وتستقبلها لها علاقة بالترتيب لرعاية أبيها المريض، فمنذ التدهور الأخير في صحته وهو طريح الفراش ويحتاج للمساعدة في تغيير ملابسه والاستحمام ولأحد يرعاه حيث هو. تعطي الدولة فرانسيس 10 ساعات أسبوعيًا لرعاية والدها، ولكن تلك الرعاية

أصبحت عمل آخر بدوام كامل لبقية الوقت وهو ما أذهب بأحلامها في التقاعد. أرسلت فرانسيس في الشهر الماضي فقط 270 رسالة نصية تخص رعاية والدها، ويلبي هاتف فرانسيس الذكي احتياجاتها فيما يخص ذلك الغرض. على سبيل المثال لدى فرانسيس مسجل صوت يسجل كل مكالماتها الهاتفية، وتستخدم هي تلك المكالمات كدليل عندما تختلف مع المؤسسة الصحية حول مطالباتها بالرعاية المستحقة. تأخذ فرانسيس أيضًا بطارية شحن محمولة معها في أي مكان لتضمن ألا ينفذ شحن بطارية هاتفها، وتختص مجموعتان من مجموعاتها الأربعة على واتساب بتنظيم الرعاية لأبيها مع أفراد عائلتها والمجموعتان الأخرتان بالملاحة. يمتلك والدها هاتف من ماركة دورو [هاتف بسيط الاستخدام مصمم للمسنين] حتى يستطيع التحدث إلى شقيقتها، ونظرًا لأن شقيقتها تلك في المراحل الأولى من مرض الزهايمر فأحيانًا تكون المحادثات بينهما طويلة وتنحرف في اتجاهات شتى. [ابتاعت مشاركة أخرى تدعى ستيفاني نفس الهاتف لحماتها المسنة التي تبلغ 89 عامًا من العمر]. نتيجة كل هذا هو وجود هاتف ذكي يستخدم بشكل شبه كامل للأغراض الصحية، ولكن لا تشمل أيًا من تلك الاستخدامات التطبيقات المخصصة لمجال الصحة عبر الهاتف وبدلًا من ذلك نجد أن قدرة فرانسيس الخلاقة على تطويع استخدامها اليومي العادي لهاتفها الذكي هي ما أفرز أدوات فعالة لرعاية أبيها.

وأخيرًا، تشير الدلائل القادمة من اليابان إلى إمكانية وجود استخدامات مستقبلية للهواتف الذكية تتعلق بنطاقات أوسع في تقنيات الصحة، فالتكنولوجيا هناك تتصدر استراتيجية الدولة لمواجهة مشكلة التزايد السريع لأعمار الشعب ونقص عمالة الرعاية الصحية، وتم تصميم ''ايكو سيستم" من الاجهزة التنبيه وأجهزة استشعار الحركة والذي يطيل الوقت الذي يمكن أن يظل الشخص المسن يتلقى فيه الرعاية الصحية في بيته ويخفف العبء على مؤسسات الرعاية الصحية المحلية. يعيد نظام التأمين الصحي طويل الأجل التابع للدولة تكاليف تقنيات الرعاية الصحية لأصحابها بعد عملية معقدة من التقييم القائم على تقدير الاحتياجات،[16] ونجد أن السياسة هنا هي تعزيز الرعاية المباشرة وجهًا لوجه بالتكنولوجيا وليس استبدالها.

يعيش السيد كاوامورا الذي يبلغ 85 عامًا من العمر وحده في مقاطعة كوتشي الريفية، وهو يملك جهاز استشعار مثبت على السقف فوق سريره لتنبيه خدمة الرعاية الصحية المحلية لأي سكون غير اعتيادي في حركته، كما يملك أيضًا زر إنذار للطوارئ يمكنه الضغط عليه في حالة سقوطه. كان السيد كاوامورا لا يزال قويًا بما يكفي لأن يقوم بتقطيع الخشب الذي يستخدمه لتسخين المياه للاستحمام مساء في حمامه الخارجي، ولكن الزيارات المنتظمة من قبل موظف مكتب الصحة المحلي كانت ضرورية لضمان حصوله على الدعم اللازم لاستمراره في العيش بمفرده لأطول فترة ممكنة. وبالمثل أوضح السيد توريياما الذي يعيش مع والدته البالغة من العمر 78 عامًا أنها استطاعت الاستغناء عن دواء الضغط بشكل كامل بمساعدة الطب الياباني التقليدي [كامبو] مع المراقبة اليومية لحالتها بواسطة جهاز لقياس ضغط الدم، وقد استطاعت من خلال الجمع بين المراقبة الذاتية وتشجيع ابنها لها على القيام بالمشي بشكل يومي وتناول الطعام الصحي أن تقوم بتغييرات إيجابية أدت إلى تحسن حالتها الصحية.

التطبيقات والشاشات

ترينا الأبحاث الإثنوغرافية من خلال هذه الأمثلة المتنوعة عن الاستخدام لم يجب أن يكون تركيزنا على المهام وليس على التطبيقات في حد ذاتها، ولكن هناك صفة بالغة الأهمية في الهواتف الذكية وراء هذا التحول في بؤرة التركيز. يسمح تصميم الهاتف الذكي بتشكيل التطبيقات في مجموعات حيث يستطيع الناس التنقل بسهولة بين التطبيقات التي تظهر كأيقونات متراصة جنبًا إلى جنب على شاشات هواتفهم. يجعلنا هذا نرى أهمية فهم الكيفية التي ينظم بها الناس شاشات هواتفهم والأيقونات التي تحتويها تلك الشاشات، وغالبًا ما يكون ذلك جزءًا من التعديلات التي

يجرونها على هواتفهم بعد الشراء لملائمة استخداماتهم الشخصية. عادةً ما نرى تنظيم التطبيقات كشيء محوري للطريقة التي يحول بها المستخدمين هواتفهم الذكية إلى أجهزة تحكم تستطيع تنسيق التطبيقات القريبة من بعضها سويًا لجعلها مناسبة وسهلة للاستخدام. هناك فعليًا نوعان من مراكز التحكم هذه: مركز التحكم عن بعد الذي تحدثنا عنه في الفصل الثالث فيما يتعلق بإنترنت الأشياء ومركز التحكم المهتم بالداخل الذي ننظر فيه هنا والذي يقوم على تنظيم التطبيقات داخل الهاتف الذكي.

عملية إنشاء مراكز التحكم هذه ليست دائمًا عملية سهلة، وتتمثل واحدة من التعقيدات التي قدمناها في نقاشنا حول إيكولوجيا الشاشة في حقيقة أن بعض الناس يستخدمون التطبيقات عبر أجهزة مختلفة بما في ذلك أجهزة التابلت واللابتوب وأيضًا الهواتف الذكية. نلاحظ هنا ثلاثة تغييرات أساسية: الأول هو حذف أي تطبيقات غير مستخدمة ووضع أكثر التطبيقات استخدامًا على الشاشة الرئيسية؛ والثاني هو تجميع التطبيقات بناءًا على وظائف محددة [الشكل 4.9] فالكثير من المستخدمين لديهم الآن أيقونة للأخبار – والتي تشمل كل تلك التطبيقات المتعلقة



4.9 مثال للأيقونات المتداخلة التي تساعد على تحويل الهاتف الذكي إلى ما يشبه أجهزة التحكم. الصياغة المرئية لجورجيانا موراريو.

بالأخبار – وأيقونة للرياضة أو للسفر أو للشؤون المالية تستخدم أيضًا بنفس الطريقة؛ والتغيير الثالث هو ببساطة وضع التطبيقات بالمقاربة ببعضها البعض، وعادةً ما يكون ذلك لأنها تستخدم سويًا. هناك بعض الاستثناءات رغم ذلك، فأليساندرا من نولو نظمت تطبيقاتها حسب الحروف الأبجدية بعناية في حين أن برونو من ميلانو – وهو معماري متقاعد من ساردينيا في الأصل – نظم تطبيقاته حسب اللون.

عندما يتعلق الأمر بكبار السن فشاشاتهم تحتاج أحيانًا إلى بعض التفسير. وجد الباحثون بشكل عام أن كبار السن الذين عملنا معهم بشكل أساسي كانوا لا يتميزون بكيفية تنظيمهم لشاشاتهم بقدر ما كان الشباب هم من يتميزون بذلك، ولكنهم ومع اكتسابهم الخبرة سرعان ما لحقوا بهم. يضع بعض كبار السن تطبيق واحد على كل شاشة لأنه لم يحدث أن علمهم أحد كيفية دمج التطبيقات. في دورة الهاتف الذكي التي قدمتها مايا في دار الهوى كرست درسًا كاملًا لفهم الشاشات المتعددة للهواتف الذكية ولفهم ما تعنيه «الشاشة الرئيسية». لاقى الطلاب في الكثير من الأحيان صعوبة في البحث عن تطبيقات بعينها أثناء الفصول وكان تطبيق ويز من التطبيقات التي احتاج الناس للمساعدة في تنزيلها، ولكن كان يبدو أن الطلاب يحتاجون أولًا لتعلم كيفية التعامل مع هواتفهم الذكية قبل استخدام التطبيق للتجول في المدينة. أثناء مقابلة أجريناها في بنتو قالت ريتا أنها تعرف النصف فقط من التطبيقات الموجودة على شاشتها الرئيسية وأنها تستخدم 23 تطبيقًا فقط من 45 تطبيق على هاتفها الذكي،[17] أما إدواردو فهو كمحاسب يملك 104 تطبيق على هاتفه يستخدم منهم 70 تطبيقًا فقط وهذا يعني أن هناك 34 تطبيقًا لا يستخدمهم أو لا يعرف كيفية استخدامهم، وبالرغم من ذلك وبالمقاييس النسبية فإن إيارا تتفوق عليه حيث أنها تعرف أقل القليل عن ثلثي التطبيقات على هاتفها تقريبًا [35 من 55 تطبيق].

في المقابل نجد أن إستيبان – وهو مهاجر بيروفي ورجل أعمال ناجح يعيش في سانتياغو – حريص جدًا على تنظيم شاشاته الثلاث الرئيسية. ينظم إستيبان تطبيقاته حسب كثرة أو قلة استخدامه لها فقط، ويحكم على أي تطبيق قل استخدامه أو تكرر مع تطبيق آخر بنقله إلى شاشة التطبيقات الأقل استخدامًا على اليمين، أما الشاشة الثالثة فهي بمثابة شاشة الإعدام حيث أن كل التطبيقات بها هي تطبيقات يخطط لحذفها. ينظم إستيبان أيضًا مجلدات التطبيقات حسب استخدامها، وحين كان يرينا هاتفه شرح لنا التطبيقات داخل مجلد (السفر\ سيارات الأجرة) والتي تحتوي على Booking.com و [Latam] [تطبيق خطوط جوية] و [Tripadvisor] و [Airbnb] و [Despegar] [شركة سياحة] و Hoteles.com و [Latam Play] [تطبيق للترفيه أثناء رحلات الطيران] و [Wallet]، كما انتهز الفرصة أثناء ذلك لنقل تطبيق Cabify من ذلك المجلد لمجلد (الخرائط) والذي يحتوي أيضًا على تطبيقات [Google Earth] و [Apple Maps] و [Google Maps] و [Waze] و [Uber]. أبرز إستيبان أيضًا «أهم تطبيق» لديه على شاشته الرئيسية ألا وهو تطبيق [ATP Tour]، فهو يخطط للسفر لأوروبا العام القادم لمتابعة بطولات التنس، كما أشار لـ«أهم مجلد» لديه وهو مجلد (الموسيقى) الذي يحتوي على [Panamericana] [الراديو البيروفي] و [Radio Peru] و [A la carta] [تطبيق للتليفزيون] و Spotify و مشغل الموسيقى و [Union Radio] و [Oasis FM] [محطة راديو للأطفال بها موسيقى وأخبار قليلة جدًا، فهو يقول أنه لا يحب سماع «الأخبارالكئيبة»]. لدى إستيبان أيضًا بضعة تطبيقات للصحة واحد منهم ليذكره بأخذ أدويته في وقتها [فهو يعاني من مرض بالقلب]، كما أنه أعد وسيلة لإجراء مكالمة طوارئ على الآيفون والتي لا تحتاج إلا إلى الضغط على زر الصوت مع زر الفتح.

ينقسم الكثير من المشاركين إلى فئتين: إما «مشرفي المنازل» أو «المكنزين»، فمشرفو المنازل يأخذون بزمام الأمور في تنظيم التطبيقات والمحافظة على هواتفهم في شكل مرتب، أما المكنزون فيشعرون بالارتباك من تكاثر التطبيقات على هواتفهم ويفقدون زمام الأمور. أعطتنا المقابلات أيضًا إدراكًا للتطبيقات كمؤشر على سلوك الناس تجاه الوقت، فالبعض ذكروا التطبيقات التي أنزلوها لأنهم تصوروا وجود حاجة لها في المستقبل في حين أن البعض الآخر ينزلون

التطبيقات فقط حينما يحتاجونها. أيضًا يحذف البعض التطبيقات بمجرد انتهاء حاجتهم لها في حين يحتفظ البعض الآخر بها لربما يحتاجونها مرة أخرى.

من أين تأتي التطبيقات؟

لا تظهر التطبيقات من العدم، فالشركات التي غالبًا ما تبحث عن الكسب هي من تصنعها وتملكها. في تجارة التطبيقات هناك فرق بين العملاء والمستخدمين، فالعملاء هم غالبًا من يدفعون المال من أجل تطوير وصيانة التطبيق، وفي حين أن المستخدمين ربما يدفعون المال أيضًا لاستخدام التطبيق إلا أن معظم التطبيقات منتشرة الاستخدام هذه الأيام متاحة مجانًا للمستخدم. تشمل الأمثلة على التطبيقات المجانية واسعة الانتشار لاين وويتشات وفيسبوك ومسنجر وواتساب[18] وأيضًا تطبيقات متعلقة بمجموعة جوجل مثل قرص جوجل. هذه التطبيقات ليست «مجانية» تمامًا بالطبع، فالمستخدمون يدفعون خصوصيتهم في مقابل الخدمة،[19] وتوثق شروط الاستخدام الإجبارية هذا الاتفاق عند الاستخدام الأول لتلك التطبيقات.[20] للحظة قصيرة تنكشف أغراض من هم وراء التطبيق من خلال تلك الشروط ولكن لأنها مفرطة الطول فتقريبًا لا أحد يقرؤها،[21] وتقريبًا لا يجد أحد الدافع لقراءتها بما أنه لا مجال فيها للتفاوض فلابد من قبولها حتى يتسنى للشخص استخدام التطبيق. أظهر معظم المستخدمين عبر مواقعنا الميدانية درجة معرفة واهتمام بمن يملكون التطبيقات أو المنصات تكاد أن تكون منعدمة، ولم يهتموا أيضًا بمعرفة ما إذا كانوا يستخدمون تطبيقات تنتمي لنفس المصدر التجاري أم لا. بالنسبة لهم يعتبر فيسبوك منصة منفصلة ولا يهتمون كثيرًا أن نفس الشركة تملك واتساب وإنستاجرام أيضًا، فهم يهتمون فقط بتنزيل التطبيق الذي يختارونه ويستخدمونه كيفما يشاؤون.

يعارض معظم مشاركينا بشدة دفع المال مقابل التطبيقات. في الصين لديهم قابلية أكثر لتقبل هذا الأمر، ولكنهم ربما يتأثرون في ذلك بعوامل مثل الثقة في المطور[22] أو الامتثال الاجتماعي على للإنترنت وأيضًا الهوية الاجتماعية.[23] غالبًا ما يكون المستخدمون في الصين – كما في مناطق أخرى – غير عالمين بهوية المطورين، فهم فقط يبحثون عن التطبيقات بناء على الترشيحات لأن هدفهم هو مدى نفع تطبيق ما لهم وليس علامته التجارية.

يقول وايواي وهو سائق أجرة متقاعد من شنغهاي: «أنا أهتم بالبيضة وليس بالدجاجة». كان الأشخاص في كل المواقع الميدانية لا يعرفون من يملك التطبيقات التي يستخدمونها باستثناء المعروفين منهم مثل فيسبوك وويتشات. أظهر تقرير عن السوق من جوجل أنه على الرغم من أن متجر ألعاب جوجل يظل الطريقة الأكثر رواجًا للعثور على التطبيقات إلا أن ربع العملاء تقريبًا أصبحوا يكتشفون تطبيقات جديدة عن طريق البحث.[24] السيدة تشيان من شنغهاي مثلًا ثبتت تطبيق إدارة حجوزات المطاعم [ميويبويوندونج] [Meiweibuyondeng] عندما كانت تجلس خارج مطعم معروف تنتظر مكانًا تجلس فيه، أما الآن تُرسَل الإشعارات إلى هاتفها الذكي لتخبرها بالطاولات المتاحة للجلوس، وبنفس الطريقة ربما يكتشف شخص ما تطبيق لمشاركة الدراجات كنتيجة للبحث على خرائط جوجل.

على الرغم من ذلك تجاهد بعض الشركات لمجابهة هذه اللامبالاة وتحاول إبقاء الناس في حدود الكون المؤسسي الخاص بهم. ربما كان المثال الأشهر على ذلك فيما يتعلق بالهواتف الذكية هو شركة آبل التي تحتفظ ببعض التحكم على التطبيقات التي تستخدم على الآيفون من خلال إتاحة أو عدم إتاحة تلك التطبيقات على متجر آبل، وهي أيضًا تميل لمزامنة البيانات آليا مع أجهزة آبل الأخرى التي يملكها نفس المستخدم إذا ما كانت هذه أجهزة آيباد أو كمبيوتر ماك. يبدأ تحكم آبل في التطبيقات من «مراجعات آبل» وهي مجموعة من التعليمات المشددة التي لابد أن ينصاع لها المطورون إذا أرادوا نشر تطبيقاتهم على متجر آبل. تشتمل تلك الإرشادات الخاصة بمتجر آبل أمورًا مثل التصميم والروابط التالفة واستخراج البيانات والاستخدام والحماية،[25] والكثير من هذا يكون تحت مسمى

الأمان.[26] في المقابل فإن أندرويد تأخذ اتجاه المصادر المفتوحة رغم أن جوجل أيضًا بدأت تقوم بالمراجعات على المطورين الجدد،[27] أما بالنسبة للمطورين القدامى تظل العملية بسيطة وسريعة.[28]

استخدمنا مفهوم القدرة التوسعية على حل المشكلات في بداية هذا الفصل لاستعراض نطاق التطبيقات، ولكن في سياق هذه الصناعة تشير كلمة «التوسعية» لقدرة التطبيق على التصعيد التدريجي لرقم المستخدمين أو طلبات الاستخدام،[29] وعلى هذا فالمصطلح يصف قدرة التطبيق على خلق الطلب المتزايد عليه أو على تقويم نفسه حسب الطلب. أيضًا يستخدم مصطلح «التصاعد» للإشارة للتوسع في رقم مستخدمي التطبيق أو في وظائف التطبيق نفسه. من الواضح أن المصطلحان مترابطان لأن الخواص الجديدة يمكنها جلب مستخدمين جدد وإبقاء التطبيق ملائم للمستخدم، وفي الوقت نفسه يمكن للمستخدمين أن يبدأوا في استخدام خاصية من خواص التطبيق بطريقة لم يتوقعها مطورو التطبيق فيحثوا المطورين على الاستجابة لذلك التوسع. كانت هذه الديناميكيات واضحة جدًا في تطوير فيسبوك على سبيل المثال، فكما ذكرنا في الفصل الأول كان استخدام فيسبوك مقصورًا فقط على طلبة جامعة هارفارد ثم توسع ليشمل طلبة الجامعات الأخرى. لاحقًا نجح مارك زاكربيرج في استغلال الاستخدام الواسع لهذه المنصة في جذب الإعلانات ولكن لم يحدث هذا إلا بفضل رغبة الناس في المخالطة الاجتماعية ولأنهم ببساطة قاموا بتجاهل المحاولات الأولى لتحديد استخدام هذا الاختراع.

بعد ذلك تصاعد فيسبوك ليس فقط في الأرقام والأرباح، فأصبحت المنصة معقدة جدًا وأصبح صانعوها يطلقون رقمًا كبيرًا من الخواص الجديدة كل سنة. منذ 2007 وحتى الآن أطلق فيسبوك خاصية السوق [Marketplace] وخاصية مطور التطبيقات [Facebook Application Developer] وخاصية وسم الأخبار الكاذبة [False News Story Flag] وخاصية ردود الفعل [Facebook Reactions] وخاصية المقالات الفورية [Instant Articles][30] على سبيل المثال لا الحصر. أحيانًا تنطلق خاصية جديدة في سوق ما ثم تمتد لأسواق أخرى، فخاصية المواعدة مثلًا [Facebook Dating] والتي تقوم بتوفيق الزواج تم اختبارها أولًا في كولومبيا ثم أطلقت بعد ذلك في الأرجنتين وكندا وتايلاند والمكسيك وهناك خطط للمزيد من التوسع.[31] أحيانًا تتبنى الشركة أيضًا بعض الاستخدامات التي تراها في أحد الأسواق المحلية ومن ثم تقوم بتصعيدها لأسواق أخرى كما كان الحال مع خاصية التحقق من السلامة [Safety Check] التي تم إطلاقها في 2014 والتي كانت نتيجة ملاحظة المهندسين اليابانيين بالشركة لكيفية استخدام المجتمعات الساحلية للمنصة أثناء أحداث التسونامي في 2011.[32]

التطبيقات ليست مجرد تقنيات تستخدم وفقًا لما تخطط لها أو لا، فالآن أصبح هناك حركة دائرية مستمرة من وإلى المستخدمين والمطورين. في الفصول اللاحقة سوف ننظر في المرات التي طورت فيها الشركات تطبيقاتها نتيجة لدراسات قاموا بها عن الاستخدام مثلما يحدث في الصين عند تطوير تطبيقات مرتبطة بتطبيقات أخرى. يمكن للنقاش حول الاستخدام في هذا الفصل أن يتعدى مفهوم التطبيق نفسه عن طريق عدم التركيز كثيرًا على التطبيقات أو المنصات. هناك تغيرات بدأنا نراها بالفعل والتي يبدو أنها تتضمن مستقبلًا يُنظم فيه الهاتف الذكي من خلال بدائل للتطبيقات التقليدية مثل البرامج المصغرة.

أصبح ويتشات – وهو المنصة الاجتماعية المكتسحة في الصين والتي تملكها مجموعة شركات تينسنت – ما يشبه متجر الألعاب داخل متجر ألعاب آخر. في عام 2017 قدم ويتشات خاصية جديدة تسمح باستخدام البرامج المصغرة داخل المنصة، وفي خلال عام واحد أصبحت هذه البرامج المصغرة – أو الشياو تشينج شو [xiao cheng xu] كما يطلق عليها – تستخدم بواسطة 72 بالمائة من مستخدمي ويتشات.[33] يوفر استخدام البرامج المصغرة في ذاكرة الهاتف ويسمح للمستخدم بالنفاذ للتطبيقات بدون تثبيتها كما يوفر الكوبونات والخصومات وسهولة التواصل مع مستخدمي ويتشات الآخرين. هناك أربع فئات رئيسية لتلك البرامج: الألعاب والأخبار والمرافق والتجارة الإلكترونية.[34] لنا هنا مثالان على تلك البرامج، الأول هو «اقفز اقفز» [Tiao Yi Tiao] وهو برنامج مصغر للعبة

هاتفية وصلت لـ400 مليون لاعب في أول ثلاثة أيام فقط ربما لأنها تسجل نقاط اللعبة بالمقارنة بأصدقاء ويتشات الذين يلعبون نفس اللعبة،[35] والثاني هو برنامج للفواتير قدمه ويتشات في مارس 2019 ووصل إلى 147 مليون مستخدم نشط في ثلاثة أشهر فقط.[36] انتشرت البرامج المصغرة بعد ذلك سريعًا لنواحي أخرى مثل تطبيقات المواصلات العامة المحلية. نتيجة لذلك ففي خلال عامين أصبح عدد البرامج المصغرة المتاحة في ويتشات تقريبًا نصف عدد التطبيقات المتاح على متجر تطبيقات آبل حيث أن هذه البرامج المصغرة قد جذبت لفيف من المطورين الذين يطمعون في قاعدة المستخدمين العريضة لويتشات. كل هذا يبني على خواص أخرى تجعل ويتشات تطبيق «شديد الالتصاق»، فهو تطبيق لا أحد يريد أن يتركه.[37]

خارج الصين طورت شركتا آبل وجوجل أشياء مثيلة لبرامج ويتشات المصغرة وتشمل تطبيق الصحة وتطبيق المحفظة من آبل وجوجل. تروج جوجل لدمج أكبر لتطبيقاتها بداخل جناح جوجل أو مجموعة جوجل [Google suite] باستخدام شعارات مثل «حساب واحد، كل شيء بجوجل»،[38] وهذه الشعارات لاقت نجاحًا معقولًا. على الجانب الآخر لم تنجح شركات الهواتف في الترويج لتطبيقاتها، فمثلًا تأتي معظم الهواتف بتطبيقاتها المثبتة مسبقًا ولكن تكون هذه التطبيقات أحيانًا فاشلة فشلًا ذريعًا. لا يستخدم أغلب المستخدمين الذين درسناهم هذه التطبيقات المثبتة مسبقًا ويحذفونها إذا استطاعوا ذلك، ومن التطبيقات الفاشلة بشكل جلى هو تطبيق [Bixby] – المساعد الصوتي لسامسونج – والذي يعتبر بشكل عام كمصدر للإزعاج.

الاستنتاجات النهائية

كانت النتيجة النهائية لتلك التفاعلات المعقدة هي الهواتف الذكية التي فحصناها فعليًا خلال المقابلات التي بدأ بها هذا الفصل. عندما كانت القصص تُروَى حول مصدر التطبيقات والأسباب التي تجعل شخص ما يحتفظ بها على هاتفه وإذا ما كانت تستخدم أم لا وجدنا أن الطبيعة فائقة الفوضوية للحياة اليومية تبرز للمقدمة. ربما يتم تنزيل التطبيقات بواسطة الآخرين كما أشرنا سابقًا، فمثلًا حين أقرضت كارلا هاتفها الذكي لحفيدتها أعادته لها بتسعة تطبيقات إضافية بما في ذلك تطبيق للتأمل وتطبيق لتوصيل الطلبات وتطبيق بنكي وتطبيق لتعلم اللغة.

أحياناً يأتي الضغط لاستخدام تطبيق ما من المؤسسات وليس من الشركات. تعمل حكومتا البرازيل وتشيلي مثلًا في الوقت الحالي على رقمنة الخدمات الحكومية في مناقصة لجعل هذه الخدمات غير ورقية[39] كما هو الحال أيضًا في مواقع ميدانية أخرى، وما يعنيه هذا هو أنه من الممكن أن يكون وجود بعض التطبيقات إلزاميًا لاستخدام الخدمات الحكومية. كان معظم المشاركين من الكبار لا يعجبهم ذلك التكاثر للتطبيقات الناتج عن هذه العمليات، ولهذا السبب فهم أيضًا يستخدمون التطبيقات واسعة الانتشار للأغراض الصحية عوضًا عن التطبيقات المتخصصة للصحة كمحاولة للتحكم في عدد التطبيقات على هواتفهم. لكن لايزال ينتهي الأمر بالعديد من الناس من كل الأعمار بجمهرة من التطبيقات التي لا يستخدمونها على الإطلاق أو التي قد استخدموها مرة أو مرتين، وأحيانًا يصل عدد تلك التطبيقات لنصف العدد الكلي للتطبيقات على هواتفهم.[40]

من الممكن أن يبدي المستخدمون اهتمامًا خاصًا ويتحدثون طويلًا عن تطبيقات بعينها فتجدهم مثلًا يتحدثون عما إذا كان تطبيق ويز أفضل أم أسوأ من خرائط جوجل لأغراض التجول، أو عن أي تطبيق من التطبيقات الخاصة بحالة الطقس هو الأدق. من الممكن أن تجدهم مستمتعين بإخبار بعضهم البعض عن تطبيق اكتشفوه لهواية أو لاهتمام معين مثل تمييز أصوات الطيور أو أسماء النباتات. ولكن بمجرد الدخول في العالم الفوضوي الخاص بفعل الأشياء على الهاتف الذكي – مثل الأشياء المتعلقة بالصحة – نرى كل أنواع الإبداع في إعادة توظيف المعلومات والصور واستمارات التأمين والرقابة وما يتبع ذلك من إقحام لأنشطة أخرى. من الممكن إذا أن يتضح أن إرسال

المال مثلًا ذا أهمية أكبر لنتائج الصحة من كل التطبيقات المصممة خصيصًا للصحة. في العالم المثالي للصحة عبر الهاتف المفترض أن يوجد نطاق كبير من التطبيقات المتخصصة التي تساعد في متطلبات صحية محددة، ولكن في إثنوغرافيا استخدام الهاتف الذكي لأغراض الصحة من المحتمل أكثر أن نجد دمج التطبيقات التي لم يتم تصميمها لأغراض الصحة في الأساس ولكنها سويًا تساعد في رعاية أب مسن مريض سواء كان يعيش في نفس البيت في دابلن أو في قرية بعيدة في أوغندا.

إن كان لكثرة التطبيقات المتخصصة تأثير فهو تأثير يأتي من الطريقة التي تتضمنها للتعامل مع المهام أكثر منه تأثير يأتي من كيفية استخدامها، وتم إطلاق مسمى «حلول المشكلات» على الخطاب وطريقة التفكير في هذا الصدد. يرى هذا الفصل أيضًا أنه لايوجد فارقًا واضحًا بين عالم المستخدمين وعالم المطورين فمن المهم أن نفهم أن الشركات مثل آبل وجوجل وتينسنت تطور استراتيجيات لإبقاء الناس عاكفين على التطبيقات التي طوروها. فمثلًا في تحول حدث مؤخرًا حلت البرامج المصغرة التي أنشأتها تينسنت محل التطبيق كوحدة، وكل هذا يساعد في توضيح لم يتعامل هذا الكتاب مع الهاتف الذكي على أنه أكثر بكثير من مجرد ماكينة للتطبيقات.

ملاحظات

1 يمكن أن يعتبر هذا شبيهًا بالنسق الفني للبنى التحتية بين فرق العلماء. انظر Vertesi 2014.

2 نتائج استطلاع الرأي الخاص بشينيوان وانج في موقعها الميداني بشنغهاي، ويظهر أكثر التطبيقات استخدامًا على الهواتف الذكية للمشاركين معها.

نسبة الاختراق	اسم التطبيق	وظيفة التطبيق
100%	ويتشات WeChat	كله في واحد [تواصل اجتماعي]
87%	بايدو Baidu	محرك بحث
60%	خريطة بايدو Baidu Map	خريطة
57%	توتياو\كيو كيو Toutiao/QQ	أخبار\تواصل اجتماعي
53%	شيمالايا\أخبار تينسنت\مدفوعات علي Ximalaya/Tencent News/Alipay	آيبود\أخبار\دفع
50%	360 وييشي\تاوباو 360 weishi/Taobao	أمان\تسوق
46%	ميتوشيوشيو\متصفح الهاتف كيو كيو\إيتشيي Meituxiuxiu/QQ mobile browser/iQyi	تعديل الصور\متصفح للهاتف\ فيديو طويل
43%	بيندوودوو\ديدي\خريطة جاودي Pinduoduo/DiDi/Gaode Map	تسوق\طلب سيارات الأجرة\خريطة
35%	ميبيان\إليما\ديانبينج\جينج دونج Maipian/Elema/Dianping/JingDong	مدونة\توصيل الطعام\مراجعات ونصائح\تسوق
15%	متصفح يو سي\كاميرا الجمال\تونغواشون UC browser/beautyCam/tonghuashun	متصفح\كاميرا\بورصة

3 .Morris and Murray 2018

4 .Morris 2018

5 .Brunton 2018

6 .Pype 2017

7 .Morozov 2013

8 .Miller 2016

9 .Miller 2011

10 . Miller and Sinanan 2017

11 .Spyer 2017, 63– 82; Haynes 2016, 63– 87

12 . Istepanian et al. 2006; Donner and Mechael 2013

13 انظر Taub Center 2017.

14 Kusimba et al. 2016, 266; Maurer 2012, 589.

15 تستخدم المنصات مثل واتساب بكثافة لجمع «جماعات الرعاية» سويًا للمساعدة في رعاية الآباء المرضى. انظر Ahlin 2018.

16 Yong and Saito 2012.

17 تشير كلمة «الشاشات الرئيسية» إلى الشاشات المفتوحة على هواتف الأندرويد في مقابل الشاشات التي تحتاج من المستخدم أن يذهب لأدراج التطبيقات الخلفية.

18 كان للواتساب اشتراك سنوي بحوالي 69 سنتًا\قرشًا، ولكن تم ترك هذه السياسة في 2016. انظر BBC 2016.

19 Couldry and Mejias 2019.

20 Nissenbaum 2010.

21 Duque Pereira 2018.

22 Ku et al. 2017.

23 Wu et al. 2017.

24 انظر Tiongson 2015.

25 انظر Apple Inc. 2020.

26 Leswing 2019.

27 Samat 2019.

28 Mohan 2019.

29 Williams and Smith 2005 .

30 Boyd 2019.

31 Lavado 2019.

32 Kedmey 2014.

33 انظر Parulis Cook 2019.

34 Lui 2019 .

35 Jao 2018.

36 Lui 2019.

37 يمكن أن تجد نقاشًا مهمًا حول ويتشات في Chen et al. 2018، ويحتوي النقاش على مصطلحات مهمة أخرى مثل «تطبيق ممتاز» و«منصة هائلة».

38 عادة ما يعرض هذا الشعار على صفحة الولوج حينما يكون المستخدم خارج حساب جوجل الخاص به، وهو متاح رؤيته من خلال accounts. google.com › ServiceLogin إذا كان الشخص يملك حساب جوجل.

39 Otaegui 2019. للبرازيل انظر Governo Do Brazil [حكومة البرازيل] 2020.

40 أحد مصادر الدلائل على هذا الادعاء هو أننا طلبنا من 28 طالبًا أن يجروا نفس نوع المقابلات الشخصية كجزء من دورة محاضرات تجري في قسم الأنثروبولوجيا في كلية لندن الجامعية.

الفصل الخامس
الانتهازية المتواصلة

المواقع الميدانية: **بنتو** - ساو باولو، البرازيل. **دار الهوى** - القدس الشرقية. **دابلن** - أيرلندا. **لوسوزي** - كامبالا، أوغندا. **كيوتو وكوتشي** - اليابان. **نولو** - ميلانو، إيطاليا. **سانتياغو** - تشيلي. **شنغهاي** - الصين. **ياوندي** - الكاميرون.

تتبع الفصل الرابع رحلتنا من التعامل مع التطبيقات كوحدة أساسية للهاتف الذكي إلى العالم الفوضوي لحياتنا اليومية. ترتبط الهواتف الذكية بشكل من أشكال حلول المشكلات، ولكن المفهوم ليس بالبساطة التي نقول بها «لكل مشكلة هناك تطبيق لحلها». بدلًا من ذلك يبدأ الأمر بالنظر في أنواع المهام التي تتنوع عبر المواقع الميدانية ثم ينخرط مع المستخدمين كأفراد في بحثهم عن تركيبات من التطبيقات والوظائف التي تناسبهم. في الاستنتاجات النهائية للفصل الرابع ارتأينا أن تصميم الهاتف الذكي هو شيء محوري لتلك العملية، فوضع الأيقونات قريبًا من بعضها البعض يجعل التنقل بينها شيئًا سهلًا. تعتبر هذه النقطة صائبة أيضًا بالنسبة للنقاش الذي قدمناه في الفصل الثالث عن الطريقة التي أصبح بها الهاتف الذكي شيئًا أشبه بمركز التحكم الذي من شأنه أن يصبح مفيدًا في تنظيم الأشياء خارجه مثل «إنترنت الأشياء» المستجد، ولكنه في الوقت الحالي مهم فقط للعلاقات الاجتماعية.

يمكن ربط هذه الخواص الداخلية للهاتف الذكي بأكثر سماته الخارجية وضوحًا، فهو كهاتف محمول صغير بما يكفي لوضعه في الجيب أو في حقيبة اليد مما يجعله حاضرًا بسهولة من اللحظة التي يستيقظ فيها الشخص للحظة التي ينام فيها. نسمي هذا سهولة الحركة رغم أن أهم سماته من الممكن أن تكون العكس، فليس الأمر في أنه يمكن حمله لأماكن مختلفة ولكن في أنه موجود دائمًا في نفس المكان وهذا المكان هو بجانب أجسادنا حيث يكون دائمًا حاضرًا على الفور. سوف يكون هذا أساسًا لعدد من استنتاجاتنا الأساسية أحدها هو مفهوم «المنزل المتنقل» الذي سوف نناقشه في الفصل التاسع. المفهوم الذي يدور حوله هذا الفصل هو مفهوم «الانتهازية المتواصلة».

يبني مصطلح «الانتهازية المتواصلة» على إرث سابق. يعتبر كتاب (التواصل المتواصل)[1] أحد الكتب الأكاديمية المؤثرة عن الهاتف المحمول، ويشير الاسم للطريقة التي سمح لنا بها الهاتف المحمول أن نكون متاحين على الدوام لشخص آخر. بدأت الهواتف الذكية مثلًا في حل محل الزر الأحمر الذي كانوا يزودون به كبار السن لطلب الطوارئ في حالة السقوط. يوضح هذا المثال نوع الأمان الذي يأتي من التواصل الدائم، ولكن هناك أعباء تأتي معه أيضًا. يمكن أن يشعر المراهقون أنهم مجبرون على أن يكونوا في تواصل مع الآباء، أو أن يجدوا أنفسهم غير قادرين على الإفلات من الشعور بالخوف من أن يكون الشخص الذي يعتقدون أنه صديق مقرب لهم في الحقيقة يقول أشياء بغيضة عنهم على الإنترنت.

التطور الآخر المهم الذي ناقشه لينج[2] هو الجزء الذي يستعرض الطريقة التي غيرت بها الهواتف المحمولة علاقتنا بالزمان والمكان مثل إعطائنا القدرة على التنسيق الأصغر. عندما كنا في الماضي نخطط لمقابلة شخص ما كنا نضطر للالتزام بتلك الخطة لأنه لم يكن لدينا طريقة يمكننا أن نخبر الشخص بها بأننا نريد تغيير الخطة، أما مع الهواتف المحمولة فنستطيع أن نضع اتفاقًا مبدئيًا مبهمًا عن المكان والزمان والذي يصبح محددًا أكثر مع الاقتراب من الحدث. علي سبيل المثال إذا اتفقنا جميعًا على أن نتقابل في بار في ليلة من الليالي فمن الممكن لأول شخص يصل للبار أن يجده مزدحمًا للغاية، وقتها ربما يرسل للمجموعة على واتساب ليتجهوا لمكان آخر.

التواصل الدائم يخص الهاتف المحمول وهو الجهاز الذي كان لايزال مستخدمًا بشكل أساسي في المحادثات والرسائل النصية بين الناس. ولكن ليس كل مجالات الاستخدام التي ينطوي عليها محتوى هذا الفصل تتعلق بالهاتف الذكي كهاتف، فهي بالأحرى تتعلق باستخدام الهواتف الذكية للترفيه والسفر واكتساب المعلومات والتقاط الصور، ولهذا نجد أن التواصل المتواصل لم يعد يكفي كنظرية للهاتف الذكي.

على العكس من ذلك نجد أن السمة الجوهرية هي الانتهازية، أي ببساطة أن الهاتف الذكي يخلق الإمكانية للانتهازية بشكل مستمر بسبب أنه معنا طيلة الوقت. ولكن ما يهم حقًا هو الدلائل التي تشير إلى أن هذه الإمكانية محل تقدير لدى المستخدمين الذين بدورهم ينمو عندهم هذا التوجه الانتهازي إزاء حياتهم اليومية. يرينا المثال الأول في هذا الفصل كيف أن الهاتف الذكي أبدل حال التصوير الفتوغرافي ونجد الفيصل هنا في الإمكانية الدائمة لالتقاط ومن ثم لمشاركة الصور. وعلى نفس المنوال يمكننا قراءة آخر الأخبار أو الاستماع لبعض الموسيقى لأننا فقط ننتظر في طابور وإلا فسوف نشعر بالملل. وبهذا نجد أن الانتهازية المتواصلة تتعدى التواصل المتواصل في تغييرها لعلاقتنا بالحركة والانتقالات.

من المستحيل – كما أشرنا في الفصل الأول – ان نناقش الهواتف الذكية بشمولية لأنها الآن تشغل كل جزء من أجزاء حياتنا، لهذا يركز هذا الفصل على أربعة أمثلة متفاوتة اختيرت لفحص الاختلاف والتشابه معًا في استخدام الهاتف الذكي عبر المواقع الميدانية. ورغم ذلك ففي كل حالة من هذه الحالات لا يقتصر النقاش على تأثير الانتهازية المتواصلة لأننا نعالجها في سياقها الأعم والذي سوف يشمل أي عوامل أخرى قد تكون ذات صلة لتلك الأنواع من الاستخدام.

الفوتوغرافيا الانتهازية

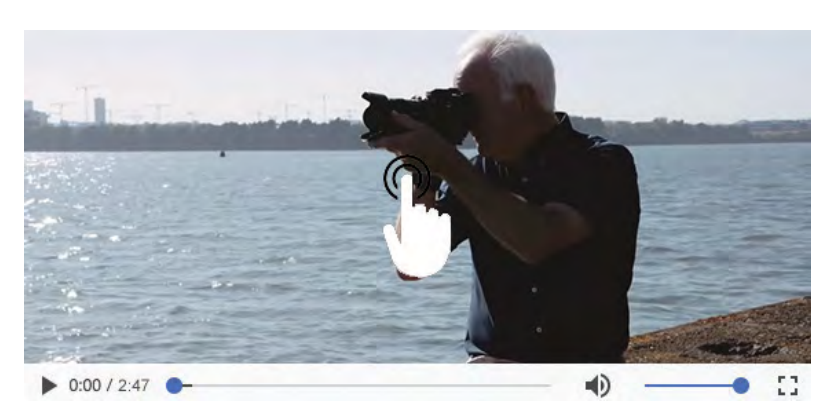
أكدت المقابلات التي أجريناها حول التطبيقات التي تحتويها هواتف الناس أن الكاميرا واحدة من أكثر الوظائف استخدامًا عبر تلك المواقع الميدانية. ولكن – وكما أشرنا في الفصل الأول – فإنه من المضلل إطلاق اسم كاميرا على ذلك الجهاز المتصل بالهواتف الذكية، فهذه التسمية توحي بأن التصوير بكاميرا الهاتف الذكي ما هي إلا مجرد نسخة هاتفية من التصوير الفوتوغرافي فيما سبق. من المؤكد أن الكاميرا الخاصة بالهاتف الذكي تلتقط الصور، ولكن المزيد من التمحيص يشير إلى أننا نستطيع تقدير كاميرا الهاتف والصور التي تلتقطها بشكل أفضل عن طريق التأكيد على الاختلافات بينها وبين الشكل القديم للتصوير الفوتوغرافي وليس على التشابهات. أحد الاختلافات الواضحة هو حجم التصوير فعدد الصور التي يلتقطها الناس وينشرونها ويعرضونها بمجرد امتلاكهم للهواتف الذكية لا يقارن على الإطلاق بالتصوير الفوتوغرافي الفيلمي أو حتى بالتصوير الرقمي.[3]

هناك أيضًا أنواع جديدة مختلفة كليًا من التصوير الفوتوغرافي مثل «الفوتوغرافيا الوظيفية» الذي ذكرناه في الفصل الأول. هذه هي الصور التي يلتقطها الناس بشكل روتيني للأشياء التي يرغبون في شرائها لاحقًا أو لساعات العمل

الملصقة على نافذة متجر أو لإعلان عن فصول اليوجا على لوحة إعلانات في قاعة البلدة.[4] الفوتوغرافيا الوظيفية هي المثال الأول على الهاتف الذكي كمركز تحكم لأن التقاط تلك الصور هو عادة الخطوة الأولى تجاه تنظيم المرء لوقته ومهامه، وهو أيضًا مثال على الكيفية التي تستغل بها تلك الاستخدامات الجديدة للهاتف الذكي قرب المسافة بين الأيقونات على شاشة الهاتف الرئيسية. نحن نلتقط الصورة أولًا ثم سرعان ما نستخدمها لتطبيق آخر مثل التقويم أو المنصات الاجتماعية لإعلام الناس بذلك الحدث.[5] تتموضع التغيرات في التصوير الفوتوغرافي كممارسة إذًا فوق الطريقة التي نصل بها إلى المعلومات ونشاركها أو التي ننتسب بها للمكان أو التي نستخدم بها التقويم ونربط الذاكرة الرقمية بالذاكرة الإنسانية.[6]

تدين فوتوغرافيا الهاتف الذكي أيضًا لتقنيات أخرى بما في ذلك الحجم المصغر لملفات jpeg والسعة التخزينية الضخمة المتاحة على الأجهزة. فوق الهواتف الذكية نفسها هناك التخزين السحابي المتوفر على نطاق واسع والذي يعني أن «تكلفة» التقاط وتخزين الصور أصبحت فجأة منخفضة جدًا، كما أن الكاميرات الرقمية تأتي الآن أيضًا بتقنيات البلوتوث والواي فاي والتحديد الجغرافي للمواقع بواسطة [GPS] والمشاركة الفورية. ورغم ذلك ففوتوغرافيا الهواتف الذكية حالة خاصة من حالات الفوتوغرافيا الرقمية، والفارق الحيوي هو في الانتهازية التي كان لها آثار عميقة على ماهية التصوير الفوتوغرافي. ارتبطت الفوتوغرافيا في مراحلها الأولى بقوة بفكرة التخزين طويل الأمد والأرشفة، فهي كانت وسيلة لالتقاط والاحتفاظ بصور الأشخاص والأماكن والأشياء.[7] كانت الفوتوغرافيا تدور حول الاستمرار أوالبقاء، ولكن وفي تناقض فج أصبحت فوتوغرافيا الهاتف الذكي العصرية أحد التجليات الأساسية للزوال والذي يعتبر عنوان أحد منصات سناب شات[8] [Snapchat] الرئيسية أقصى تعبير عنه. ما يعنيه هذا هو أنه للمرة الأولى أصبحت الصور تستخدم كجزء من المحادثة ولكنها أيضًا أصبحت مؤقتة وزائلة مثلها مثل المحادثات الشفهية بالضبط، حيث يتم مشاركة معظم الصور على واتساب وإنستاجرام وفيسبوك عملًا بفكرة أن الآخرين سوف يقومون بمشاهدتها ليوم أو اثنين وبعدها سوف يتم استبدالها بأخرى. يحدث هذا تحولًا بقدر 180 درجة في معنى الفوتوغرافيا بعيدًا عن أصلها كأرشيف باق، فبعدما كان هدفها الرئيسي هو الديمومة أصبح هدفها الآن العابرية. يظل التمثيل والأرشفة غرضان من أغراض التصوير الفوتوغرافي ولكنهما غالبًا ما يكونا ثانويين وليس رئيسيين.

لم يتحول الجميع بنفس الدرجة ونفس الطريقة، فكبار السن هم الأرجح أن يدمجوا الإمكانات التقليدية بالمستحدثة. يمكن أن يكمن إبداع المرء تحديدًا في الطريقة التي يدمج بها التصوير الهاتفي بالتصوير الفيلمي. نرى مثالًا على هذا في الفيلم القصير من دابلن المعروض أدناه [شكل 5.1].



5.1 فيلم: (التصوير الفوتوغرافي بعد التقاعد). متاح من خلال http://bit.ly/retirementphotography.

يعتبر إنتاج الصور الآن جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية للمتقاعدين في ياوندي حيث يحاول الناس تحويل كل لحظة مهمة من يومهم إلى صورة. هم في واقع الأمر يستخدمون الهاتف الذكي لاقتفاء أثر الأحداث الصغيرة التي تشغل تجربتهم اليومية. أحد المكونات المهمة لاستخدام كبار السن للهواتف الذكية هو الوقت الذي يقضونه في النظر إلى صور وفيديوهات أبناءهم وأحفادهم المرسلة على مجموعات واتساب وأيضًا تلك المرسلة من الأقارب والأصدقاء. إذا كان معدل التقاط الشباب للصور قد أصبح كثيفًا فما هو مهم بنفس القدر أيضًا هو أن معدل استهلاك الكبار للصور قد تسارع بدوره. يصبح هذا واضحًا من خلال مقارنة الطريقة التي ينظرون بها باستمرار إلى الصور على المنصات الاجتماعية بالطريقة التي كانوا قديمًا ينظرون بها أحيانًا في ألبومات الصور وهم بهذا يأطرون لممارسات واستعراضات بداخل منازلهم.[9]

في حين أن معظم المشاهدة تكون مشاهدة عابرة إلا أننا نجد أحيانًا أن كبار السن مستمرون في اهتمامهم بالأرشفة. تغير دور من أدوار الأشخاص في العائلة لاستيعاب تلك التغيرات ألا وهو دور الشخص الذي أصبح مسؤولًا عن تنظيم وحفظ الصور في أرشيف العائلة. على سبيل المثال فإن روجر من بنتو أصبح هو «أمين الذكريات» في العائلة، فهو الآن المسؤول عن تنظيم الصور على قرص جوجل في مجلدات توازي عناوينها الأحداث الكبيرة في العائلة كما يقوم أيضًا بأرشفة الصور حسب الاسم أوالسنة أو فرد العائلة. بالإضافة إلى ذلك فهو يقوم بتحسين الصور باستخدام الفلاتر من تطبيقين على هاتفه الذكي والكمبيوتر الخاص به، وعندما يريد فرد من العائلة صورة ما يكون روجر هو الشخص الذي يلجأ إليه.

لم تعزز كاميرا الهاتف الذكي النقلة من الفيلمي إلى الرقمي في علاقتنا بالصورة فقط ولكن من المحتمل أنها أيضًا كان لها وقع مساو على الطريقة التي نرى بها العالم حولنا.[10] يضع التقاط الصور إطارًا ما حول بعض الأشياء التي نراها ويفصلها عن تلك التي ليس حولها إطار،[11] ولكن التأطير من خلال التصوير الفوتوغرافي متشابه على الأقل مع التأطير الذي يفصل الفن عما هو ليس فنًا أو المقدس عما هو عادي. يساعدنا التأطير إذًا على تفسير ما من شأنه أن يكون معضلة بخلاف ذلك، ففي حين يتم مشاركة الكثير من الصور إلا أن الناس يلتقطون صورًا كثيرة جدًا لن يشاهدها أحد. لم إذًا يلتقطون الصور في المقام الأول؟ يتطلب فهم فوتوغرافيا الهواتف الذكية الاهتمام ليس فقط بالطريقة التي يستخدم بها الناس الصور ولكن أيضًا بالتساؤل عن سبب التقاطهم للصور وهم يعرفون أنهم لن يستخدمونها.

بينما نمضي في حياتنا اليومية نختبر معظم الأشياء على أنها أشياء عادية وتمر مرور الكرام، لكننا بين الحين والآخر نرى شيئًا يجعلنا نعترف بتفرده.[12] قد يكون هذا شيئًا مخططًا وشعائريًا كحفلة عيد ميلاد طفل أو كمشهد في عين سائح وقد يكون ببساطة رؤية شيء غير متوقع في الأفق. من الممكن أن يسفر وجود وسيلة للانتهازية المتواصلة – والتي تسمح لنا بالتقاط الصور وقتما نرى شيئًا ملفتًا – عن رؤية العالم بطريقة مختلفة. نلتقط هذه الصور لأهوائنا وعندها ربما نشاركها على المنصات الاجتماعية وربما لا، ومثلما هو الحال في عالم الفن[13] فإن التقاط الصورة له تأثيرًا فوريًا على وضع إطار حول شيء ما فيصبح موسومًا – ولو قليلًا – كشيء أسمى من العادي. من الممكن ألا نرى الصورة مرة أخرى وألا نشاركها مع شخص آخر، ولكن في تلك اللحظة التي التقطناها فيها شعرنا أننا لا يمكن أن نمر بجانب تلك الفراشة أو هذا الحجر غريب الشكل أو ذلك التعبير على وجه أحد أصدقائنا بدون إجلاله بوضع إطار له من خلال التقاط صورة.

أوضحت السيدة ساوادا – كونها امرأة يابانية – وهي تسير في معبد في كيوتو وتشاهد حديقته من خلال نافذة ذات إطار مثالي «اليابانيون يحبون تأطير الأشياء، فهو جزء من ثقافتنا».[14] الحدائق اليابانية التقليدية مصممة لكي يتم رؤيتها من خلال مواضع مؤطرة لمشاهدتها من خلالها وليس للسير فيها. قام الهاتف الذكي بتعميم هذا التأطير، فلم يعد الفنانون ومصممو الحدائق فقط هم من يمارسونه ولكنه أصبح شيئًا يمكن للكثير من الناس فعله كل يوم. سواء اخترنا التقاط صورة لوجبة طعام أو لشجرة تزدهر فإن عملية تأطير موضوع ما هي طريقة للانتباه له، وهي



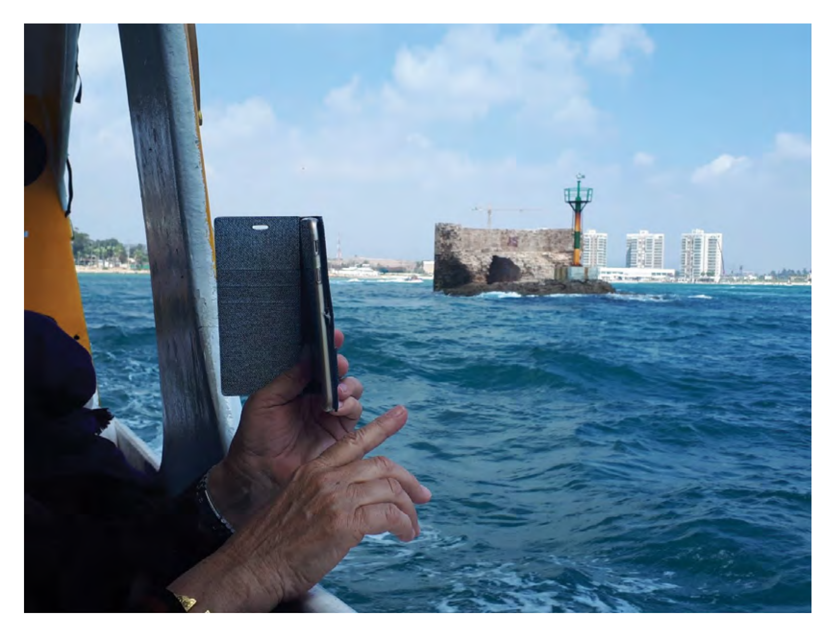
5.2 مهاجرون من بيرو ينشرون لوحة سيد المعجزات في مدينة سانتياغو بتشيلي. تصوير ألفونسو أوتايجي.

في نفس الوقت طريقة لتسجيل الحضور؛[15] هي ليست طريقة لقول «أنا كنت هنا» ولكنها على الأحرى طريقة لقول «أنا هنا الآن، أمر بهذه التجربة في الزمن الحقيقي».[16] من الممكن أن يكون لفوتوغرافيا الهواتف الذكية إذن صلة أعمق من توقعاتنا بالفن والدين [وربما أيضًا باليقظة] على الأقل كتقديس عابر.

كان المثال الوحيد على وجود صلة واضحة وصريحة للفوتوغرافيا بالدين موجود بين المهاجرين البيروفيين في سانتياغو. أجرينا جزءًا كبيرًا من العمل الميداني بين أعضاء رابطة أخوية كاثوليكية مكرسة لموكب ديني سنوي قائم على أيقونة (رب المعجزات). يلتقط الكثير من الناس الصور طوال ساعات الموكب الثمانية حتى أن الحدث بأكمله أصبح الآن يضاء بالشاشات البراقة للهواتف الذكية الموجهة نحو الصورة المقدسة. وعلى نحو مماثل نجد أن أي عشاء دجاج لجمع التبرعات [pollada] يكتظ بومضات كاميرات الهواتف الذكية. أيضًا نجد أن الاحتفال بالعيد القومي البيروفي مسجلًا بالمئات من الهواتف، وتقريبًا ينتهي الأمر بأي حدث سواء كان حدثًا دينيًا أو غيره بالنشر على سكايب أو فيسبوك [الشكل 5.2].

يعتبر الدين نوعًا من القيود في دار الهوى، فالظهور في الصور هنا يخدش شرف العائلة خاصة بالنسبة للنساء. من الممكن لصورة سيدة تدخن سيجارة أو لا ترتدي الحجاب أن تسبب مشاكل خطيرة إذا تمت مشاركتها،[17] على الرغم من أن تلك الأعراف الاجتماعية المتمثلة في الاحتشام والسلوك القويم قد تصبح أخف وطأة عندما تتزوج النساء وينجبن الأطفال ويتقدمن في العمر. بالنسبة لكبار السن منهن يكون التقاط الصور أو الظهور في الصور دليل على الحيوية والحياة الإنتاجية التي يمكن للمرأة أن تشاركها مع أصدقائها أو التباهي بها أمام عائلتها.

يشارك معظم أعضاء المركز المجتمعي في الرحلات الجماعية خارج دار الهوى عدة مرات في السنة، كما ينظم المركز المجتمعي ويدعم الرحلات الميدانية. في إحدى هذه الرحلات إلى عكا – وهي بلدة تقع في شمال غرب إسرائيل – التقط الأشخاص الذين يحملون هواتفًا ذكية صورًا طيلة الرحلة وأولئك الذين لم يكونوا يحملونها شملتهم تلك اللقطات أيضًا بنفس الدرجة. قام منسق الرحلة أيضًا بتنسيق الصور الجماعية وتم إرسال جميع تلك الصور عبر واتساب إلى كبار السن من دار الهوى الذين لم يتمكنوا من القدوم سواء بسبب المرض أو لأن لديهم التزامات أخرى.



5.3 صورة تم التقاطها من على متن مركب في رحلة ميدانية لعكا. تصوير مايا ده فريس.

أثارت الصور ردود فعل إيجابية مثل «اعتني بنفسك» و «ياه، البحر جميل»، مما يمنح أولئك الذين تخلفوا عن الركب شكلًا من أشكال التواجد على الأقل داخل هذا النشاط المجتمعي.

هذا الشعور بالتواجد يكتمل بالاستخدام التقليدي للتصوير كذاكرة – وهو المفهوم الذي لم يختف بشكل كامل. تظهر صورة الملف الشخصي لهبات على واتساب بالأبيض والأسود وهي تصور فتاة صغيرة بملابس سوداء أيضًا مع قميص أبيض بياقة وأزرار. تذكر تلك الصورة هبات – وتخبر الآخرين – بكيف كانت تبدو كفتاة صغيرة وبذكرياتها العزيزة عن تلك الفترة من حياتها، كما أنها تعتبر تذكرة للنفس فهي عندما تنظر إلى صورها القديمة تستعيد ما فعلت وأين كانت. هناك صورًا مماثلة لهبات في ألبوماتها على فيسبوك، ولهذا السبب ربما كانت فصول التصوير هي أكثر فصول تعلم استخدام الهواتف الذكية حيوية خاصة عند تعليم الأشخاص كيفية التقاط صور سيلفي.

تشير استخدامات التصوير هذه إلى أن فكرة الصياغة لم تعد تقتصر على التقاط الصور فقط فهي أصبحت تنطبق أيضًا على تحويلها ومشاركتها واستهلاكها، ونجد الأمثلة على ذلك في تقنيات اختيار الصور وتعديلها ونشرها على إنستاجرام. تنوعت استخدامات إنستاجرام عبر مواقعنا وداخلها حيث وجدنا أن بعض الأشخاص يمضون الوقت في صياغة الصور «الفنية» مثل عروض تنسيق الزهور في اليابان، في حين يستخدمه آخرون مثل استخدامهم لفيسبوك أي كمنصة لمشاركة حياتهم اليومية. من خلال مشاركة صور الأحداث التي حضروها أو صور أصدقائهم وعائلاتهم يقر هؤلاء المشاركون في البحث بتقديرهم لإنستاجرام باعتباره صياغة معممة يمكن لأي شخص تقريبًا في عائلاتهم المشاركة بها. في معظم مواقعنا الميدانية كان الوقت الذي يقضيه الأشخاص في مشاهدة الصور على إنستاجرام يفوق بكثير الوقت الذي يقضونه في رفع الصور. يمكن استخدام التصوير أيضًا لتيسير العلاقات الأسرية كما أوضحت السيدة كوماتسو من أوزاكا حيث تقول أن أكثر ما تهنأ به على إنستاجرام هو متابعة زوجة ابنها التي تنشر صور أحفادها بانتظام، فهم يعيشون على الجانب الآخر من المدينة وتراهم وجهًا لوجه مرة واحدة فقط في الشهر.

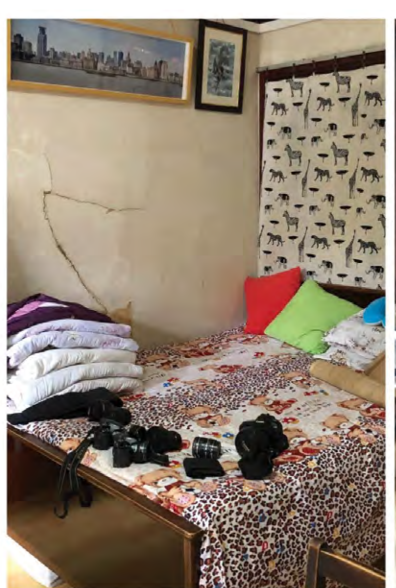
أحد الأمثلة على هذا التطور للصياغة هو استخدام فوتوغرافيا الهاتف الذكي لالتقاط الصور الشخصية [البورتريهات]. يرى الناس في شنغهاي الكاميرا كمكون من المكونات المادية للهاتف الذكي وليس كتطبيق، حيث أكد استطلاع رأي شمل 200 شخص تتراوح أعمارهم بين 50 و 80 عامًا أن كاميرا الهاتف هذه هي الكاميرا الوحيدة لمعظمهم. نتيجة لذلك أصبحت جودة الكاميرا نقطة بيع رئيسية لماركات الهواتف الأكثر تطورًا مثل هواوي و أوبو. بالنسبة لكبار السن في شنغهاي تطور هذا الإحساس بتبجيل التصوير الفوتوغرافي بشكل طبيعي تمامًا كامتداد لحقبة ماضية كانت الصور فيها باهظة الثمن ومخصصة للحظات الخاصة جدًا، فقد كان لا بد من استعارة الكاميرات من المتاجر حيث لم يكن الناس يستطيعون شراؤها.

لم يعد التصوير الفوتوغرافي نادرًا أو مكلفًا ولكن التقاط صورة لوجبة قبل تناولها قد لا يزال يبدو كفعل شعائري، وهو الإرث الذي بقى من ذلك الزمن المنصرم. في بعض الأماكن أصبح التصوير الفوتوغرافي للوجبات قبل تناولها أمرًا روتينيًا أساسيًا لدرجة أن طاهية في موقع شينيوان الميداني شعرت بالإهانة عندما تناول ابنها وخطيبته وجبتهما دون التقاط صورة لها أولًا. يمكن مشاركة الأشياء طيلة الوقت على ويتشات ولكن لا يزال هذا الأمر يثير التساؤل حول ما إذا كان الشيء يستحق التقاط صورة له في المقام الأول – وبالتالي مشاركته لاحقًا – أم لا. أصبحت العملية برمتها تقييمًا للقيمة، فقد تكون صور العطلات موضوعات شائعة على وسائل التواصل الاجتماعي ويرجع ذلك جزئيًا إلى التكاليف التي تنطوي عليها تلك العطلات. يذكر السيد شو دائمًا عبارة «شعور شعائري» [yi shi gan] لتسليط الضوء على عظم شأن كل جلسة تصوير يقوم بها. يرى السيد شو في مشروعه للتصوير الفوتوغرافي بين كبار السن غير الهادف للربح دلالة على التوقير، ويقول على حد تعبيره:

> لقد مات الكثير من الناس دون أن يحصلوا على صورة فوتوغرافية لائقة، وأي شخص يستحق صورة شخصية لائقة في حياته. ما أريد أن أفعله ليس مجرد التقاط الصور ولكن الاحتفاظ بذكرى رائعة للشخص. أنا أفعل ذلك بالكثير من التوقير، ويمكن للناس أيضًا أن يشعروا بذات الشعور الشعائري. الحياة تحتاج إلى الشعور الشعائري، ألا تعتقد ذلك؟

يعتبر السيد هو – البالغ من العمر 88 عامًا – التصوير بالهاتف الذكي هواية جادة ومتخصصة. لقد ملأ شاشة ونصف من شاشات أحدث هواتفه الذكية من ماركة أوبو بتطبيقات الصور فقط. يمتلك السيد هو أيضًا خزانة مليئة بمعدات التصوير المعقدة والمكلفة مثل عدسة نيكون الطويلة التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء؛ وهذه المعدات تشغل مساحة كبيرة جدًا في شقته الصغيرة (الشكلان 5.4 أ و 5.4 ب)، لكنه لا يجد غضاضة في كونهم الآن يجمعون الغبار نظرًا للقدرات الجديدة التي اكتشفها في فوتوغرافيا الهواتف الذكية. يُظهر مسح التطبيقات المستخدمة في شنغهاي والذي تم تقديمه في الفصل السابق تطبيقين لتعديل الصور من بين أفضل 10 تطبيقات تم تنزيلها، وقالت السيدة هواهوا في هذا الصدد أن المفتاح هو خاصية «التنقيح» القوية [mei yan] التي تُدخل تحسينات فورية على الصور (الشكلان 5.5 أ و 5.5 ب). تصف السيدة هواهوا ذلك بأنه «جراحة تجميل آمنة ومجانية بدون ألم وتكلفة»، فالتجاعيد والبثور والندبات والهالات السوداء ونمش الشيخوخة كلها يمكن التخلص منها من خلال الضغط على زر واحد باستخدام «التجميل التلقائي» [yi jian mei rong]، كما يمكن أيضًا استخدام التطبيق لـ«المكياج الرقمي» مثل إضافة أحمر الشفاه وأحمر الخدود والرموش الصناعية وظلال العيون ورسم وتعديل شكل الحاجبين.

عادة لا يرفض الناس في شنغهاي الصور المعدلة للسيدة هواهوا باعتبارها مجرد صورًا «مزيفة» لأنها هيأت الكاميرا بطريقتها الخاصة لتصبح مهارة حرفية، تمامًا كما فعل السيد هو. نتيجة لذلك يتم الحكم على السيدة هواهوا بناءً على مدى جودة تعديلها للصورة لإنشاء صورة مثالية، فرغم كل شيء لطالما تم إرساء تغيير مظهر المرء كممارسة يومية في العالم «التناظري». لا تعتبر مستحضرات التجميل أو الملابس الأنيقة مزيفة بل تعتبر أمثلة على حرف منزلية





5.4أ، 5.4ب مجموعة عدسات خاصة بالسيد هو المصممة لأغراض معينة [الشكل ٥,٤أ]؛ السيد هو داخل شقته الاستوديو [الشكل ٥,٤ب]. تصوير شينيوان وانج.

تتوافق مع الأعراف الاجتماعية، وقد يتم إدانة الناس لقيامهم بهذه الأشياء بشكل سيء ولكن ليس لأنهم يفعلونها في المقام الأول. تقول السيدة هواهوا: «لا يعني ذلك أنني نرجسية بشكل خاص، فأنا أحاول فقط الامتثال للمعايير الاجتماعية لجودة الصور على ويتشات».

من جهة أخرى، يشعر السيد لي – وهو مشارك ثالث في الدراسة – بالضيق لأنه لا يبدو أن هناك تطبيقًا مصممًا لإخفاء تساقط شعره. في شنغهاي[18] لا يتم تشويه الاهتمام بالمظهر الخارجي باعتباره اهتمامًا سطحيًا بل يُنظر إليه على أنه الشيء الذي يمكن للناس من خلاله إظهار مهاراتهم الجمالية وإظهار الدليل على من يكونون وماذا قد تكون إمكاناتهم.

تعمل الأمثلة أعلاه على توضيح التناقض مع المثال الذي ذكرناه سابقًا للطريقة التي ينظر بها كبار السن في ياوندي إلى التصوير. على الأرجح أن الناس في ياوندي يرون هذا النشاط بأكمله على أنه خلق لمظهر مزيف، وقد يكون هذا جزئيًا بسبب أنهم لم يستثمروا كثيرًا في تطوير «صياغة الصورة» لأن تركيزهم يتجه بالأحرى نحو الطرق الجديدة لاستهلاك الصور. في الغالب يشعر كبار السن في ياوندي أن ظهور الهاتف الذكي كتقنية لالتقاط الصور هو مصدر جديد للتوتر. يفيد السيد إيتو – وهو فني ميكانيكي متقاعد [الشكل 5.6] – بما يلي:

> تدخل إلى الكاميرا وتشغلها معتقدًا أنك تلتقط صورًا، لكنك في الحقيقة تصور مقاطع فيديو. إنها حقا مشكلة. مع تقدم العمر يزيد لدينا الارتجاف ويصبح من الصعب التركيز على ما نريده ثابتًا دون تحرك. ولكن بمجرد أن تتحرك تُفقد الصورة. عندما امتلكت هاتفي الذكي الأول لم أتمكن من تقديم صورة واحدة واضحة لأسابيع، على



5.5أ، 5.5ب المظهر الطبيعي للشخص [الشكل 5.5أ]؛ مظهر الشخص بعد المعالجة على شاشة التليفون وإزالة التجاعيد وتبييض وتنعيم مظهر الجلد ورفع أرنبة الأنف وضبط زوايا الفم [الشكل 5.5ب]. «المهرجان الثقافي الصيني بواشنطن »2015 بواسطة س. باخرين، مسجلة برقم CC BY 2.0.

الرغم من مساعدة الأبناء والأطفال الصغار. انتهى بي الأمر بالاستسلام. المشكلة الأخرى هي تنظيم هذه الصور ومقاطع الفيديو، وأحيانًا تحاول أن تفعل ذلك فتفقدهم ولا تجدهم بعد ذلك. هو حقا شيء مزعج حتى أنك تشعر أنك تريد كسر هاتفك. إنه حقا مزعج.

كبار السن في ياوندي حساسون أيضًا لصورهم التي يتم تداولها عبر الإنترنت، فبدون وسيلة لإدخال التعديلات على تلك الصور يجد هؤلاء أنفسهم يتذكرون باستمرار كم تقدموا في العمر، وهو ما قد لا يتوافق مع شعورهم بأنهم ما زالوا شبابًا نسبيًا. قد يرفض بعض كبار السن إظهار معارض الصور الخاصة بهم للآخرين معتبرين ذلك بمثابة تطفل على خصوصيتهم، ويشعرهم ذلك بالانزعاج وقد لا يقدرون إصرار الآخرين على التقاط صورهم. حتى في شنغهاي يرفض بعض كبار السن السماح للآخرين بنشر صورهم. المأساة بالنسبة لكبار السن هي أن مظهرهم الفعلي هو الذي يشعرهم بالغربة أو بأنه «مزيف، وليس الصور التي يلتقطها الناس له.

لاحظت السيدة فوجيوارا – وهي امرأة من كيوتو – مشكلة مختلفة تتعلق بالفلاتر التجميلية، فأشارت إلى أن إنشاء مثل هذه الصور المعدلة والمثالية يضع معاييرًا عالية بشكل غير طبيعي والتي لا يمكن للصور غير المفلترة تحقيقها. عندما يستخدم الجميع الفلاتر تشعر أنه يجب عليك استخدامها أيضًا، وهو ما يؤدي إلى الشعور بالمنافسة. لا يُنظر للأمر على أنه شيئًا سيئًا إن كان هذا الاستخدام يتم على سبيل التسلية فقط كما في صورة السيلفي أدناه التي أُرسلت إلى لورا أثناء جائحة كوفيد-19 [الشكل 5.7]. هنا كان فلتر المكياج مجرد شيء يلهو به بعض الأصدقاء أثناء رحلة بالأوتوبيس حيث كانوا يجربون ما إذا كان بإمكانهم إضافة ظلال العيون والتعرف على بعضهم البعض حتى مع ارتداء أقنعة الوجه.



5.6 السيد إتو وهو أحد المشاركين في بحث باتريك أووندو. تصوير باتريك أووندو.

الخرائط\ السفر\ التنقل

غالبًا ما تكون التطبيقات المستخدمة للسفر والتنقل مكونًا رئيسيًا للهاتف الذكي. سنبدأ في هذا القسم بالنظر في الاستخدامات المتعلقة بالنقل المحلي – بما في ذلك الطريقة التي يضيف بها تطبيق أوبر ("Uber application") عنصرًا من الانتهازية المتواصلة – ثم تتولى مراجعاتنا النظر في العطلات والسفر إلى الخارج. فيما يتعلق بالنقل المحلي يوضح هذا البيان المعلوماتي [الشكل 5.8] النسبة المئوية للمشاركين في البحث في نولو الذين يستخدمون تطبيقات متنوعة متعلقة بالنقل، وكان هناك شعور عبر العديد من المواقع الميدانية بأن هذا الاستخدام الخاص للتطبيقات من المرجح أن يزداد.

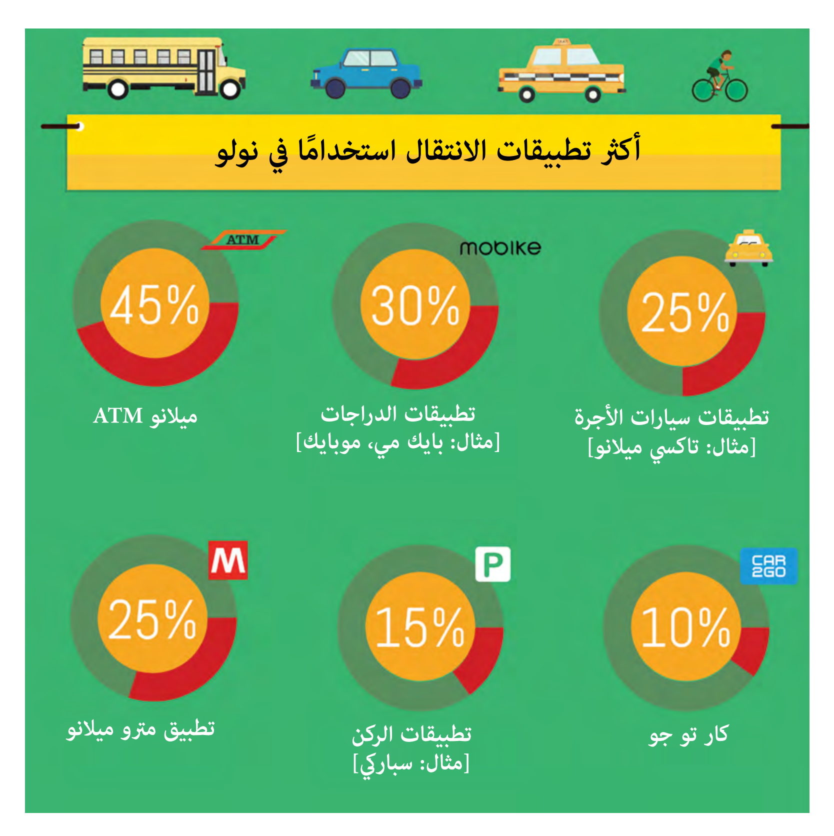
بالنسبة لكبار السن في بنتو هناك تطبيقان رئيسيان يعملان جنبًا إلى جنب مع واتساب لدعم التواصل الاجتماعي في الكبر، وهذان التطبيقان هما خرائط جوجل وأوبر اللذان ينشئان معًا حزمة تنقل حضري تمنح كبار السن الاستقلالية لاستهلاك المدينة مع أصدقائهم. هذا هو الوقت الذي يتخلى فيه الناس عن سيارتهم ويستكشفون وسائل النقل العام، وهي الآن مجانية للأشخاص الذين تزيد أعمارهم عن 60 عامًا، ولقد بدأ العديد منهم في ركوب الحافلة أو مترو الأنفاق بعد التقاعد ويحصلون على معلومات حول وسائل النقل العام باستخدام تطبيق موفيت [Moovit] بالإضافة إلى خرائط جوجل. تعبر فرناندا عن ذلك قائلة: «أنا أحبه! فقط ألقي نظرة على التطبيق وأذهب إلى محطة الأوتوبيس، وغالبًا لا أضطر إلى الانتظار أكثر من خمس دقائق قبل أن يمر الأوتوبيس».



5.7 فلاتر الماكياج يمكنها العمل حتى مع وجود قناع الوجه. التقطت الصورة بواسطة مشاركين غير معروفين.

يعمل أوبر كمكمل لوسائل النقل العام ويتم تشغيل التطبيق عادة في المساء، ولقد أصبح هذا التطبيق الانتهازية المتواصلة التي تمنح كبار السن حرية البقاء خارج المنزل وأيضًا شرب الكحول إذا أرادوا أثناء مقابلة الأصدقاء. لم يعد ماورو – مدرس الرقص – يقبل الأعذار من طالباته بعدم الخروج للرقص ليلًا، فبينما كن في السابق حذرات بشأن القيام بذلك لأسباب تتعلق بالسلامة إلا أنه الآن يقول لهن: «اطلبي أوبر بالله عليك». في سانتياغو تم تشخيص زوج إرنستينا بمرض الزهايمر وهو الآن ممنوع من القيادة، ولأن صلاحية رخصة القيادة الخاصة بها قد انتهت نظرًا لوجود مشكلة في عينيها فسرعان ما أصبحت معتمدة على خدمة سيارات الأجرة في أوبر. يُعد أوبر أيضًا مثالًا على تطبيق الهاتف الذكي الذي يتم استخدامه بالطريقة الموصوفة على أنها «مركز تحكم» في الفصل الثالث ولكن هذه المرة في سوق العمل حيث يرتبط بشبكة لتنظيم ومراجعة العمل بشكل متطور.

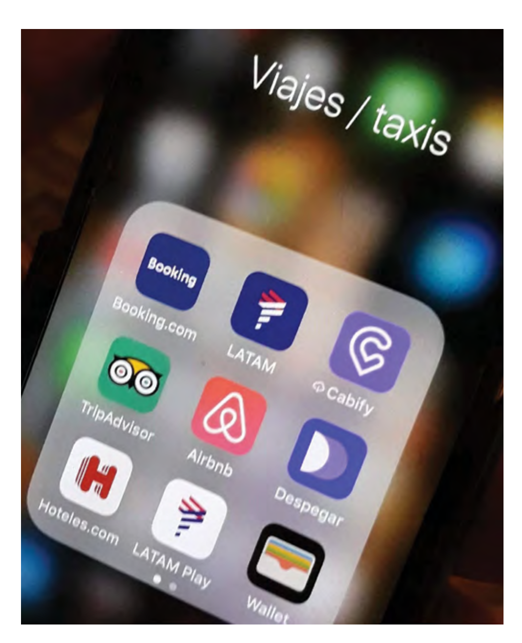
يتردد بعض كبار السن في سانتياغو في استخدام [GPS] لأنهم يخشون أن يتم تتبع موقعهم بعد ذلك – كما هو الحال بالفعل مع جوجل – إذا لم يتم إيقافه. هؤلاء يفضلون حفظ طرق السير لكنهم يشعرون بالتقدير للتطبيقات التي تخبرهم بموعد وصول الأوتوبيس حتى لا يضطروا إلى الانتظار طويلًا. يهتم المستخدمون الأصغر سنًا – مثل المشاركين البيروفيين – في الغالب بمزايا تطبيق ويز التي يتفوق بها على خرائط جوجل نظرًا لأنه يبدو أكثر علمًا بظروف حركة المرور المحلية. تزداد سانتياغو ازدحامًا مثلها في ذلك مثل العديد من المدن. تُظهر نظرة سريعة على الآيفون الخاص بفيديريكو مدى أهمية تطبيقات التنقل لذلك البيروفي رائد الأعمال الذي يعيش في تشيلي، حيث خصص فيديريكو أقسام كاملة من الشاشة الأمامية لهاتفه حصريًا



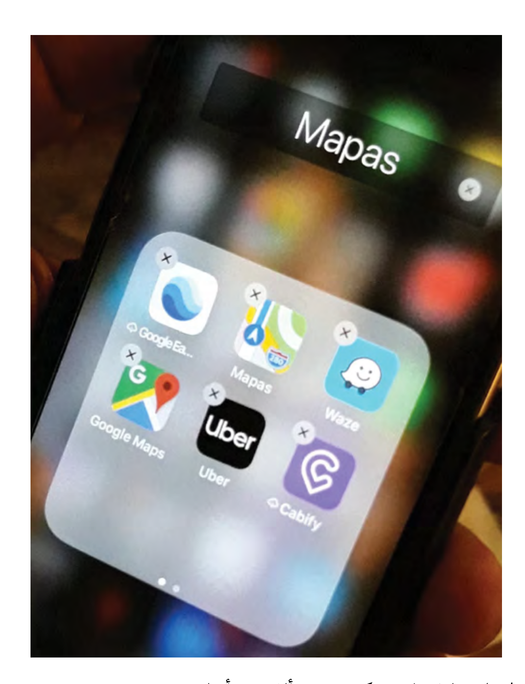
5.8 بيان معلوماتي يظهر أكثر تطبيقات المواصلات استخدامًا في نولو بناءًا على بحث شيرين والتون.

لتطبيقات السفر مثل [Airbnb] وشركة الطيران المحلية لاتام بينما أفرد قسمًا آخر للنقل المحلي بشكل أكثر تركيزًا [الشكل 5.9]. هذه ليست بأي حال من الأحوال جميع التطبيقات ذات الصلة بالنقل على شاشات هاتف فيديريكو [الشكل 5.10]، فلديه أيضًا رادار الرحلات الجوية [Flightradar24] الذي يكشف له مواقع الطائرات التجارية في أي مكان في العالم، وهو يفعل هذا في الوقت الحقيقي. أحيانًا عندما يكون منتظرًا في المطار يلقي فيديريكو نظرة على التطبيق لمعرفة مكان طائرته أو حتى ينظر إلى الرحلات الجوية الأخرى بدافع الفضول.

في شنغهاي يعد تطبيقي بايدو [Baidu] وجاو دي [Gao De] أكثر تطبيقات الخرائط شيوعًا. فعليًا يستخدم كبار السن هذه الخرائط بشكل أقل من الشباب حيث أنهم لا يقومون عادةً بزيارة مناطقًا جديدة ولديهم ثقة أكبر في التنقل بدون خرائط الهواتف الذكية. تزعم السيدة جيهويي فتقول: «خريطة منطقتي مطبوعة في ذهني. إن عقلي يعمل بشكل أفضل من أي تطبيق خرائط». على الرغم من أنها لم تستخدم خريطة بايدو الخاصة بها أبدًا لتحديد طريقها إلى وجهة ما إلا أن التطبيق يصبح مهمًا عندما تأتي عائلة ابنها بأكملها لزيارتها بالسيارة كل أسبوعين. تتيح



5.9 مجلد المواصلات/سيارات الأجرة على هاتف فيديريكو. تصوير ألفونسو أوتايجي.



5.10 مجلد الخرائط على هاتف فيديريكو. تصوير ألفونسو أوتايجي.

رؤية حركة المرور في الوقت الحقيقي على خريطة بايدو للسيدة جيهويي معرفة موعد وصول عائلة ابنها وبالتالي معرفة الموعد الذي يجب عليها أن تطهو فيه العشاء، وتقول:

> ذات مرة كان هناك حادث مروري على الخط العلوي وكانت سيارة ابني عالقة في الازدحام المروري لأكثر من ساعة. اتصلوا في النهاية قائلين إنهم سيتأخرون، لكني قلت لهم إنني أعرف بالفعل أنهم سيتأخرون نصف ساعة لأنني كنت أتابع مجمل الخط العلوي على خريطة بايدو ورأيت أنه قد تحول عن اللونين الأخضر والبرتقالي المعتادين إلى اللون الأحمر.

نرى هنا مثالًا آخر على الانتهازية المتواصلة في القدرة على استغلال المعلومات في الوقت الحقيقي.

ينطوي كل هذا على عملية التبني والتكيف. قد يظهر كبار السن المقاومة لخرائط جوجل في البداية، وقد يحاولون استخدام التطبيق مثل استخدامهم للخريطة التقليدية كحفظ التفاصيل أو طباعتها، ولكن يرضخ الكثير منهم لاحقًا لتوجيههم وكأنهم سائقين، أو يكتشفون عندما يكونون في موسكو أو لشبونة أن التطبيق يمكنه أن يساعدهم أيضًا عند السير. بعد ذلك قد يتبعون تلميحات تعكس الاهتمامات الثقافية المحلية، فعلى سبيل المثال تستخدم خرائط جوجل بشكل أكبر في أيرلندا أكثر من أي موقع ميداني آخر لتحديد طرق السير إلى الجنازات، وهذا ببساطة لأن الناس في أيرلندا يتوقعون من بعضهم البعض حضور الجنازات – حتى في حالة الأشخاص الذين بالكاد يعرفونهم – لإظهار الدعم للأسرة. يتم تشغيل خرائط جوجل بعد تفقد موقع الويب [RIP.ie] الذي يسرد قائمة بكل الجنازات في أيرلندا لكل يوم ويقدم إرشادات حول كيفية الوصول إلى تلك الجنازات بالإضافة إلى أوقات الأنشطة ذات الصلة مثل الراحة [الصحوة] أو القداس.

من الصعب أن نبالغ بشأن أهمية السفر في حياة كبار السن في أيرلندا فالعطلات هي واحدة من أكثر مواضيع الحديث شيوعًا بينهم، وغالبًا ما يمتلك أفراد الطبقة الوسطى ممتلكات في الخارج. قد يسافر آخرون بانتظام إلى المملكة المتحدة لقضاء عطلة نهاية الأسبوع ربما للذهاب إلى سباق الخيل في ليفربول أو لزيارة أبنائهم الذين يعملون في المملكة المتحدة، بينما يقوم آخرون برحلات قصيرة إلى الأجزاء الأخرى من أيرلندا. تتضمن هذه الأنشطة عمومًا بناءًا معينًا للتطبيقات حيث يُستخدم بعضها بشكل أساسي لقضاء العطلات وخاصة [Tripadvisor] أو [Expedia] أو Booking.com. بدا أن معظم المشاركين في البحث يتعاملون بأريحية مع استخدام الهواتف الذكية لتسجيل الوصول عن بُعد أو عند الدخول إلى المطارات، وربما يستخدمون [Duolingo] أو يستمعون إلى محطة إذاعية محلية قبل المغادرة لصقل مهاراتهم اللغوية.

بمجرد السفر إلى الخارج في عطلة يمكن للأشخاص استخدام تطبيقات ترجمة جوجل وتحويل العملات. أصبحت وسائل التواصل الاجتماعي وكاميرات الويب أدوات مهمة للبقاء على اتصال بالعائلة وتبادل الصور، ومن المحتمل أيضًا أن يقوموا باستشارة خريطة للطقس. إذا كانت الرحلة تشمل السير على الأقدام فقد يلعب عداد الخطوات دور الدليل على أن الأشخاص يستخدمون تلك العطلة للحفاظ على صحتهم. قد يشعر كبار السن أيضًا بأريحية أكبر في المغامرة مع تضاريس غير مألوفة، ويعلمون أنه بفضل [GPS] أصبح من غير المحتمل أن يتيهوا تمامًا. يستخدم الهاتف الذكي أيضًا للسفر التخيلي أو السفر البديل، وكان أبرز مثال على ذلك هو ليام من أيرلندا [الشكل 5.11]، حيث استخدم ليام تطبيق الواقع الافتراضي المرتبط بنظارات أوكيولوس [Oculus] الخاصة به والذي مكنه من «السفر» إلى أماكن في الولايات المتحدة ربما لن يستطيع زيارتها أبدًا.[19] حتى الفضاء لم يكن عائقا أمام طموح ليام، فقد استمتع «برحلة» في الواقع الافتراضي حول محطة فضائية بنفس الطريقة. قام ليام أيضًا بتصفح أجزاء مختلفة من العالم باستخدام تطبيق أرض جوجل والتخطيط لحضور حفل زفاف في إيطاليا أو زيارة وجهات عطلاته السابقة.[20]



5.11 ليام أثناء «سفره» للولايات المتحدة بواسطة نظارة أوكيولوس. تصوير دانيال ميلر.

الأخبار والمعلومات

يعرض هذا المسح الموجز كيفية استخدام الأشخاص للهواتف الذكية فيما يتعلق بالأخبار والمعلومات، ويبدأ هذا العرض بالأفراد ثم ينظر في تداول هذه الأخبار والمعلومات داخل المجتمع وينتهي بمثال للأخبار التي تنشرها الدولة. في العديد من مناطق العالم اليوم أصبح الفعل «يبحث في جوجل» مرادفًا للبحث عن المعلومات عبر الإنترنت حول أي موضوع تقريبًا. في الممارسة العملية قد يكون لهذا دلالات محلية مختلفة تتجاوز قدرة جوجل كمحرك بحث. لا يوجد تمييز حقيقي بين جوجل كتطبيق وموقع ويب ومحرك بحث بالنسبة للعديد من كبار السن في سانتياغو، وبالمثل فإن «الإنترنت» هو مجرد جوجل بالنسبة لبعض الأشخاص.

إذا كان جوجل قد توسع من كونه محرك بحث فقط لما هو أكثر من ذلك فيوتيوب قد توسع ليصبح محرك بحث أيضًا، حيث يُنظر أحيانًا إلى يوتيوب على أنه موقع للحصول على معلومات بديلة لتلك المتوفرة في الاتجاه السائد؛ على سبيل المثال استخدم راهب بيروفي في سانتياغو موقع يوتيوب للبحث عن حجج غير دينية ضد الإجهاض. يمكن أن يستخدم الأشخاص يوتيوب أيضًا لاستدعاء الأشياء من موطنهم الأصلي، وفي نولو كانت هذه الأشياء عادةً هي الموسيقى بالنسبة للمشاركين المصريين بينما كانت وصفات الطعام بالنسبة للصقليين. في يوم القديس سانتا لوسيا على سبيل المثال حددت ماريا وصفة على الإنترنت عبر هاتفها الذكي للكوتشيا فذلك اليوم

كان هو اليوم الذي يتم فيه تناول الكوتشيا كما جرت العادة، والكوتشيا هي أكلة صقلية تقليدية من الحنطة المسلوقة والسكر. أخذت ماريا في مشاركة هذه الوصفة بالإضافة لصور الكوتشيا التي طبختها مع العائلة والأصدقاء على فيسبوك وواتساب، كما تشاركت كميات من الطبق نفسه مع بناتها في ميلانو وجيرانها المقربين في مجمعها السكني في نولو.

أحد آثار الانتهازية المتواصلة هو الإدمان المحتمل، على الرغم من أن معنى هذا المصطلح غالبًا ما يكون غير واضح بشكل كامل كما أشرنا في الفصل الثاني. في أيرلندا هناك تصور عن الشباب بأنهم «مدمنون» للهواتف الذكية لأنهم يبدون «مضطربين» بشكل واضح إذا مضت فترة طويلة منذ آخر مرة تفقدوا فيها هواتفهم لمعرفة ما قد يقوله أصدقاؤهم – أو من يكرهونهم – عنهم. إذا بدا على كبار السن الاضطراب أيضًا يكون السبب الأكثر شيوعًا لهذا الاضطراب هو «إدمان» مماثل للأخبار وخاصة الأخبار السياسية، بيد أنه بالنسبة لكبار السن من الرجال يمكن أن تكون تلك الأخبار أخبارًا رياضية أيضًا. يتحدث الكثير من الناس عن قضاء عدة ساعات يوميًا في مشاهدة الأخبار على هواتفهم الذكية ويحدث هذا عادةً بسبب انغماسهم في موقف سياسي معين، وخلال الفترة التي أجرينا فيها بحثنا كان هذا غالبًا يعني إما سياسة الولايات المتحدة لدونالد ترامب أو سياسة المملكة المتحدة بشأن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي بينما لم يبدي أحد انبهارًا مماثلًا بالسياسة الأيرلندية.

تقضي آن على سبيل المثال ساعتين أو ثلاث ساعات يوميًا في متابعة أخبار ترامب، وتتنقل بين تطبيق جوجل وتطبيقات الصحف بما في ذلك (واشنطون بوست) و(الجزيرة) و(الجارديان) فضلًا عن الصحف الأيرلندية المحلية ومصادر الراديو والإعلام المختلفة بما في ذلك محطات الأخبار الأمريكية مثل (فوكس نيوز). تكتمل هذه المصادر لدى آن بمشاهدة برامج ساخرة مختلفة على يوتيوب أو بقراءة تغريدات ساخرة من (ذي أنيون) [*The Onion*] بالإضافة إلى الأخبار التي يشاركها الآخرون على فيسبوك، وفي الصباح تستمع إلى الأخبار بسماعات الرأس حتى لا توقظ زوجها. يحتمل أن غالبية كبار السن في هذا الموقع الميداني يشاهدون الأخبار الآن على هواتفهم الذكية قبل النهوض من الفراش في الصباح وقبل إطفاء الضوء للنوم في المساء.

وجدنا لدى الأشخاص طرق عديدة لتحديد الأخبار التي يثقون بها. على وسائل التواصل الاجتماعي مثلًا كان الأمر متعلقًا بتقييمهم للشخص الذي يرسل إليهم الأخبار، ولكن بشكل أكثر عمومًا كانت أخبارهم على الإنترنت مرتبطة في كثير من الأحيان بمصادر الأخبار التقليدية مثل الصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون. في تحقيق أكثر تفصيلًا حول كيفية حكم الناس على المعلومات الصحية في دبلن قدم الأشخاص العديد من المعايير الواضحة للحكم مثل رفض أي مصادر مرتبطة بالمواقع التي تبيع أي شيء. في مجالات أخرى كان الناس غالبًا ما يظهرون تفضيلهم للأخبار الواردة من بلدان أخرى غير بلدانهم حسب آرائهم في السياسة المحلية.

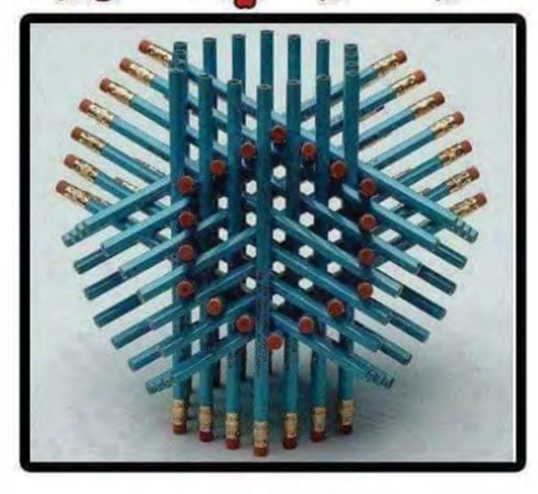
في التغطية الصحفية لاستخدام الهواتف الذكية كوسيلة إخبارية يكون التخوف الرئيسي هو الأخبار المزيفة، ومع ذلك وجدنا أن ما يسود الأخبار على الهواتف الذكية بالنسبة للمشاركين في بعض المواقع الميدانية كان السخرية من السياسة والساسة من خلال مشاركة الهجاء السياسي والنكات الأخرى. على سبيل المثال تمت مشاركة الميم أدناه عبر مجموعات الواتساب في نولو [الشكل 5.12]، حيث يصور الميم رئيس الوزراء الإيطالي جوزيبي كونتي وهو يهمس لماتيو سالفيني الذي كان وقتها وزير الداخلية اليميني المتطرف قائلًا: «هل لديك قارب نعترض طريقه حتى نشتت انتباه الناس لأنني لا أعرف أي شيء لعين آخر يمكن أن أقوله فيما يتعلق بالركود؟» الإشارة هنا إلى حادثة وقعت في يونيو 2018 عندما منع سالفيني بشكل مثير للجدل رسو سفينة بها 600 مهاجر من ليبيا إلى جزيرة لامبيدوسا الإيطالية، وقد تصدر تصرفه الأخبار في ذلك الوقت. أثبت الميم شعبيته بشكل خاص في نولو في سياق من الاحتجاجات المنتظمة عبر الإنترنت وخارجه ضد سالفيني وسياساته العدائية تجاه المهاجرين.



5.12 ميم سياسي ساخر يتم مشاركته على مجموعات الواتساب في نولو.

تشير مشاركة النكات إلى زيادة الاستهلاك المجتمعي للأخبار، ففي ياوندي على سبيل المثال أصبح يوتيوب مكونًا مهمًا للتواصل الاجتماعي داخل المجموعات الرياضية المختلفة بيد أن المحتوى الأساسي الذي يتم مشاركته يكون مقاطع الفيديو المضحكة. قد يصاحب هذه المقاطع التعبير الشائع جدًا «لا يجب أن تضحك بمفردك»، كما أن هناك شعورًا عامًا بأن تشارك تلك النكات يساعد في خلق أجواء طيبة وسعيدة. قد يبدأ هذا النوع من المشاركات في وقت مبكر جدا في الصباح، فبمجرد أن يستيقظ أحد أفراد المجموعة يجد المئات من مقاطع الفيديو والصور المضحكة لرؤيتها والتعليق عليها، ويقال إن هذا النشاط هو أحد الأشغال المفضلة للمتقاعدين في ياوندي بل إنه أحيانًا يفوق مشاهدة التلفزيون في المنزل. قالت سيدة أنها تقضي ما لا يقل عن ثلاث ساعات يوميًا في مشاهدة مقاطع الفيديو التي يشاركها أقاربها في مجموعات واتساب المختلفة التي تشارك بها وتجدها مضحكة للغاية، وأضافت أنها لا تشارك تلك المقاطع بنفسها أبدًا لكنها تقدر ما يرسله الناس إليها كنوع من إظهار الاهتمام. بالإضافة إلى ذلك تعتبر الفكاهة مكونًا رئيسيًا للطريقة التي ينشر بها الناس الأخبار السياسية مما يمنحهم وسيلة للمشاركة في النقاشات السياسية بدلًا من الشعور بأنهم مجرد متلقين سلبيين للأخبار المنشورة.

الفكاهة أيضًا عنصرًا مهمًا في رسائل واتساب التي يتم مشاركتها في دار الهوى وعادة ما تأخذ هذه الفكاهة هيئة الصور الثابتة وليس مقاطع الفيديو، ويمكن صياغة المعلومات والأخبار ضمن هذه الأطر وغالبًا ما يتفاعل العديد من الأشخاص مع الرسالة عن طريق الرد بصورة لمزحة أخرى أو الرد بكتابة «هههههه». ومع ذلك فإن نوع المشاركات الذي قد يحظى باهتمام أكبر من الفكاهة هو الألغاز، فعلى سبيل المثال هناك ألغاز عن الإسلام وعن الأماكن وعن الصور «الخادعة» أو حتى عن المسائل الرياضية [الشكل 5.13].



5.13 لقطة شاشة للغز شاركته ليلى عبد ربه ومايا ده فريس مع المشاركين من دار الهوى. تقول الكلمات «كم قلمًا من الرصاص ترون في هذه الصورة؟ من سيكون ذكيًا بما يكفي لمعرفة الإجابة؟»

تكتسب هذه الألغاز اهتمامًا أكبر على مجموعة الواتساب مقارنة بمشاركة النكات، فالألغاز تصنع حوارًا أكثر زخمًا يصاحبه التنافس حول من سيكون أول من يعطي الإجابة الصحيحة. يتوافق هذا مع ما لاحظته ليلى ومايا عن الأنشطة التي تتم خارج الإنترنت في نادي كبار السن حيث كانت الألعاب المصحوبة بالمسابقات جزءًا من أنشطتهم المعتادة وكان الطلاب الشباب الذين يقومون بفترة تدريب من خلال الجامعة هم غالبًا من يقدمون تلك الألعاب. كانت الأجواء الإيجابية تسود هذه الأنشطة لأن الجميع كانوا يدركون أن هذه المسابقات تبقيهم في حالة من الانتباه واليقظة، ولهذا بدت الأنشطة المماثلة التي يقومون بها عبر الإنترنت على واتساب امتدادًا واضحًا لهذه الأهداف.

تُستخدم مجموعات واتساب الكبيرة أيضًا لمشاركة المعلومات في أوغندا. على سبيل المثال، في جولو يشارك شقيق رئيسة مجلس إدارة لوسوزي في مجموعة واتساب التابعة للمجلس والتي منها يمكنه الوصول إلى بيانات إيرتل [Airtel] بتمويل من المجلس المحلي بسعر مخفض، وهو ما يساعده في التعرف على جلسات التوعية الصحية بالمجلس وتعبئة المجتمع للحضور. إن مجموعات واتساب هذه «تأتي بالأخبار» بصفتها منصات لمشاركة المعلومات، وهو الشيء الذي كثيرًا ما يحب الناس سماعه «من جميع أنحاء العالم». هذا هو الحال بالنسبة للجدة العازبة فلوسي التي تستمع إلى الدعاة والقساوسة في الصباح وإلى أخبار البي بي سي في المساء، أما أوكيدا التي تعمل موجهة كتابية فهي مهتمة بشكل خاص بأخبار المملكة المتحدة: «أنا أحب بي بي سي وأتابع أخبار خروجكم من الاتحاد الأوروبي كثيرًا ... لقد كنتم تستعمروننا ولهذا لازلنا مهتمين بأخباركم. عندما تكون هناك فوضى في بلدكم ... عندما لا تكون الأمور جيدة عندكم، نشعر بالقليل من الذعر!» .

عندما كانت شارلوت تزور منازل الناس في لوسوزي كانت عند وصولها غالبًا ما تجد الراديو يعمل من هاتف محمول صغير على محطات الموسيقى أو الأخبار الوطنية أو الدولية أو – في أغلب الأحيان – المواعظ الإنجيلية.

يبدو إيمانويل – المسيحي المولود من جديد – سعيدًا باستخدام الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي للتبشير بالإنجيل، وهو يستمع إلى الوعظ في الراديو عبر هاتفه – إلى (صوت أمريكا) تحديدًا – وإلى أخبار إسرائيل: «أنت تعلم أنه من الأفضل أن تكون على دراية بإسرائيل لأننا في نهاية الزمان. إذا حدث أي شيء هناك تجده في نبوءات الكتاب المقدس».

تتشارك أتيم مع أفراد منزلها في هاتف واحد، فالهاتف نفسه يخصها وبطاقة [SIM] تخص ابنتها، وهم بشكل عام يستخدمونه لمنح أقاربهم في القرية فرصة الاتصال بهم وإخبارهم بمشاكلهم وطلب المساعدة المالية منهم كما حدث في آخر زيارة لعمتهم للمستشفى على سبيل المثال. يحبون أيضًا الاستماع إلى الوعظ ولكنهم يخشون أن يستهلك هذا بطارية هاتفهم نظرًا لعدم توفر الكهرباء في المنزل مما يضطرهم لشحن الهاتف في مكتب الكنيسة، ولذلك يقتصر استخدامهم للهاتف على 20 أو 30 دقيقة كحد أقصى لأنهم «يفكرون دائمًا في الكهرباء» خاصة لأنهم لاحظوا أنه «إذا قمت بزيادة الشحن يحترق الشاحن».

وأخيرًا، كما أن الأفراد والمجتمعات يسعون للحصول على الأخبار والمعلومات يمكن للدولة أيضًا استخدام الهواتف المحمولة مباشرةً كوسيلة لنشر الأخبار، وأوضح مثال على ذلك هو الممارسة التي تنتهجها الحكومة اليابانية لإصدار إنذارات طارئة عبر الهاتف المحمول.[21] بدأت الحكومة في إرسال هذه الإخطارات عبر الهاتف المحمول في أعقاب الكارثة الثلاثية التي حدثت في مارس 2011 والتي يشار إليها عادةً باسم 3/11 والتي شملت زلزالًا وتسونامي وانهيارًا نوويًا. في السنوات التي أعقبت الكارثة واجهت الحكومة انتقادات بشأن طريقة تعاملها مع الوضع وحُشد للكثير من تلك الانتقادات على وسائل التواصل الاجتماعي.[22]

تحدث الكوارث الطبيعية مثل الزلازل القوية والأعاصير والأمطار الغزيرة في اليابان سنويًا، ولهذا السبب أصبح الهاتف الذكي الآن خط الدفاع الأول لكثير من الناس حيث أنه يمنحهم طريقة للتأهب للكارثة وللعناية بأنفسهم في وقت ضعفت فيه ثقتهم في الحكومة.[23] أوضح رجل يعيش في ريف كوتشي كيف أنه يقوم كل صباح بتفقد أخبار الكوارث الطبيعية على موقع إلكتروني يغطي المقاطعة بأكملها من هاتفه الذكي. هذا الموقع الإلكتروني ليس تطبيقًا ولكن الرجل وضع إشارة مرجعية عليه حتى يتمكن من فتحه بنقرة واحدة من الشاشة الرئيسية لهاتفه. يخبره الموقع بمستوى المياه وتيارات المحيط، فإذا انخفض المد يعلم أنه يجب أن يستعد لحدوث زلزال وفي مثل هذا السيناريو فهو سيشتري طعام الطوارئ ولن يسافر إلى المدينة، ويقول:

> أعتقد أن البحث في الأمر بنفسك أسرع بكثير ... من انتظار تنبيهات الحكومة. أعني أن هذا المد والجزر ما هو إلا فرضية، ولكن من الأفضل أن تعرفها. أعتقد أنها [إخطارات الطوارئ] جيدة ولكنها دائمًا تأتي من 5 لـ 10 دقائق فقط قبل الحدث لذا فهي مفاجئة جدًا ... أخشى أن تكون مقاطعة كوتشي آخر ما يتم الالتفات له فهناك محافظات أخرى أهم من كوتشي. لهذا السبب أريد أن أعرف بتلك الأمور عاجلًا حتى أتمكن من الإخلاء بسرعة أكبر.

المشكلة التي تواجهها إخطارات الطوارئ الرسمية هي أنه نظرًا لتكرارها الكثيف – فهي تستخدم حتى في الزلازل الصغيرة – لذلك غالبًا ما يتم تجاهلها. أثناء هطول الأمطار الغزيرة والفيضانات في صيف 2018 كان من الشائع أن تتواجد في مطعم وتسمع صوت إنذارات الطوارئ من هواتف الجميع في نفس الوقت وهو ما كان يجده رواد المطعم مسليًا. يعتقد بعض المشاركين في البحث أن هذا يرجع إلى أن الحكومة لا تريد أن يُنظر إليها على أنها فشلت في تنبيه الناس إلى الكوارث المحتملة، والنتيجة هي شيء أشبه بمتلازمة «الذئب البكاء» حيث قد تؤدي كثرة عدد الإنذارات الكاذبة إلى تقليل فعالية تلك الإنذارات [الشكل 5.14].



5.14 لقطة شاشة لإشعارات حدث طارئ شاركتها لاحقًا على إنستاجرام واحدة من المشاركات من كيوتو. الملحوظة المصاحبة تعلق على تكرارية تلك الإشعارات.

من ناحية أخرى أصبحت إمكانية إصدار تحذيرات مباشرة حول الإصابات المحتملة من خلال الرسائل النصية للهواتف الذكية قضية عالمية مع ظهور الحاجة لتتبع المخالطين أثناء جائحة كوفيد-19، وهو التطور الذي سنناقشه في الفصل الأخير.

الترفيه السمعي

أشارت مقالة حديثة في جريدة (الإكونوميست)[24] - بأثر رجعي - إلى أن الاهتمام الرئيسي الذي دفع الناس إلى استخدام الإنترنت في جميع أنحاء العالم هو على الأرجح الأنشطة الترفيهية.[25] قبل وجود الهواتف الذكية كان الترفيه عامةً يشكل نشاطًا منفصلًا مثل مشاهدة مسلسل تلفزيوني أو الاستماع إلى برنامج إذاعي يتم بثه عبر الوسائل الإعلامية التقليدية، ولكن الانتهازية المتواصلة التي يمثلها الهاتف الذكي حولت هذا الترفيه إلى تواجد دائم يمكن الاقبال عليه في أي استراحة فاصلة خلال اليوم. في الدقائق الخمس التي ننتظر فيهم الحافلة يمكن لأي شخص تفقد مدونة فيديو أو استعراض بعض الميمات المضحكة التي ينشرها الأصدقاء أو الاستماع إلى مقطوعة موسيقية جديدة أو الاطلاع على ما ينوي أحد الأصدقاء فعله أو قراءة الأخبار عما تفعله الحكومة، وإذا فاته المسلسل الإذاعي المفضل لديه فيمكنه بثه في أي وقت.

يعد هذا تغييرًا مهمًا في حياة الناس لأنه لا يمكن معرفة في أي جزء من أي يوم يمكن أن يشعروا بالملل أو الكآبة أو الإحباط، وربما لم يكن لديهم في السابق إمكانية استخدام التلفزيون أو الراديو في تلك اللحظة بالذات قبل هذه الحالة من الانتهازية المتواصلة. تزيد الهواتف الذكية أيضًا من نطاق الأشياء التي يمكن الحصول عليها، فإذا كان شخص ما يستمع إلى نتائج مباريات كرة القدم فيمكن لآخر أن يدندن ترانيمه المفضلة؛ يمكن لشخص أن ينصرف للأخبار الرياضية وآخر لأخبار المشاهير وثالث للأخبار السياسية؛ قد يكون ما يثير أحدهم هو الميمات السياسية وآخر ميمات القطط والثالث ميمات الحفيد الفوضوي.

نظرًا لأن الترفيه يعد موضوعًا واسعًا فإن النقاش التالي يقتصر على مثال صغير: الطريقة التي يستمع بها الأشخاص إلى الموسيقى وأنواع السمعيات الأخرى. في لوسوزي مثلًا وجدنا أن 24 من أصل 35 مشاركًا في البحث يستخدمون مشغلًا للموسيقى على هواتفهم وأن 4 مشاركين يستخدمون تطبيقات البحث عن الموسيقى مثل شازام [Shazam]، ولكن ما وجدناه أكثر شيوعًا هو أنهم يأخذون موسيقاهم من أحد البائعين الثلاثة في المنطقة الذين يبيعون تنزيلات الموسيقى والمسلسلات والأفلام. يقوم العملاء بشراء أو إحضار بطاقة الذاكرة أو «الفلاشة» الخاصة بهم واختيار الأنواع التي يفضلونها من مجموعة التنزيلات التي يقوم البائع بتحديثها بانتظام. يحاول البائعون مواكبة أحدث الخيارات ويشغلون الموسيقى من نظام الصوت الخاص بهم لجذب العملاء، ويوضح أحد البائعين قائلًا: «يأتي الناس وخاصة العملاء الحاليين ... ويسترعي شيء على انتباههم من الخارج فيدركون ما يريدون». أحيانًا يكون الرجال الأصغر سنًا مسؤولين عن اختيار الموسيقى ووضعها على فلاشات للأقارب الأكبر سنًا،[26] ويشير البائع إلى أن العملاء الأكبر سنًا «نادرون جدًا ... يأتون من حين لآخر بحثًا عن الأغاني القديمة» مثل الموسيقى الإنجيلية أو اللينغالا أو موسيقى الأشولي التقليدية، ويضيف أن تلك الموسيقى «تجعلهم سعداء». أيضًا في التحليل الذي أجرته بايب[27] لكبار السن ووسائل الإعلام الرائجة في كينشاسا [جمهورية الكونغو الديمقراطية]، وجدت أنه في تلك البيئة الحضرية التي تركز فيها وسائل الترفيه على الشباب في أغلب الأحيان يمكن لكبار السن إعادة الاتصال بالمجتمع المعاصر من خلال معرفتهم بالموسيقى.

عادةً ما يذهب الناس لشراء الموسيقى في نهاية الشهر بمجرد حصولهم على رواتبهم، ويستخدمون لذلك بطاقة ذاكرة بسعة تخزينية تبلغ 4 جيجا بايت وتكلفهم ما يعادل حوالي 4 جنيهات إسترلينية لتحميل حوالي 500 أغنية على أجهزتهم ومشاركتها عبر البلوتوث، وقد يدفعون [ما يعادل] 4 بنسات لكل أغنية أو يشترون باقة من خمس أغنيات مقابل 21 بنسًا. لدى البائعين مقاطع فيديو أيضًا يبيعونها مقابل 6 بنسات أو يقدمونها للعملاء الدائمين كهدية، ويوضح أحد البائعين قائلًا: «يرغب الأشخاص في الحصول على مقاطع الفيديو لا سيما كبار السن الذين لهم عائلات». يقدم بائعو الموسيقى عادةً الكوميديا والمسلسلات وأفلام الحركة وأفلام هوليوود ونيجيريا وغانا.

تم إطلاق منصة شيمالايا [Ximalaya] في شنغهاي عام 2013، وهي واحدة من أكثر المنصات رواجًا في الصين للمدونات والكتب الصوتية وتحتوى على حوالي 500 مليون حساب مسجل.[28] ازدادت شعبية المدونات الصوتية [بودكاست podcasts] – أو البرامج الصوتية الرقمية المتاحة للتنزيل أو البث – بسرعة كبيرة بين كبار السن في الصين.[29] في هذا العصر الزاخر بالمحتوى حسب الطلب يمكنك أن تجد حلقة بودكاست لكل ذوق و كل احتياج. وفقًا لبيانات مؤسسة آي ميديا للأبحاث [iMedia Research] ارتفع إجمالي عدد مستمعي المدونات الصوتية في الصين إلى 425 مليونًا في عام 2018، ويقضي المستخدم العادي 150 دقيقة يوميًا على تطبيق شيمالايا.[30]

يعد هذا البديل السمعي نعمة كبيرة بالنسبة لكبار السن الذين بدأوا يواجهون صعوبات في القراءة، وهم أيضًا الجيل الذي نشأ مع الراديو ويشعر بالارتياح معه. توضح السيدة تونج – وهي من أشد المعجبين بشيمالايا – أنه «يشبه تمامًا الراديو الموجود على الهاتف الذكي ولكن بمحتوى أكثر بكثير». تستمع السيدة

تونج أيضًا إلى البرامج التعليمية للأطفال [هي تعتني بحفيدها خلال أيام العمل] أثناء قيامها بالأعمال المنزلية. لم تتذكر السيدة تونج آخر مرة جلست فيها لمشاهدة برنامج تلفزيوني عندما تم بثه على الهواء مباشرة لأنها الآن تشاهد تلك البرامج فقط على إتشيي [iQiyi] وهي منصة بث الفيديو على جهاز آيباد الخاص بها. لم تتذكر السيدة تونج أيضًا آخر مرة استمعت فيها إلى برنامج إذاعي عبر قناة إذاعية أرضية وهذا لأنها استبدلت الراديو أولًا بالتلفزيون ثم بشيمالايا منذ عامين والتي بدأت تستمع إليها بناءً على توصية من أحد الأصدقاء.

يُعد يوتيوب من الموارد الأخرى التي يشيع استخدامها في بعض المواقع الميدانية للبحث عن الموسيقى. باعت مارجريتا – وهي ممرضة متقاعدة من سانتياغو – جهاز الراديو الخاص بها واشترت سماعة بلوتوث حالما أصبح يوتيوب المصدر الرئيسي للموسيقى بالنسبة لها. يتيح يوتيوب لكبار السن أيضًا الاستماع مرة أخرى للألحان القديمة التي لم تعد متوفرة في العادة. بين الحين والآخر يستخدم كبار السن في سانتياغو مجموعات واتساب الخاصة بهم لمشاركة روابط الألحان من الأيام الخوالي. وبالمثل ترى السيدات المصريات في نولو أن يوتيوب وسيلة للوصول إلى الأغاني الناطقة بالمصرية والعربية، وهن يشغلن تلك الأغاني بصوت عالٍ إما على الهواتف الذكية أو عبر مكبرات الصوت في الاحتفالات والحفلات والتجمعات في الحي خلال عيد الفطر على سبيل المثال وهو الاحتفال الذي يأتي في نهاية شهر رمضان.

أخيرًا، قد تلعب الهواتف الذكية أيضًا دورًا في صنع الموسيقى أو المشاركة فيها وكذلك الاستماع إليها. أسس بريندان مثلًا مجموعة قيثارة الأُكلال في دبلن ويروج لها، والتطبيق الوحيد المختص بالموسيقى الذي يستخدمه بريندان على هاتفه هو ضابط نغمات الأكلال. ومع ذلك تشكل مجموعة مناقشة الأكلال الآن استخدامه الأساسي لواتساب حيث أصبحت مجموعة نشطة جدًا تضم أكثر من 70 عضوًا مما ينتج عنه مشاركات يومية للمجموعة، وقد يقوم بريندان أولًا بتنزيل أغنية من يوتيوب ثم يغيرها إلى ملف [MP3] مما يتيح له إرسالها إلى سماعة بلوتوث التي يستخدمها عند العمل مع مجموعة الأكلال.

يعد فيسبوك أيضًا الوسيلة الأساسية التي يتفاعل بها بريندان مع مجموعات الأكلال الأخرى في جميع أنحاء أيرلندا وخارجها، وهو يستخدم الرسائل النصية والاتصالات الهاتفية لإجراء ترتيبات أكثر تفصيلًا مثلما يحدث عندما تعزف المجموعة في الحفلات أو في دور رعاية المسنين على سبيل المثال، وهو أمر يحدث كثيرًا. يستخدم بريندان الخرائط أيضًا للوصول للمكان الذي يقام فيه الحدث كما يستخدم التقويم لتنظيم هذه الأحداث. يحتوي تطبيق الموسيقى الخاص ببريندان على آلاف الأغاني المخزنة عليه، وفي حين أن العديد من هذه الاستخدامات تعتبر جديدة نسبيًا إلا أنها جميعًا مستمدة من عزفه للأكلال. لذا قد ترى في البدء أن هاتف بريندان يحتوي على تطبيق واحد فقط خاص بالأكلال إلا أنه بعد القليل من الوقت يصبح من الواضح أنه قد حول هاتفه الذكي بالكامل إلى «تطبيق أكلال» من نوع خاص. يعزز هذا المثال النقطة التي أوردناها في الفصل الرابع فيما يتعلق بتركيزنا على المهام بدلًا من تطبيقات متخصصة بعينها.

الاستنتاجات النهائية

بدأ هذا الفصل بالإشارة إلى عدد التطورات في طريقة استخدام الهاتف الذكي التي تُستمد من مزيج من خاصيتين. الخاصية الأولى هي التصميم الداخلي الذي يسمح بالتجاور الفوري للتطبيقات مما يسهل استخدامها معًا، والخاصية الثانية هي قضية الحراكية ونقيضها. قد يتنقل الهاتف الذكي في الأنحاء، ولكنه يظل حاضرًا دائمًا جنبًا إلى جنب مع

صاحبه. هذان الجانبان معًا يفسران ظهور الخاصية التي سادت هذا الفصل والتي أطلقنا عليها اسم «الانتهازية المتواصلة».

تبين لنا أيضًا أن طبيعة الفوتوغرافيا تأثرت تأثرًا عميقًا وهذا التأثر هو شيء أكبر من مجرد التعديل في استخدامنا للكاميرات والصور، فالتصوير الفوتوغرافي أصبح بالأحرى النقيض الكامل تقريبًا لما كان عليه من قبل من عدة نواحٍ. بدأت الكاميرا كوحش ضخم لشيء كان لابد من إعداده كجهاز، واستغرقت الصور نفسها وقتًا لمعالجتها مما جعل التصوير عملية طويلة ورسمية ومكلفة إلى حد ما، ولكن مع ظهور الكاميرات الأكثر قابلية للحمل والحركة أصبح التقاط الصور شيئًا أسهل. كان للرقمنة تأثيرًا كبيرًا على ما يمكن أن يفعله الناس بصورهم تمامًا كما أثرت على كيفية التقاطهم لتلك الصور، حيث أضيفت العديد من الإمكانات الجديدة الآن إلى ألبومات الصور التقليدية ومجموعات الصور العائلية فوق سطح المدفأة والصور داخل صناديق الأحذية والبورتريهات المعروضة[31]. تلتقط الغالبية العظمى من الصور حاليًا بهدف المشاركة الفورية عبر وسائل التواصل الاجتماعي، وهي جزء ثابت من المحادثات والتواصل العام. إذا تخلصنا من نزعة الحنين إلى الماضي والاعتقاد بأن الطرق القديمة كانت أفضل نجد أننا يجب أن نعترف بأنه ليست الكاميرا فقط هي التي كانت ضخمة ومزعجة، بل أن نظام التصوير الفيلمي بأكمله كان مقيدًا للغاية.

على النقيض من ذلك تتناسب كاميرا الهاتف الذكي تمامًا مع الانتهازية المتواصلة، وحتى طلبة المدارس يدركون طيلة الوقت أنه أثناء سيرهم على الطريق أو عبر حقل ما قد تكون هناك احتمالات غير متوقعة إطلاقًا لالتقاط صورًا رائعة على إنستاجرام. لا يمكننا أبدًا التنبؤ باللحظة التي ستبسط فيها الفراشة أجنحتها بالخلفية المناسبة أو تلك التي سيقرر فيها الحفيد أن يبدو لطيفًا جدًا، ولكن بفضل الانتهازية المتواصلة يتم التقاط المشهد وإقراره طالما أن الحدث استمر للثواني القليلة التي يستغرقها سحب الهاتف الذكي من مكانه والتقاط صورة للمشهد. من المكونات المهمة أيضًا لتلك الانتهازية هو انعدام التكلفة، فالتقاط الصور وتخزينها وانتقائها وحذفها واستبدالها أصبح شيئًا سهلًا. إن التقاط صورة لتأطيرها يحتوي على شيء من التقديس، فهو يفصل عناصرها عن الأشياء العادية التي لا تزال خارج الإطار. كثيرًا ما يحدث هذا كفعل اجتماعي كما هو الحال عندما يشارك أهالي دار الهوى صور رحلاتهم مع أولئك الذين لا يستطيعون الانضمام إليهم في تلك الرحلات كوسيلة لإشراك المجتمع بأكمله.[32]

تبين أيضًا أن كل مجال من مجالات استخدام الهواتف الذكية التي تمت مناقشتها في هذا الفصل هو مثال على الانتهازية المتواصلة. في نفس اللحظة التي يجد فيها السائق نفسه تائهًا يَحضُر [GPS] على هاتفه الذكي؛ أثناء العطلة يكون تطبيق الترجمة حاضرًا لتلك اللحظات التي يبدو فيها أن شخصًا ما يخبرك باهتياج بشيء لا تفهمه أو تعرف سببه؛ لم يعد كبار السن في بنتو – الذين على الأرجح يستخدمون وسائل النقل العام بعد التقاعد – مضطرون إلى التخطيط لأمسياتهم بدقة شديدة، فهم الآن يمكنهم ببساطة طلب وسيلة مواصلات لتعيدهم إلى منازلهم عندما يكونون مستعدين للمغادرة؛ يمكن لمهاجر بيروفي يعيش في سانتياغو تفقد وصفة من بيرو على موقع يوتيوب أثناء طهيه للطبق. كل شيء هناك في ذلك الزمان والمكان، متاح في لحظة. هناك تعبير قديم مشتق من الموسيقى يقول «سنعزفها بالأذن»، وبفضل الهاتف الذكي أصبح هذا وصفًا حرفيًا للحياة اليومية.

كما هو الحال دائمًا مع الهاتف الذكي فهناك عواقب أكثر خطورة تكمن أيضًا في تضخم إمكاناته،[33] ولمصطلح «الانتهازية» نفسه دلالات سلبية. الجانب الآخر من الانتهازية الدائمة هو الضعف الدائم. أينما كنت قد يلاحقك شخص ما؛ قد يبدو أنه لا يوجد عذر مقبول لعدم الرد عندما يكون واتساب قد أبلغ المرسل [الذي ربما يكون رئيسك في العمل] أنك تلقيت رسالته بالفعل؛ هناك أيضًا بعض الأقارب الذين يبدو واضحًا أنهم يتوقعون منك الرد فورًا. لقد أشرنا سابقًا إلى طلبة المدارس الذين يشعرون بالقلق طوال الوقت بشأن ما يقال عنهم وقد يجافيهم النوم

ليلًا لأنهم يتفقدون هواتفهم الذكية من تحت الوسائد في الثالثة صباحًا للتأكد من أنهم لم تفوتهم رؤية السباب أو الفضيحة اللذان يخشونهما. لذلك اكتشفنا أنه يمكن أن تُختبر الانتهازية المتواصلة كضغط متواصل أيضًا. يمكن لأصحاب العمل إعطاء التكليفات في أي وقت وفي أي يوم، كما أن الهاتف الذكي يجعل الاقتصاد «المؤقت» – الذي غير ممارسات العمل بشكل كبير والذي يعتمد على التواجد وقت الحاجة – ممكنًا.

لذلك شهدت الانتهازية المتواصلة ارتفاعًا في عدد المطالبات التي تدعو لأخذ فترات راحة من الهاتف الذكي أو «للتخلص من السموم الرقمية».[34] إذا كان بإمكاننا استخدام الهاتف الذكي في أي لحظة فسيترتب على ذلك أننا سوف نميل إلى استخدامه طيلة الوقت، فهناك دائمًا شخص آخر يمكننا الاتصال به أو شيء آخر يجب علينا البحث عنه. هكذا تضيف الانتهازية المتواصلة للخطاب حول الإدمان الذي تمت مناقشته في الفصل الثاني، وفي المقابل ربما تتسم كل تلك العواقب بالمبالغة. إن الانتهازية المتواصلة ليست صفة خاصة بالهواتف الذكية فقط، فالصوت البشري هو أيضًا فرصة دائمة. علينا كبشر دائمًا «عض ألسنتنا» ومحاولة مقاومة إغراء الرد أو قول الكلمة الأخيرة حتى حين نكون على علم أن ما نريد قوله هو شيء غير لائق أو أنه ليس دورنا للتحدث بل دور الشخص الآخر. لقد عاش البشر دائمًا – وتكيفوا – مع الإغراء المتواصل بأشكال مختلفة. تركز الدلائل التي نستخلصها من هذا الفصل بشكل أكبر على كيفية تطويع الأشخاص للهواتف الذكية لأغراضهم الخاصة بدلًا من الاستسلام الأعمى لكل الاحتمالات التي يقدمها الهاتف الذكي.

لا تعني الانتهازية المتواصلة أننا بالضرورة أصبحنا أكثر سطحية أو أقصر نظرًا في رؤيتنا للحياة، فالهواتف الذكية تستخدم للتخطيط طويل المدى بقدر ما تستخدم للمتعة اللحظية. في أيرلندا يحب الناس قضاء الوقت في التخطيط للإجازات قبلها بأشهر باستخدام [Tripadvisor] و [Google Earth] و Booking.com أو عن طريق تعلم لغة من خلال [Duolingo]. الانتهازية المتواصلة ممكنة في أي مكان،[35] ولكن أكثر هذا الفصل كان حول الطرق المختلفة التي يستفيد بها الناس من هذه الإمكانية. يستمع الأشخاص في كل المواقع الميدانية إلى الموسيقى من خلال هواتفهم الذكية، ولكن الطريقة التي يتداول بها الناس في كمبالا وياوندي الموسيقى من خلال البائعين تختلف تمامًا عن طريقة نفاذ الأشخاص إلى الموسيقى في دبلن أو القدس، كما أن الطريقة التي تستخدم بها الحكومة اليابانية الهواتف الذكية لتنبيه الناس لحالات الطوارئ تميز تلك المنطقة دون غيرها. قد تكون الفرص موجودة دائمًا، ولكن الناس يستفيدون من تلك الفرص بطرق تختلف من منطقة لأخرى، وهو ما يفسر عنوان الفصل التالي – «الصياغة».

ملاحظات

1 Katz and Aakhus 2002.
2 Ling 2004; Ling and Yttri 2003.
3 Sarvas and Frohlich 2011.
4 في القرن التاسع عشر تم توظيف الكاميرات أيضًا في التسجيل والتوثيق المبكر؛ انظر Pinney 2012. ولكن كان الجهاز الضخم المزعج الذي أُستخدم لهذا التوثيق مختلفًا تمامًا عن الهواتف الذكية ولا يمكن استخدامه لذلك النوع من التصوير الوظيفي الموصوف هنا. انظر Gómez Cruz and Meyer 2012.
5 Morosanu Firth et al. 2020.
6 يمكن العثور على سلسلة من المقالات حول استخدامات وعواقب التصوير الرقمي في Gómez Cruz and Lehmuskallio 2016، وللاطلاع على علاقته بالذاكرة انظر Dijck 2007.
7 في القرن التاسع عشر، أُعتبرت هذه الصور «علمية» و«صادقة» أكثر من الأشكال السابقة للتمثيل المرئي مثل الرسم والفن. انظر Walton 2016.
8 Miller 2015.
9 Drazin and Frohlich 2007.
10 See also Mirzoeff 2015.
11 لنقاش أكثر عمومية حول أثر التأطير، انظر Goffman 1972.

12 انظر مقالة سوزان موراي حول «الجماليات اليومية» ، والتي سلطت الضوء عليها باعتبارها مركزية في دراسة ممارسة التصوير الرقمي اليومي. Murray 2008.

13 لتوضيح هذا التشبيه، كتب إرنست جومبريتش – أحد أشهر مؤرخي الفن – عملًا رئيسيًا هو (حس النظام)، والذي لم يكن عن الفن بل عن الإطارات التي توضع فيها الصور. كانت وجهة نظره أن الشيء الذي يجعل الناس يتوقفون ويتأملون قد لا يكون جودة ما هو داخل الإطار، بل على الأحرى التأطير نفسه. على نفس النهج، الحجة هنا هي أن الصورة هي فعل تأطير للطبيعة أو أشياء أخرى، وهذا التأطير هو الذي يحدد التغير في الإدراك أكثر مما يحدده الشيء الذي يكمن داخل الإطار. انظر Gombrich 1984 .

14 Hendry 1995.

15 See Favero 2018.

16 Bell and Lyall 2005, 136.

17 بالنسبة للشباب الذين ينشرون على وسائل التواصل الاجتماعي أيضًا، هناك دومًا الإدراك بأن الأسرة تراقب طوال الوقت. انظر de Vries، قيد المراجعة.

18 كما في ترينيداد. انظر Miller 1995.

19 يمثل السفر الافتراضي بهذه الطريقة عبر سماعات الرأس للواقع الافتراضي لحظة تكنولوجية رقمية في تاريخ أطول من «السفر داخل الغرفة» التخيلي. قام الأرستقراطي الفرنسي جزافييه دي مايستر [1763-1852] بوصف هذا المفهوم لأول مرة في نصه (رحلة حول غرفتي) [١٧٩٤]، وهو سيرة ذاتية ساخرة لمسؤول شاب سجن في غرفته لمدة ستة أسابيع. استند العمل إلى تجربته الخاصة أثناء وضعه رهن الإقامة الجبرية في تورين نتيجة مبارزة. انظر Maistre and Sartarelli 1994.

20 شاهد فيلم عن ليام على الرابط http://bit.ly/VR_Liam.

21 لمثال آخر على التحذيرات من الكوارث، انظر Madianou 2015.

22 ربما يكون الهاتف ذا أهمية خاصة. عندما تم اختراع ذلك الجهاز للمرة الأولى، اعتقد مخترعوه أنه سيتم استخدامه بشكل أساسي لنشر المعلومات وليس للمحادثات الاجتماعية. انظر Fischer 1992.

23 انظر Slater وآخرون 2012:

«في الساعة 2:26 عصرًا في 11 مارس 2011، ضرب زلزال بقوة 9.0 درجة اليابان. بعد بضع دقائق، ضربت موجات تسونامي هائلة الواحدة تلو الأخرى ساحل المحيط الهادي بأكمله. كما لو أن الكارثة الطبيعية وحدها لم تكن كافية، ففي الساعة 3:35 عصرًا ألحقت المياه من موجات التسونامي – التي بلغ ارتفاعها 15 مترًا – أضرارًا بمفاعل فوكوشيما دايتشي، ونشرت الشائعات والخوف من التلوث النووي الشامل [Ito، 2012، ص 34 - 35]. تقريبًا كل ما نعرفه الآن – وخاصة ما عرفناه عن الزلزال والتسونامي في الساعات وحتى الأيام التي تلت الأحداث – شكلته وسائل التواصل الاجتماعي بشكل كبير. في الواقع، كان إنتاج المعلومات والصور يحدث بوتيرة سريعة لدرجة أن وسائل التواصل الاجتماعي لم تكن تمثل تجربتنا فحسب، بل كانت أيضًا تنقل لنا تجربتنا مع الكارثة بشكل مباشر أكثر من أي حدث آخر حتى الآن. إن كانت فيتنام هي أول الحروب التي عشنا تجربتها بالكامل من خلال التلفزيون [Anderegg، 1991]، فإن 3.11 كانت أول كارثة «طبيعية» نعيش تجربتها بالكامل عبر وسائل التواصل الاجتماعي. حدث هذا نتيجة لعدد من العوامل، بعض هذه العوامل تتعلق بالطريقة التي تطورت بها استخدامات التكنولوجيا في اليابان – خاصة حقيقة أن الوسائط المحمولة أصبحت متنقلة – والبعض الآخر يتعلق بالطرق الخاصة التي تفاعلت بها شبكات الأشخاص في وقت الأزمة. لكن وسائل التواصل الاجتماعي كانت أيضًا أكثر من مجرد مصدر للمعلومات، فهي كانت أيضًا أداة للعمل الاجتماعي والسياسي.»

24 انظر *The Economist* 2019.

25 للأوراق البحثية التي تتناول موسيقى الهاتف بشكل أكثر عمومًا، انظر Gopinath and Stanyek 2014.

26 Pype 2015.

27 Pype 2017.

28 Abacus News 2019. قد يمتلك مستخدم واحد عدة حسابات.

29 Abacus News 2019.

30 Shuken 2019.

31 شاهد الإثنوغرافيا الرائعة لـ Drazin and Frohlich 2007 عما فعله الناس بالصور الفيلمية.

32 انظر Jurgenson 2019.

33 Jovicic، قيد المراجعة.

34 Sutton 2017.

35 Costa 2018.

الفصل السادس
الصياغة

المواقع الميدانية: **بنتو** - ساو باولو، البرازيل. **دار الهوى** - القدس الشرقية. **دابلن** - أيرلندا. **لوسوزي** - كامبالا، أوغندا. **كيوتو وكوتشي** - اليابان. **نولو** - ميلانو، إيطاليا. **سانتياغو** - تشيلي. **شنغهاي** - الصين. **ياوندي** - الكاميرون.

الصياغة: التحولات الحرفية للهواتف الذكية والحياة

اعتمد العديد من مؤلفي هذا الكتاب مصطلح «الصياغة» كجزء من سلسلة المونوغرافات [الدراسات الفردية] الأوسع التي بُني عليها هذا الكتاب. لا تشير الكلمة إلى الطريقة التي يستعمل بها الأشخاص هواتفهم الذكية ويكيّفونها فحسب بل هي أيضًا توائم هذا النشاط مع الاهتمام الأكبر لتلك الدراسات بصياغة الحياة نفسها. تعتمد فكرة النظر إلى الحياة كحرفة على تلك المواقع الميدانية التي كان التركيز فيها على التقاعد – وهو الوقت الذي يجد فيه الناس أن نظام حياتهم أقل اعتمادًا على روتين العمل أو الالتزامات العائلية، وقد تمكنهم هذه الحرية من الانخراط بهمة أكبر في بناء المحتوى والإيقاعات الخاصة بحياتهم اليومية. سوف يكون هذا التوافق بين الهواتف الذكية وتجربة التقدم في العمر موضوع الفصل السابع، ولكننا نحتاج أولًا إلى تفحص مصطلح «الصياغة» بشكل أكبر. سوف نستخدم هذا المصطلح – باعتباره جوهر هذا الفصل – لبحث الطريقة التي يوائم بها الأشخاص هواتفهم الذكية مع حياتهم الفردية والاجتماعية والمجتمعية.

الصياغة هي مثال آخر على منحانا الذي نطلق عليه «الذكاء العام» والذي قدمناه في الفصل الأول، فشراء جهاز الهاتف الذكي هو مجرد البداية للعديد من العمليات التحويلية التي تفرز الأشكال المحددة للهواتف الذكية التي نراها في العمل الميداني، وتبدو لنا تلك العمليات جديرة بالاحترام باعتبارها أمثلة على المهارة الحرفية. ولكن رغم كل شيء الصياغة لا تعني أن الناس أحرار تمامًا في فعل ما يحلو لهم بالهواتف الذكية – أو في حياتهم – تماما مثلما يتقيد الحرفيين بالخصائص المادية للمادة التي يعملون بها فيتخلصون من بعض العناصر بعناية ويضيفون أو يطوعون عناصر أخرى وفقًا لطبيعة تلك المواد ودرجة المرونة التي تتمتع بها. ولكن وعلى عكس الأعمال الفنية فصياغة الهواتف الذكية دائمًا ما تكون مرتبطة بالسياق والاستخدام، فهي ليست مسألة إنشاء شيء مستقل إنما الهدف من تلك الصياغة هو بالأحرى خلق التوافق مع الحياة اليومية.

لهذا السبب قمنا بترتيب هذا الفصل كتسلسل. يبدأ الفصل بتأملات حول العلاقة بين الفرد وهاتفه الذكي [أو هواتفه الذكية]: كيف يتم صياغة الهاتف الذكي ليناسب شخصًا بعينه؟ بعد ذلك ينظر الفصل في الطريقة التي

تتوائم بها الهواتف الذكية ليس مع الأفراد ولكن داخل العلاقات: كيف يتم تشكيل الهاتف الذكي ليلائم المساحات التي أنشأتها العلاقات بين الأشخاص؟ وأخيرًا، يبحث الفصل في المجال الأوسع الذي تعكس فيه الهواتف الذكية القيم الثقافية العامة أو تيسرها. في حين أننا نعرض ما لدينا في هذا الفصل في تسلسل خطي إلا أنه ماتكشف لنا بوضوح في نهاية الفصل هو عبارة عن دائرة. رغم كل شيء يُصاغ المرء بدوره بواسطة معايير وقيم وتوقعات المجتمع الذي تربى وتعلم فيه، كما أنه يخضع للدين أو للقوى الأخلاقية الأخرى، لذلك سوف يغدو من الواضح أن الصياغة تشمل نطاقًا من التأثيرات أوسع كثيرًا من مجرد الشخصية الفردية. عند صياغة الهاتف الذكي يصوغ الأشخاص أيضًا علاقاتهم بالعالم الأوسع الذي يعيشون فيه، وهم أيضا يصاغون بواسطته. لذلك يصبح الهاتف الذكي بالضرورة جزءًا اعتياديًا من عاداتنا اليومية وهو أمر يطلق عليه علماء الأنثروبولوجيا الخلقة [habitus].[1]

صياغة الفرد

في موقعنا الميداني في دبلن كان الآيفون الخاص بإلينور أعجوبة، فقد حولته بشكل فعال إلى ما يشبه دليل للحياة. لا تعرض إلينور أي أيقونات لتطبيقات بمفردها على شاشة هاتفها، فجميعها منظمة في تسلسل هرمي متداخل، أو مجمعة حسب المجال مثل المجالات المالية والرياضية والأخبار والمرافق، أو مستندة إلى الوظائف المتعلقة بالعمل، وتستكمل هذا الترتيب الرأسي بترتيب أفقي تستفيد فيه بشكل كامل من إمكانية ربط التطبيقات المختلفة. على سبيل المثال أوضحت إلينور أنها عندما تسجل مهمة ما على تطبيق التقويم – مثل دفع فواتير المرافق – فهي تربط المهمة بحدث على مفكرتها، وفي هذه المفكرة تقوم بإنشاء وصف تفصيلي لعملية دفع فاتورة الخدمة خطوة بخطوة بما في ذلك كلمة المرور وعنوان موقع الويب المتعلق بها والذي قد يمتد إلى عدة صفحات. بعد ذلك وصفت لنا إلينور كيف يمكن ربط تطبيق مرتبط بالمهام الوظيفية على هاتفها الذكي بمجموعة من جميع شرائح باوربوينت الخاصة بالعرض التقديمي الذي حضرته حول كيفية تنفيذ هذه المهام بشكل أكثر فعالية. بالإضافة إلى ذلك تزود إلينور نفسها أيضًا بوسائل بصرية تساعدها في تحديد المعلومات ذات الصلة، ويتضمن ذلك سلسلة كاملة من الرموز التعبيرية مثل علامات الدبابيس للمعلومات الطبية وعلامة السيارة للتنقلات وعلامة المصباح لأي مدفوعات واجبة السداد لذلك اليوم. نتيجة لذلك تقول إلينور أنه في أي وقت تحتاج لإنجاز مهمة معينة تستطيع في غضون ثلاث أو أربع نقرات من أصابعها الوصول لتعليمات حول إنجاز تلك المهمة بأكثر تسلسل فعال لإجراءات إنجازها.

ومن الأمثلة على ذلك استخدام إلينور للتطبيق الذي تقدمه لايا – شركة التأمين الصحي التابعة لها، حيث قالت أنها تلتقط صورًا للإيصالات فور استلامها من طبيبها ثم ترسلها عبر التطبيق ليتم استردادها في غضون 10 أيام، وجميع الصور تكون مختومة بالتاريخ لذلك تتمكن من ترتيبها ومشاركتها بسهولة أكبر. أصبحت كاميرتها أيضًا محور أعمالها التنظيمية لأنها تعتبرها الجهاز الأول لجمع الأدلة وتخزينها، وقد يتعلق هذا بإصلاح سيارتها وقد يكون أيضًا متعلقًا بجدولها الزمني لتمارين الآيروبيكس المائية. تستخدم إلينور منبه الهاتف ليس فقط للاستيقاظ في الصباح ولكن أيضًا لكي ينبهها بموعد الحقن أو عندما يكون من المفترض أن تغادر المنزل للقيام ببعض المهام. تخصص إلينور قسم كامل من هاتفها الذكي لإدارة المال، فعلى الرغم من أنها لا تملك الكثير من المال إلا أنها كثيرًا ما تحب تحريك أموالها لتبقيها في حالة نشاط.

تتحدث إلينور عن هاتفها من حيث التنظيف والتنظيم والتدبير، فمن الممكن بسهولة أن تصبح مجموعة شرائح الباوربوينت والصور الأخرى الموجودة على جهازها في حالة فوضى لذلك تتطلب التحرير والحذف وإعادة الترتيب بشكل مستمر حتى تظل مفيدة وقريبة من يدها – وهو ما تحتاجه إلينور من هاتفها الذكي – كما تقوم أيضًا بتحديث التقويم الخاص بها باستمرار. تحتفظ إلينور بنسخة احتياطية من كل شيء بشكل آمن على السحابة،

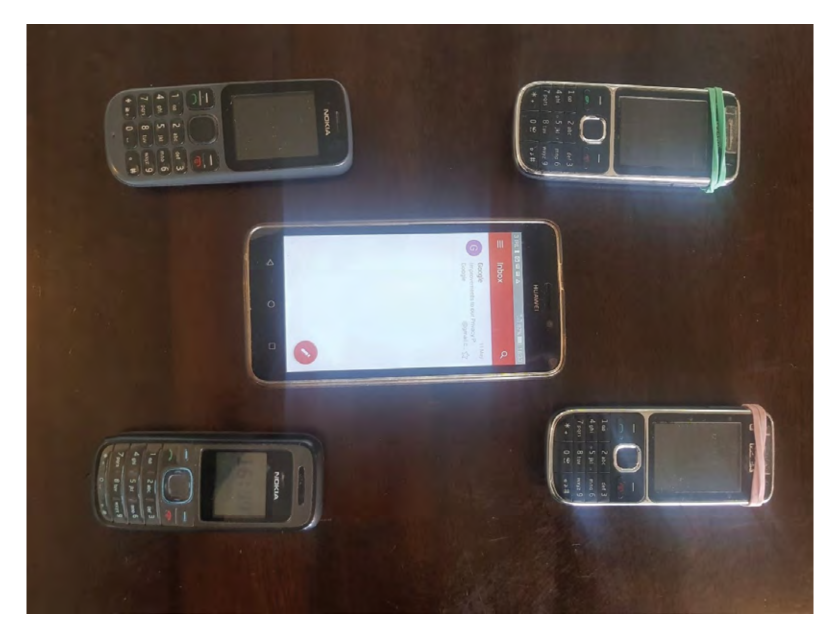
فعلى الرغم من أنها ترى حياتها كلها على الهاتف الذكي إلا أنها كانت قادرة على تحييد وظائفه فور سرقته في إسبانيا مؤخرًا، وبما أنها كانت قد صنعت نسخة احتياطية شاملة من بياناتها لذا وجدت نفسها قادرة على إعادة ملء هاتف ذكي جديد بكل محتويات القديم بسرعة كبيرة. الشيء الوحيد الذي لم تأخذه معها هو المساعد الهاتفي سيري [Siri]،[2] فلقد حاولت ملائمته لها خصيصًا باستخدام أصوات ذكورية وأنثوية إلا أنها لم تكن مرتاحة لأي منهما. في الواقع هي لا تستاء من تدخل سيري فحسب بل تستاء أيضًا من الاتجاه العام نحو استخدام الذكاء الاصطناعي لاستباقها بالاقتراحات، وتكره الطريقة التي تحاول بها منصة نتفليكس تقديم الاقتراحات حول ما قد ترغب في مشاهدته استنادًا إلى مشاهداتها السابقة، وعلّقت على ذلك قائلة: «تحاول أن تكون مفيدة ولكنها في الحقيقة خرقاء».

تبدو تحويلات إلينور وكأنها تأخذ نمطًا بعينه. في هذه المرحلة من حياتها تشعر أن سيطرتها على عملها أو صحتها أقل مما ترغب فيه، وهو أمر تعوضه جزئيًا بالحفاظ على هذا النظام الصارم وهي تقدر جهاز آيفون الخاص بها باعتباره أحد الأشياء القليلة التي تملك السيطرة عليها. ليس من المستغرب إذًا أنها قد تستاء من أي منافسة على هذه السيطرة والتي تتمثل في الاقتراحات المنبثقة من الهاتف الذكي نفسه.

لم يكن السبب في بدء هذا الفصل بإلينور هو فقط رغبتنا في تقديم دليل للحياة مثير للإعجاب، بل كان أيضًا صياغة هاتفها للتعبير بوضوح عن إحساسها بنفسها كخبيرة متمرسة وعن الكفاءة التنظيمية التي ينطوي عليها ذلك. أمضت إلينور حياتها العملية بأكملها في محاولة لتأمين دورًا مهنيًا يكفل لها الاستفادة من تلك القدرات بشكل كامل، ولكن للأسف لم يحدث هذا أبدًا لأن أصحاب العمل فشلوا أغلب الأحيان في تقدير هذه الصفات ولم تجد الفرصة أبدًا لكي تصبح الشخص الذي اعتقدت أنها يمكن أن تكونه من خلال عملها. في النهاية كان هاتفها الذكي هو الشيء الذي تمكنت من خلاله على وجه الخصوص إثبات – على الأقل لنفسها – من تريد أن تكون ومن تعتقد أنها هي حقًا. قد تبدو إلينور وهاتفها الذكي منفردين للغاية – بل فريدين أيضًا – ولم نجد أحد مثلها تمامًا، ولكن هذا التفرد هو أيضًا انعكاس لحس أشمل بالنظام نربطه بمصطلحات مثل النهج «الاحترافي» أو «حسن التنظيم» في الحياة. هذا النظام نظامًا ثقافيًا فضلًا عن كونه نظامًا شخصيًا، ولقد اتضح هذا لنا من الفحص التفصيلي لهاتفها الذكي كما اتضح لنا من التعرف على إلينور نفسها، فما تم صياغته هو الموائمة بين الأمرين.

ينطبق نفس الشيء على أيرلندي آخر هو إيمون الذي تعمل عائلته في الصيد منذ 150 عامًا. يبدي إيمون اكتفاءًا ذاتيًا صلبًا وعمليًا ولذلك يظهر كأيقونة لنوع محدد من الذكورة، فهو يصر مثلًا على أنه لا يحتاج إلى أشخاص آخرين أو إلى التلفزيون لأنه لا يشعر بالملل أبدًا ولأنه نشط دائمًا سواء في الأنشطة الرياضية أو المهام العملية، وهو لذلك يشعر بضرورة إضفاء الشرعية على كل استخدام من استخدامات هاتفه الذكي وفقًا لمعيار الضرورة الصارم. كان لابد لإيمون من استخدام سكايب لمدة عامين عندما كانت ابنته في أستراليا لكنه كان حازمًا جدًا في التأكيد على أنه لم يستخدم سكايب مطلقًا سواء قبل أو منذ ذلك الحين. تتمثل إحدى ميزات تطور الهواتف الذكية بالنسبة لإيمون في أنه لم يعد بحاجة إلى استخدام وظيفة الصوت التي لا يحبها، فقد أصبح بإمكانه استبدال محادثة برسائل نصية مقتضبة حول موعد وصول قطاره إلى المحطة على سبيل المثال. في حالة إيمون تحتوي الناحية الجمالية للشيء على شكل معين من البساطة الاجتماعية المستمدة من إحدى الصور النمطية الراسخة المرتبطة بالذكورة، وينطبق هذا النمط على الرجل تمامًا كما ينطبق على هاتفه الذكي. ينحصر هذا النهج في الحياة في الغالب وبشكل أساسي الآن على الرجال الأكبر سنًا في أيرلندا بعد أن حلت محله المثل العليا الحديثة عن الجندر.

هناك أمثلة أخرى يكون فيها إحساس الفرد بالنظام مرتبطًا بشكل أقل وضوحا بمعيار ثقافي، وهؤلاء هم الأشخاص الذين يمكن اعتبارهم غريبي الأطوار إلى حد ما. تملك جيرترود – التي تعمل أخصائية في العلاج



6.1 الهواتف الخمسة الموجودة في جيوب سترة ميلفين. تصوير دانيال ميلر.

الطبيعي الرياضي – هاتفان، فهي مهووسة بفكرة أنها في أي وقت قد ترى صورة أو تركيبة تحتاج إلى التقاطها بهاتفها ثم إرسالها على الفور على إنستاجرام أو أحيانًا على فيسبوك وتويتر، وقد يكون هذا منظرًا طبيعيًا أو صورة شخصية لنفسها في موقف معين أو مجرد مجموعة من الألوان. هذه المشاعر شائعة الآن بما فيه الكفاية، لكنها لا تصل عادة إلى هذا الحد المتطرف. تعترف جيرترود بأنها ترتعب من فكرة نفاد بطارية هاتفها فلا يكون لديها وسيلة لالتقاط الصورة في نفس اللحظة التي تريدها فيها. نتيجة لذلك هي لا تحمل معها جهازي آيفون فحسب بل تحمل أيضًا جهاز دونجل [في حالة عدم وجود شبكة لاسلكية] وشاحن بطارية احتياطي.

تحمل جيرترود هاتفين دائمًا، ولكن عندما أفرغ ميلفين – وهو مشارك آخر في الموقع الميداني بأيرلندا – جيوب سترته كشف عن ما لا يقل عن أربعة هواتف نوكيا بالإضافة إلى هاتف ذكي من هواوي [الشكل 6.1]. الشاغل الرئيسي في حالة ميلفين هو الموسيقى وليس التصوير الفوتوغرافي حيث يسجل باستمرار «الجلسات» والعروض الحية – التي تحدث عادة في الحانات – للموسيقى الأيرلندية التقليدية، وعندما تنفد مساحة التخزين في أحد هواتفه ينتقل سريعًا إلى الهاتف التالي.

كثيرًا ما يسافر ميلفين أيضًا إلى أماكن مثل المملكة المتحدة وكورسيكا ويستخدم هواتفه المختلفة للتواصل مع الأشخاص من كل بلد باستخدام خطط أسعار الهاتف لهذا البلد، كما يقوم أيضًا بنسخ المعلومات لأنه يخشى أن يفقد الهاتف أو يُسرق منه، وقد يحمل أيضًا بطارية احتياطية. اعتاد ميلفين أن يراه الناس غريب الأطوار بشتى الطرق، ومن الواضح أنه يستمتع بالتصرف وفقًا للتوقعات التي تخلقها هذه السمعة لدى الأشخاص الذين يعرفونه وهو مغرم باللفتات الباهظة والسخية في كثير من الأحيان. ربما كان ميلفين أقل الأشخاص في موقعي دبلن إثارة للدهشة بشأن حمله خمسة هواتف في جيوبه.

في كل حالة من الحالات التي عرضناها حتى الآن كان توصيفنا للشخص يسبق حيازته للهاتف الذكي، فالهواتف الذكية لم تبرز ولم تقمع شخصيته. يُعتقد عمومًا أن ملفين غريب الأطوار، بينما كانت إلينور مرتاحة بنفس القدر بشأن اعتبارها منظمة بشكل مفرط. لا شيء من هذا يجعل استخدامهما للهواتف الذكية أقل تفردًا – فمن الصعب تخيل أي شيء آخر في العالم يمكنه أن يتماشى مع شخصياتهما بهذه الفاعلية سوى الهاتف الذكي. تُظهر قصصهما مدى حميمية الجهاز وتكشف عن الطرق التي يمكن من خلالها إعادة تكوين كل هاتف ذكي بشكل فردي لتطوير هذه العلاقة الشاملة والسلسة بين المستخدم والجهاز.

من خلال إعطاء الدروس حول كيفية استخدام الهواتف الذكية كان ألفونسو في وضع جيد لمعرفة كيف تعبر الطريقة التي يستخدم بها الأشخاص هواتفهم الذكية عن موقفهم تجاه الأجهزة نفسها أيضًا. على سبيل المثال كان فرانسيسكو أحد هؤلاء الطلبة وهو تشيلي الجنسية، وكان جادًا جدًا بطبيعته ولكنه كان أحيانًا يتذمر بعض الشيء من الطلاب الأكثر وقاحة، كما أنه كان يظهر أيضًا نزعة كبيرة للحنين إلى الماضي فضلًا عن روح الدعابة الجامدة بشكل كبير. يحب فرانسيسكو الأدوات والأجهزة جدًا ويفضل الأجهزة التي يمكنه تفكيكها وإصلاحها وإعادة تجميعها مرة أخرى لأن هذا يعطيه أيضًا ميزة إثبات نفسه كشخص لا يزال يؤدي وظائفه بشكل لائق. كطالب كان فرانسيسكو يقظًا وكان يحب الحضور إلى الفصل وقد ثبت التطبيقات الملائمة بالفعل، ورغم ذلك كانت لديه براجماتية متشككة مما كان يجعله ينجذب نحو الأساليب التناظرية القديمة ما لم يقتنع تمامًا بأن الطريقة الرقمية هي الأفضل، ولم يشعر فرانسيسكو أن هذا هو الحال مع تقويم الهاتف الذكي على سبيل المثال.

يتوخى فرانسيسكو الكثير من الحذر بشأن قدرة الهاتف الذكي على متابعته كما يحدث من خلال [GPS] مثلًا لدرجة أنه رفض أداء أي مهام تعتمد عليه أثناء الفصول الدراسية. تعرض فرانسيسكو مؤخرًا للسرقة بالإكراه وأُخذ منه هاتفه الذكي، ومن بعدها بدأ يشعر بالقلق بشأن أي شيء من شأنه أن يسمح للناس بمتابعته فقام بإيقاف تشغيل [GPS] على هاتفه بعد أن أشارت خرائط جوجل نفسها إلى صلاحياتها الرقابية بتذكيره أنه قضى ثلاث ساعات في الحديقة. الشاهد هنا هو أن مخاوف فرانسيسكو تنبع من إحساسه بنفسه كشخصية عقلانية فاعلة تبني استنتاجاتها على الملاحظات، فهو قد رأى – وجرب بنفسه – كيف أن الناس يتعرضون للسرقة وكيف تعمل خرائط جوجل واستنتج من هذا أن عصابات اللصوص تستخدم خرائط جوجل لسرقة الناس، وكون الآخرين يعتبرون سلوكه غريبًا يمثل له أهمية أقل بكثير من إيمانه المطرد بمنطقه.

كان المهندس الأيرلندي بيتر قد أصبح مولعًا بهاتف نوكيا الخاص به بشكل غير عادي، فقد كان هاتفًا جديرًا بالاعتماد عليه وعاش معه لفترة طويلة وكان أيضًا مريحًا ومصممًا بشكل جيد. لقد شعر بيتر أنه خان هاتفه النوكيا حين اتخذ الهاتف الذكي بديلًا وترك صديقًا حقيقيًا من أجل أجراس وصفارات وحيل الهاتف الذكي. يعتبر بيتر مهندسًا بارعًا جدًا، لذلك قرر إعادة تصميم هاتفه الذكي حيث صاغ هاتفه سامسونج جالاكسي ليعمل حتى 120 ساعة دون إعادة شحن عن طريق تعطيل العديد من عناصره الأساسية. برمج بيتر هاتفه أيضًا على إعادة توجيه جميع المكالمات إلى خطه الأرضي بمجرد وصوله إلى المنزل بينما يترك الهاتف الذكي في الدرج. ما قام به بيتر في الواقع كان تحويل هاتفه الذكي الجديد إلى نسخة طبق الأصل من محموله القديم النوكيا.

يعد المثال الأخير من أيرلندا مهمًا لأن الهاتف الذكي قد لا يعكس الشخصية كاملة بل يعكس فقط اهتماماتها المسيطرة. عندما جاء ماتيس من ليتوانيا للعيش في أيرلندا تحسن وضعه بالتأكيد، فوظيفته الحالية مثالية نظرًا إلى شغفه القديم والدائم بالسيارات. بمجرد انتهاء ماتيس من إخراج القمامة وترتيب الطاولات والمهام الأخرى المطلوبة

منه في المطعم ذي الطراز المكسيكي الذي يعمل به يكون حرًا في التركيز على تجديد السيارات الكلاسيكية لصاحب عمله الذي يشاركه هذا الشغف.

يعيش ماتيس في أيرلندا مع زوجته وأطفاله وأحفاده منذ عام 2008. نظرًا لشغفه بالسيارات لم يكن من المفاجئ إذًا أن التطبيقات التي تهيمن على شاشة هاتفه الذكي هي تلك المرتبطة بقطع غيار السيارات، مثل تطبيق دونديل [Donedeal] سوق أيرلندي رقمي لمشتري السيارات وبائعيها] أو مستر اوتو [Mister Auto] متجر لقطع غيار السيارات]. كذلك لا تقل مقاطع فيديو يوتيوب التي يشاهدها لهواة السيارات الآخرين أهمية والتي تشرح كيفية التعامل مع مهام إشكالية بعينها. الكاميرا ضرورية جدًا أيضًا حيث يتوقع المشترون المتخصصون تسجيلًا فوتوغرافيًا كاملًا لكل مرحلة من مراحل عملية الترميم والتي قد تستغرق عامًا كاملًا. أشار ماتيس بفخر كيف أن صاحب العمل قاد آخر سيارة – والتي كانت سيارة سباق كلاسيكية – لمسافة 1500 كيلومتر إلى إيطاليا وعاد بها دون أية مشاكل. يتصل بهاتف ماتيس سلك يمتد إلى مصباح صغير/كاميرا يستخدمها كمنظار داخلي يزج به داخل شقوق السيارة للتحقق من حالة أجزاء بعينها قبل بدء العمل عليها، كما يمكن لماتيس رؤية ما لا يكشفه المصباح بفضل الصور التي يتم التقاطها بواسطة فلاش متصل بالمنظار الداخلي ومن ثم إرسالها إلى هاتفه الذكي. اشترى ماتيس تلك الأداة من الصين، وكان يبدو مشرقًا مثل المصباح بنفس القدر حينما كان يرينا كيفية عمله.

نجد أن الوجه المعاكس لهندسة الهاتف الذكي هو استخدام الهاتف الذكي للهندسة الذاتية، وكان هذا هو نهج فرناندا من بنتو التي لاحظت انخفاضًا في قدرتها على تذكر الأشياء. كما هو الحال مع العديد من كبار السن تقول فرناندا أنها لا تخشى الموت ولكنها تخشى الخرف، وكانت استجابتها لاستشعارها بعض الضعف في ذاكرتها – والذي هو شيء شائع بين كبار السن – هي شروعها في التمارين العقلية. غالبًا ما يُنظر إلي تلك التمارين على أنها تعادل الحفاظ على اللياقة البدنية وإطالة العمر المتوقع، لذلك فهي تمرن عقلها يوميًا باستخدام ألعاب مثل [Freecell] و [Lumosity] و [Wood Block Puzzle] و [Codecross]. يساعد تعلم اللغة الإنجليزية فرناندا أيضًا على تحفيز وظائفها المعرفية من خلال تطبيقات مثل المحادثة باللغة الإنجليزية [English Conversation] و فصول جوجل [Google Classroom] مما يسمح لها بإرسال التمارين وتصحيحها من خلال التطبيق. قامت فرناندا مؤخرًا أيضًا بتنزيل وتثبيت تطبيق [Duolingo] الذي تستخدمه لتعلم اللغة الإيطالية حيث أن ابنها الآن في علاقة مع سيدة إيطالية.

بعد تقاعدها من عملها في شركة أغذية تخطط فرناندا الآن لأن تصبح من رواد الأعمال، ولقد قبلت مؤخرًا دعوة أحد أصدقائها لبدء شركة للرعاية الطبية للمسنين عن طريق الهاتف. قبل ذلك كانت قد أدركت سلبيات وإيجابيات مشاركة عملياتها المعرفية مع هاتفها الذكي:

> إذا فقدت هاتفك الذكي تفقد حياتك. من الرائع أن كل شيء موجود عليه، حياتك كلها موجودة عليه. أخشى أن أفقد الهاتف الذكي، فبدونه أجد مشاكل في التذكر. أنا أتحدث إليك وغدًا سوف أقول في نفسي بالفعل ... «ماذا قالت؟» لذا فإن الهاتف الذكي أساسي بالنسبة لي.

بعد ملاحظة الطريقة التي تتنازل بها فرناندا عن القدرات المعرفية مثل الذاكرة لهاتفها الذكي، فإنها الآن تبحث عن طرق لجعل هاتفها الذكي جهازًا لإصلاح الذاكرة أو على الأقل لصيانتها.

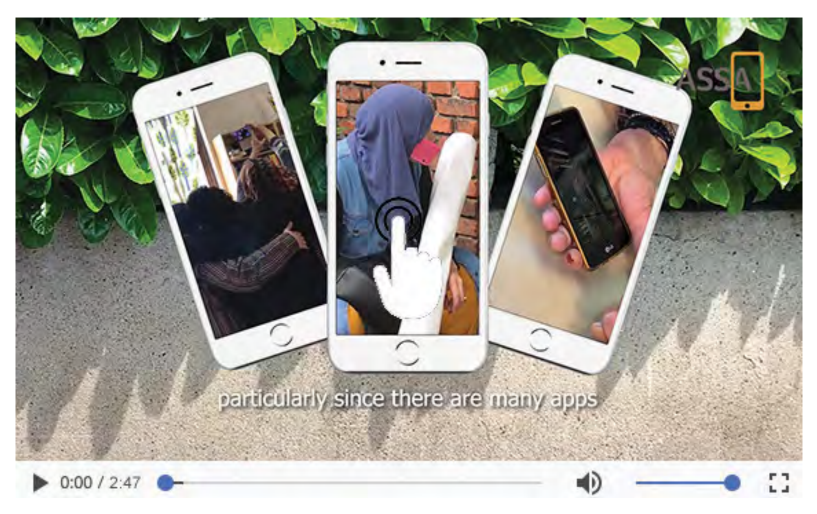
تعتبر الذاكرة أيضًا سببًا أساسيًا من الأسباب التي تجعل السيدة تورياما من كيوتو التي تستخدم الآن هاتفًا ذكيًا تحتفظ أيضًا بهاتفها القديم ذي المميزات المحدودة [الجاراكي] وتقوم بشحنه كل ليلة على الرغم من



6.2 رقعة أرض تحت تصرف المجتمع المحلي في نولو. تصوير شيرين والتون.

أنها لم تعد تستخدمه. تقول شارحة: «لا أريده أن يموت»، فهي تخشى من ضياع الصور التي التقطتها – وبالتالي الذكريات التي صنعتها – إلى الأبد إذا تركت هاتفها القديم «يموت». قال العديد من الأشخاص الآخرين في المواقع الميدانية اليابانية أيضًا أنهم لا يفكرون في التخلص من هواتفهم المحمولة القديمة للسبب نفسه ويفضلون الاحتفاظ بها معًا في درج حيث يكونون بأمان. إن الشعور بأن الهاتف أصبح مستودعًا للذكريات يتعقد بسبب الطريقة التي يتولى بها الهاتف الذكي وظائف معرفية أخرى ويشعر المرء بأنه جزء لا يتجزأ منه.

كانت كل الأمثلة حتى الآن فردية التوجه تمامًا، ولكن ماريو المتقاعد يعطينا مثالًا مغايرًا. لدى ماريو شغف بالبستنة وهو ناشط بيئي فخور بما يفعله، ويوضح ذلك قائلًا: «لقد كنت دائمًا على هذا النحو، منذ أن كنت طفلًا حسبما أتذكر. كنت دائمًا أشعر بالفضول حيال المجتمع والبيئات التي نعيش فيها، وحول الأشخاص وتجاربهم الجماعية في العمل والحياة». قام ماريو بتحويل هاتفه الذكي إلى جهاز لإدارة أحد تخصيصات المجتمع المحلي [الشكل 6.2]. هو يشارك أيضًا في تنظيم المناسبات الاجتماعية مثل جولة رؤية النحل الذي يحتفظون به في المخصصات والمجموعة المنتقاة من العسل [وهو حدث يحبه الأطفال المحليين]، أو العشاء المجتمعي المشترك الذي يجلب فيه الأشخاص من ثقافات مختلفة أطباقًا تقليدية من بلدانهم ويتناولون الطعام معًا في الحدائق. يستمتع ماريو أيضًا باستخدام تطبيق التعرف على النباتات [PictureThis]. بمرور الوقت حذف ماريو التطبيقات التي لم تندمج بشكل جيد في روتينه اليومي. يجسد ماريو أيضًا تناقضات الخطاب التي ناقشناها في الفصل الثاني. بصفته مناصرًا للبيئة لا يشعر ماريو أنه يعتمد على الهواتف الذكية كثيرًا، لكنه في الوقت نفسه يتمكن من تيسير القيم المجتمعية والبيئية التي يعتز بها من خلال استخدام هاتفه الذكي.



6.3 فيلم: (هاتفي الذكي). متاح من خلال http://bit.ly/italymysmartphone.

يمكن رؤية بعض الأمثلة الأخرى عن كيفية ملائمة الهواتف الذكية لحياة الأفراد في نولو في الفيلم القصير أدناه [الشكل 6.3].

أخيرًا، يمكننا العودة إلى نقطة البداية في هذا النقاش بأن نصف الطريقة التي يمكن بها للهواتف الذكية أن تصبح أداة في صياغة الحياة بعد التقاعد أيضًا. كانت ماريليا تفحص الهاتف الذكي لإدواردو من بنتو الذي تقاعد قبل أسبوعين فقط من محادثتهما. عندما كان إدواردو يعمل كانت الساعة والمنبه شيئان حيويان بالنسبة له لأنه كان لابد له أن يستيقظ في الساعة الرابعة صباحًا كل يوم، ولكن بعد التقاعد وجد أنه يكافح من أجل جعل جسده يتكيف مع روتينه الجديد لذلك تخلى عن المنبه وبدأ يتجنب الساعة. يستخدم إدواردو هاتفه الذكي حاليًا لمتابعة الوصفات ومقاطع الفيديو التوضيحية حتى يتمكن من إرضاء زوجته على العشاء، كما يستطيع الآن أيضًا البحث في أعمال الحديد المزخرفة على هاتفه باستخدام جوجل وهو أمر يخطط لتحويله إلى هواية ثانية. علاوة على ذلك يتيح له هاتفه الذكي توسيع نطاق عمله مع مجموعة من المسيحيين الجدد الذين يخططون لفتح كنيستهم الخاصة في عمق مدينة ساو باولو حيث تعيش ابنته وحفيده. يحتوي هاتفه الذكي على تطبيقات للترانيم وتطبيقًا لدراسة الكتاب المقدس وتطبيقات أخرى تساعده في تنظيم تبرعات الكنيسة – بما في ذلك كيفية حساب تلك التبرعات باستخدام تطبيق [Calculadora] وأيضًا تحويلها بنكيًا باستخدام تطبيق لبطاقات الائتمان يسمى [Payeven Chip] . أثناء كل هذا يعمل إدواردو بأناة على ملائمة هاتفه الذكي للحياة الجديدة التي يتصورها.

سوف ننظر في النتائج المترتبة على هذه الحالات بمزيد من التفصيل في الفصل التاسع. في هذا الفصل الأخير الأكثر تنظيرًا نعتبر الهاتف الذكي شيئًا يذهب إلى «ما وراء التجسيد الآدمي». ما لاحظناه هنا ليس مجرد خاصية تشابه، فالهاتف الذكي يبدو أشبه بجهاز اصطناعي[3] تم التنازل له عن بعض الوظائف الجسدية أو الإدراكية بحيث يؤدي فقدانه إلى فقدان جزء لا يتجزأ من الشخص وما يؤيد ذلك هو الطرق العديدة التي يوسع الهاتف الذكي بها قدرات هذا الشخص، ولكن من الواضح أيضًا أن هذه استراتيجية للاستثمار تحمل معها مخاطر الخسارة اللاحقة. من الصعب عند القراءة عن هذه الحالات الفردية أن نفكر في أي جهاز آخر كان قد وصل إلى هذا القدر من القدرة على الحميمية.

العلاقات

لقد قدم الفصل الثالث بالفعل منظورًا نقديًا حول الرغبة في التركيز على الأفراد وهواتفهم الذكية. استخدمنا في ذلك الفصل أيضًا مصطلح «الإيكولوجيا الاجتماعية» لمناقشة الطريقة التي يمكن للهاتف من خلالها التعبير عن العلاقات مع الآخرين بشكل جيد – كما في كامبالا مثلًا حيث يتشارك أفراد العائلة والجيران الهواتف. أما الفصل الرابع فقد قدم مثالًا من شنغهاي لإظهار الكيفية التي تعبر بها التطبيقات الموجودة على الهاتف عن العلاقة بين الأزواج كما أصبحت الهواتف الذكية ذات أهمية متزايدة في تكوين العلاقات أيضًا بفضل تطبيقات المواعدة.

يمكن للهاتف الذكي إذًا التعبير عن العلاقات وليس مجرد التعبير عن الفرد. تعمل راشيل من دبلن سكرتيرة شخصية لرئيسة عملها رفيعة الشأن والتي هي نفسها مهتمة بشدة بمشكلة الحفاظ على العلاقات الأسرية في ظل جدول أعمالها الصعب. بعد عقود من العمل معًا لم يعد بينهما أيًا من الحدود المعتادة في العمل، فقد تجد راشيل مثلًا على اتصال في الساعة العاشرة مساءً للقيام بشيء نيابة عن رئيستها مثل البحث عن إجابة لسؤال سأله أحد أطفال الأخيرة، ورغم ذلك تصف راشيل دعمها الدؤوب من منطلق الولاء والصداقة وتفخر بعملها ولا تملك أي رغبة في التقاعد. سخرت راشيل هاتفها الذكي لهذه الطريقة في العمل، فهو يجب أن يكون قيد التشغيل طوال الوقت وإلا فستشعر أنها تخون ثقة رئيسة عملها، كما يتيح لها الجهاز أيضًا التعامل مع مخاوف رئيستها بشأن عائلتها والسفر بكفاءة أكبر.

على الرغم من أن هاتف راشيل الذكي هو هاتفها الشخصي إلا أنها تستخدمه بشكل أساسي لعملها، ومع ذلك فهي تشعر بارتياح شديد بشأن الطريقة التي يحتضن بها هاتفها الذكي هذه العلاقة، وتوضح كيف تشعر بأنها حققت التوازن الذي أرادته بين العمل والحياة. تستخدم راشيل هاتفها الذكي في الواقع لكل ما يتطلبه عملها، وبالكاد تستخدمه فيما هو خلاف ذلك على الإطلاق حتى أنها خارج إطار علاقة العمل هذه لا تزال تستخدم القلم والورق لمذكراتها. مثلما يقوم الهاتف الذكي بتسهيل الأمور فهو أيضًا يضع الحدود.

قد تشارك الهواتف الذكية أيضًا في التحول الذي يطرأ على العلاقات العائلية بمرور الوقت، وقد تظهر هذه الملاحظة بشكل أكثر وضوحًا في الفصل الثامن بما أنه يبدو أن التطبيق الرئيسي من حيث هوية المجموعة وتشكيلها هو لاين\ ويتشات\ واتساب. في حالة اليابان يمكن للهاتف الذكي إعادة تشكيل نظام «العائلة» في بعض نواحيه. كثير من الناس لديهم مجموعات لاين «عائلية» لعلاقاتهم الأسرية المباشرة، ومع ذلك فإن الصلات بين الناس تخضع دائمًا للتغيير. السيدة ياماشيتا – وهي امرأة من كيوتو في الستينات من عمرها – شرحت كيف أنها تعيش مع ابنتها التي هي في الأربعينات من عمرها وكيف أنهما بعد وفاة زوجها تباعدا عن عائلته. أنشأت السيدة ياماشيتا مجموعة تدعى «العائلة» [ファミリ] على حساب لاين الخاص بها والتي تضمنتها هي وابنتها يليهما عدد صغير من الأصدقاء المقربين.

كانت الأسرة الأبوية [*ie*] وحدة تاريخية محورية في الحياة العائلية وفي المجتمع الياباني. اكتسبت الأسرة النواتية مكانة بارزة منذ نهاية القرن التاسع عشر وفقًا لخطط حكومة ميجي لتحديث البلاد،[4] أما الآن فمع تقلص حجم الأسر وعزوف الكثير من الناس عن الإنجاب أو إنجابهم لطفل واحد فقط اكتسبت الأسر التي «يختارها» الناس – والتي تتألف من الأصدقاء المقربين – أهمية متزايدة بالنسبة لبعض الناس. كانت مجموعات الأصدقاء على لاين أماكن مهمة يذهب الناس إليها للحصول على دعم الأصدقاء – خاصة بالنسبة للمشاركات الإناث – وهو الأمر الذي يصبح عظيم القدر مع التقدم في العمر. غالبًا ما تتكون مثل هذه المجموعات من أصدقاء قدامى من المدرسة الثانوية أو من زملاء سابقين، ويكون الأشخاص عادةً أعضاء في عدة مجموعات في آن واحد. السيدة

وادا – وهي امرأة أخرى من كيوتو – بدأت تعيش بمفردها بعد وفاة زوجها بينما تعيش ابنتها وأحفادها في طوكيو. أنشأت السيدة وادا شفرة مرئية لتصنيف جهات اتصال لاين على هاتفها الذكي، وبهذا تتمكن بصريًا من تحديد «الأسر» المختلفة الموجودة على هاتفها باستخدام الرموز التعبيرية التي تمثل كيفية معرفتها بالأشخاص. على سبيل المثال، بما أنها كانت تعمل في شركة طيران لذا أدرجت جميع زملائها القدامى من الشركة مع رمز يمثل طائرة بجوار أسمائهم، وبنفس الطريقة فهي تشير إلى أفراد عائلتها المقربين من خلال رمز تعبيري يمثل منزلًا. بفضل صياغة هاتفها الذكي بهذه الطريقة تتمكن السيدة وادا بسرعة من معرفة نوع الصلة التي تربطها بكل من جهات الاتصال على هاتفها، بمعنى أنها تبني شجرة عائلية بصرية بفروع مختلفة تربطها بكل الأشخاص على هاتفها الذكي.

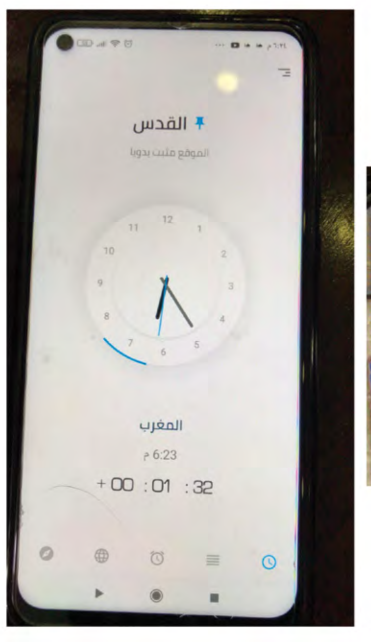
الدين

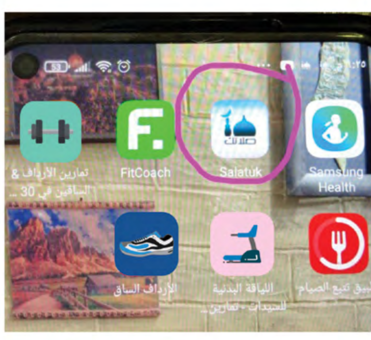
في مقدمة هذا الفصل، أشرنا إلى أن هيكله السردي الخطي يمكن أن يُنظر إليه بشكل أفضل على أنه دائرة. خذ على سبيل المثال إيمون الأيرلندي الغليظ سليل الصيادين الذي تم توصيفه كفرد ولكنه بدوره أظهر فهمًا تقليديًا بشأن السلوك القويم للرجال. وبالمثل ففي المثال الأخير نجد أن الطريقة التي يتم بها دمج الأصدقاء في العلاقات العائلية الزائفة من خلال الهاتف الذكي تعكس تغيرات أشمل في المجتمع الياباني. إذا كان الأفراد يصيغون هواتفهم الذكية فهم بدورهم يصاغون بواسطة هذه القيم الأشمل. يأتي المثال الأكثر وضوحا لفرض القيم الثقافية والحفاظ عليها من النظر في دور الدين نظرًا لأنه عادة ما يكون الأكثر علانية.

على سبيل المثال جاءت روزالبا في الأصل من قرية في ريف جنوب إيطاليا. بالنسبة لها يعد الهاتف الذكي أكثر من مجرد كتاب جيد، فهو رفيقها المادي. البحث على جوجل هو من أكثر استخداماتها المتكررة للهاتف الذكي وخاصة الوصفات التي غالبًا ما تكون وصفات تقليدية من مسقط رأسها. ومع ذلك فروزالبا باحثة شغوفة كثيرًا ما تبحث عن المعلومات على جوجل وكثيرًا ما كانت تقول «دعونا نسأله» في إشارة إليه، وهي تجد توفر المعلومات بلمسة زر واحدة شيئًا رائعًا بشكل بما لا يقاس. نشأت روزالبا في بيت عائلي ريفي كبير وكان والدها تاجر فاكهة، ووصفت طفولتها بأنها «عالم آخر وزمان آخر ومكان آخر، وقت كان الحديث فيه وكانت المدرسة والكنيسة هي المصادر الأساسية للمعلومات بالنسبة للمرء». لسنوات عديدة لم يكن لدى الأسرة جهاز تلفزيون وكبرت روزالبا وهي تلعب في الهواء الطلق على الأرض مع شقيقها وأبناء عمومتها ممن كانوا في مثل سنها.

على النقيض من ذلك، تصل المعلومات إلى روزالبا اليوم في غضون ثوانٍ وهي مرتاحة في منزلها بفضل جوجل، وهي تبحث عن المعلومات الصحية على جوجل أو «تسأله» إذا سمعت شيئًا على التلفزيون وتود معرفة المزيد عنه. اكتشفت روزالبا مؤخرًا تطبيقًا لقياس نبضها تستخدمه على جهاز التابلت الخاص بها. بالنسبة لها – وهي الكاثوليكية المتدينة – تمثل التكنولوجيا قوة حاضرة في كل مكان، قوة تصاحب وتعلم وتنير وترشد. في الوقت نفسه تظل الصلاة الفعلية والكنيسة الأسبوعية [يوم الأحد] عنصرًا أساسيًا في حياتها.

رأينا الطريقة التي تساعد بها الصياغة الفردية للهواتف الذكية في جذب الناس إلى بوصلة الإيمان الديني متجلية بين المهاجرين البيروفيين الكاثوليك الذين يعيشون في سانتياغو. حرصت هذه الجماعة من الناس على الحفاظ على إخلاصها للعذارى البيروفيات المقدسات والقديسين الشافعين. يستخدم مارسيلو على سبيل المثال هاتفه الذكي للاستماع إلى صلاة المسبحة الوردية أثناء المشي أو ركوب مترو الأنفاق من المنزل إلى العمل، وهو يتابع صفحة الويب الخاصة بفرسان العذراء [Caballerosde la Virgen] والتي تحتوي على تسجيلات صوتية لأشخاص أثناء الصلاة، ويصلي مارسيلو معهم في صمت وسماعاته في أذنيه حيث أنه في المسيحية الكاثوليكية تُصلى صلاة المسبحة الوردية





6.4 تطبيق صلاتك كما يظهر على متجر ألعاب جوجل. يعمل هذا التطبيق «كمؤذن عملي» فيذكر المستخدم بمواقيت الصلاة.

في هيئة حوار. لم تظهر كاثوليكية توماس – وهو مشارك آخر في البحث – على الفور، فالخلفية الموجودة على هاتفه الذكي ليست صورة المسيح الأرجوانية المعتادة [سيد المعجزات] أو حتى القديس مارتن من بوريس ولكن صورة جوهان الشخصية من [Dragon Ball Z]، وأثناء تنقلاته يحب أن يلعب لعبة مشابهة لـ [Space Invaders] . يظهر تفانيه الديني من خلال مشاهدته للأفلام والمسلسلات التلفزيونية المسيحية، ويشرح ذلك قائلًا: «أحب المسلسلات أو الأفلام التي توصل رسالة».

يشيع استخدام الهواتف الذكية في دار الهوى كـ«مؤذن متوفر»، حيث قام غالبية السكان بتنزيل تطبيق يذكر مستخدمه بمواقيت الصلاة. هناك خمس صلوات في اليوم في الإسلام، وتمت برمجة ذلك التطبيق على إصدار تنبيهات الصلاة كتسجيل صوتي لصوت مؤذن بناءً على المنطقة الزمنية المحلية لمكان المستخدم [الشكل 6.4]، وتقول كلمات الأذان:

> الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدًا رسول الله، حي على الصلاة، حي على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

إذا كان المرء خارج نطاق أي مسجد يمكنه أن يسمع منه صوت الأذان عندها يأتي دور تلك النسخة الرقمية من المؤذن. يسمع معظم الناس الثواني القليلة الأولى من الأذان ثم يوقفون تشغيله، ويشكل الأذان الروتين اليومي للكثيرين في دار الهوى وخاصة كبار السن الذين يبقون في المنزل معظم الوقت. التطبيق بسيط ولا يتطلب رمزًا أو كلمة مرور، كما أنه يحظى بشعبية بين الشباب الذين يعملون ويخشون أن تفوتهم أوقات الصلاة.

هذه أمثلة على صياغة الهاتف الذكي الخاصة نسبيًا والمتأثرة بالدين، ومع ذلك يمكن أن ينطبق هذا أيضًا على العلاقات وليس فقط على الأفراد. يذهب العديد من المشاركين الأيرلنديين في رحلة مسار الحج التقليدي الذي يدعى كامينو دي سانتياغو بطول شمال إسبانيا،[5] وكانت تلك الرحلة عادة لعدة قرون بيد أن الأعداد نمت بشكل كبير في الآونة الأخيرة. ربما كان السير في كامينو دي سانتياغو مرتبطًا في التراث بأداء تمارين التأمل الروحي حتى بالنسبة لأولئك الذين لم يعودوا متدينين بشكل نظامي. قد تتضمن هذه الرحلة الشعور بالانسحاب من العالم الدنيوي أو الابتعاد عنه على الرغم من أنها كانت دائمًا ما تحتوي على عنصر اجتماعي قوي حيث كان الناس يسيرون معًا أو يتواصلون اجتماعيًا في النزل التي يقيمون فيها عامة في الليل. ذهبت عالمة الأنثروبولوجيا نانسي فراي[6] إلى أن القيم الأساسية للحج التقليدي قد تم تقويضها بواسطة الهواتف الذكية لأن تلك الأجهزة تخلق نمطًا ثابتًا من التواصل المستمر مع العالم الأوسع. لم نستطع تأكيد ملاحظاتها من خلال تصرفات الحجاج الذين ذهبوا للكامينو من أحد مواقع دبلن الميدانية على الرغم من أنه وجب الاعتراف بأن معظمهم لم يكونوا متدينين بشكل خاص. في أي عام يجد شخصًا أو اثنان فيه القدرة على توفير الوقت أو المال للذهاب فإنهم يسعدون بمشاركة التجربة مع أصدقائهم وأقاربهم في دبلن ويرسلون الرسائل والتحديثات اليومية عن النقاط التي يصلون إليها في رحلتهم. ينظر أولئك السائرون على طريق الكامينو إلى هذه المشاركة باعتبارها تعبيرًا أخلاقيًا عن الزمالة وليس باعتبارها هجومًا على الروحانية الفردية.

المعايير الثقافية

من الواضح والمتوقع نسبيًا أن نطرح أرجحية أن تسمح الفئات السكانية المتدينة لعقيدتها الدينية بالهيمنة على المعاني المرتبطة بالهواتف الذكية وعلى استخداماتها. تميل الأديان إلى التصريح بدورها في تحديد القيم الثقافية بوضوح، ولكن التركيز على الأثر الأكبر للمعيارية [normativity] هو من صميم الأنثروبولوجيا. من الواضح أن المصطلح نفسه مرتبط بكلمة عادي [normal] – أي ما نسلم به على أنه مجرد نظامًا طبيعيًا وبالتالي فهو ينبذ ما عداه من سلوك على أنه سلوك غير طبيعي. في أغلب الأحيان لا تتحقق المعيارية من خلال التحكم الديني ولا حتى من خلال التعليم التربوي، فهي تبرز كجزء من الحياة اليومية حيث يبدي الناس في الكثير من الأحيان تلميحات خفية لبعضهم البعض حول ما يجدونه ملائمًا أو غير ملائم في تصرفات شخص آخر. قد يظهرون تعبير الصدمة أو المفاجأة لأن شخصًا ما يقف قريبًا جدًا منهم أو بسبب اختياره لملابسه مثلًا. تختلف درجة الضغط المعنوي من مكان لآخر، لكن المشاركين في المواقع اليابانية كثيرًا ما تحدثوا عن أن الوعي بالسلوك الاجتماعي السليم جزء لا يتجزأ من أن تكون يابانيًا.

تحدث العديد من المشاركين في اليابان عن السخرية والنبذ بصفتهما أمران شائعان إذا لم يكن الشخص ماهرًا في «فهم الأمور وهي طائرة في الهواء» [kuuki ga yomenai] والتصرف بطريقة ملائمة اجتماعيًا. بالنسبة لأطفال المدارس فإن تعلم أهمية القراءة بين السطور في التفاعلات الاجتماعية يبدأ في سن مبكرة. ومع ذلك فقد أدت الرسائل النصية عبر الهواتف الذكية إلى تعقيد الطريقة التي يعتمد بها التفاعل الاجتماعي على طبقات الاتصال المتعددة هذه. أوضحت يومي – وهي فتاة من كوتشي تبلغ من العمر 17 عامًا – قائلة:

> نظرًا لصعوبة القراءة بين السطور في الرسائل النصية يعمل المعلمون دائمًا على رفع مستوى الوعي بشأن السخرية عبر الرسائل القصيرة. يمكن أن ينتشر سوء الفهم ويمكن أن يكون ذلك بداية للسخرية لأن الكلمات تنتشر بسرعة وتخلق مشاعر سيئة أحيانًا بين المراهقين. كما تعلم يمكن أن تخلق الكلمات معارك وإشاعات. أعتقد أن ما يحدث هو أنك تُستَبعَد. إذا كانت هناك مجموعة وارتكب شخص ما خطئًا فقد يتم استبعاده من المجموعة. ليس الأمر وكأنه يؤلم جسديًا ولكنه يؤلم عقليًا.

كانت يومي تستخدم فيسبوك وتويتر، ولكنها تخلت عنهما منذ عام ونصف لأنهما أصبحا مرهقين للغاية بسبب التمحيص الاجتماعي الذي كانت تشعر به. لا تقتصر هذه المشاكل على المراهقين فقط، فقد أفصحت سيدة من كيوتو في الستينيات من عمرها قائلة:

> أعتقد أن الناس في اليابان يعيشون في مجتمع هرمي، لذلك يشعر الناس بأنهم ملزمون بالتعليق أو الإعجاب بمنشورات شخص ما. هنا، عليك أن تكون مخلصًا وأن ترد على منشورات ذلك الشخص. تشعر بأنه من الواجب [giri] أن تجامله. إذا كان هذا شخصًا تعرفه وتتطلع إليه أو تريده أن يكون انطباعًا جيدًا عنك فعليك أن تعجب منشوراته. أشعر أحيانًا أن إبداءات الإعجاب لدى الناس هي مجرد «إعجابات من باب الواجب» [giriiine]. لا تسعدني إعجابات الواجب، ولكن إذا أعجب المنشور شخص ما حقًا أكون أكثر سعادة. أعتقد أن بعض الناس قد سئموا منها ولهذا تركوا فيسبوك. قال بعض أصدقائي أنه من المزعج جدًا وضع إشارات الـ«إعجاب، إعجاب، إعجاب» . هم لا يحبون مثل هذا الضغط.

لا ينشر معظم المشاركين في البحث من هذا الموقع الميداني أي شيء مثير للجدل أبدًا – كالسياسة على سبيل المثال – «لأنك لا تريد أن تجعل من الناس أعداءً لك أو أن تخالفهم. لا تخلق الصراعات – ولا حتى وجهًا لوجه. يحب الناس الأحاديث البسيطة عن الطقس والغذاء وعن صحتهم». هذا هو السبب الذي جعل العديد من المشاركين ينشئون العديد من الحسابات مجهولة الاسم على تويتر وإنستاجرام مما يتيح لهم المشاركة في الموضوعات التي يهتمون بها دون التعرض للتمحيص الاجتماعي. هكذا يصبح الهاتف الذكي في اليابان مساحة للتفاوض حول الفارق بين المشاعر الحقيقية للمرء وما يقوله في الأماكن العامة. يتم التعبير عن هذا التمييز في المفاهيم الثقافية «هون» [honne، 本 音، الصوت الحقيقي] و«تاتيماي» [tatemae، 建 前، الواجهة]، والتي رأى أجيال من العلماء أنها تقع في صميم المجتمع المعياري الياباني.[7]

يمكننا أيضًا دراسة إمكانيات الهواتف الذكية على التعبير عن هذه المعايير الثقافية كما فعلنا في نقاشنا السابق حول الأفراد أم العلاقات، ومع ذلك يمكن بالمثل دراسة الهواتف الذكية كعوامل للتغيير الاجتماعي وتطوير الأعراف الاجتماعية الجديدة. في حالة ياوندي ركزت أبحاث باتريك بشكل أساسي على الطبقة الوسطى الناشئة، ويشير مصطلح «ناشئة» إلى شيء يتكون. كانت فكرة «المجال العام» التي روّج لها عالم الاجتماع يورجن هابرماس[8] واحدة من أفضل المناحي الأكاديمية الراسخة التي تتناول تكون الطبقة الوسطى، وكانت في البداية تستند إلى الأمثلة الأوروبية. وناقش هابرماس كيف أنه في مرحلة ما من تاريخ أوروبا ظهرت أماكن جديدة – مثل المقاهي – شجعت على تطوير المناظرات العامة. أدت هذه التغيرات بدورها إلى شكل غير مسبوق من السياسة بُنيت على المناقشات بين أعضاء هذه الطبقة المتوسطة الوليدة، وتنظر العديد من الأبحاث اللاحقة في دور وسائل الإعلام كمساحة أخرى يمكن أن يتطور فيها هذا المجال العام.[9] قدم باتريك لنا حجة مماثلة، ولكن هذه المرة مع الأخذ في الاعتبار دور عالم الإنترنت كمكان تخلق فيه الطبقة الوسطى الجديدة في الكاميرون مجالها والذي يتميز أيضًا بالنقاش السياسي الكثيف.

في حالة الكاميرون تهيمن عدة مواضيع على مثل هذه المناقشات، وتشمل تلك المواضيع الصراع طويل الأمد بين مناطق الكاميرون الناطقة بالإنجليزية والمناطق المهيمنة الناطقة بالفرنسية. بالإضافة إلى ذلك شنت منظمة بوكو حرام الإرهابية الجهادية العديد من الهجمات على المناطق الشمالية من البلاد منذ عام 2014، ويتم تداول كلا الموضوعين باستمرار على الشبكات الاجتماعية المرتبطة بالهواتف الذكية. يحمل سكان ياوندي يوميًا صورًا عنيفة – مع



6.5 الصور المتداولة للحرب في الكاميرون على إحدى مجموعات واتساب. تصوير باتريك أووندو.

تعليقات لصحفيين على تلك الصور – ومقاطع فيديو للأفراد ولحياتهم اليومية المليئة بالنزاعات والتوترات، وتنتشر تلك الصور والمقاطع عبر مجموعات واتساب. تنطلق تلك النقاشات أو المعلومات من داخل الكاميرون وتنتشر بدورها عبر جالياتها في فرنسا وألمانيا والولايات المتحدة والمملكة المتحدة بما في ذلك ما يمكن أن يكون صورًا مزيفة [الشكل 6.5].

عندما ننظر في ظهور المجال العام المعتمد على الهواتف الذكية نجده يشير إلى الاستمرارية والانقطاع،[10] ولقد لعبت الهواتف الذكية دورًا محوريًا في تلك النقاشات المتدفقة حول الموضوعات الرئيسية لكل يوم. من الطبيعي أن تنجذب تلك النقاشات نحو الهاتف الذكي حيث النفاذية المجانية نسبيًا والمناظرات المجانية، وترى الطبقة الوسطى هذا على أنه شكل من أشكال «المواطنة المعلوماتية» بمعني أنها موضوعات من الواجب عليهم إبداء الرأي بشأنها.[11] تبدو الأخبار والسياسة كما لو أنها تنفجر في هواتفهم الذكية يوميًا حتى بغير رغبة منهم فيها في بعض الأحيان، وفي الوقت نفسه يكون للتحول إلى وسيلة جديدة عواقب أخرى. على سبيل المثال أدى التداول المستمر للصور إلى قيام الحكومة الكاميرونية بحظر الهواتف الذكية في الجيش المنخرط في إخماد نشاط بوكو حرام والحركات الانفصالية، ومع ذلك تخلق التسريبات المنتشرة على وسائل التواصل الاجتماعي بدورها آلاف ردود الأفعال من الشعب والتي من ثم تتطلب ردًا عليها من الدولة.

أخذت هذه العملية أبعادًا أخرى وقت الاستجابة لتفشي وباء كوفيد-19، وهو الوضع الذي جعل مكافحة المعلومات المضللة وتداول الأخبار المزيفة شيئًا بالغ الأهمية. نتيجة لذلك بدأ وزير الصحة في التغريد على موقع تويتر بالتفاصيل مثل عدد الوفيات والإجراءات التي تتخذها الحكومة، وكان مثل هذا الاتصال المباشر بين أحد الوزراء وعامة الشعب غير مسبوق بالنسبة لحكومة تميل إلى العمل في الخفاء، وخلق ذلك مساحات جديدة لمساءلة الحكومة وإضفاء المزيد من الديمقراطية على المعلومات حيث يتم تداول المزيد من التفاصيل على واتساب. ظهر هذا المجال العام الناشئ من تلقاء نفسه فلقد أدى التداول عبر الإنترنت إلى خلق الشفافية حيثما كان الغموض في السابق هو القاعدة، ولقد أدى هذا في كثير من الأحيان إلى توترات جديدة في أعقابه.

يمكن لهذه الاتجاهات أن تكون طويلة الأمد أيضًا، ويوجد في صميم المونوغراف الخاص بشينيوان دراسة حول الجيل الذي عاش خلال الثورة الثقافية الصينية [1966-1976] والتي لا يزال لها تأثيرًا محوريًا على كيفية استجابة هذا الجيل بعد عقود للهواتف الذكية. أصبحت الفكرة القائلة بأن كل فرد يجب أن يضحى بنفسه من أجل القضية الثورية من خلال الإصلاح الذاتي المستمر[12] تتماشى مع «القومية التكنولوجية» المتنامية.[13] يرى كبار السن أنه من واجب المواطن مساعدة الصين على تحقيق هدفها المعلن ألا وهو «القفزة الرقمية» في التنمية الاقتصادية، وهو ما يفسر موقف الصين الأكثر إيجابية تجاه الهواتف الذكية الذي تمت مناقشته في الفصل الثاني. أصبحت قيم الثورة الثقافية مطبوعة بداخل الناس كشعورهم بالواجب تجاه صياغتهم، وأظهرت الإثنوغرافيا في شنغهاي كيف أن كبار السن ينظرون بشكل طبيعي إلى الهاتف الذكي على أنه فرصة لصياغة حياتهم الخاصة تبعًا لتقاليد «الإصلاح الذاتي» و«الكمال الذاتي» كاستمرار للنضال من أجل أن يصبحوا «الرجل الجديد» [*xin ren*] بمساعدة التكنولوجيا. باختصار، يحث الحزب الشيوعي الناس باستمرار على صياغة حياتهم وفقًا لمُثله العليا، ومن ثم فإن صياغة الهاتف الذكي تتناسب مع هذه العملية بشكل مريح.

الاستنتاجات النهائية

افتتحنا هذا الفصل بالإشارة إلى أن مفهوم الصياغة يجب أن يُطبق مناصفة على الطريقة التي يصوغ بها الأشخاص هواتفهم الذكية وعلى الطريقة التي يسعون بها إلى صياغة حياتهم الخاصة بنفس الدرجة. لكن يعطينا هذا الأمر مثلثًا، حيث أن وراء كل من هاتين العمليتين تأثيرات قيم ثقافية أعمق والتي تتجلى في مظهر كل من الأشخاص وهواتفهم الذكية. الأيرلندي الفظ البراجماتي سليل الصيادين وهاتفه الذكي البسيط هما تعبيران متماثلان عن التقاليد الثقافية القديمة حول ما يجعل الرجال الأيرلنديين ذكوريين. كان المثال الأخير من شنغهاي مثالًا غير مألوفًا لأن الضغط الثقافي تجاه صياغة الهواتف الذكية كإضافة للفكرة الراسخة عن صياغة الحياة كان واضحًا تمامًا هنا. نجد الأمر نفسه صحيحًا عندما يقدم الناس بشكل علني واضح هواتفهم الذكية على أنها مصممة للتعبير عن مبادئهم الدينية.

ومع ذلك ففي معظم الحالات لا تكون الروابط علنية، فهي عمليات خفية وضمنية ولم نكن لنتمكن من تجميع أجزاء اللغز معًا إلا من خلال الإثنوغرافيا المطولة. كان اهتمامنا الأساسي في البداية بالشيء الأكثر وضوحا وهو الاصطفاف الحميم بين الفرد وهاتفه الذكي واستخدمنا سلسلة من البورتريهات لأشخاص من أيرلندا – مثل إلينور – لتوضيح هذه العملية. لإضفاء المزيد من الديناميكية على تلك المشاهدات استكملناها بحالات مثل حالة فرانسيسكو حيث لاحظ ألفونسو كيف يتم صياغة الهاتف الذكي ليناسب الرجل، أو حالة إدواردو حيث رأت ماريليا كيف يتم توظيف الهاتف الذكي استعداداً لمزيد من صياغة حياة مالكه عند التقاعد. نظر هذا الفصل أيضًا في الطريقة التي يفكر بها الأشخاص بالتبعية فيما يعنيه أن يصبح الجهاز جزءًا كبيرًا من أنفسهم – وهي علاقة حميمة

يمكنها أن تتجلى في اعتمادهم على الهاتف الذكي كذاكرة خارجية – والضعف الذي قد يشعرون به تجاه جزء من ذاكرتهم الخاصة التي من الممكن أن يفقدونها.

انتقل الفصل من هذه الملاحظات حول الأفراد إلى تفحص الطريقة التي يتم بها دمج الهواتف الذكية في العلاقات مثل تلك العلاقة بين موظفة ورئيسة عملها أو العلاقات داخل الأسرة اليابانية الأكبر. انعطف الفصل بعد ذلك في تفقد الأعراف الاجتماعية الأشمل بإعطاء أمثلة تعكس مبادئ أكثر عمومية لما هو معياري وما هو توافقي وكلاهما واضح بشكل خاص في اليابان. ليست الهواتف الذكية بالضرورة مجرد تمثيل ثابت للقيم، فهناك أمثلة أخرى تعتبر الهاتف الذكي كمشارك فعال في تكوين مجموعة جديدة من القيم. كان هذا واضحًا في حالة استخدام الهواتف الذكية لتداول النقاش السياسي وهو عامل رئيسي في تكون الطبقة الوسطى في ياوندي كمجال عام جديد.

ما سيؤول إليه التوازن بين الفرد والمعيارية الاجتماعية سوف يكون متفاوتًا إلى حد كبير. من ناحية هناك الأمثلة التي كان أفرادها المعنيون أنفسهم يتوقعون من الآخرين اعتبارهم غريبي الأطوار نوعًا، مثل ملفين الذي قرر حمل خمسة هواتف في سترته، ويمكن رؤية الوضع العكسي في المجتمعات الدينية أو حيث يكرس الكثير من الناس أنفسهم للتوافقية أيضًا. قد يختلف كل فرد عن الآخر بيد أن هناك واجب أخلاقي تجاه الامتثال.

يجب أن نعترف أيضًا بدور مصممي الهواتف الذكية الذين كانت مساهمتهم الأكبر هي تواضعهم في بعض الأمور. لماذا التواضع؟ لأن الصياغة التي نجدها في هذا الفصل كان حدوثها ممكنة لأن أكثر الإمكانات التكنولوجية تقدمًا في مجال الخوارزميات والذكاء الاصطناعي لم يتم توظيفها لإستكمال تصميم الهاتف الذكي. خلقت الخوارزميات والذكاء الاصطناعي بعض المساحة للتعلم المستقل، ولكن ما يهم حقًا هو الطريقة التي يتم بها إنشاء الهواتف الذكية بسبل غير مسبوقة لإجراء التغييرات. قدم المصممون بنية مفتوحة بما يكفي للسماح للهواتف الذكية بأن تصبح أشكالًا حرفية لا حصر لها ولم تكن في مقدورهم هم أنفسهم تصورها. في عام 2008 أوضح كريس كيلتي في كتابه (بيتان)[14] كيف أفسحت الحرية التي تمتع بها مصممي البرامج المتعاقبين من خلال المصادر المفتوحة المجال لتطور التقنيات الرقمية بشكل أكثر ديمقراطية وإبداعًا وأوسع نطاقًا. أيضًا وضع كلاي شيركي في نفس العام من خلال كتابه (ها قد أتى الجميع)[15] تصورًا للناس وقد اجتمعوا معًا في التعهيد الجماعي التعاوني للاستفادة من هذه الإمكانات الجديدة. لم تتحقق أيًا من هاتين الرؤيتين كما تخيلها مؤلفاها، ولكن بدلًا من ذلك أصبح الهاتف الذكي في الواقع وسيلة لثورة أكثر تواضعًا، ثورة نجحت بالفعل. لقد حول الهاتف الذكي المصدر المفتوح من مفهوم لتصميم البرامج إلى إمكانيات للصياغة لا تعد ولا تحصى من خلال الاستهلاك اللاحق، وهذا بدوره تم اغتنامه ليس من خلال أشكال جديدة من التعاون الشعبي ولكن من خلال المخالطة الاجتماعية القائمة بالفعل ومن خلال معايير الثقافة والعلاقات وكذلك من خلال تجلي القيم الثقافية في الأفراد.[16]

في معظم المواقع الميدانية يستفيد عدد قليل جدًا من الأشخاص من التطبيقات المثبتة مسبقًا على الهاتف الذكي وغالبًا ما يفضلون استخدام التطبيقات التي يختارون تنزيلها بأنفسهم. نتيجة لذلك يمكن جعل الهاتف الذكي شيئًا شخصيًا حقًا ليس فقط فيما يتعلق بالمحتوى ولكن أيضًا من حيث كيفية تنظيمه والأشياء التي تم تكييفه ليكون قادرًا على القيام بها. في حالة إلينور كان الشيء الذي يجعل هاتفها الذكي مميزًا حقًا هو المحتوى، أي كل تلك التعليمات التي كتبتها بصبر وربطتها بوظائف مختلفة. إن ذكاء إلينور وحرفيتها هما ما جعلا هاتفها فريدًا، وفي حين أن المصممون هم من أتاحوا هذه الإمكانية في البداية إلا أن الصياغة التي تأتي من «الذكاء العام» هي ما يجعل الهاتف الذكي يصبح ما هو عليه في النهاية.

ملاحظات

1 كتب عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي بيير بورديو أحد أكثر الكتب تأثيرًا في تاريخ الأنثروبولوجيا، وهو كتاب (الخطوط العريضة لنظرية الممارسة) [1986]. يناقش في هذا الكتاب مفهومًا يسميه بورديو «الخلقة» habitus، وهو مصطلح يشيع استخدامه الآن في جميع العلوم الاجتماعية. ينبئ المصطلح بارتباط واضح بفكرة العادة – أي نمط الأشياء التي نقوم بها دون حتى التفكير فيها. ذهب بورديو إلى أن الهابيتوس يُستقى من الطريقة التي ترتبط بها العادات في العديد من المجالات المختلفة ببعضها البعض كنظام باطني. في شمال أفريقيا حيث كان يدرس بورديو استطاع تمييز هذا النظام عبر مجموعة من الأنشطة بين السكان البربر بدءًا من الطريقة التي ينسق بها الناس قرابتهم لأنظمتهم الزراعية إلى الطريقة التي ينظمون بها تقويمهم. في مثل هذا المجتمع من الأرجح أن يعكس الفرد الواحد النظام المعياري بدقة والذي يمكننا أيضًا أن نسميه الثقافة. في مكان مثل لندن المعاصرة هناك تنوع أكبر بين الناس. ومع ذلك ففي كتاب (الأنثروبولوجيا والفرد) [2009] ذهب ميلر إلى أنه حتى على مستوى الشخص الواحد يمكننا أن نرى إحساسًا باطنيًا مشابهًا بالنظام والذي قد يتعلق بالعديد من ارتباطاتهم وأنشطتهم المختلفة. غالبًا ما يظهر هذا للآخرين على أنه ما نظنه في العموم شخصيتهم، لذلك يمكن تطبيق مفهوم الهابيتوس على الفرد وليس فقط على المجتمع الأوسع.

2 سيري هي المساعد الصوتي لأجهزة آبل.

3 انظر Lury 1996.

4 Daniels 2015

5 Frey 1998.

6 Frey 2017.

7 Benedict 1946; Doi 1985; Hendry 1995.

8 Habermas 1989.

9 Garnham 1986; Couldry et al. 2007.

10 Schafer 2015.

11 لنقاش أوسع بشأن المواطنة المعلوماتية في العصر الرقمي، انظر Bernal 2014. تناقش برنال ما تسميه «السياسة المعلوماتية»، أي الطريقة التي يتم بها «ممارسة السلطة والتعبير عنها من خلال الوسائل والحركة والرقابة والصلاحية الخاصين بالاتصال والتحكم» [ص 8]. هذا «مهم بشكل خاص في العلاقة بين الدولة والجاليات» (ص 54) ويغير رؤيتنا لتفاعلات المواطنين والتزاماتهم.

12 وهي فكرة قديمة ومتجذرة ويمكن نسبها إلى كونفوشيوس. انظر Cheng 2009.

13 Wang 2014.

14 Kelty 2008.

15 Shirky 2008.

16 لنقاش مغلق نوعًا ما والذي يصور هذا النوع من الاستهلاك على أنه تحقيق لإمكانات الثقافة على النحو المتصور في الفلسفة الهيجيلية، انظر Miller 1987.

الفصل السابع

السن والهواتف الذكية

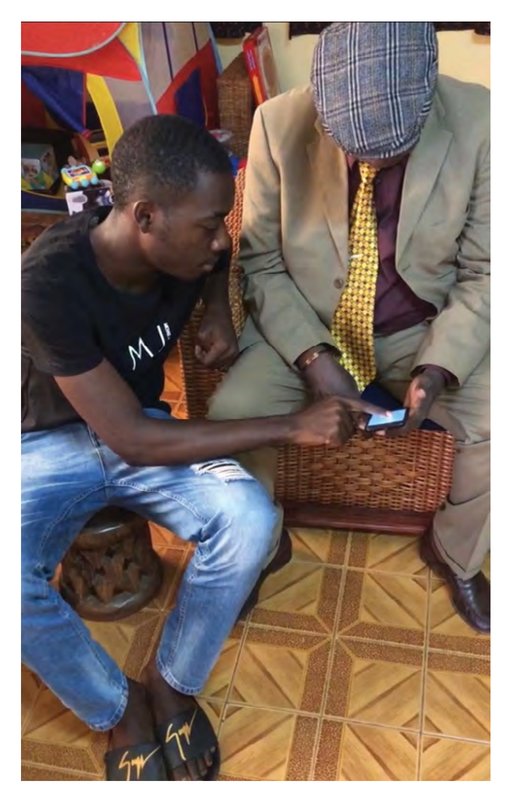
المواقع الميدانية: **بنتو** - ساو باولو، البرازيل. **دار الهوى** - القدس الشرقية. **دابلن** - أيرلندا. **لوسوزي** - كامبالا، أوغندا. **كيوتو وكوتشي** - اليابان. **نولو** - ميلانو، إيطاليا. **سانتياغو** - تشيلي. **شنغهاي** - الصين. **ياوندي** - الكاميرون.

يتخذ هذا الكتاب نهجًا ربما يكون إلى حد ما غير متوقعًا بتركيزه على كبار السن بدلًا من الشباب. يشير تعبير «كبار السن» هنا إلى من هم في منتصف العمر على وجه الخصوص، وكان اهتمامنا في هذا الأمر موجهًا للأشخاص الذين لا يعتبرون أنفسهم شبابًا ولا مسنين. تباينت أعمار الأشخاص الفعلية بشكل كبير عبر المواقع الميدانية، ويعطي هذا النهج الفئات السكانية من البالغين صفة القاعدة والشباب صفة الاستثناء لها وليس العكس. في معظم أقسام الكتاب نسلم بصحة هذه الديموغرافية، ومع ذلك تتعلق العديد من أوجه استخدام الهواتف الذكية بالعمر ونحن خصصنا هذا الفصل لتلك الأوجه.

يبدأ النقاش بالنظر في الشباب ثم ينتقل إلى العلاقات بين الأجيال، بعد ذلك يفحص الفصل المشكلات التي يواجهها كبار السن في تعلم استخدام الهواتف الذكية ثم المشاكل الأخرى التي يواجهونها عامة، وأخيرًا ينظر في تطوير التطبيقات التي تستهدف هذه الفئة السكانية على وجه التحديد. يمثل الفصل أيضًا شيئًا أكبر من ذلك وهو دراسة الهواتف الذكية من منظور معامل اجتماعي، لذا من الممكن أن يكون هذا الفصل عن الجنس الاجتماعي أو الطبقة الاجتماعية، فكل معامل يقدم ملاحظات مماثلة لتلك التي نناقشها هنا.

الشباب والعلاقات بين الأجيال

قد تستخدم الهواتف الذكية كوسيلة للتعبير عن تجربة التقدم في العمر لجميع الفئات العمرية سواء الشباب الذين يحاولون إثبات هويتهم أو كبار السن الذين يبدأون في فترة التقاعد. يرتبط الشباب في نولو ارتباطًا وثيقًا بعوالم الإنترنت التي تسهلها الهواتف الذكية والأجهزة الأخرى، وهناك مجموعات على وسائل التواصل الاجتماعي لفئات بعينها مثل «الجيل الثاني» من الشباب ممن ولد آباؤهم في الخارج. أصبحت هذه المجموعات مساحات يستكشف فيها الشباب بشكل جماعي قضايا هوية الجماعة التي قد تصبح أساسًا لنمو الوعي الاجتماعي والسياسي وتعزيز أشكال النشاطية.[1] هذا الجيل الذي يشار إليه في إيطاليا باسم «الجيل الثاني»[2] أو «الإيطاليون الجدد»[3] يتقدم في العمر بحساسية تجاه أي إيماءات إقصائية من الإيطاليين الآخرين.



7.1 الجد توم وهو يحاول تعلم استخدام هاتفه الذكي الجديد بمساعدة حفيده في ياوندي. تصوير باتريك أووندو.

يهتم هذا الجيل أيضًا بالمحافظة على ارتباطاتهم بالأماكن التي جاء منها آباؤهم. اتجه أبناء المصريين مثلًا ممن هم في سن المراهقة وأوائل العشرينات من عمرهم لموسيقى الراب للتعبير عن علاقتهم بثقافة البوب المصرية والإيطالية على حد سواء، وهؤلاء يستمعون إلى الراب ويغنونه ويسجلونه بأصواتهم باللغتين العربية والإيطالية على هواتفهم الذكية أثناء تجمعاتهم في الأماكن العامة مثل الحديقة المحلية. أصبح الشعر في ميلانو أيضًا هو الوسيلة المختارة للتفكر في قضايا الهوية وموضوعات الإدماج والإقصاء والاختلاف في إيطاليا للاجئي ومهاجري الهزارة من أفغانستان الذين يبلغون العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من عمرهم والذين يتحدثون لغة الهزارة.[4] تقدم وظيفة المفكرة في الهواتف الذكية طريقة سهلة لتدوين الأفكار رقميًا – سواء بالفارسية أو بالإيطالية – في فترات الراحة من العمل أو في المطعم أو أثناء الانتقال في الحافلة أو المترو، كما لعبت الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي أيضًا دورًا مهمًا جدًا في نشاطية الهزارة عبر الإنترنت وفي حملات التوعية المتعلقة بالاضطهاد المستمر للهزارة في وطنهم أفغانستان.

استباقًا لمناقشة «المنزل المتنقل» في الفصل التاسع نقول أنه يمكن للهاتف الذكي أن يصبح عظيم الأهمية عندما يكون لدى جماعات الشباب هذه التجربة العميقة من الازدواجية بشأن المكان الذي يعيشون فيه. يصبح الهاتف الذكي في تلك الحالة المكان الوحيد الذي يتجمع فيه الأصدقاء والأقارب والغرباء الذين يكونون أحيانًا في مدن مختلفة أو أجزاء أخرى من العالم بغض النظر عن المكان الذي يقيمون فيه فعليًا، وكل هذا يجعل الهاتف الذكي مكانًا مريحًا

يمكن أن يرى المرء فيه نفسه «يعيش» أكثر من أي بديل آخر يمكن أن يعطيه الإحساس بالوطن. يكون هذا صحيحًا على وجه الخصوص عندما تنظر إليه على خلفية الأزمة الاقتصادية التي تجعل استئجار و/أو شراء المنازل مستعصيًا على الكثير من الشباب. يمثل وجود مكان يصلح للتوحد معه أهمية كبيرة للمهاجرين وأبنائهم خاصة في خضم الممارسات الإقصائية المتعلقة بحقوق المواطنة القانونية[5] وفي الوقت الذي تحدد فيه الدولة بشكل رسمي أوغير رسمي أولئك الذين تعتبرهم «مرحب بهم» في «وطن» الأمة.[6]

وعلى النقيض فمن الممكن للهاتف الذكي أن يصبح أداة دمار وتصدع بالنسبة لكبار السن. في ياوندي كانت الأقدمية واحترام كبار السن أمرًا بالغ الأهمية في الأنظمة الاجتماعية القديمة وكانت المعرفة نفسها في الماضي تتشكل مع العمر، ففي الزراعة على سبيل المثال كانت الخبرة مهمة وكان الشباب يتعلمون من كبار السن، وهو النظام الذي أدت نشأة التعليم الرسمي إلى هدمه. في وجود الهواتف الذكية لم يعد كبار السن يحصلون على هذا التوقير بصفتهم خزائن للمعرفة، وهم على العكس يجدون أنفسهم مضطرين دائمًا للتعلم من الصغار [الشكل 7.1]. يعتمد المتقاعدون في ياوندي في الوقت الحاضر على الشباب سواء كانوا أحفادهم أو مجرد شباب يرونهم في الشارع، ويعترفون عمومًا بأنهم «يشعرون بالحرج أمام براعة الصغار». أحد المشاركين في البحث – وهو مدرس للمرحلة الثانوية ويبلغ من العمر 59 عامًا – يشعر بهذه الفجوة التكنولوجية بشكل عميق للغاية، ويشرح كيف وجد جيله أنفسهم مضطرين لإتقان الكمبيوتر أولًا ثم الإنترنت ثانيًا والآن الهاتف الذكي، وفي كل مرحلة من تلك المراحل كان يرى الشباب وقد وصلوا إليها بالفعل. عندما يضطر المعلم أو كبير السن لأن يتعلم من الأصغر سنًا في مجتمعه فهو بالتأكيد سوف يشعر بالإذلال على قدر الموقف، ويجد الكثير منهم تغير اتجاه التعلم بهذا الشكل – على الأقل في البداية – شيئًا غير طبيعي تمامًا. على النقيض من ذلك قد يشعر كبار السن في لوسوزي أن الوقت الذي يستغرقه الشباب لتعليمهم كيفية استخدام هواتفهم الذكية يرسخ أشكال الاحترام التقليدية.

قد يكون بعض كبار السن قد أمضوا عقودًا في تطوير مهارات لم تعد هناك حاجة إليها بسبب الهواتف الذكية تحديدًا. اكتسبت مثلًا إحدى المشاركات في البحث من دبلن خبرة كبيرة في معرفة الطرق الريفية بعد سنوات من العمل في تسليم الزهور لمتجر زهور، ولكن بسبب خرائط جوجل أصبحت قدرتها على تحديد الأماكن بدون خريطة مهارة لا حاجة لها. يستنكر كبار السن في اليابان الطريقة التي أبخست بها الهواتف الذكية من قيمة المهارات الأساسية – مثل الحساب الذهني – التي نالوا من أجلها الاحترام ذات يوم، ويعربون أيضًا عن قلقهم بأن تنسى الأجيال الشابة كيفية الكتابة نتيجة لقيام النصوص التنبؤية الآن باقتراح الكانجي [الرمز] المناسب للاستخدام بناءً على مدخلاتهم الصوتية. يتذكر كبار السن مقدار الوقت الذي أمضوه في المدرسة في تعلم كتابة الكانجي عن طريق حفظ الترتيب الصحيح لرسم الخطوط وممارسة الكتابة لساعات متتالية، وتلك المعرفة المكتسبة بشق الأنفس معرضة الآن لخطر الضياع.

في مواقع ميدانية أخرى يشتكي كبار السن من أن أقاربهم الأصغر سنًا يفتقرون إلى الصبر الكافي لتعليمهم كيفية استخدام هواتفهم الذكية، حيث شكت امرأة تبلغ من العمر 63 عامًا من تشيلي شكوى معتادة:

> اشترت ابنتي هذا الهاتف لي وعلمتني [كيفية استخدامه] في اليوم الأول. بعد ذلك، إذا سألت شيئًا فإنها تقول «أنا بالفعل علمتك إياه!»

يصف رجل من سانتياغو يبلغ من العمر 67 عامًا مشكلة أخرى كثيرًا ما يواجهها:

> عندما تسألهم [الشباب] عن كيفية عمل شيء ما، فإنهم يفعلونه بسرعة كبيرة على هاتفك: «تك تك تك، تفضل!» ، لكنهم لا يشرحون لك كيفية القيام به.



7.2 سيدة تلتقط فيديو في حفل موسيقي في القدس وقد دست رقم هاتفها داخل بيت الهاتف الذكي. تصوير مايا ده فريس.

غالبًا ما يفشل الأبناء والأحفاد في فهم الصعوبات التي يواجهها آبائهم وأجدادهم. في بنتو مثلًا يزعمون أن آباءهم وأجدادهم قد عملوا بالتكنولوجيا في وظائفهم من قبل ويقولون باندهاش: «لقد سبق وعملت بذلك، كيف لا يمكنك معرفة كيفية استخدامه؟»، وربما يكون العديد من كبار السن هؤلاء قد تقاعدوا من حياتهم العملية منذ عقود في الواقع. يخشى العديد من كبار السن أيضًا أن يصبحوا عبئًا على عائلاتهم ولذا قرروا عدم طلب المساعدة ويتقبلون بصبر حقيقة أن أبناءهم يعملون بجد ولديهم العديد من الالتزامات الأخرى، فكما قالت امرأة تبلغ من العمر 71 عامًا في بنتو: «بالنظر إلى كل ذلك [حياة أبنائها المزدحمة] فهل تعتقد أنني كنت لأزعجهم؟».[7]

هناك العديد من الطرق التي يمكن للشباب أن يكونوا بها غير ذوي نفع. كان أبو زكي – وهو أحد المشاركين في البحث من القدس – يواجه بعض المشاكل التقنية مع هاتفه الذكي الذي هو هاتف قديم من طراز سامسونج جالاكسي أعطاه له أحد أبنائه بعد أن اشترى الأخير هاتفًا من طراز أحدث. من الشائع جدًا في دار الهوى أن ينتهي الأمر بكبار السن بإصدار قديم من هذه الهواتف الذكية والذي لم يعد أحد أفراد الأسرة الأصغر سنًا يحتاجه، واشتكى أبو زكي من أن أحفاده قد قاموا بتحميل الكثير من الألعاب على هاتفه وهو ليس لديه فكرة عن كيفية حذفها والشباب لا يساعدونه في ذلك. أحيانًا قد لا يكون بعض كبار السن واثقين من أنهم يتذكرون أرقام هواتفهم بشكل صحيح [الشكل 7.2].

في دبلن كان الشباب بدورهم غالبًا ما يعبرون عن شعورهم بالإحباط من محاولة تعليم كبار السن كيفية استخدام الهواتف الذكية، حيث أنهم كثيرًا ما يجدوا كبار السن بطيئي التعلم وبحاجة إلى التكرار المستمر. ادعى الأشخاص الأصغر سنًا أن هذه الصعوبات كانت مفاجئة لأن الهواتف الذكية أجهزة «بديهية»، وعندما قرر العديد من أعضاء فريقنا فيما بعد تعليم كبار السن كيفية استخدام الهواتف الذكية سرعان ما اتضح مدى عدم صحة هذا الادعاء

لأن الهواتف الذكية ليست أجهزة سهلة الاستخدام لمن هم ليسوا على دراية بها. على سبيل المثال عندما نطلب من شخص كبير السن تنزيل تطبيق ما ينظرون إلى هواتفهم ويرون أيقونة «التنزيلات» فيضغطون عليها كما هو متوقع، وهو الأمر الذي لا يوصلهم لأي شيء على الإطلاق فكيف يمكنهم أن يخمنوا أن الأيقونة المناسبة هي «متجر الألعاب»؟ ما الذي يجعلهم لا يفترضون بشكل منطقي أن هذا مكانًا مخصصًا للألعاب فقط وليس مكاناً يمكنهم تنزيل تطبيقًا بنكيًا منه؟ كيف يمكنهم أن يعرفوا المعاني الجديدة لمصطلحات مثل الحزم أو السحابة أو عندما يتحطم [أي يتعطل] شيء ما؟ فكل هذا يحمل القليل من التشابه مع الاستخدام السابق لتلك المصطلحات وهو شيء مضلل لكون تلك المصطلحات تبدو مفهومة المعنى.

في مثال آخر عندما نطلب من الطلاب الأكبر سنًا «الانتقال إلى الإنترنت» فإنهم ينظرون إلى هواتفهم ويرون أيقونة تسمى «الإنترنت»، ولكنهم يدركون بعد ذلك أن الشباب الذين يعلمونهم ربما يدخلون إلى الإنترنت من خلال شيء آخر يسمى كروم أو جوجل أو فايرفوكس. لا أحد يكلف نفسه عناء شرح الفرق بين هذه الطرق المحتملة المختلفة للإنترنت، فما الفرق مثلًا بين أيقونة مثبتة مسبقًا اسمها «المعرض» وأيقونة أخرى تسمى «صور جوجل»؟ الهواتف الذكية أشياء كثيرة، لكنها أبدًا ليست بالأشياء البديهية.

كيف تجعل الهواتف الذكية الناس أكثر شبابًا

على وجه العموم يتمكن كبار السن من استخدام هواتفهم الذكية على الرغم من الصعوبات التي يلاقونها في البداية ومن التبادل المحتمل للأدوار التقليدية ومن قلة صبر أقاربهم الأصغر سنًا ومن التصميم غير المنطقي للهواتف الذكية. لماذا يبذلون مثل ذلك الجهد لتبني «هذا الشيء الخاص بالشباب»؟ في بداية هذا المشروع كان العديد من الأشخاص في المواقع الميدانية التي عملنا بها لا يزالون يفترضون أن الهواتف الذكية أكثر «طبيعية» بالنسبة للشباب أي من يُفترض أنهم «المواطنين الرقميين الأصليين». في تلك المرحلة كانت الهواتف الذكية تمثل حدًا يعزز الفروقات العمرية – أي أنه كان يعتبر نوعًا من الفجوة الرقمية القائمة على العمر. السبب في مثابرة كبار السن على استخدام الهاتف الذكي هو أنه يوفر لهم ما هو أكثر من الإمكانات الجديدة، فاتخاذ جهاز كان يومًا مرتبطًا بشدة بالشباب يمكنه أن يجعل كبار السن يشعرون بأنهم أصغر سنًا، وبمجرد اتقانهم استخدامه يتحول من كونه حاجزًا بين الشباب وكبار السن إلى ما يدل على انهيار ذلك الحاجز. في عصر «الشيخوخة الناجحة» يمكن لاتخاذ هذا الجهاز الجديد بكل الاحتمالات التي ينطوي عليها أن يعني بقاء الشخص نشيطًا وإعادة ابتكاره لذاته باستمرار.

يعمل كل من مؤلفي هذا الكتاب أيضًا على مونوغرافات منفصلة تحمل كل منها اسم (الشيخوخة مع الهواتف الذكية). الشيخوخة تعني أشياء مختلفة للغاية عبر هذه المواقع الميدانية شديدة التباين والتي غالبًا ما تكون فيها التصنيفات الزمنية للعمر أقل أهمية من شعور الشخص أو إدراكه لعمره. كما ذكرنا سابقًا يمكن اعتبار الشخص في كمبالا شيخًا إذا ما جاوز الأربعين من العمر، بينما قد لا يشعر آخر بالشيخوخة في اليابان في عمر الثمانين. يميل الفلسطينيون إلى ارتداء ملابس مختلفة ويظهرون علامات أخرى على الانتماء إلى شريحة أكبر سنًا من السكان عند بلوغهم أعمار صغيرة نسبيًا مثل الأربعين أو الخمسين، وعادةً ما ترتدي النساء فستانًا طويلًا بألوان داكنة وغطاء رأس كالحجاب.

ومع ذلك تشير هذه المونوغرافات بالنسبة لمعظم المواقع الميدانية الأخرى إلى تغير جذري في تجربة الشيخوخة، حيث اختفت إلى حد كبير تلك الفئة التقليدية للأشخاص المسنين كما تخيلها فريق البيتلز والذين يجلسون على كراسي هزازة محاطون بأحفادهم في سن 64. يقول العديد من المشاركين أنهم توقعوا أن يشعروا بالشيخوخة في أعياد ميلادهم الستين أو السبعين أو الثمانين، لكن هذا لم يحدث. بدلًا من ذلك فإن الفاصل الجديد هو بين تجربة

الضعف – في أي عمر قد يصاب المرء به – مقابل قدر كاف من الصحة الجيدة والتي تؤدي إلى الشعور بالاستمرارية على مر العقود. يواصل كبار السن في بعض المواقع الميدانية الاستماع إلى فرقة رولينج ستونز على الرغم من أنهم يفعلون ذلك الآن من خلال تطبيق سبوتيفاي، وربما يفكرون في المواعدة أيضًا ولكن من خلال مواقع على الإنترنت مثل [Plenty of Fish]، وبهذا يكون التمكن من الهاتف الذكي كفرصة للشعور بالشباب متناسبًا تمامًا مع نمط التغيير الأعم في التجربة الكلية للتقدم في العمر. كان هذا العامل مهمًا بشكل خاص في شنغهاي حيث أن كبار السن هناك يشعرون بأنهم لم يحظوا بمرحلة شباب سوية بسبب اضطرابات الثورة الثقافية، والآن فقط بعد التقاعد وبمساعدة الهواتف الذكية يشعرون بأن بإمكانهم بدء مشروع العودة للشباب.

بهذا يكون تأثير الهاتف الذكي معتمدًا بشكل كبير على السياق الأكبر للطريقة التي تتغير بها تجربة التقدم في العمر. في أيرلندا مثلًا ساعدت الهواتف الذكية الناس على الشعور بأنهم أكثر شبابًا، ويرجع ذلك جزئيًا إلى العديد من الطرق الأخرى التي يتمكن بها هؤلاء المتقاعدون ميسوري الحال من الرجوع بعملية الشيخوخة إلى الخلف. مثال آخر هو الطريقة التي أصبح لديهم بها المزيد من الوقت للانخراط في بناء عافيتهم أو للمشاركة النشطة في المساعي والقضايا البيئية إلى الحد الذي يجعل مصطلح الاستدامة ينطبق على كبار السن أنفسهم بقدر ما ينطبق على الكوكب. على النقيض من ذلك يفضل الفلسطينيون الركون إلى الحفاظ على المثل التقليدية للأقدمية والسن ويغيرون سلوكهم وفقًا لها.

يمكن رؤية الشكل النهائي لتلك التغيرات عندما يستمر وجه من الأوجه التقليدية للشيخوخة – مثل أن تكون جدًا – ولكنه يأخذ منعطفًا جديدًا أو يكتسب حيوية أكبر من خلال تجليه في صورة رقمية، ولنا في مفهوم النونا [Nonna] – أو الجدة – في إيطاليا مثالًا على ذلك. في الثقافة الشعبية وخاصة خارج إيطاليا أصبحت كلمة «نونا» مصطلحًا يرمز للعديد من التصورات المثالية المرتبطة بالتقاليد المحلية والدفء المنزلي والطهي والرعاية، ويستخدم بكثرة في الإعلانات كإشارة لـ «إيطاليا الأصيلة». تلعب الجدات في إيطاليا الآن دورًا رئيسيًا وهو مشاركتهن بهمة في رعاية الأطفال، وهن بهذا يقدمن الدعم العملي والاقتصادي والاجتماعي للأسر. كان عدد من النساء في نولو قد انتقلن للسكن بالقرب من أبنائهن البالغين أو كن يعشن بالفعل بالقرب منهم ويشاركن بهمة في رعاية أحفادهن وهن في الستينيات والسبعينيات من عمرهن. في هذا الأمر وفي جوانب أخرى من الحياة اليومية يكون الهاتف الذكي أداة رئيسية، فواتساب مثلًا يُستخدم على نطاق واسع لترتيب الجداول والأمور العملية ولمشاركة الصور ومقاطع الفيديو مع العائلة والأصدقاء وأيضًا للسعي وراء الاهتمامات والأنشطة الفردية. يمكن رؤية الأمثلة على ذلك في الفيلم المعروض هنا [الشكل 7.3]. في هذه الحالة لا تجعل الهواتف الذكية الناس يشعرون بأنهم أكثر شبابًا بقدر ما تجعل الفئة التقليدية الحالية من «الأشخاص الكبار» أكثر ملاءمة للحياة المعاصرة.

تعليم وتعلم مهارات استخدام الهاتف الذكي

ما الذي يدخل ضمن نطاق تعلم استخدام الهاتف الذكي؟ يشير دايك و ديرسين[8] إلى أن هناك ستة مستويات من المهارات المطلوبة لمحو الأمية الرقمية وهي موضحة أدناه:

1) المهارات التشغيلية: مثل كيفية استخدام زر ما

2) المهارات الصورية: مثل القدرة على فهم واستخدام جوانب الواجهة كهياكل القوائم أو الوصلات التشعبية

3) المهارات المعلوماتية: مثل كيفية البحث عن الأشياء



7.3 فيلم: (الجدات). متاح من خلال http://bit.ly/_nonnas.

4) مهارات الاتصال: مثل استخدام وسائل التواصل الاجتماعي

5) مهارات إنشاء المحتوى: مثل قوائم التشغيل التي يصنعها الأشخاص لبث الموسيقى

6) المهارات الإستراتيجية: مثل كيفية استخدام الهواتف الذكية لأهداف شخصية أو مهنية

يمكن أن تصبح كل واحدة من تلك المهارات سببًا في فجوة رقمية جديدة بين المستخدم الكفء والمستخدم غير الماهر، وهي نقطة نظر فيها دونر بشيء من التفصيل في كتابه (ما وراء النفاذية)[9] لأنها غالبًا ما تكون سمة من سمات العالم النامي. امتلاك الشعوب الآن لإمكانية الحصول على الهواتف الذكية والإنترنت لا يعد مؤشرًا على انتهاء عصر عدم المساواة، فقد يؤدي إتقان أحد المستويات إلى إبراز القيود والفروقات الأخرى المبنية على ما يعرفه الناس وما لا يعرفونه عن الاستخدامات اللاحقة للهواتف الذكية.

كان السبب الذي جعل هذه النقاط تظهر بوضوح خاص هو أن بحثنا شمل أيضًا بعض كبار السن الذين بدأوا يعانون من أعراض الوهن المرتبطة بالعمر – مثل انخفاض المهارات المعرفية والتهاب المفاصل وارتجاف الأصابع وضعف البصر – والتي تؤثر أيضًا على استخدامهم للجهاز. يضخم الهاتف الذكي إذًا مسألة المهارة لأنه يزيد التعقيد من ناحية، ولكن من ناحية أخرى فإن السكان الأكبر سنًا يجابهون فقدان مهاراتهم. يمكن ملاحظة نتيجة ذلك من الناحية الإثنوغرافية كجزء من الحياة اليومية، ولكن تمييزها من خلال طريقة تعلم هذه المجموعة السكانية للهواتف الذكية كان هو الأسهل. يشمل السياق الأكبر أيضًا النظر في دوافع كبار السن لتعلم الهواتف الذكية، والمواقف اليومية التي يوظفونها فيها، وأيضًا وبشكل خاص العلاقات والتوترات الأوسع بين الأجيال التي غالبًا ما تكون مرتبطة بحصولهم على الهواتف الذكية وتعلم استخدامها ومن ثم توظيفها. وأخيرًا نجد هنا – وكما هو الحال مع كل فصل منذ طرحنا الموضوع في الفصل الثاني – مشكلة لاحقة تتعلق بالتناقض تجاه الجهاز.

التزم العديد من أعضاء الفريق بإعطاء الدورات التدريبية إما حول استخدام الهاتف الذكي بشكل عام أو حول استخدام واتساب على وجه التحديد، وامتد هذا لأكثر من عام كامل في حالة من الحالات. كان لدى الطلاب المشاركين مجموعة واسعة جدًا من التخوفات والتوقعات. في سانتياغو مثلًا أرادت سيدة التقاط صور [HDR] [التصوير بالمدى الديناميكي العالي] لنشرها لاحقًا على إنستاجرام، بينما أراد رجل تنزيل تطبيق لفحص رموز الـ [QR] التي يجدها في النشرات

الإعلانية. وجد بعض المشاركين صعوبة في فهم الفرق بين بيانات الجوال [المدفوعة] والواي فاي [المجاني] أو في فهم مفهوم «السحابة»، بينما واجه آخرون صعوبة مع واجهة الشاشة التي تعمل باللمس. كانت العوامل التي أثرت على تلك الصعوبات والتوقعات تتضمن ألفتهم مع الاستخدامات السابقة، ودرجة الدعم الأسري الذي يتمتعون به، ومستواهم العام في التعليم، ومهاراتهم الحركية، وطول الفترة الزمنية منذ أن بدأوا تقاعدهم.[10]

وجد استطلاع رأي أجراه حديثًا مركز بيو للأبحاث[11] [Pew Research Center] على كبار السن من المواطنين الأمريكان أن ثلث كبار السن يشعرون بالقليل من الثقة فقط – أو لا يشعرون بالثقة على الإطلاق – عند استخدام الأجهزة الإلكترونية [بما في ذلك الهواتف الذكية]. نتيجة لذلك الشعور يقول ثلاثة أرباعهم أنهم بحاجة إلى المساعدة لإعداد جهاز جديد والبدء في استخدامه. وفقًا لأحد طلاب ماريليا – وهو رجل يبلغ من العمر 72 عامًا – فإن الخوف من ارتكاب الأخطاء هو الفرق الرئيسي بين كبار السن ونظرائهم الأصغر سنًا، ويوضح ذلك قائلًا: «إذا رأى الصغار شيئًا خاطئًا فإنهم يضحكون على أنفسهم لأنهم مسموح لهم بارتكاب الأخطاء، ولكن الناس غير متسامحين مع كبار السن إلى هذا الحد»،[12] ويضيف أنه لهذا السبب يشعر العديد من أصدقائه بالحرج الشديد عندما يفشلون لدرجة أنهم يخافون حتى من المحاولة، كما أنهم يخشون من «شحن الجهاز أكثر مما ينبغي» أو «محو المعلومات المهمة» أو «الضغط على الزر الخطأ» وبالتالي إتلاف الجهاز نفسه. نظرًا لأن كبار السن يعتبرون الهواتف الذكية بمثابة آلات لذا فهي عندما تتوقف عن العمل يفترضون أنها تعطلت، كما أنه من الصعب عليهم فهم ما يعنيه الشباب عندما يخبرونهم أنهم لا يستطيعون تعطيل الهاتف وأنهم فقط يحتاجون إلى العودة بضع خطوات إلى الوراء واتخاذ مسار مختلف لجعله يعمل.

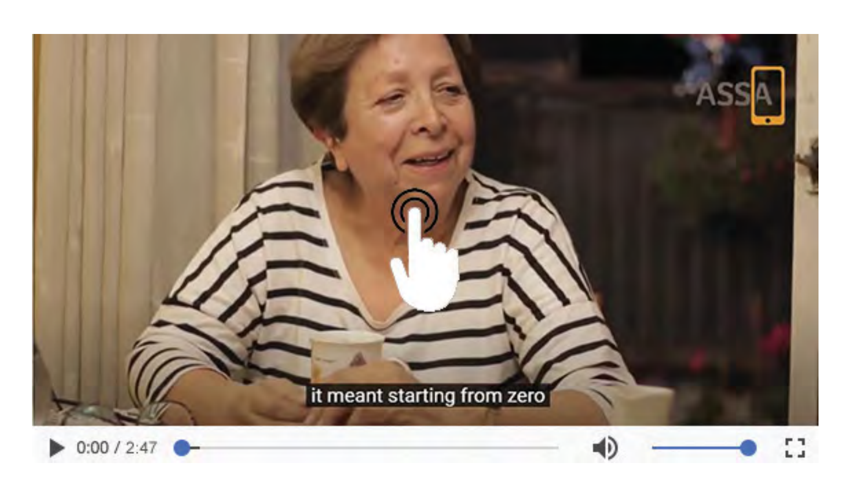
غالبًا ما يرتبط هذا الخوف بالإحساس العام بالوصم لكون المرء مسنًا، حيث يرى الناس أن تلك التقنيات الجديدة لا تأتي بشكل «طبيعي» بالنسبة للمسنين. على النقيض من ذلك يرى كبار السن أن الصعوبات التي يواجهونها «طبيعية» ويعلقون على ذلك بقولهم «لا أفهم التكنولوجيا» أو «دماغي لا يتناسب مع هذا» ويصرون على أنهم لا يستطيعون فعل شيء ما لم يكن المعلم يقف بجانبهم، بينما كان آخرون أكثر ميلًا للمغامرة منذ البداية أو أصبحوا كذلك بعد مضي بعض الوقت. يشير استطلاع بيو المذكور أعلاه أيضًا إلى أنه بمجرد اتصال كبار السن بالإنترنت فإنهم يشرعون في الانخراط «مع الأجهزة الرقمية ومع المحتوى على مستويات عالية»، فعلى سبيل المثال يستخدم 76 في المائة من كبار السن الذين يمتلكون هاتفًا ذكيًا الإنترنت عدة مرات في اليوم.

أعلمنا الطلاب الأكبر سنًا عن شعورهم بالارتباك بشأن المجموعة الواسعة من القوائم والرموز والطرق المختلفة لعمل نفس الأشياء على الهاتف الذكي.[13] في الغالب لا يكون هناك تسلسل هرمي واضح أو منطقي في تنسيق التطبيقات والوظائف على الهاتف الذكي، وكثير من الطلاب الذين يستخدمون هواتف أندرويد لا يمكنهم التعرف على الفارق بين الشاشات الرئيسية وأدراج التطبيقات خاصةً حينما يكون لهما نفس الخلفية. كانت إحدى أكثر العقبات الملحوظة التي واجهها الطلاب هي تعرضهم للعديد من الخيارات، فهم عندما يختارون صورة من تطبيق المعرض الخاص بهم لمشاركتها على سبيل المثال فإنهم يجدون اختيارات مختلفة بما في ذلك شكل قلب، وثلاث نقاط رأسية، وثلاث دوائر متقاطعة، ومربع به سهم، ومربع به وجه مبتسم وحرف الـ [T]، وبالية ألوان، وثلاث نقاط تشكل حرف الـ [V]، وأيقونة «سلة المهملات» [الشكل 7.4]. فأيهم هي أيقونة الـ «مشاركة»؟

وجد العديد من الطلاب الأكبر سنًا صعوبة أيضًا في التمييز بين «النقر» و «الضغطة الطويلة». قد يساهم نقص ثقتهم بأنفسهم في رغبتهم في الضغط على الزر لفترة طويلة للتأكد من أنه تم الضغط عليه – وهو ما يعادل الضغط على جرس الباب – وغالبًا ما تكون النتيجة مختلفة تمامًا عن النقر، وقد يواجهون أيضًا مشكلة في الضغط على المكان المفترض الضغط عليه بدقة مما قد يؤدي أيضًا إلى نتيجة مختلفة تمامًا. يقدم الفيلم عن فاليريا من سانتياغو أدناه مثالًا على تلك التخوفات [الشكل 7.5].



7.4 أي واحدة من كل هذه الأيقونات هي أيقونة المشاركة؟ تصوير ألفونسو أوتايجي.



7.5 فيلم: (فاليريا). متاح من خلال http://bit.ly/valeriasmartphone.

جاء الطلاب إلى هذه الدورات بدوافع مختلفة، ولكن الدافع الذي هيمن عليهم كان في الأغلب رغبتهم في استخدام واتساب. أشارت ماريا تيريزا من سانتياغو والتي تبلغ من العمر 70 عامًا وهي تصف قرارها بالحصول على هاتف ذكي إنه «بسبب واتساب، فقد كان الجميع يستخدمه وكنت أشعر بتخلفي عنهم، لذلك اضطررت إلى شراء هذا الهاتف». في الواقع يشتري بعض كبار السن في بنتو ما يرون أنه «جهاز واتساب» وليس هاتفًا ذكيًا، وهذا الانكباب على تطبيق واتساب هو ما جعل دورة ماريليا بأكملها وحوالي ثلاثة أرباع دورة ألفونسو وأيضًا بعض ورش العمل الخاصة بمايا مكرسين بالكامل لاستخدام واتساب.[14]

عندما أعلنت مايا عن تقديمها دورة تدريبية حول استخدام الهاتف الذكي في دار الهوى أعلنت نورا على الفور عن رغبتها في الالتحاق بالدورة على الرغم من أنها كانت بالفعل تعرف كيف تستخدم الهاتف الذكي وكانت تفعل ذلك كثيرًا، ونظرًا إلى تلك المعرفة وإلى معرفتها الجيدة بالعبرية وببعض الإنجليزية فقد انتهى بها الأمر في الحقيقة بمساعدة الطلبة الآخرين في ترجمة المواد المتعلقة بالدورة إلى العربية. كانت نورا ذات عون بشكل خاص أثناء تعليم الطلبة استخدام واتساب الذي عرفوا كيفية استخدامه في كل شيء بدءًا من التسجيلات الصوتية إلى إرسال الموقع إلى مشاركة جهات الاتصال والصور وأخيرًا النسخ الاحتياطي. في إحدى المرات أثناء شرحها كيفية نسخ الملفات والمجلدات احتياطيًا حذفت نورا واتساب الخاص بها بالخطأ، وبعد بضع دقائق من الفشل في العثور عليه مرة أخرى طلبت المساعدة بالكثير من التهدج في صوتها. كان من الواضح أن نورا شعرت بالقنوط العميق من أن تضطر إلى الانفصال عن واتساب حتى ولو كان لبضع دقائق حتى أنها قررت أنها لن تتعلم أي شيء ولن تمكث في الفصل، وكلاهما تعبير عن إحباطها وغضبها بشأن التطبيق «المفقود». لم تكن مايا قادرة على مساعدتها في البداية لأن ذاكرة الهاتف كانت ممتلئة، ولكنها في النهاية تمكنت من توفير مساحة كافية لتنزيل واتساب مرة أخرى بعد مسح العديد من مجلدات واتساب الاحتياطية. نجح الأمر وهدأت نورا وتنفس الجميع الصعداء في أنحاء الغرفة.

في حالة نورا كان الضغط الذي شعرت به يتألف من عنصرين. الأول كان احتمالية انقطاع تواصلها المستمر مع الأقارب والأصدقاء والأنشطة، والثاني هو حقيقة أنها لم تكن قادرة على التعامل مع المشكلة بنفسها. كشف هذا عن الدرجة التي لا تزال بها نورا غير مدركة بشكل كامل للطريقة التي يعمل بها الشيء الذي يمثل البنية التحتية لحياتها الآن، هذا بالإضافة إلى أن تجربة مثل هذه تؤدي إلى تفاقم قلق الأشخاص من أن يصبحوا معتمدين بشكل كبير على الآخرين مع تقدمهم في العمر. هذا جانب آخر من جوانب التناقض للهواتف الذكية، فتعلم استخدامها ينتج عنه قدر أكبر من الاستقلالية ولكنه في الوقت نفسه غالبًا ما يخلق أشكالًا جديدة من التبعية.

نختتم هذا النقاش حول تعلم استخدام الهواتف الذكية بمثال يوضح كيف يمكن للجميع تقريبًا أن يجدوا نوعًا من التفاعل مع الجهاز. لم تتعلم ماري من كمبالا – والتي تبلغ الخمسينيات من عمرها – القراءة أو الكتابة، ولكنها تمتلك هاتفًا ذكيًا من طراز سامسونج مما يدل على وضعها المتميز نسبيًا كمنتفعة من نفقة زوجها السابق. يزعم طفلاها – وهما في أواخر سن المراهقة – أنهما علماها كيفية استخدام هاتفها الذكي وكذلك استخدام التطبيقات ووسائل التواصل الاجتماعي. أوضحت ماري أنها لا تستخدم الإنترنت كثيرًا باستثناء تطبيق واتساب الذي تشتري باقات البيانات اليومية من أجله، كما أنها لا تستخدم معظم تطبيقاتها لكنها تستمع إلى الموسيقى على هاتفها والتي يرسلها إليها أصدقاؤها عبر البلوتوث ولديها الآن ما يزيد قليلًا عن 100 أغنية. غالبًا ما تكون ماري بمفردها في المنزل عندما يكون طفلاها في المدرسة الداخلية، لذلك فهي عندما تشعر بالملل تستخدم هاتفها أيضًا لتلعب لعبة تصور أفاتار قطة تتطلب العناية والتغذية والتنظيف، وكانت ابنتها البالغة من العمر 16 عامًا هي من قامت بتنزيل هذه اللعبة لها. كما لوحظ سابقًا من خلال مشروع (لماذا ننشر)[15] فإن الأمية لا تمثل عائقًا أمام استخدام الهواتف الذكية ووسائل التواصل الاجتماعي كما يمكن أن يكون متوقعًا.



7.6 مثال لهاتف دورو وتظهر فيه الأزرار لسرعة الوصول للأرقام المهمة. تصوير دانيال ميلر.

وختامًا، فقد اتبع هذا القسم إلى حد كبير الست مستويات من المهارات التي حددها دايك وديرسين والتي عرضناها في البداية. بدأنا بالنظر في الصعوبات التي يواجهها بعض الأشخاص لإتقان المهارات الحركية الأساسية فقط، وفي النهاية كان ما لفت انتباهنا هو الطريقة التي يتمتع بها كل شخص – وفقا لمستوى كفاءته – بالحيلة في ملائمة الهاتف الذكي لاهتماماته ومهامه الخاصة. لا يقلل الهاتف الذكي بالضرورة من عدم المساواة ولكنه قد يكون ملائمًا لها.

التطبيقات والأجهزة المتخصصة

نظرًا لكبر سن السكان في بعض البلدان الأكثر ثراءً لذا أصبح هناك بطبيعة الحال محاولات لإنشاء تقنيات مصممة خصيصًا لاستخداماتهم، وكانت أحدى تلك التقنيات هي الهاتف الذكي دورو 8040 [الشكل 7.6]. تتضمن الشاشة الرئيسية لهذا الهاتف أربع دوائر يمكن ملؤها بصور جهات الاتصال المختارة. كانت سيدة واهنة تبلغ من العمر 91 عامًا ترهب التكنولوجيا كثيرًا حتى أنها كانت غير قادرة على التعامل مع هاتفها الذكي بشكل يسمح لها بإجراء المكالمات الهاتفية التي تتطلب منها الاتصال بالأرقام، ولكن بفضل تصميم دورو أصبح لديها تواصل منتظم مع أقاربها الأربعة الأقرب لها والذين تظهر صورهم على شاشتها.

كما أن هناك هواتف ذكية متخصصة هناك أيضًا تطبيقات مخصصة لكبار السن. أحد الأمثلة على ذلك هو تطبيق ميبيان [Meipian] الذي يستخدم في شنغهاي. المعني الحرفي لكلمة «ميبيان» باللغة الصينية هو «قطعة جميلة«

في إشارة إلى استخدام التطبيق في تعديل الصور والقوالب. يضم التطبيق 150 مليون مستخدم نشط تتراوح أعمارهم بين 40 و 60 عامًا، وهم ميسورون اقتصاديًا ولديهم الكثير من أوقات الفراغ والرغبة في التعبير عن أنفسهم.[16] في استبيان أجرته شينيوان على مشاركيها وجدت أن ميبيان واحدًا من أكثر التطبيقات رواجًا. كل أسبوع تشارك إحدى المشاركات من شنغهاي – وتدعى السيدة شين – منشورين على الأقل من ميبيان على ويتشات، وهي كانت قد تعلمت كيفية استخدام ميبيان في فصل الكمبيوتر الذي أقيم في مدرسة مجتمعية لكبار السن حيث قدم المعلمون تطبيقات مفيدة تعتبر مناسبة لكبار السن.

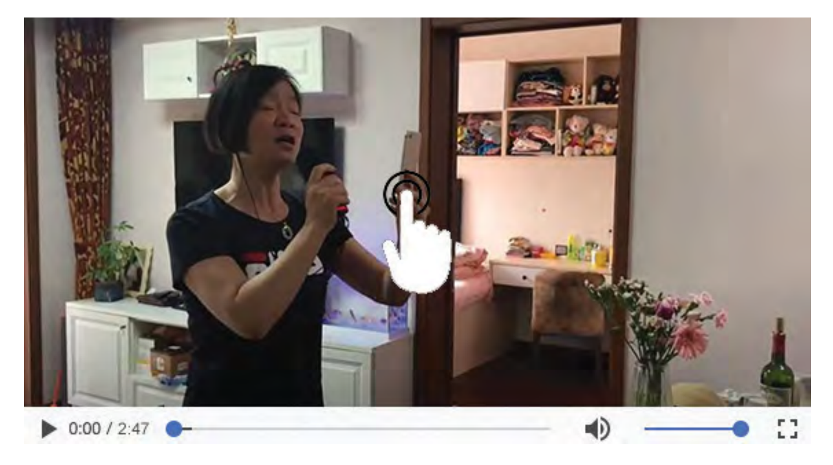
على النقيض من ويتشات الذي يسمح بتسع صور فقط لكل منشور يسمح ميبيان بما يصل إلى 100 صورة، وهو ما يروق للسيدة شين التي توضح قائلة: «أريد تسجيل اللحظات الرائعة في حياتي بشكل لائق وكامل ... عادة يكون لدي مئات الصور لرحلة استغرقت يومين فقط». تنتشر هذه الرغبة في «تسجيل الحياة بشكل لائق وكامل» على نطاق واسع بين كبار السن في الصين، كما أنهم بشكل عام يعتبرون أن النشر عبر الإنترنت له منزلة مماثلة للنشر المطبوع، كما أن أسلوبهم يختلف كثيرًا عن أسلوب الأشخاص الذين لا يأخذون منشوراتهم اليومية من نوع «سيل الوعي» على محمل الجد. سلط مشارك آخر في البحث – وهو السيد شي – الضوء على الفرق: «ذات مرة قال ابني الأصغر أنه لم يكن لأحد أن يثير ضجة حول النشر عبر الإنترنت، لكنني أخبرته أنني أعتقد أن كل كلمة أشاركها يجب أن تكون جيدة بما يكفي للصمود أمام اختبار الزمن. أنا آخذ الأمر على محمل الجد».

نشأ الجيل الأكبر سنًا في زمن يفتقر لأدوات الاتصال المناسبة لهذا النوع من التعبير المستمر عن الحياة اليومية، فلم يكن من الممكن لأي شخص أن يكون حاضرًا أمام جمهور ما إلا من خلال وسائل الإعلام مثل الراديو أو التلفزيون أو الصحف وكلها كانت تحت الكثير من القيود، ولهذا السبب يعتبر هؤلاء أي عرض علني للذات على أنه شيء يستحق التفكير المتروي. علاوة على ذلك فإن المصدر الرئيسي لإيرادات ميبيان هو خدمة الطباعة التي توفر للمستخدمين خيار تحويل صورهم الرقمية إلى كتيبات مطبوعة. أصبحت الطباعة شائعة جدًا بين كبار السن، فعندما تلقت السيدة تشو «كتابًا» مطبوعًا بشكل أنيق يضم مشاركاتها على ميبيان مع صورة لحفيدها على الغلاف صاحت بحماس: «لم أعتقد مطلقًا أنه يمكنني كتابة كتاب من خلال هاتفي الذكي!».

يعيدنا استخدام ميبيان إلى التباين الذي نوقش سابقًا بين الصين ومعظم المواقع الميدانية الأخرى. غالبًا ما يرى كبار السن في البرازيل وتشيلي الصعوبات التي يواجهونها في استخدام الهواتف الذكية على أنها نتائج «طبيعية» لسنهم، وقد يعتبرون أي مشاكل جسدية مثل ضعف الرؤية وعدم ثبات اليدين كجزء من عجز أشمل يمتد إلى وظائفهم الإدراكية. لذلك هم يفترضون أن الشباب هم المستخدمون الطبيعيون للهواتف الذكية وليس أنفسهم، وبالتالي تكون رهبتهم من التكنولوجيا أمرًا طبيعيًا.

على النقيض في شنغهاي، يظهر الفيلم المعروض هنا أنه يمكن لامرأة مثل دان أن تخلق أبعادًا جديدة كاملة لحياتها عند التقاعد بما في ذلك إنشاء قاعدة متابعين لغنائها [الشكل 7.7]. أصبح الهاتف الذكي مهمًا جدًا لدان لدرجة أنها تريد حرقه بعد وفاتها كوسيلة لإيصال محتوياته إليها في الحياة الآخرة.

تعكس هذه التداعيات الإيجابية الطريقة التي اتجهت بها الصين تاريخيًا نحو حكم الشيوخ السياسي [الجيرونتوقراطية]، وكما أشرنا في الفصل الثاني يُنظر إلى المهارة في استخدام الوسائط الرقمية على أنها واجب على المواطن الصالح والمنتج، وهو يعبر عن مساهمة المواطن في بناء الصين الحديثة. هكذا تكون شنغهاي المكان الذي قد يتفوق فيه كبار السن على الشباب في حبهم للهواتف الذكية. لكن استنتاجنا هو كالآتي: إذا كانت هناك فئة سكانية تعتبر استخدامها للهواتف الذكية أمرًا طبيعيًا فهذا يعني أن الوصم المتعلق بكبر السن قد يكون هو المشكلة



7.7 فيلم: (هو يحتوي على كل حبي). متاح من خلال http://bit.ly/carriesallmylove.

الحقيقية بالنسبة للأشخاص في البرازيل وتشيلي. من المؤكد أن هذا الوصم قد يكون مضعضعًا عندما يتعلق الأمر بإتقان استخدام الهواتف الذكية مثله مثل أي شيء آخر يتعلق بتكنولوجيا الجهاز.

السلبيات والإيجابيات المتعلقة بالهواتف الذكية

هناك طرق أخرى أعم تؤثر من خلالها الشيخوخة على علاقة الأشخاص بالهاتف الذكي. الأول هو الخوف الأكبر من التعرض للسرقة، فكما أشار أحد المشاركين في البحث من بنتو قائلًا: «إذا كان شعرك أبيض فأنت مستهدف بالفعل». شعرت هيلين البالغة من العمر 67 عامًا بالإحباط عندما لم تتمكن من عرض جميع صور أحفادها التي تحتفظ بها على هاتفها الذكي على ماريليا وقالت: «جئت إلى هنا بدون شيء فهو ليس بالأمر الآمن». كانت هؤلاء النسوة يتحدثن لماريليا في ساحة كبيرة يأتي إليها الناس للمشي وأداء التمارين الرياضية كل يوم، وهي أيضًا واحدة من 200 نقطة تتمتع بخدمة الواي فاي المجانية التي توفرها قاعة المدينة في ساو باولو. ومع ذلك اتفق معظم المشاركين في بحث ماريليا على أنه ليس من الآمن إجراء واستقبال المكالمات أو إرسال الرسائل النصية في الشارع.

وهم في الواقع لديهم سبب وجيه للقلق، ففي الربع الأول من عام 2019، كان متوسط سرقات الهواتف المحمولة كل ساعة في ساو باولو يمثل 63 في المائة من إجمالي السرقات المسجلة في المدينة.[17] كان أكثر من نصف المشاركين البالغ عددهم 60 شخصًا الذين تحدثت إليهم ماريليا في أبريل 2018 قد سرقت هواتفهم الذكية مرة واحدة على الأقل أو كانوا يعرفون أشخاصًا في عائلاتهم قد تعرضوا لمثل تلك السرقة.

هكذا استحدث الناس استراتيجيات مختلفة لحماية أنفسهم وهواتفهم الذكية في الأماكن العامة. على سبيل المثال قالت لوسي البالغة من العمر 65 عامًا أنها لا ترد أبدًا على المكالمات في الشارع: «أترك الهاتف يرن فقط». تشرح ليلي البالغة من العمر 67 عامًا السبب الذي يجعلها تقوم ببعض الاستثناءات: «ألقي نظرة سريعة داخل حقيبتي، فإذا كان أحد أطفالي هو من يتصل بي أدخل أحد المتاجر في الشارع حتى أتمكن من الرد على المكالمة». ليس هذا فقط ولكن بعض المستخدمين الآخرين يتركون هواتفهم الذكية في المنزل عندما يخرجون، وخوسيه البالغ من العمر 72 عامًا واحد منهم فهو لم يأخذ جهاز آيفون الخاص به خارج منزله أبدًا ويفضل التنقل بهاتف أندرويد الأقل ثمنًا. تتمثل إستراتيجية أخرى

في الاحتفاظ بالهاتف الذكي لأطول فترة ممكنة أملًا في أن يكون الجهاز القديم أقل جاذبية للصوص. تستخدم بيا البالغة من العمر 59 عامًا هذه الاستراتيجية وتقول: «هذا الجهاز قديم ولا أحد يريده». الخيار الأخير وهو الأقل شيوعًا هو أن يكون لدى المرء جهاز ثان في الحقيبة يُعرف باسم «هاتف السارق المحمول»، وهي حيلة قديمة تحظى بشعبية خاصة بين النساء اللائي يقدن السيارات، فإذا تعرضن للسرقة أثناء حركة المرور يمددن أيديهم للسارق بالحقيبة المزيفة المعدة خصيصًا لهذا الغرض. وليست البرازيل وحدها في تلك المعدلات العالية لجرائم الشارع، فأحد المشاركين من تشيلي يصف أيضًا إحجامه عن تفقد هاتفه الذكي في الأماكن العامة والتكتيكات التي اتخذها نتيجة لذلك: «أتركه يطن في جيبي وعندما أصل إلى مكان آمن – معرض مثلًا – قد أخرجه وأنظر فيه».

ولوحظ العكس في الموقع الميداني الياباني في كيوتو حيث غالبًا ما تكون الهواتف الذكية ظاهرة للعيان بشكل كبير في الأماكن العامة نظرًا لانخفاض معدلات الجريمة. هناك وجدنا أن المشاركين في البحث لا يخشون السرقات الصغيرة وكثيرًا ما كانت الهواتف تُحمل في الجيوب الخارجية لحقائب الظهر والجيوب الخلفية للبنطلونات. في كيوتو – حيث كثيرًا ما يتم استئجار الكيمونو وارتداؤه في جميع أنحاء المدينة بواسطة السياح الدوليين واليابانيين على حد سواء – يمكن رؤية النساء في المواقع ذات المناظر الخلابة وقد وضعن هواتفهن الذكية في أحزمة «أوبي» لسهولة الوصول إليها لالتقاط صور السيلفي.

يخشى الناس بشكل عام فقدان الخصوصية أو احتمالات المراقبة والتطفل من خلال التقنيات التي يعرفون أنهم لا يفهمونها إلا بشكل جزئي فقط. خلال دورة الهاتف الذكي في القدس ظهر لنا أثناء شرح الاتصال بشبكات واي فاي المفتوحة أن 3 فقط من بين 15 مشاركًا كانوا على علم بأن نقاط اتصال الواي فاي كانت مجانية وكانوا يستخدمون شبكة الإنترنت الخاصة بشركاتهم فقط. عندما علموا بهذا المورد الإضافي شعروا بالقلق حول ما إذا كان استخدامه آمنًا. بعد اتصال أمينة البالغة من العمر 74 عامًا بشبكة الواي فاي الخاصة بالمركز الاجتماعي بمساعدة مايا سألت عما إذا كان هذا الاتصال نفسه سيبقى مفتوحًا عند عودتها إلى المنزل. وكما هو مذكور أعلاه يخلط العديد من الأشخاص بين شبكة واي فاي واتصال البيانات عندما يتعلق الأمر بالمدفوعات.

يظهر امتداد آخر للفجوات الرقمية القائمة على العمر والذي تم تناوله في الفصول السابقة في النزوع المتزايد للحكومة نحو النفاذية عبر الإنترنت فقط. على سبيل المثال وافق مجلس الشيوخ التشيلي مؤخرًا على مشروع قانون يسمى «التحول الرقمي في الدولة»[18] والذي يهدف إلى جعل معظم خدمات الدولة رقمية، وسوف يتعين على أولئك الذين يرغبون في التواصل عبر الورق أو النسخ المطبوعة تقديم طلب للحصول على هذه الخدمة تحديدًا مع إبداء السبب لذلك. في عام 2017 شرعت إسرائيل أيضًا في إصلاح واسع النطاق يهدف إلى إنشاء دولة رقمية وقام ذلك الإصلاح على رقمنة الخدمات الحكومية على المستويين المحلي والدولي. أعلن المؤيدون للإصلاح أنه سيحقق فوائد تتراوح من «دفع عجلة النمو الاقتصادي» إلى «تقليص الفجوات الاجتماعية والاقتصادية وجعل الحكومة أسرع وأكثر ذكاءً وأسهل وصولًا إلى المواطنين، مما يعطي إسرائيل ريادة عالمية في المجال الرقمي».[19] ومع ذلك لم تشعر ليلى ومايا أن الفلسطينيين في دار الهوى سواء كبار السن أو الشباب كانوا جزءًا من هذه الرؤية نظرًا لأن الكثيرين منهم يفتقرون إلى المعرفة الرقمية أو إلى معرفة اللغة العبرية أو كليهما [الشكل 7.8].

ليست المشكلة في الحكومات فقط، ففي شنغهاي أعلن مستشفى رئيسي تابع للدولة أن أحد أقسامه الأكثر رواجًا لن يقدم خدمة حجز المواعيد بالمستشفى «في موقع العمل» وأن الخدمة سوف تقتصر على نظام حجز عبر الإنترنت بدلًا من ذلك، ورأى المستشفى في ذلك حلًا لمشاكل الاكتظاظ وطوابير الانتظار الطويلة. ومع ذلك فمن شأن مثل تلك السياسات أن تسبب الوجل بين أولئك الأشخاص الذين غالبًا ما يكونون من كبار السن أو من المتعسرين اقتصاديًا والذين قد يفتقرون إلى المهارات اللازمة للحصول على موعدًا رقميًا.



7.8 تطبيق لتنبيهات الطوارئ مخصص لكبار السن، وهو متاح بالعبرية فقط وغير متاح بالعربية. تصوير مايا ده فريس.

تعمل مثل هذه التطورات على إحداث اعتماد متزايد على الهواتف الذكية والذي قد يستاء منه بعض كبار السن ويعتبرونه كشكل من أشكال النبذ القائم على السن. أشارت سارة – وهي مشاركة من موقع دبلن الميداني – بارتباك إلى أنها لم تواجه صعوبات في التعامل مع أجهزة الكمبيوتر قبل أن تنجب ولكن التكنولوجيا قد تقدمت بشكل كبير خلال الفترة الطويلة منذ ذلك الحين مما جعلها تتخلف لسوء الحظ. تبدو سارة كما لو أنها تعيش في حقبة زمنية مختلفة وتشعر كأنها محرومة من المشاركة الكاملة في الحاضر، حتى أن بعض أبناء عمومتها قاموا بدعوتها للانضمام لفيسبوك ولكنها اقترحت عليهم زيارتها لاحتساء القهوة بدلًا من ذلك.

تعرف سارة أن أفراد عائلتها وأصدقاءها يسلكون مسالك مغايرة لهم من أجل استيعابها، وهي تجد هذا مهينًا. عندما تريد سارة السفر فهي تعتمد على زوجها الذي يعمل مسؤولًا تنفيذيًا في أحد البنوك لحجز رحلاتهم والتواصل مع أفراد العائلة أثناء سفرهم. هي تعلم أن هذه الفجوة قد تزداد اتساعًا وتدرك أنها لا تستطيع عبورها بمفردها ولكنها لديها صديقة تدعى إيفي تسعى جاهدة لمساعدتها على العودة إلى العالم الرقمي. تراقب إيفي مثلًا الرسائل التي ترد على واتساب من نادي الكتاب الذي تشتركان فيه والتي قد لا تراها سارة، كما أن سارة ترغب الآن في حضور الدورات لتتعلم تلك المهارات ولكنها لا تريد الذهاب بمفردها ولحسن الحظ فقد عرضت إيفي الحضور معها.

تتعلق النقطة الأخيرة في هذه السلسلة من المشاكل بالجريمة أيضًا، فغالبًا ما يكون كبار السن الهدف الأساسي للاحتيال والهجمات الإلكترونية وعمليات النصب. في البرازيل على سبيل المثال كان هناك ما يقرب من 26,000

محاولة للاحتيال عبر الإنترنت يوميًا في النصف الأول من عام 2018.[20] كانت عمليات الاحتيال تلك خلاقة ومتنوعة للغاية وتراوحت من روابط الهدايا الترويجية إلى الوظائف الشاغرة أو عروض المزايا،[21] وتؤدي تلك الوعود الفارغة إلى استنزاف الأموال أو تسجيل التفاصيل البنكية التي يتم استخدامها لعمليات الاحتيال المستقبلية. بصرف النظر عن كون كبار السن الهدف الرئيسي للمحتالين فهم يميلون إلى مشاركة القصص عن الأصدقاء أو الجيران أو أفراد الأسرة الذين عانوا على أيدي المحتالين، ويساهم كل هذا في إثارة مخاوف عامة بشأن التكنولوجيا الجديدة ويعزز الخطابات السلبية التي تمت مناقشتها في الفصل الثاني. ما يقلق كبار السن هو شعورهم أنهم قد يتعلمون ما يكفيهم ليكونوا قادرين على استخدام الهاتف الذكي والتواصل من خلاله ولكنهم قد لا يتمكنون من تعلمه بما يكفي لأن يدركوا أنهم يتعرضون للخداع.[22]

السبب الذي يجعلنا نسرد هذه السلسلة من القضايا هو أنها مشاكل تؤثر بشكل خاص على كبار السن، ولكن في الوقت نفسه هناك ما يقابلها من الفوائد الناتجة عن استخدام الهواتف الذكية والتي تتعلق أيضًا بشكل خاص بهذه الفئة السكانية. نرى الوجه الأكثر وضوحا لذلك في مجال الصحة، ولننظر مثلًا إلى احتمالات أن يعاني كبار السن من الوهن أو الإعاقات أو مختلف مشاكل الحركة. كريس هو مثال على ذلك من أيرلندا، وهو رجل معاق يبلغ من العمر 67 عامًا ونشأ في منشأة للإسكان الاجتماعي وأُرسل للعمل في سن الثانية عشرة وكان يعمل بشكل أساسي في مواقع البناء. في عام 2005 أصيب بإعاقة ومنذ ذلك الحين وهو لا يمكنه الخروج إلا باستخدام سكوتر لمساعدته على الحركة.

يعتبر كريس هاتفه الذكي بمثابة شريان حياة ولديه أكثر من 40 تطبيقًا نشطًا. التسوق الإلكتروني بالنسبة لكريس من الأهمية بمكان حيث أن كوان – أحد مواقع دبلن الميدانية – تفتقر لمنافذ بيع الملابس الرخيصة. يمتلك كريس تطبيقات تسمح بتوصيل الملابس من الولايات المتحدة كما أنه يستخدم تطبيقًا صينيًا يسمى ويش [Wish منصة للتجارة الإلكترونية]. شغفه الحقيقي هو راديو كارولين وهي سفينة قديمة لقرصنة الراديو والتي كان يستمع إليها أثناء العمل في مواقع البناء، ولا يزال لدى راديو كارولين ثلاث قنوات: واحدة للموسيقى المعاصرة واثنتان لموسيقى الستينيات والسبعينيات. بالإضافة إلى ذلك يستخدم كريس فيسبوك أيضًا ويستمع إلى إذاعة المجتمع المحلي في دبلن، كما يتابع الرياضة من خلال تطبيق مانشستر يونايتد بما في ذلك فريق السهام المحلي، ويقوم أيضًا «بزيارة» الأماكن باستخدام عرض الشوارع من جوجل [Google Street View]. يقضي كريس وقتًا طويلًا في المستشفى وغالبًا ما يبحث عن جميع أنواع المعلومات الصحية على محرك بحث جوجل وينظر في كل من العلاجات الطبية الحيوية والعلاجات التكميلية، كما أن هاتف كريس الذكي يجعله أيضًا على اتصال بسيارة الأجرة التي تقلّه إلى المستشفى.

كاميلا البالغة من العمر 79 عامًا قد ترملت مرتين وليس لديها أطفال وتعيش بمفردها في دار الهوى في شقة بالطابق الأرضي تتكون من غرفتي نوم، وهي تدرك تمامًا أنها عرضة للأذى ولهذا لا تسمح لأي شخص بدخول منزلها. اشترت كاميلا مؤخرًا هاتفًا ذكيًا واستغرقت وقتًا للبدء في استخدامه، ومع ذلك فهي الآن تقدر أن الجهاز يساعدها على التواصل بسهولة مع أختها التي تعيش على بعد ساعة بالسيارة. يمكن للنساء الآن الدردشة لأوقات أطول بفضل واتساب وهو التطبيق المفضل بالنسبة لكاميلا يليه يوتيوب. تستخدم كاميلا يوتيوب لمشاهدة قناة مجلة البردة لتعلم التصميمات الجديدة، وهي تعتبر الخياطة والحياكة وصنع المعجنات من هواياتها الرئيسية وتبحث دائمًا عن الأفكار والإلهامات الجديدة. لم تكن كاميلا في السابق على علم بوجود تطبيق ليوتيوب وكانت تفتح المتصفح وتبحث عن يوتيوب فيه ولم تبدأ في استخدام التطبيق المخصص إلا بعد حضور ورشة عمل الهاتف الذكي.

توجد قصص مماثلة حول إيجابيات الهواتف الذكية لكبار السن على وجه التحديد في هذا الكتاب. نوعًا ما أعطت تجربة الإغلاق الكامل التي أعقبت جائحة كوفيد-19 أكثر العالم لمحة عن أهمية التواصل عبر الإنترنت لكبار السن الذين يفتقرون إلى القدرة على الحركة. بينما افتقد الناس التواصل والعناق وجها لوجه لعدة أشهر فإن مجرد فكرة

الإغلاق الكامل بدون الاتصال عبر الإنترنت بدت وكأنها كابوس تجنبوا إياه. بالنظر إلى هذه المجموعة من التأثيرات السلبية والإيجابية يبدو من الواضح مرة أخرى أن الازدواجية هنا ليست برد الفعل الغير متسق فربما كانت هي الاستجابة العقلانية الوحيدة لتأثير الهاتف الذكي على حياتنا.

الاستنتاجات النهائية

أشرنا في مقدمة هذا الكتاب إلى الإثنوغرافيا بـ«وضع الأمور في سياقها بشكل شمولي» [holistic contextualization]، فنحن نحاول أن نفهم الهاتف الذكي كجزء لا يتجزأ من القيم الثقافية والعلاقات الاجتماعية. كان من الممكن إذًا أن نكتب فصولًا عن العلاقة بين الهواتف الذكية وأي معيار اجتماعي أعم – كالطبقة الاجتماعية أو الجنس الاجتماعي [الجندر] على سبيل المثال – ولكننا اخترنا السن كمثال لأنه كان المعيار الذي استند إليه مشروع البحث هذا. عند دمج الدلائل التي خرجنا بها من الفصل السابق عن الهاتف الذكي في سياق الأفراد والعلاقات والمجتمع مع دلائل هذا الفصل فإن الدلائل من الفصلين تكشف التعقيد الذي يأتي من اعتبارات السياق هذه. كثيرًا ما نميل إلى استخدام مصطلحات مثل «التعبير» أو «التجسيد» أو «التمثيل» لكننا نحتاج أيضًا إلى التعمق في توصيف السياق.

من الأفضل وصف ما تم تقديمه في بعض الحالات بأنه تطور مشترك [co-evolution] مثل شباب «الجيل الثاني» الإيطالي الذين يقومون بتطوير علاقتهم بهواتفهم الذكية وبهويتهم الأكبر في نفس الوقت. قد يكون التطور المشترك أيضًا بمثابة وصف لكيفية ملائمة الهواتف الذكية للتغيرات الحياتية الأخرى مثلما يحدث عندما ينتقل الناس من العمل بدوام كامل إلى التقاعد والذي غالبًا ما يكون تحولًا جوهريًا. قد تصبح حينها الهواتف الذكية مركزًا لتنظيم هذه الحياة الجديدة، ولقد قدمنا وصفًا تفصيليًا لاستخدام تلك الأجهزة عند التقاعد في العديد من المونوغرافات التي أشرنا إليها بشكل موجز في هذا الكتاب وكثيرًا ما تستخدم تلك المونوغرافات مصطلح «الصياغة» الذي كان يعنون الفصل السابق.

يظهر للهاتف الذكي دور مختلف تمامًا عندما لا يتم التعامل معه باعتباره تقنية وإنما باعتباره اصطلاح. إنطلاقًا من هذا المنظور يصبح الهاتف الذكي جهازًا يمثل علاقة خاصة بالعمر نفسه، وأصبح هذا واضحًا حين نظرنا في السبب وراء اختيار كبار السن لإتقان الهواتف الذكية رغم صعوبة هذا العمل مما يحول معنى الهاتف الذكي إلى نقيضه بصرف النظر عن قدراته التكنولوجية. قبل انضمام كبار السن إلى دوراتنا كان الهاتف الذكي يمثل فجوة رقمية تنبذهم وتفصلهم عن الشباب – أي «المواطنون الرقميون الأصليون» – ولكن ما إن يصبح كبار السن بارعين في استخدام تلك الأجهزة تتحول الهواتف الذكية إلى اصطلاح يعبر عن شبابهم. قد يشعر هؤلاء المستخدمون الجدد بأنهم أكثر شبابًا لأنه أصبح هناك شيء يربطهم هم أيضًا بتكنولوجيا الشباب، وقد يستخدمون سبوتيفاي للبحث عن موسيقى الروك المفضلة لهم ولكن الأهم من ذلك هو أن الهاتف الذكي أصبح يمنحهم اتصالًا مباشرًا بالعالم المعاصر.

يصبح التوصيف الثالث للسياق واضحًا عندما يتم النظر في الهواتف الذكية ضمن إطار العلاقات بين الأجيال، وهذه قد تتضمن مجالا أوسع للسلطة. لقد حدث تحول تاريخي كبير منذ ذلك الوقت الذي كانت معظم المجتمعات تفترض فيه أن الحكمة والأقدمية مرتبطان ارتباطًا وثيقًا قائماً على تراكم الخبرة والمعرفة على مر العقود. اليوم يرسخ الهاتف الذكي تحولًا نحو المعرفة التي قد تتطلب أن يتعلم كبار السن على أيدي الشباب، وهي اعتمادية قد يبغضها الكبار ولكن ليس بالضرورة. مما يشير لهذا الارتباط بالسلطة هو الدلائل على رفض الشباب ونفاد صبرهم وعدم استعدادهم أغلب الوقت لتقديم المساعدة في تعليم استخدام الهواتف الذكية لكبار السن، حيث يبدو الأمر كما لو أنهم غير مستعدين للتنازل عن نقطة تميزهم في هذه العلاقة. ترتبط السلطة أيضًا بما تم وصفه في هذا الفصل

على أنه سلسلة من العقبات التي ينطوي عليها إتقان الهاتف الذكي، فحتى عندما تتمكن تلك الفئات السكانية من النفاذية إلى الهواتف الذكية وإلى المعرفة اللازمة لاستخدام هذه التقنية فقد يواجهون بعد ذلك عقبات وحواجز تفرضها السياقات التي تُستخدم فيها الهواتف الذكية مثل معرفة أماكن البحث عن المعلومات أو كيفية التوظيف الإستراتيجي للهواتف الذكية، ومن ثم تخلق هذه العقبات انقسامات رقمية جديدة.

الطريقة الرابعة لرؤية الهواتف الذكية في السياق – والتي هي أيضًا طريقة مختلفة جدًا – يمكن فهمها كشكل من أشكال المعاناة. نشأ تقديرنا لما يكابده بعض الناس من المعاناة بشكل أوضح عن طريق الوقت الذي قضيناه في تعليم كبار السن كيفية استخدام الهواتف الذكية، ولقد كشف هذا العمل عن خواص الهاتف الذكي العديدة التي تستعصي على بعض كبار السن. قد يعاني الشخص المصاب بالتهاب المفاصل من صعوبة تحديد موضع الأيقونة المراد الضغط عليها بدقة أو يكون غير قادر على الانتقال ما بين الضغطة الطويلة والضغطة القصيرة بسهولة. المسألة ليست مسألة قدرة بل مسألة وهن وفقدان للمهارة، ومن الممكن أن تكون أيضًا مشكلة تدهور في الذاكرة أو مشكلة اضطرار لتعلم مهارات حول أجهزة غير مسبوقة أو مألوفة وهي أجهزة غالبًا ما تفشل في العمل دون أن تتعرض للكسر. بالنسبة للعديد من كبار السن تبدو هذه العوامل مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقضايا الوصم وانعدام الثقة، وحيث أن أبحاثنا أثبتت بالدلائل أن هذا لا ينطبق بنفس الدرجة على الموقع الميداني في الصين مقارنة بالمواقع الأخرى لذلك لا يمكننا أن نرى هذا الفصل التكنولوجي لكبار السن على أنه «طبيعي» نوعًا.

أخيرًا ناقش هذا الفصل بعض السياقات الأعرض المتعلقة بالعلاقة بين الهواتف الذكية والعمر. نجد مثال على ذلك في رؤية كبار السن في بنتو للهاتف الذكي على أنه شيء خطير لأنه يجذب اللصوص، وهناك أيضًا تدخلات القوى التجارية التي تصنع تطبيقات أو هواتف مصممة خصيصًا لكبار السن، كما أن هناك استفحال للفجوة الرقمية التي تنشأ عندما يتم استبعاد كبار السن – وهم الأقل مهارة في استخدام الهواتف الذكية – بشكل تمايزي من الخدمات الإلكترونية للدولة.

باختصار ركز هذا الفصل على معيار رئيسي واحد – ألا وهو العمر – بغرض استقراء الطريقة التي نضع بها الهواتف الذكية في سياقها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي. من المرجح أن تنطبق هذه الاستنتاجات بغض النظر عن المعيار الاجتماعي الذي تم اختياره، وقد تكون واضحة أيضًا من دراسات أكاديمية عديدة سابقة – والتي ندين لها – مثل العمل الممتاز حول الحياة الرقمية للشباب الذي ناقشناه في الفصل الثاني.[23]

يسلط كل منظور من المناظير الخمسة الموضحة هنا الضوء على وجه مختلف من أوجه ذلك العمل الخاص بوضع الأمور في سياقها. لزيادة الأمور تعقيدًا هناك عامل آخر ينطبق عليها جميعًا ألا وهو سرعة التغيير، حيث تتطور طريقة تفاعلنا مع الهواتف الذكية في تعقيدها وعمقها عام عن الآخر، فسواء كان ذلك التطور هو التطور المشترك لهوية الشباب – وهو المثال الذي بدأنا به الفصل – أو كان تطور اللوائح الجديدة التي تضعها الدولة للبنى التحتية الرقمية – وهو المثال الذى قدمناه بالقرب من نهاية الفصل – فإن العمليات التي تحكم علاقة الهواتف الذكية بالعلاقات الاجتماعية والقيم الثقافية هي عمليات ديناميكية بشكل غير عادي.

ملاحظات

1 تشمل الأمثلة صفحة «يلا إيطاليا» [Yalla Italia] على تويتر والتي يمكن الوصول إليها على الرابط التالي: https://twitter.com/yallaitalia أو مجموعة «الشباب الإيطالي المسلم» [Young Italian Muslims] على فيسبوك للمنظمة غير الحكومية التي تحمل نفس الاسم والتي تجدها على الرابط التالي: https://www.facebook.com/GiovaniMusulmanidItaliaGMI/.

2 انظر Clough Marinaro and Walston 2010.

3 انظر تقرير الاتحاد الأوروبي عن الإيطاليين الجدد بقلم .Antonsich et al على الرابط التالي: http://newitalians.eu/en/.

4 هزاراكي Hazāragi هي اللغة التي يتحدث بها شعب الهزارة داخل أفغانستان وجاليات الهزارة في أنحاء العالم، وهي لهجة من لهجات اللغة الفارسية قريبة من الداري Dari التي هي إحدى اللغات الرئيسية في أفغانستان. الحدود اللغوية بين الهزراكي والداري ليست واضحة المعالم. انظر *Encyclopaedia Iranica Online 2020*.

5 لا يُمنح أطفال المهاجرين الجنسية الإيطالية قبل سن الـ 18 عامًا، ولا يزال العديد من الشباب في إيطاليا اليوم يشعرون بالنبذ بسبب هذه القوانين وينتقدونها في المنتديات الإلكترونية ومن خلال قنوات أخرى مثل المنظمات غير الحكومية والجماعات المجتمعية. انظر Andall 2002.

6 انظر أيضًا Giordano 2014.

7 انظر الاستبيان «RG033 - Resultados - POnline 2017» من Accessa 2018. هذه مبادرة للاحتواء الرقمي في ساو باولو والتي توفر اتصالًا مجانيًا بالإنترنت والعديد من الدورات التدريبية المجانية لمساعدة المستخدمين على تحسين مهاراتهم الرقمية. وجد البحث أن أكثر من 70 في المائة من المجيبين عن الاستبيان تعلموا استخدام الإنترنت بأنفسهم أو عن طريق حضور الدورات، و 4 في المائة فقط هم من كان بإمكانهم الاعتماد على مساعدة أقاربهم.

8 Dijk and Deursen 2014, 6– 7.

9 Donner 2015.

10 وراء هذا يكمن تنوع تجربة التقدم في العمر، ولهذا انظر Thumala 2017 و Villalobos 2017.

11 Anderson and Perrin 2017, 3 .

12 See Leung et al. 2012 .

13 Kurniawan 2006.

14 Duque and Lima 2019 .

15 Miller et al. 2016, 170, 207 .

16 Zhao 2018.

17 Henrique 2019.

18 تم الدفاع عن مشروع القانون هذا والمسمى «Transformación Digital en el Estado» على أساس توفير الورق والوقت، حيث ذهب الرئيس بأن هذا القانون يهدف إلى «تحديث عمل الدولة، فنحن في عام 2018 وما زلنا نتعامل في معظم إجراءاتنا البيروقراطية بالورق». انظر *Mensaje Presidencial de S.E. el Presidente de la República, Sebastián Piñera Echenique, en su Cuenta Pública ante el Congreso Nacional*
والمتاح على الرابط التالي:
https://prensa.presidencia.cl/lfi-content/uploads/2018/06/jun012018arm-cuenta-publica-presidencial_3.pdf.

19 انظر وزارة المساواة الاجتماعية الإسرائيلية 2020.

20 Travezuk 2018.

21 O Globo 2018.

22 للمنظور الخاص بالمحتالين، انظر Burrell 2012.

23 للاطلاع على مراجع حول عمل Sonia Livingstone وآخرين ممن قاموا بهذه السلسلة الاستثنائية من الدراسات، انظر الملاحظات للفصل الثاني.

الفصل الثامن

قلب الهاتف الذكي: لاين وويتشات وواتساب

المواقع الميدانية: **بنتو** - ساو باولو، البرازيل. **دار الهوى** - القدس الشرقية. **دابلن** - أيرلندا. **لوسوزي** - كامبالا، أوغندا. **كيوتو وكوتشي** - اليابان. **نولو** - ميلانو، إيطاليا. **سانتياغو** - تشيلي. **شنغهاي** - الصين. **ياوندي** - الكاميرون.

لماذا نخصص الفصل قبل الأخير للاين و ويتشات و واتساب؟ وماذا يعني وصفنا لهذه التطبيقات بأنها «قلب الهاتف الذكي»؟ نبرر هذا الاختيار بالدليل الذي وجدناه يقول أنه بالنسبة للعديد من المستخدمين في معظم المناطق هناك تطبيق واحد يمثل أهم شيء قد يفعله الهاتف الذكي لهم. قد تهيمن هذه التطبيقات على استخدامهم اليومي للهاتف الذكي لدرجة أنها تصبح تقريبًا مرادفة للهاتف نفسه. كما ذكرنا في الفصل السابع يعتبر الهاتف الذكي بالنسبة لبعض البرازيليين مجرد جهاز لاستخدام تطبيق واتساب، بينما يشير المستخدمون في اليابان إلى هواتفهم الذكية بـ «لاين الخاص بي [my Line]» .

السبب الثاني لتسمية هذه التطبيقات بـ «قلب الهاتف الذكي» هو أنها قد أصبحت في أغلب الوقت أدوات للتعبير عن تفاني الناس لمن يهتمون بأمرهم. بالنسبة للكثيرين منا فإن أكثر ما يهم في الحياة هو علاقاتنا الجوهرية أي علاقاتنا بأبنائنا وآبائنا وشركاء حياتنا وأصدقائنا الحميميين، وهذه التطبيقات هي المنصات التي يجتمع عليها الأشقاء لرعاية آبائهم المسنين ويرسل عليها الآباء الفخورون بأطفالهم صورًا لا نهائية لهم ويتواصل عليها المهاجرون مع عائلاتهم، وهي الوسيلة التي يمكنك من خلالها أن تظل جدًا أو جدةً حتى لو كنت تعيش في بلد آخر. تصاحب كل هذه الاستخدامات مشاكل تتعلق بالمراقبة والاعتمادية والتوتر ويهتم القسم الأول من هذا الفصل بهذا البعد العاطفي. تشير كلمة «عاطفي» هنا إلى الحالة المزاجية والمشاعر والعواطف والسلوك، وكل منها يعبر عن جانب من جوانب الطريقة التي أتاحت بها هذه المنصات القدرة على المودة والاهتمام.[1]

يقدم القسم الثاني من هذا الفصل سببًا آخر يجعله الفصل قبل الأخير من هذا الكتاب، فهو الفصل الذي يقدم ربما الحجة الأقوى للمنظور الإثنوغرافي. تنزع التطبيقات الثلاثة التي نناقشها هنا للهيمنة على الاتصالات الأكثر حميمية وخصوصية والتي غالبًا ما تكون داخل العائلة مما يجعل تلك التطبيقات ليس فقط التطبيقات الأكثر أهمية ولكن أيضًا الأكثر صعوبة للوصول إليها والبحث فيها في نفس الوقت. لتعليم الناس استخدامات وتبعات مثل هذه الأساليب الهامة للاتصال نحتاج إلى المشاركة المباشرة والملاحظة مما يتطلب شهورًا من بناء الثقة وضمانات السرية والصداقة، ولهذا من الصعب أن توفر مناهج البحث الأخرى المعلومات المطلوبة.

سوف نستكشف في القسم الثاني من هذا الفصل كيف أن تلك التطبيقات تعلن أيضًا نهاية فئة منفصلة اعتدنا على تسميتها «وسائل التواصل الاجتماعي». كان أحد التطورات المفاهيمية التي تبلورت من خلال مشروع (لماذا ننشر)

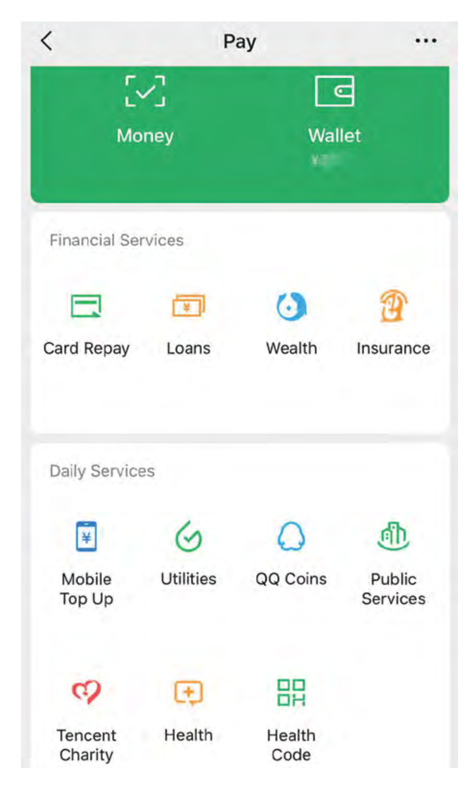
هو منظور يسمى «التواصل الاجتماعي القابل للتوسع» [scalable sociality]. قبل وسائل التواصل الاجتماعي كان للناس عمومًا طريقتان رئيسيتان للتواصل: طريقة خاصة – عبر الهاتف على سبيل المثال – وطريقة علنية – كالبث لعامة الناس مثلًا. قامت وسائل التواصل الاجتماعي الأولى على تقليص حجم البث فأصبح بإمكان الأشخاص النشر على فيسبوك أو التغريد على تويتر لبضع مئات من الأشخاص أو حتى لـ 20 شخصًا آخر، بينما انبثقت وسائل التواصل الاجتماعي اللاحقة – بما في ذلك قنوات الاتصال التي نناقشها في هذا الفصل – من خدمات المراسلة الخاصة لتصل أولًا إلى جمهور من بضع أفراد فقط ثم إلى كثيرين آخرين. كانت النتيجة الإجمالية هي التواصل الاجتماعي القابل للتوسع أي مجموعة منصات يمكنها أن تتسع من المجموعات الصغيرة إلى المجموعات الكبيرة ومن الخاص جدًا إلى العلني تمامًا. بحلول عام 2021 كانت هناك تطورات أخرى حيث امتزجت التطبيقات الثلاثة التي نناقشها هنا مناصفةً مع عناصر الهاتف الذكي الأخرى من رسائل نصية ورسائل ومكالمات صوتية ومحادثات كاميرا الويب، والنتيجة هي أنه لم يتبق اليوم سوى القليل من أي مساحة منفصلة يمكن أن تسمى وسائل التواصل الاجتماعي ومستقلة عن إمكانات الاتصال العامة للهاتف الذكي.

تمثل التطور الكبير الآخر في الطريقة التي تضم بها المنصات مثل ويتشات الآن مجموعة واسعة من الخدمات التي كانت في يوم من الأيام تطبيقات مستقلة. يمكن أن تبدو التطبيقات مثل ويتشات ولاين أشبه بأنواع من الهواتف الذكية في حد ذاتها حيث حل ويتشات ببرامجه المصغرة محل تطبيقات كاملة – كما ذكرنا في الفصل الثالث – وحيث أصبح لاين نوعًا من التطبيقات الفائقة [super app].[2] تشكل هذه التغيرات أساس القسم الثالث والأخير من هذا الفصل والذي يقر بالطبيعة متعددة الوظائف لهذه التطبيقات المهيمنة وعواقبها، كما أن هذا القسم يشمل أيضًا النظر في القوى التجارية التي أدت إلى هذه التطورات.

لمحة تاريخية موجزة

تم إطلاق لاين في البداية في اليابان في عام 2011 بواسطة شركة [NHN] الكورية الجنوبية، وقد صُمم ليكون خدمة مراسلات لموظفي الشركة للتواصل من خلالها بعد زلزال وتسونامي توهوكو الذي أثر بشدة على شبكات الاتصالات في اليابان. كانت خطوط الهاتف معطلة أثناء الكارثة في حين ظلت قنوات اتصال البيانات مفتوحة فأصبحت بالتالي الطريقة الأكثر فاعلية للبقاء على تواصل مع الآخرين.[3] تم إصدار لاين للجمهور في يونيو 2011، وبحلول عام 2013 أصبح التطبيق الشبكة الاجتماعية الأكثر شعبية في اليابان،[4] وبحلول عام 2018 اكتسب 78 مليون مستخدم ياباني[5] بالإضافة إلى 165 مليون مستخدم نشط شهريًا في جميع أنحاء العالم[6] وتم إنشاء أسواق رئيسية له في تايلاند وتايوان وإندونيسيا. معدل انتشار لاين في اليابان أعلى من نظيره للهواتف الذكية بسبب إمكانية استخدامه على الأجهزة اللوحية، فمثلًا لم تكن هواتف أي من المشاركين في بحث لورا تخلو من لاين وكان العديد منهم يستخدمون التطبيق لمجموعة واسعة من الخدمات بداية من تسديد المستحقات ومتابعة الأخبار إلى قراءة المانجا.

ويتشات هو التطبيق الأكثر شيوعًا والأكثر استخدامًا في الصين المعاصرة وفي العمل الميداني الذي قامت به شينيوان، وهو تطبيق تواصل اجتماعي متعدد الأغراض للهواتف الذكية تم إطلاقه في عام 2011 بواسطة شركة تنسنت التي تمتلك أيضًا تطبيق التواصل الاجتماعي كيو كيو [QQ] الذي طغى على بحث شينيوان السابق حول عمال المصانع المهاجرين وظل رابع أكثر التطبيقات شيوعًا على هواتف المشاركين في البحث.[7] يوفر ويتشات رسائل نصية وصوتية، ومكالمات صوتية ومرئية، ومشاركة الموقع، ومشاركة الوسائط المتعددة، وخدمات الدفع [الشكل 8.1]، بالإضافة إلى مجموعة واسعة من الوظائف بدءا من طلب سيارات الأجرة وحتى التسوق الإلكتروني وغيرها الكثير. ينمو ويتشات



8.1 وظيفة الدفع في ويتشات. لقطة الشاشة لشينيوان وانج.

نموًا مثيرًا للإعجاب فقد أصبح تطبيق المراسلة الأكثر شعبية في منطقة آسيا والمحيط الهادئ بحلول عام 2014[8] كما أن العدد الإجمالي لمستخدميه النشطين قد تجاوز مليار مستخدم شهريًا في أبريل 2018.

يحتوي التطبيق أيضًا على خاصية تسمى «الحسابات العامة» التي هي جزء من عرض «الحسابات الرسمية» الذي يوفره ويتشات والذي هو بدوره المكان الذي يمكن منه للمؤسسات والشركات والكيانات الأخرى إنشاء صفحات تبث الأخبار وترسل الأشخاص إلى مواقع التجارة الإلكترونية وأشياء أخرى.[9] يمكن للمستخدمين الاشتراك في نشرات المعلومات لأكثر من 10 ملايين حساب والتي تتراوح من المنافذ الإعلامية إلى المدونات الشخصية، وهذه المعلومات الموجودة على ويتشات قابلة للتخزين والبحث. في عام 2015 قرأ مستخدم من مستخدمي ويتشات مقالات بمعدل 5.86 مقالة يوميًا مما يعني أن ويتشات أصبح أيضًا «تطبيق قراءة». تمت مناقشة توسع ويتشات من خلال البرامج المصغرة في الفصل الثالث.

تأسس واتساب في عام 2009 على يدي اثنين من موظفي ياهوو [Yahoo] السابقين. بحلول عام 2011 كان يتم إرسال مليار رسالة يوميًا بالفعل على التطبيق،[10] وبحلول عام 2013 اكتسب التطبيق 250 مليون مستخدم،[11] وتم بيعه لفيسبوك في عام 2014 مقابل 19 مليار دولار،[12] وبحلول عام 2016 توقف واتساب عن تقاضي رسوم سنوية،[13] وفي أواخر عام 2017 كان للتطبيق 1.5 مليار مستخدم نشط شهريًا.[14] منذ عام 2016 ادعى واتساب أنه مشفر تشفيرًا كاملًا بين الطرفيات، وهو لا يحتوي على أية إعلانات – على الأقل حتى الآن – كما أنه تطور من الرسائل

النصية إلى المكالمات الصوتية والمرئية. تتمثل إحدى وظائف التطبيق الهامة في إمكانية إظهار ما إذا تم استلام الرسائل أم لا وهو ما أدى إلى تغيير آداب المراسلة، وفي حين أن هذه الخاصية تقع ضمن إمكانات التطبيق التقنية إلا أن جزءًا كبيرًا من التطوير في كيفية استخدامها يأتي من إبداع المستخدمين أنفسهم. كان هذا واضحًا جدًا في منشور ماريليا حول استخدامات واتساب للأغراض الصحية في البرازيل.[15] لم يذكر المشاركون مطلقًا أن واتساب مملوك لفيسبوك، وقد يكون هذا للحفاظ على ما يبدو أنه منظورًا إيجابيًا لواتساب إلى حد كبير من التداعيات السلبية المتزايدة التي حامت حول فيسبوك وشركته.

التعبيرات البصرية عن المشاعر وعن الاهتمام

لقد غيرت وسائل التواصل الاجتماعي أساس المحادثات البشرية، فعلى الرغم من أن التواصل البصري كان موجودًا دائمًا إلا أن ما اصطلحنا على اعتباره كمحادثة كان يميل إلى أن يكون شفهيًا ومؤخرًا أصبح يكتمل بالرسائل النصية التي تأخذ طابع الحديث. أضافت وسائل التواصل الاجتماعي عنصرًا مرئيًا يتلخص في اسم تطبيق شائع لدى الشباب هو «سناب شات» [Snapchat] الذي حرفيًا يقوم على التحدث من خلال الصور التي قد تكون مجرد صور للوجه تستخدم للتعبير عن شعور المستخدم. ظلت اليابان لفترة في صدارة المشهد العالمي للاتصالات الرقمية المرئية كما رأينا في تطويرهم للرموز التعبيرية[16] [emoji] في أواخر التسعينيات ومؤخرًا في ظهور «الملصقات» [الرموز التعبيرية كبيرة الحجم stickers] والتي يمكن تنزيلها على لاين في مجموعات حسب موضوعها. اعتبارًا من أبريل 2019 أصبح ما يقرب من 4.7 مليون مجموعة ملصقات متوفرة على متجر ملصقات لاين [LINE Sticker Store]،[17] ووفقًا للأرقام الصادرة عن الشركة لعام 2015 فإن المستخدمين يرسلون ما يصل إلى 2.4 مليار ملصق ورمز تعبيري كل يوم. تعبر الملصقات عن مجموعة كبيرة من المعاني حيث تعبر 48 في المائة منها عن السرور أما البقية فتعكس مشاعر تتراوح من الحزن [10 في المائة] إلى الغضب [6 في المائة] والمفاجأة [5 في المائة].[18]

أكد كل من المشاركين سواء الحضريين أو الريفيين في اليابان على دور الملصقات في إظهار الاهتمام اليومي عبر لاين [الشكل 8.2] وقدموا عدة أسباب لاستخدامهم الكثيف لتلك الملصقات. أوضح المشاركون كيف أن الملصقات هي شكل أكثر استرخاءً للتواصل، فهي لا تتطلب منك أن تفحصها بدقة بحثًا عن أخطاء محرجة أو غلطات إملائية قد تؤدي إلى سوء الفهم أو التواصل والذي كان مهمًا بشكل خاص لمستخدمي التطبيقات الأكبر سنًا الذين كانوا أقل دراية بلوحات المفاتيح التي تعمل باللمس. الشيء الذي تبرز فيه الملصقات حقًا هو قدرتها على التعبير عن المشاعر التي يصعب التعبير عنها بالكلمات من خلال شخصيات تظهر مشاعر قوية، وهذه المشاعر تتراوح من الحزن العميق إلى العدوانية السلبية إلى دفقات السعادة المنتشية.

قال العديد من المشاركين أن الملصقات أتاحت لهم الحفاظ على التقارب اليومي بينهم وبين العائلة والأصدقاء الذين يعيشون بعيدًا عنهم حيث تُمكِّنهم الملصقات من جعل رسائلهم النصية «أكثر دفئًا» وأكثر تعبيرًا عن شخصياتهم ومشاعرهم مما لو اعتمدوا على النص الرقمي وحده،[19] وأصبحت «تدفئة» التواصل هذه جزءًا مهمًا من «الرعاية عن بعد كما يحدث من خلال الحفاظ على اتصال منتظم مع الآباء المسنين الذين يعيشون في مناطق أخرى من اليابان. هذا التدفق اليومي للملصقات والصور يعطي الأشخاص المساحة لإرسال «أجزاء صغيرة من لا شيء» مما يجعل الرعاية أكثر سرعة وأخف وطأة في الوقت نفسه. تخبر إحدى المشاركات التي تبلغ الثمانينيات من عمرها ابنتها بأنشطتها اليومية عبر مجموعة ملصقات قامت بتنزيلها، وتصور تلك الملصقات شخصية جدة خفيفة الظل شعرت المشاركة بأنها تعبر عنها [الشكل 8.3]. ترسل المشاركة لابنتها ملصقًا تخبرها باستيقاظها وكذا تفعل في تواصلها معها طوال اليوم بالإضافة إلى تبادل الرسائل النصية القصيرة والمكالمات الهاتفية بين الحين والآخر، وأوضحت



8.2 مثال لملصقات لاين التي تستخدم للتمني بـ «ليلة سعيدة». لقطة الشاشة للورا هابيو-كيرك.

ابنتها أن الملصقات مكنتهما من الحفاظ على تدفق اتصالاتهما طوال اليوم وشكلت جزءًا من كيفية تعبيرها عن الاهتمام بأمها عن بعد.

استفادت النساء في منتصف العمر أيضًا من اتصالهن الوثيق بصديقاتهن أثناء قيامهن بمسؤولياتهن في الرعاية ويرحبن جدًا بدعم الأقران هذا ويعبرن عنه في شكل ملصقات تعكس شعورهن بسرعة وكفاءة في اللحظة التي يحتجن فيها إلى الدعم. أشارت السيدة ساتو – وهي امرأة في أوائل الستينيات من عمرها من كيوتو – قائلة:

> عندما أمر بيوم صعب بشكل خاص مع والدتي يمكن للهواتف الذكية أن تمنحني نافذة سريعة للتواصل مع صديقاتي والشعور بتعاطفهن. هذه القدرة على التواصل مع شخص ما في نفس اللحظة التي تحتاج إليه فيها هو أمر رائع بشأن الهواتف الذكية، وتلقي الملصقات التي تقول لي أن «كل شيء على ما يرام! »هو شيء عظيم.

كان المشاركون في نولو الذين هم في الأصل من صقلية مغرمين باستخدام واتساب لإرسال الرسائل الصوتية التي غالبًا ما تكون للتواصل العائلي وتكون محملة بالمشاعر والتحيات العاطفية في أكثر الأحيان، فعلى سبيل المثال رحبت أم صقلية بأطفالها وبدأت رسالتها بعبارة «بهجة حياتي، كيف حالكم...»، متبوعة بمعلومات تفصيلية عن أحداث اليوم ومجريات حياتهم وتذكيرات بأعياد الميلاد و سرد لما حدث في حضانة أحد الأحفاد في ذلك اليوم. يعكس هذا الأسلوب طريقة الشخص في التواصل خارج الإنترنت والتي غالبًا ما كانت تتضمن وسائط متعددة وكانت ملموسة وصوتية بغية إنشاء أشكال تعبير غنية ونابضة بالحياة.



8.3 لقطة شاشة من متجر الملصقات الخاص بتطبيق لاين [أوشيروماي]. لقطة الشاشة للورا هابيو-كيرك.

جاء وسط كل هذا البعد البصري الجديد كما نرى في ميمات نولو [الشكلان 8.4 و 8.5]، حيث تستمتع إلينا مثلًا بشكل كبير بالتواصل الاجتماعي من خلال الميمات المتداولة على واتساب والتي تجعلها تشعر بأنها اجتماعية وتواصلية جدًا، وتوضح إلينا قائلة: «أرسل ما يصل إلى سبع أو ثماني ميمات يوميًا معظمها إلى الأصدقاء ولكن أيضًا لأفراد معينين من العائلة وهم إحدى أخواتي وابن عمي الذي يعيش في الخارج». تعبر هذه الميمات عن مزيج من الفكاهة والسخرية والهجاء والحب والصداقة وأحيانًا المحتوى الروحاني. لا تتوقع إيلينا ردًا بالضرورة فمجرد القدرة على التعبير عن نفسها بهذه الطريقة يجعلها سعيدة، وسواء كانت جالسة على مكتبها أو في المترو أو كانت مستلقية على أريكتها مع قطتها في المساء تمد إيلينا جسور هذا التواصل الخفيف والهادف.

لا يأتي الجانبان البصري والصوتي على حساب النصي أو الشفهي. أصبحت جميع المكالمات الهاتفية الآن «مجانية» بفضل واتساب مما يعني أن مجالها يمكن أن يتسع أيضًا. لا يشعر الناس بالانزعاج من الاتصال على واتساب أو من استخدام كاميرا الويب في الواقع خاصة عندما يتعلق الأمر بالأصدقاء والأقارب الذين يعيشون في الخارج، ويمثل هذا تغيرًا كبيرًا في العديد من المواقع الميدانية وهو قد ساهم بشكل كبير في الاهتمام عن بعد.

في هذا الكتاب الذي أسميناه (الهاتف الذكي العالمي) لم نستحضر العالم إلا نادرًا، ولكن في هذا المثال من الصين هناك إحساسًا بالعالم وهناك أيضًا ما يتجاوزه. في الساعة 11 صباحًا بتوقيت المملكة المتحدة يوم 13 سبتمبر 2019 – والوقت في الصين هو المساء الباكر بالفعل – ترسل السيدة جينوي في شنغهاي إلى شينيوان في لندن ملصقًا متحركًا على ويتشات يصور بدرًا ساطعًا محاطًا بثلاثة أرانب سعيدة تقول «عيد منتصف خريف سعيد!» [الشكل 8.6].



8.4 ميم للتحية في نولو. تقول الكلمات «مرحبا/صباح الخير/الكثير من الأحضان». لقطة الشاشة لشيرين والتون.



8.5 ميم تم إرساله في نولو. تقول الكلمات «قل الحقيقة، فأنت كنت تنتظر أن أقول لك صباح الخير!!!» . لقطة الشاشة لشيرين والتون.



8.6 ملصق متحرك يقول «يوم منتصف خريف سعيد» على ويتشات، وقد أُرسل إلى شينيوان وانج في 2019.

هذه مجرد واحدة من مئات الملصقات والرموز التعبيرية ومقاطع الفيديو القصيرة وألبومات الرسوم المتحركة التي تصور البدر أو تصور كعكًا على شكل القمر والتي يتم تداولها بين الأصدقاء وأفراد العائلة على ويتشات في يوم مهرجان منتصف الخريف الصيني [الشكل 8.7].

يقال أن مهرجان منتصف الخريف هو ثاني أهم مهرجان وطني بعد العام الصيني الجديد. في التراث الصيني كان أفراد الأسرة يجتمعون لتقديم الأضاحي للقمر [كعك القمر على سبيل المثال] وللتعبير عن المودة تجاه بعضهم وعن افتقادهم لأفراد الأسرة والأصدقاء الذين يعيشون بعيدًا، ولكن «بعيدًا» هذه هي بالضبط ما يتغير الآن حيث يشير السيد ليجوو قائلًا: «يلتقي الأصدقاء على ويتشات حتى وهم يعيشون في نفس المدينة. إذا كنت تعيش قريبًا أو بعيدًا فلن يكون الأمر مهمًا كثيرًا بمجرد دخولك إلى ويتشات. لذلك، نراكم على ويتشات»، ونناقش هذا الأمر في الفصل الأخير الذي نفحص فيه مفهوم الاهتمام التي يتجاوز المسافات. في 2019 كان الناس في الصين – أينما كانوا يعيشون – يتأملون الكلمات الحزينة التي كتبها الشاعر العظيم سو شي منذ 900 عام، وهم يشتركون في الاعتراف بأن ويتشات كان يجمعهم معًا كشعب الصين في العالم لتأملها. تقول الكلمات:

إلى متى سوف يظل البدر بازغًا؟
أمسك بكأس النبيذ في يدي وأسأل السماء...
لماذا إذًا يكون القمر بدرًا ساطعًا عندما يفترق الناس؟
يشعر الناس بالأسى والفرح؛ يفترقون ويجتمعون ثانية.
يسطع القمر ويخفت؛ يكبر ويصغر.
على مر التاريخ لم يكتمل أي شيء أبدًا.

تعد الميمات جزءًا أساسيًا من تداولات الواتساب في دار الهوى أيضًا، وفي هذا المجتمع المتدين غالبًا ما يحدث التعبير عن الاهتمام من خلال الأدعية وأكثر الصور رواجًا هي مزيج من أدعية الصباح وآيات القرآن. يبدأ تداول هذه الصور



8.7 شينيوان وانج مع بعض الأصدقاء والمشاركين في البحث كما يظهرون في صورة تم تداولها على ويتشات. لقطة الشاشة لشينيوان وانج.

في الصباح الباكر في حوالي الساعة 4 صباحًا عندما يشرع المؤذن في دعوة الناس لصلاة الفجر، ثم تمتلئ مجموعة واتساب تدريجيًا بالرسائل بما في ذلك صور الزهور والشاي أو القهوة الممتزجة بجميع أنواع النصوص الإيجابية حول جمال وبهاء الصباح ومصحوبة دائمًا بعبارة «صباح الخير» [الأشكال 8.8أ إلى 8.8ه]. هذه صور مشتركة بشكل عام وليست صور يتم إنشاؤها بواسطة المجموعة.

من المعتاد في دار الهوى تحية الناس بعضهم البعض بما يتناسب مع الوقت المحدد من اليوم وأن يرد الناس التحية بمثلها، ولذلك تطلق تلك المنشورات سيل من الرسائل على مجموعتي واتساب اللتان تتابعهما ليلى ومايا. قد يكون الرد على هيئة صورة مشابهة لتلك التي تم إرسالها ولكنه يمكنه أيضًا أن يكون نصًا يكتبه المتلقي رغم أن بعض كبار السن يجدون صعوبة في كتابة النصوص على الهواتف الذكية، وكان من المتوقع أن تحل الرسائل الصوتية هذه المشكلة لكنها في الواقع تسببت في مشاكل أخرى لأن بعض هؤلاء الأشخاص يعانون من ضعف السمع أيضًا. تتمثل إحدى مزايا واتساب في مجموعة الوسائط التي يمكن استخدامها عليه فضلًا عن كونها مجانية. تقول لما البالغة من العمر 77 عامًا: «تساعدنا الهواتف الذكية حقًا فهي تجمعنا كلنا سويًا. أتواصل مع أخي في عمان كما أتواصل مع أختي وبناتها في رام الله».

يتماشى إرسال الميمات الدينية عبر واتساب مع التدين الشديد لهذا المجتمع، فهم عادةً ما يحافظون على الصلوات الخمس ويحاولون التصرف على مدار اليوم بطرق تهدف إلى إرضاء الله واتباع أوامره بشكل عام ويؤمنون بأن أفعالهم تُكتب في «كتاب» خاص بكل شخص حتى يتمكن الله بعد الموت من أن يقرر ما إذا كان هذا الشخص سيدخل الجنة أم النار. أشارت إيمان – وهي مشاركة تبلغ من العمر 42 عامًا – بما يلي:



8.8أ-8.8هـ ميمات الصباح التي يتم تداولها على مجموعة واتساب الخاصة بنادي العمر الذهبي بدار الهوى.

> عندما يكبر الناس في السن يبدأ العد التنازلي لمواجهة الله ولهذا يهتمون بفعل الأشياء التي ترضي الله مثل العبادة و معاملة الناس معاملة حسنة، ولأن الناس لا يعرفون متى ستنتهي حياتهم لذلك يجب أن يكونوا مستعدين لأي شيء. نحن نسمع عن موت الفجأة، ولربما إذا خاف الإنسان الله سوف يتمكن من حفظ نفسه وتجنب أشياءً كثيرة مثل العقاب في الحياة الدنيا والذي سوف يؤثر عليه أو على أطفاله أو عائلته. هناك أشياء كثيرة ولكنها كلها تعتمد على الطريقة التي يفكر بها الناس: هل هم متدينين أم متعلمين، وكيف يفكرون في الدنيا وفي الآخرة، وماذا يعرفون عن العقاب والخشية والجنة وما إلى ذلك. كل هذه الأشياء مرتبطة بكيفية تفكير الناس.

تماشيًا مع هذه العاطفة فإن العديد من الميمات التي يتم مشاركتها على واتساب تهدف إلى شد أزر الآخرين في ممارساتهم الدينية، ويتم تصميم تلك الميمات بعناية لتلائم الوقت الذي ترسل فيه أثناء اليوم ولإتمام صياغة أيقوناتها الدينية مثل صورة الأيدي في أسفل الشكل التوضيحي الأول والتي ترمز إلى الدعاء. يعتبر الناس داخل هذا المجتمع أن مثل هذا الحث على أمور الدين هو أفضل طريقة للتعبير عن الاهتمام ببعضهم البعض وبالتالي الاعتناء ببعضهم البعض في هذه الحياة وما بعدها.

في ياوندي – كما هو الحال في المواقع الميدانية الأخرى – نمت ثقافة كاملة من الميمات والملصقات حول المنصات مثل واتساب. يتم إكساب هذه الملصقات صبغة «أفريقية» لتعكس المشاعر المحلية بشكل أفضل، ولقد أصبحت شائعة بين الشباب ولكنها الآن بدأت تغزو دوائر كبار السن أيضًا. في مجموعة واتساب الخاصة بعائلة ماري – وهي معلمة متقاعدة تبلغ من العمر 69 عامًا – يستخدم أبنائها الملصقات بشكل كثيف مما أدى إلى تبني ماري لها أيضًا. توضح ماري قائلة:

> في البداية ما إن كانت المناقشات تحتدم بطريقة أو بأخرى كان الأبناء يبدأون في إلقاء جميع أنواع الصور الصغيرة المضحكة لتهدئة الأجواء في محاولة لإبقاء مناخ المجموعة جيدًا. كانت الصور المضحكة للأبناء هي الأكثر إمتاعًا وغالبًا ما كانت تجعل المجموعة بأكملها تضج بالضحك؛ لذلك فإذا كان هناك أي توتر يجعلك هذا أكثر استرخاءً.

تبدو تلك الملصقات من صنع المستخدمين بيد أنها يصعب تتبعها، ولقد ظهرت بعض شخصيات هذه الملصقات في أفلام نيجيرية [الشكل 8.9أ] وينتمي البعض الآخر لأفراد أصبحت ملصقاتهم واسعة الانتشار [الأشكال 8.9ب إلى 8.9و].

هناك رغم ذلك ملصقات أخرى أكثر قربًا من المناخ المحلي لأنها مستمدة من الحياة السياسية والعامة وبالتالي أصبحت جزءًا من التداول والهجاء اليومي داخل الدوائر الخاصة. قد تنشأ تلك الملصقات من السياسة الدولية والثقافة الشعبية كما في حالة باراك أوباما أو من الشخصيات الرياضية العالمية مثل لاعب كرة القدم الفرنسي بول بوجبا [الأشكال 8.10أ و 8.10ب].

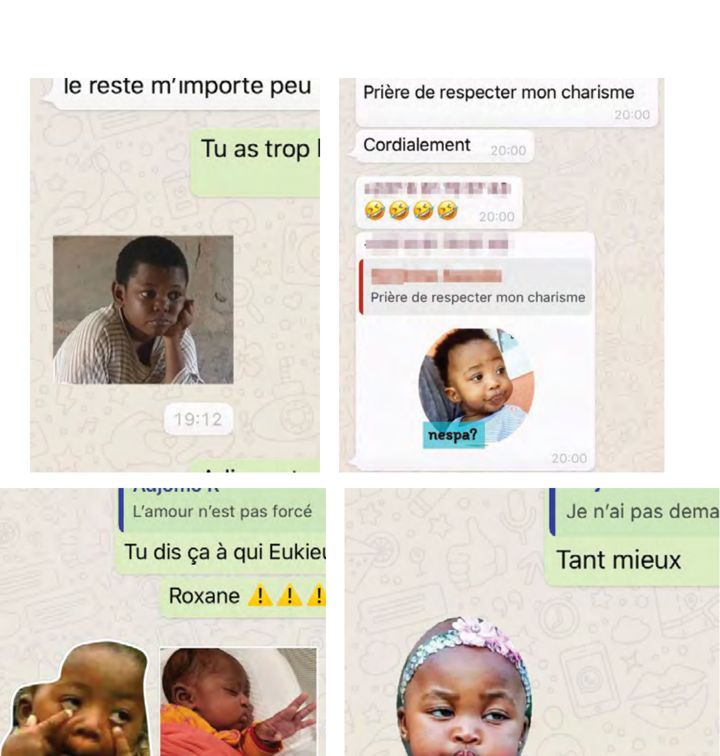
يوضح المثال الآتي نقطة أخيرة في طريقة استخدام المواد البصرية للتعبير عن الاهتمام وهو التركيز على الفكاهة ومشاركة النكات في صورة ميمات[20]. في معظم مواقعنا الميدانية كان التواصل الخاص يتضمن بعدًا إضافيًا فعالًا يأتي من الفكاهة، ولقد وجدت بولين على سبيل المثال أن التداول اللانهائي للنكات في موقعها الميداني في دبلن غالبًا ما يتضمن عنصرًا مؤكدًا على قيمة الحياة. ليس المحتوى في أغلب الأحيان هو ما يهم بل وجود مثل ذلك التواصل المستمر بالإضافة إلى التكرار الكثيف لذلك التواصل هو الأهم، ولقد أوضحت تانيا آلين هذه النقطة أيضًا فيما يتعلق بالاهتمام العابر للحدود[21] فمجرد إرسال رسالة يمكن أن يخفف شعور الناس بالوحدة أو الانعزال – مع الوضع في الاعتبار كونهم جزء من مجموعة واتساب في المقام الأول. على الرغم من أن الناس يشتكون طويلًا من مقاطعات هواتفهم المستمرة إلا أنه من الواضح أن الأمور كانت لتكون أسوأ إذا تم استبعادهم من ذلك النوع من التواصل.

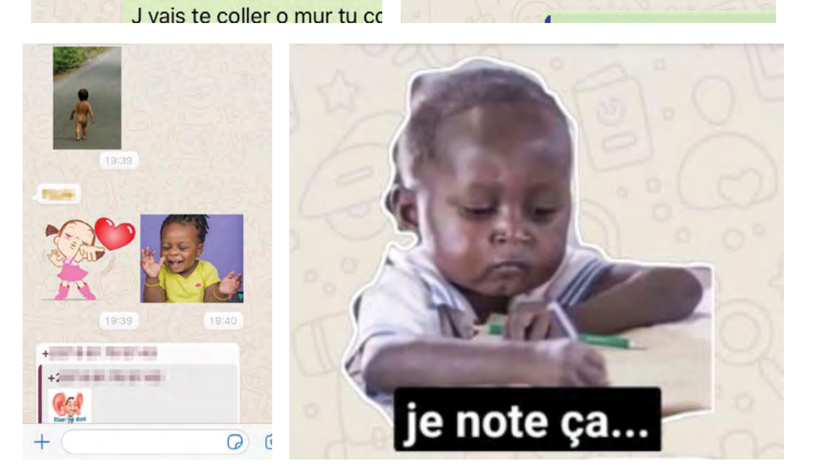
غالبًا ما يكون هذا الشعور أكثر حدة في المواقف الأسرية، فعلى سبيل المثال أحضرت سينيد من دبلن هاتفها الذكي معها في عيد الأم لربما أرادت ابنتها البالغة أن تتواصل معها، ولذلك شغلت الهاتف وشحنته بالكامل وحملته في جيب معطفها طوال اليوم ولكن لم ترد أي رسائل من ابنتها. قالت سينيد في وقت لاحق: «علمت أنها لن تتصل. بعد أن طردت والدها بسبب احتساءه الخمر باستمرار منذ سنوات طويلة وهي لا تتحدث معي»، ولكن هاتفها الذكي لا يزال يمنحها الأمل.

توضح هذه الأمثلة مدى فعالية الصور المرئية وفعالية تلك التطبيقات عند محاولة إبداء الاهتمام والمودة، وهي أحيانًا تتجاوز إمكانات الحديث أو الكتابة. ومع ذلك فلا ينبغي أن يُنظر إلى هذه الوسائط على أنها تتعارض مع بعضها البعض، فكما ذهب جانثر كريس[22] قائلًا أن العالم الذي يحتوي على الحديث من خلال الكلام وعلى النص من خلال الكتب وعلى الصورة من خلال الشاشات هو عالم متعدد الأوجه، وهناك أجناس مهمة من التواصل تدمج بعض هذه العناصر بعضها ببعض مثل الميمات. في الغالب ليست الطريقة التي يبدي بها الناس الاهتمام والمودة هي ما يهمهم، إنما يهمهم أن يشعروا بأن الشخص الذي يهتمون به قد وصله دعمهم بطريقة أو بأخرى، ومع ذلك لا يخلو الاهتمام من التناقضات والجوانب الإشكالية، وتلك سنناقشها في الفصل التاسع.

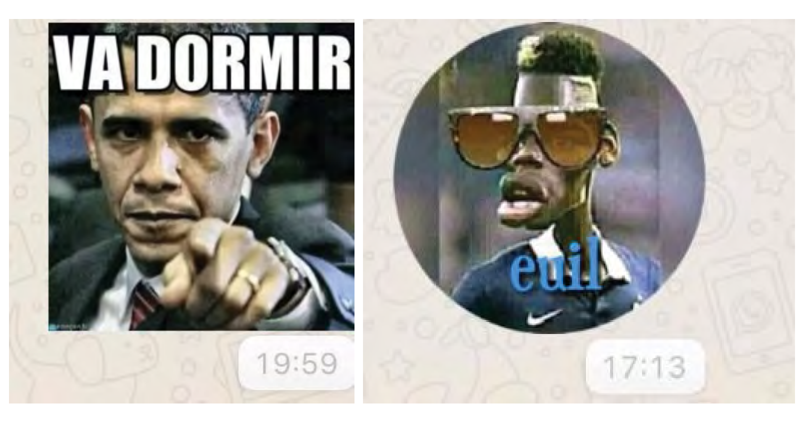
تبدل حال العائلات

أظهر النقاش الأولي قدرة تلك التطبيقات على التواصل العميق كما هو الحال في إبداء الاهتمام والمودة وفي تغيير الحالة المزاجية وفي التأثير على المناخ العام للعلاقات الاجتماعية بما في ذلك كونها الدليل الأساسي على الحفاظ على تلك العلاقات. تتمتع تلك التطبيقات أيضًا بقدرتها على الاتساع أي أن يتراوح نطاق التواصل من الخاص إلى العام، وهذا هو ما وصفناه سابقًا بـ«التواصل الاجتماعي القابل للتوسع» والذي يتجلى في تلك التطبيقات من حيث تنوع المجموعات من المؤسسات الضخمة جدًا – مثل أولئك الذين يمارسون رياضة ما – إلى التواصل الوثيق بين ثلاثة أو





8.9أ-8.9و ملصقات صنعها المستخدمون يتم استخدامها على مجموعات واتساب في الكاميرون. لقطة الشاشة لباتريك أووندو.

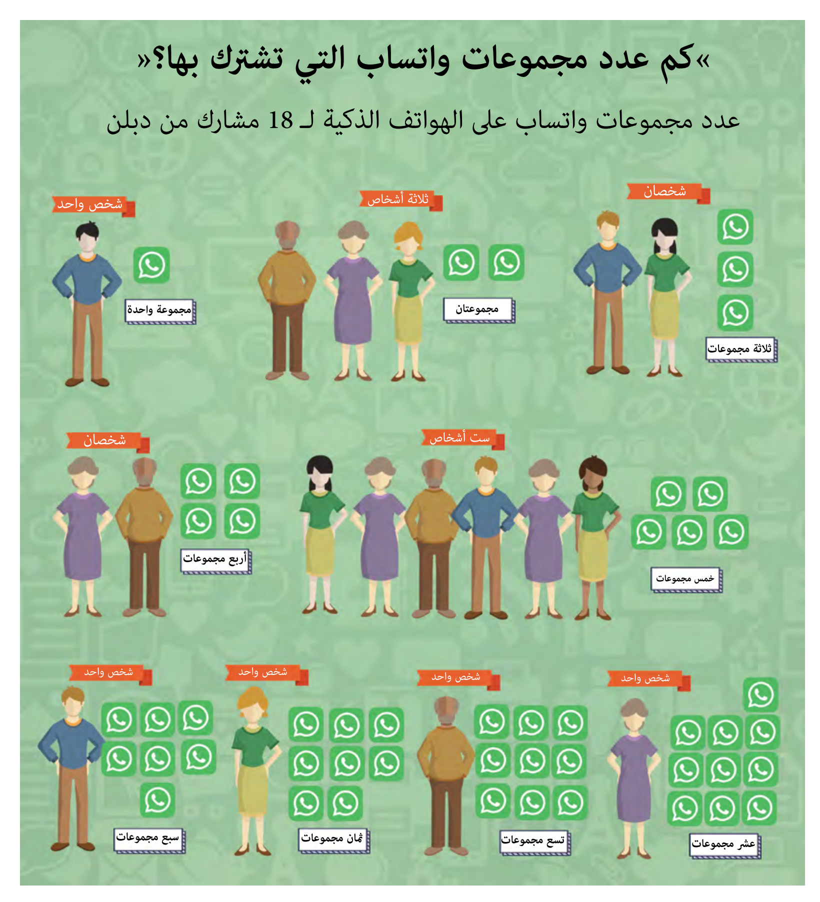


8.10أ، 8.10ب ملصقات صنعها المستخدمون تصور باراك أوباما وبول بوجبا يتم استخدامها على مجموعات واتساب في الكاميرون. لقطة الشاشة لباتريك أووندو.

أربعة أصدقاء مقربين. تتنوع المجموعات أيضًا من حيث درجة الالتزام طويل الأمد بها فتتراوح من المجموعات التي تشمل الأشقاء إلى المجموعات المرتجلة تمامًا مثل أولئك الذين يشاركون في التنظيم لحفلة عيد ميلاد. سوف نتبع في هذا القسم من الفصل مبدأ التواصل الاجتماعي القابل للتوسع فنبدأه بالعائلة ثم ننتقل خارجها للنظر في المجتمع والجماعات الأكبر.

معظم الأشخاص الـ 18 الذين تحدثنا معهم في موقع دبلن الميداني لديهم حفنة من مجموعات الواتساب الموضحة أدناه [الشكل 8.11]. الجميع تقريبًا لديهم مجموعة عائلية واحدة على الأقل وبعضهم قد يكون لديه أربعة أو خمسة، والأمثلة المعتادة تتضمن مجموعات الأشخاص المهتمين برؤية أحفادهم أو برعاية آبائهم المسنين أو ببساطة جميع الأشخاص داخل منزل ما، وفي بعض الأحيان يكون هؤلاء في أماكن أبعد مثل جميع أبناء العمومة الذين يعيشون في كاليفورنيا مثلًا. الفئة التالية الأكثر شيوعًا لسكان دبلن هي مجموعات الأصدقاء مثل بعض النساء اللواتي يجتمعن بشكل دوري في أنحاء المدينة أو يتبادلن الاحتفال بأعياد ميلادهن. المجموعات الرياضية شائعة أيضًا خاصة الجولف وكذلك السباحة والسباق الثلاثي، كما يشترك العديد من أولئك المشاركين أيضًا في مجموعات للمشي على واتساب. ثم هناك مجموعات المجالس مثل مجموعة سقيفة الرجال [Shed The Men's] أو مجموعة توءمة المدينة [Town Twinning group] أو أولئك الذين يأخذون نفس الدورات التدريبية معًا. في حالة واحدة [وما يبعث على الاطمئنان هو أنها حالة واحدة فقط] هناك جرو لديه مجموعة واتساب خاصة به.

تعكس هذه المجموعات الديموغرافيا السائدة في هذا البحث التي تتكون بشكل أساسي من المتقاعدين الذين لديهم أحفاد ومنضمين إلى أنشطة ترفيهية مختلفة، وهؤلاء بشكل عام يعتبرون مجموعات واتساب مثابة إضافة إيجابية لقدرة الأشخاص على التواصل ويرونها موفرة للوقت حيث أنها تجنبهم تكرار الرسائل. ولكن لهذه المجموعات أيضًا أوجه سلبية فكثيرًا ما يشكو المشاركون من العدد الهائل لرسائل واتساب التي تتدفق إلى هواتفهم يوميًا، وربما يرونها أيضًا على أنها انعكاس للتواصل الاجتماعي القوي لهذه الفئة النابضة بالحياة. من ناحية أخرى أشاروا إلى أنه عندما يرسل والد أو جد رسالة نصية تفيد بأن ابنه/ حفيده قد سجل هدفًا في مباراة لكرة القدم يشعر الجميع بأنهم ملزمون بإرسال تعليق يعبر عن التقدير، كما يمكن للعدد الكبير من الإخطارات أو الرسائل المتراكمة أن يصبح



8.11 تحليل لأرقام مجموعات واتساب في هواتف المشاركين من دابلن والذي أُخذ من الأعمال الميدانية التي قام بها دانيال ميلر في دابلن.

مزعجًا للغاية. وبالمثل يشكو أحد أعضاء مجلس من مجالس المدينة من قيام بعض أعضاء مجموعة الواتساب بالسيطرة عليها فيحيدون عن الهدف الرئيسي للمجموعة ويستخدمونها بدلًا من ذلك لمشاركة أخبار عطلاتهم الأخيرة مع الجميع.

أحد التأثيرات عظيمة الأهمية يكمن في مجال العلاقات العائلية والذي لا يزال يمثل الوحدة الأساسية للتواصل الاجتماعي في معظم المواقع الميدانية. في أماكن مثل بنتو ساعد واتساب على عودة مفهوم العائلة الممتدة من العمات والأعمام وأولاد العمومة من الدرجة الأولى والثانية وأبناء الأخ والأخت وهو الوضع الذي يأخذ حركة الارتداد التاريخي السابق نحو العائلة المباشرة للاتجاه المعاكس. كانت اللقاءات مع العائلة الممتدة في السابق تتزامن مع شعائر المناسبات الخاصة مثل عيد الفصح ويوم ميلاد المسيح وأعياد الميلاد مما كان يكسبها طابعًا رسميًا، أما مع تواصل واتساب المستمر أصبح ممكنًا أن تكون تلك المناسبات أكثر بساطة حيث يحول واتساب رسائل «صباح الخير» والنكات وصور الوجبات وأخبار الإجازات إلى معاملات غير رسمية مما يغير طبيعة الأسرة الممتدة نفسها.

نرى مثالًا على ذلك في مجموعة عائلة بيتي على واتساب فندما تم إنشاء تلك المجموعة كان الهدف منها هو تنظيم عشاء عيد الميلاد المقبل وتوزيع الأدوار وتخصيص المسؤوليات لطهي الأطباق، ولكن عندما انقضى عيد الميلاد ظلت المجموعة نشطة مع احتفاظها باسم «عشاء عيد الميلاد». هكذا تحولت وظيفة المجموعة إلى وسيلة لتخطي المسافات والتفكك الناجم عن السكن في أحياء مختلفة داخل مدينة كبيرة أصبح التنقل في طرقها كابوسًا، فالآن يمكن لأعضاء المجموعة البقاء على اتصال ومشاركة الأحداث اليومية دون التعرض للاختناقات المرورية التي لا نهاية لها في ساو باولو المعاصرة. طرحنا في الفصل الثالث نقطة مماثلة أثناء نقاش «إيكولوجيا الشاشة» من خلال السيد والسيدة هوانغ حيث ناقش الفصل الطريقة التي يتفاعلان بها باستمرار مع أفراد العائلة الذين يعيشون خارج منزلهما، وهما يفعلان ذلك من خلال استخدامهما لأجهزة متعددة حتى أن التمييز بين أفراد المنزل وهؤلاء الذين يعيشون في مكان آخر قل كثيرًا.

من الواضح أن الجمع بين مجموعة متباينة مثل أفراد العائلة – والتي تشمل أجيال عدة – من شأنه أن يكون له مشاكله الخاصة، حيث يشكو الناس من كمية ونوعية الرسائل المتداولة في المجموعات العائلية. يجد كبار السن أيضًا الذين كان دورهم التقليدي هو إعادة إرسال المعلومات لأفراد العائلة أن هذه التكنولوجيا الحديثة تبدو وكأنها مصممة بدقة للقيام بهذا الدور العتيق، وغالبًا ما يكون التعامل مع الرسائل البسيطة والمرئية سهلًا حتى بالنسبة للمبتدئين ويمكن إعادة إرسالها بسهولة إذا أراد الشخص ذلك. أما أفراد العائلة الأصغر سنًا فهم قد يشعرون بالضيق نوعًا ما بسبب هذا الوابل من الأحاديث الصغيرة للعائلة، ويشكو روجر من بنتو أن الأجيال الأكبر سنًا في عائلته يشاركون النكات التي رآها لأول مرة على البريد الإلكتروني منذ 10 سنوات مضت لكنه لا يريد أن يكون المفسد الذي ينتقد نكات عمته، وهو يدرك أنه في مرحلة عمرية ما يصبح لدى الأشخاص الكثير من وقت الفراغ الذي يجعلهم يلتزمون بدور مركز الأسرة.

ومع ذلك فهناك بعض الموضوعات المحظورة في مجموعات واتساب العائلية تلك. بشكل عام لا يتم مناقشة السياسة أو كرة القدم أو الدين، فمن الشائع أن ينجرف الأبناء إلى طوائف مسيحية مختلفة عن التي ينتمي إليها والديهم وهو ما قد يكون موضوعًا حساسًا. أصبحت السياسة في البرازيل موضوعًا سامًا أيضًا حيث أن محاكمة الرئيسة السابقة ديلما روسيف [2016] وسجن سلفها المحبوب لولا [2017] أعقبهما انتخاب جايير بولسونارو [2019] ذي الميول الانقسامية بشدة. يمكن لكل هذا أن يمزق بسهولة النسيج الهش للتواصل العائلي، ويمكن للكثيرين إعطاء الأمثلة لأفراد العائلة الذين اضطروا إلى مغادرة مجموعات الواتساب أو الذين تسببوا في إساءة كبيرة للآخرين بسبب تعليقاتهم السياسية.

من العائلة إلى المجتمع

قد تمتد قدرة واتساب على تمكين كبار السن من تطوير أدوارهم كمراكز عائلية إلى طبقات أوسع من التواصل الاجتماعي، فغالبًا ما يمتلك الأشخاص الذين كانوا مؤثرين في حياتهم المهنية المهارات اللازمة لتصفية المعلومات وإعادة توجيهها إلى من يعرفون أنهم سيستفيدون منها، وفي موقع دبلن الميداني مثلًا كان الجميع تقريبًا يبدون كما لو كان لديهم أقرباء يعملون في مجال الخدمات الطبية والذين يمكنهم الاتصال بهم حال القلق بشأن الأعراض التي يشعرون بها. قد يصبح الأشخاص أيضًا مخبري أحداث فيعلمون الناس بما يجري من أحداث أو ما سيُعرض على التلفزيون كنوع من أنواع الخدمة العامة، ومن الأمثلة الجيدة على ذلك هو الطريقة التي يسمع بها الناس عن الدورات التعليمية المختلفة في بنتو حيث يقوم كل فصل بإنشاء مجموعة واتساب الخاصة به لدعم العملية التعليمية، ولكن ما يحدث في واقع الأمر هو أن الطلاب سريعًا ما يقومون بتخصيص تلك المساحة لمشاركة

المعلومات الأخرى – كتفاصيل الدورات الجديدة على سبيل المثال – وهو ما يؤدي إلى إنشاء المزيد من مجموعات واتساب. هناك توسع آخر محتمل للتواصل الاجتماعي يحدث بعد التقاعد وهو عندما يكون لدى الناس الوقت الكافي للتواصل مرة أخرى مع الأشخاص الذين كانوا يعرفونهم في المدرسة أو الجامعة ولهذا السبب يُنظر لواتساب الآن كآلة زمن تتيح للناس إعادة الاتصال بماضيهم البعيد. أخيرًا وليس آخرًا، يتم استخدام واتساب أيضًا للحفاظ على العلاقات مع زملاء العمل السابقين وهو غالبًا ما يكون أمرًا في غاية الأهمية بالنسبة للمتقاعدين.[23]

يتدفق هذا التوسع في الاتصال من الأسرة إلى ما وراءها بسهولة إلى المجتمع الأوسع كما وجدنا في نولو. تعكس حقيقة أن المشاركين في بحث شيرين كانوا يرون أن واتساب هو التطبيق الأكثر استخدامًا بالنسبة لهم النشاط الاجتماعي الكبير للأشخاص الذين قابلتهم شيرين هناك في مختلف السياقات الاجتماعية والثقافية. من المستحيل أن تفصل بين استخدام الأسرة والمجتمع في نولو، فبينما يعلن المجتمع عن الأحداث على فيسبوك يتحمل واتساب عبء تنظيمها. بالإضافة إلى المجموعات العائلية المختلفة على واتساب هناك أيضًا المجموعات المتعلقة بالهوايات ومدارس الأطفال والعمل والترفيه والعمل التطوعي. في الوقت الحالي أصبح يبدو وكأن هناك مجموعة واتساب لكل نشاط تقريبًا وعلى جميع المستويات بدءًا من الأنشطة العامة لفصول الجيم ودروس اللغة الإيطالية ومجموعات الحياكة والمجموعات الثقافية مثل «الصقليون» أو «المصريون في ميلانو» وحتى مجموعات التخصيصات الاجتماعية ومجموعات المباني السكنية شبه الخاصة.

وجدت جيوفانا من نولو على سبيل المثال أن التقاعد صعب للغاية، ولقد بدا لها الانسحاب من حياتها الحافلة كمعلمة في مدرسة ثانوية – والتي كانت مختلفة تمامًا – إلى بيتها وروتينها المنزلي في البداية كالسجن حتى وإن كان سجنًا مريحًا نسبيًا. شعرت جيوفانا بأنها داخل مساحة من الوحدة والعزلة مقارنةً بالمساحة الرحبة الصاخبة ذات الأجيال العدة في بيئة عملها ولكن تغير حالها عندما اقترح زميل لها أن تنضم إلى كورال نسائي، وهو الاقتراح الذي ترددت جيوفانا بشأنه في البداية ولكنها سرعان ما وجدت المجموعة ودودة ونابضة بالحياة. رغم أنهن لا يجتمعن إلا أسبوعيًا إلا أن جيوفانا كانت تستمتع بالضجيج المستمر للمشاركات اللاتي يتجاوز عددهن 40 مشاركة في مجموعة واتساب، و تشارك عضوات هذه المجموعة الصور ومقاطع الفيديو وكلمات الأغاني بالإضافة إلى الرموز التعبيرية المليئة بالقلوب والزهور والشهب والضحكات والدموع والأحضان.

بالإضافة لذلك فمديرة المجموعة جعلتها مساحة سياسية نشطة جدًا للتعبير عن وجهات النظر الليبرالية وتنظيم الغناء/المسيرات ضد العنصرية ومعاناة اللاجئين في إيطاليا، وصرحت إحدى أعضاء الكورال قائلة: «الساحة هي بيئتنا الطبيعية!» . منحت هذه المجموعة النسائية ونشاطها جيوفانا فرصة جديدة للحياة، فهي قد أصبحت تشعر بالالتزام الشديد تجاه هذا البعد التعبيري سواء فيما يتعلق بالغناء أو بالسياسة. يبدو التقاعد الآن وكأنه شيء يمكن أن تشارك فيه جيوفانا وتشكله من خلال إنشاء مساحات لنفسها ولاحتياجها للتواصل الاجتماعي بالإضافة إلى توسيع آفاقها الاجتماعية والسياسية، ويساعدها ذلك على التعامل مع مشاعر القلق والكآبة التي تشعر بها وهي تقترب من السبعينيات من عمرها.

إذا كانت جيوفانا تمثل المرحلة الأولى من التقاعد فإن بيترو – الذي يبلغ أواخر السبعينيات من عمره – يمثل استخدام واتساب بين المشاركين الأكبر سنًا. يعاني بيترو من صعوبة شديدة في المشي ونادرًا ما يغادر شقته ويتدلى هاتفه الذكي من حول عنقه أغلب الوقت حتى لا يتركه أبدًا. أصبح واتساب أحد بوابات بيترو الرئيسية للعالم الأوسع والتي يتفقدها بانتظام بحثًا عن رسائل من العائلة والأصدقاء أومن طبيب عائلته، كما يشارك أيضًا في بضع محادثات قبل أن يقوم بتدخين سيجارة أخرى بينما يستغرق في قراءة صحيفة (رسول المساء) [*Corriere della Sera*] أو يستكمل قراءة رواية حتى يحين وقت الغداء. تقوم حينها ماريا زوجة بيترو – المتقاعدة والمتطوعة أيضًا

في الحي – بإعداد الغداء لهما، وفي فترة ما بعد الظهيرة يأخذ بيترو قيلولة يعود بعدها إلى القراءة وتصفح الإنترنت على الكمبيوتر الشخصي في غرفة مكتبه ويشاهد التلفزيون في المساء بعد العشاء.

عندما تمت إضافة بيترو إلى مجموعة واتساب جديدة تمثل المبنى السكني الذي عاش فيه الزوجان لمدة 30 عامًا كان لهما ردود فعل مختلفة. رحبت ماريا بالتواصل بالمجتمع الأوسع وكانت ترى فائدته في التحدث حول الأمور العملية مثل الاعتبارات المتعلقة بالمساحات والممرات المشتركة أو المشاكل الأخرى التي يجب مشاركتها ومناقشتها، بينما كان بيترو غير مرتاح لهذا الاتصال الاجتماعي غير المألوف في البداية خاصة أن المجموعة سرعان ما تحولت من وظيفة تبادل المعلومات المفترضة لها إلى المشاركة الأوسع للرموز التعبيرية والميمات وحتى القصائد. في الوقت نفسه تجلب له الأصوات التي يتلقاها على هاتفه – بما في ذلك إشعارات الأخبار – الكثير من السرور طوال اليوم وتجعله يشعر بالارتباط بضجيج العالم من حوله وهو ما كانت حالته الصحية قد حرمته تدريجيًا من الشعور به.

ومع ذلك لا يسود استخدام تلك التطبيقات كل المناطق، حيث أظهر استطلاع الرأي الذي قام به باتريك في ياوندي أن 78,2 بالمئة من الأشخاص يستخدمون المكالمات الصوتية البسيطة للتواصل مع أحبائهم في حين أن 18,6 بالمئة فقط هم من يستخدمون واتساب للاتصال. يعكس هذا الأمر في الغالب الفجوة بين الأجيال، فقد تم استبدال المكالمات الهاتفية بواتساب إلى حد ما بالنسبة للفئة العمرية من 16 إلى 35 عامًا في هذا الموقع الميداني ولكن لم يطل هذا التغير كبار السن حتى الآن.[24] الأشخاص في منتصف العمر هم الذين يمرون بتلك المرحلة الانتقالية الآن حيث يكثر سؤال الناس «هل أنت على واتساب ؟» بدلًا من السؤال السابق حول شبكات الهاتف المختلفة «هل تريد رقم [MTN] أم رقم [Orange] الخاص بي؟». بالإضافة إلى ذلك يوجد في ياوندي بُعدًا طبقيًا لاستخدام واتساب، فنظرًا لأن الشباب – أو أولئك الذين لا يستطيعون تحمل تكاليف المكالمات الهاتفية – سرعان ما احتلوا واتساب فقد أصبح الكثير من مستخدمي الطبقة الوسطى يربطون بين واتساب وبين الأشخاص الغير قادرين على الإنفاق مقابل المكالمات الصوتية «العادية». ما يعنيه هذا الارتباط بين واتساب وتدني الوضع المادي أنه ليس فقط كبار السن هم من قد يستخدمون واتساب بشكل أقل كثافة بل ميسوري الحال أيضًا، على الأقل في الوقت الحالي. ولكن من المحتمل أن يحدث هذا التطور على المدى القصير حيث يثبت واتساب للناس أنه مفيد جدًا بشكل لا يمكن تجنبه، فمثلًا أصبح التطبيق شديد الأهمية للتواصل الداخلي داخل المجتمعات التي تعيش في ياوندي والتي نشأ كل منها في منطقة ما من الكاميرون. ومع ذلك فإن واتساب في الوقت الحالي ليس فقط أقل انتشارًا في هذا المكان ولكنه أيضًا يتبوأ مكانة أدنى من تلك التي يتمتع بها في المواقع الميدانية الأخرى.

على الرغم من ذلك كان هناك نمو في استخدام واتساب بالنسبة للمجتمعات، وغالبًا ما تكون الفئات المجتمعية في ياوندي مترابطة. إحدى المجموعات مثلًا والمعروفة باسم «قدامى بافوت» هي مجموعة رياضية وترفيهية تم إنشاؤها في البداية بواسطة أشخاص من منطقة بافوت في الجزء الغربي من الكاميرون. تتجمع في مثل هذه المجموعات تدريجيًا هياكل من الدعم المتبادل والتضامن يكون في الغالب من خلال تشكيل التونتينات [tontines] أي جمعيات الادخار والائتمان الدوارة. في أجزاء كثيرة من أفريقيا تعد هذه الجمعيات واحدة من أكثر الطرق شيوعًا لتمويل المشاريع حيث أن الحصول على التمويل فيما عداها يكون محدودًا،[25] وهي في الواقع تجمع بين الارتباط العرقي وأشكال الترفيه مثل الرياضة مع الدعم المالي لتصبح أساس الهوية الثقافية.

على الرغم من المشاكل المبدئية إلا أن الأهمية المتزايدة لتطبيق واتساب داخل ياوندي أصبحت واضحة على يد رئيس مجموعة بافوت المذكورة أعلاه والتي تضم المجموعة 83 عضوًا والموجودة منذ 33 عامًا. أشار السيد سينغ – وهو مهندس متقاعد – إلى كيف أصبحت إمكانية مشاركة الأخبار والأشياء الأخرى مع أفراد المجموعة أسرع بفضل واتساب مما عزز شعور الأعضاء بالانتماء، ولقد كان لديهم في السابق تقليد يتبعونه ألا وهو الذهاب لتناول الشراب



8.12 فيلم: (الاستخدامات المجتمعية للهواتف الذكية). متاح من خلال http://bit.ly/communityusesphones.

بعد قيامهم بالأنشطة الرياضية، أما الآن يشارك الـ 72 عضوًا في مجموعة واتساب أيضًا ويتداولون المعلومات ومقاطع الفيديو المسلية يوميًا.

نقدم بعض التوضيحات لاستخدامات واتساب والهواتف الذكية داخل المجتمعات في هذا الفيلم القصير [الشكل 8.12].

واتساب والدين

الرحلة من الأسرة إلى المجتمع والفئات الأوسع تبلغ ذروتها في ما هو غالبًا أكبر مجال تميل فيه هذه التطبيقات إلى الازدهار ألا وهو مجال الدين، وتعتبر مجموعات الصلاة إحدى وظائف واتساب التنظيمية المتنامية في ياوندي. ديدي معلمة متقاعدة وأم لأربعة أطفال ولقد انفصلت عن زوجها السابق الذي كان عقيدًا في الجيش الكاميروني منذ أربع سنوات ولديها الآن وقت فراغ تكرس الكثير منه للكنيسة، وعلى الرغم من أن ديدي كانت تمتلك هاتفًا ذكيًا إلا أنها قاومت واتساب حتى عام 2018 خشية أن تساهم وسائل التواصل الاجتماعي في «فقدان المعايير» و «تقييد القيم الأخلاقية والمسيحية». على مدى السنوات الخمس الماضية كانت ديدي عضوًا في «إيكوان ماريا» وهي دائرة مخصصة للسيدة العذراء مريم وأصبحت تدريجيًا تتولى المسؤولية عن حي بأكمله داخل أبرشية ياوندي، ونتيجة لذلك كان عليها الانغماس في واتساب الذي يستخدم كوسيلة أساسية لتنسيق الأنشطة لهذه الجماعة التعبدية. تنشر ديدي كل يوم تقريبًا جدول الأعمال لهذه الدائرة بناءًا على أبرشية ياوندي الكاثوليكية، كما أنها تستخدم واتساب لمختلف أنواع الرسائل بما في ذلك رسائل قداس الأحد والتي يمكن أن تكون جزء القراءة والمواعظ [عظة أو خطاب يتحدث عن جزء معين من الكتاب المقدس] أو حتى القداس بأكمله. تشارك ديدي أيضًا الصور [الشكلان 8.13أ و 8.13ب)، وهذه غالبًا ما تكون تمثيلات لمريم العذراء ولكنها يمكن أيضًا أن تكون معلومات عامة للأبرشية مثل البيانات الصحفية ذات الطابع الديني.

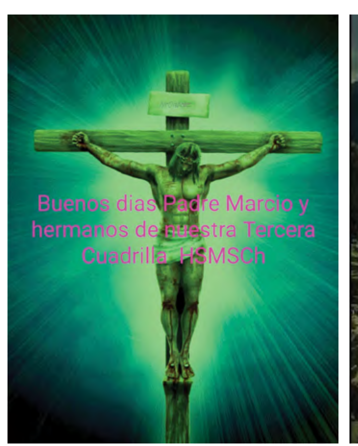
يحتل البيروفيون المرتبة الثانية بعد الفنزويليين من حيث العدد بين مجتمعات المهاجرين المتنوعة في سانتياغو.[26] يكرس العديد من البيروفيين أنفسهم لدينهم كما أن كنيسة أمريكا اللاتينية في سانتياغو المشهورة بترحيبها ودعمها للمهاجرين هي نقطة التقاء مشتركة. من بين جميع الجماعات الأخوية المسيحية في بيرو فإن أخوية حاملي سيد المعجزات [Hermandad del Señor de los Milagros] هي الأكثر تنوعًا من حيث الأصل الإقليمي وتشمل أيضًا غير البيروفيين، وتتكون الأخوية من ثلاث كتائب من الرجال وثلاث مجموعات من النساء لكل منها مجموعة واتساب الخاصة بها.



8.13أ، 8.13ب مثال للصور التي تشاركها ديدي من ياوندي على مجموعات واتساب. تقول الكلمات: «عيد سعيد لكل الأمهات!» [الشكل 8.13أ] و«سنة دراسية سعيدة وأطفالنا ومدرسينا وموظفي مدرستنا وجميع أولياء الأمور في عناية الرب! أتمنى لكم القوة والفطنة والحكمة وفوق كل ذلك السداد في جعل هذا العام الدراسي عامًا ناجحًا» [الشكل 8.13ب]. الميم على اليسار هو ميم خاص بعيد الأم.

في الكتيبة التي انضم إليها ألفونسو ترسل رسائل جماعية عبر واتساب يوميًا وأكثر استخدامات المجموعة شيوعًا هو إرسال قراءات يومية للكتاب المقدس، ولكن تُستخدم مجموعات واتساب أيضًا لتنظيم أحداث جمع التبرعات والمواكب والاجتماعات. بين الحين والآخر يتم تداول سلاسل الأدعية عبر مجموعات واتساب هذه نيابة عن أحد الأعضاء أو أقاربهم والتي يستجيب لها الجميع بالمباركة ورسائل الأمل، وقائد الكتيبة يدعى إنريكي وهو كان قد مر عليه ما يقرب من 10 سنوات في تشيلي في الوقت الذي كنا نقوم فيه بعملنا الميداني. تتغير ساعات عمل إنريكي من شهر لآخر لذلك يضطر أحيانًا إلى الاستيقاظ في الرابعة صباحًا فيقرأ الكتاب المقدس على مكتبه ثم يعد رسالة واتساب لإرسالها إلى الإخوة في كتيبته وهو يبحث في جوجل عن «قراءة اليوم للعهد الجديد» ثم ينسخ ويلصق النتيجة في رسالته [الشكلان 8.14أ و 8.14ب، كما يبحث إنريكي أيضًا في جوجل عن صورة للمسيح أو مريم العذراء ليرفقها مع رسالته ثم يلتقط لقطة شاشة ويلصقها في الرسالة، ويرد معظم الإخوة بـ «آمين» بمجرد استلام الرسالة.

إن المرور على مجموعات واتساب الخاصة بالمهاجرين البيروفيين في سانتياغو هو في الواقع تتبع لقصص حياتهم ووضعهم في الغربة. يتشارك الكثير منهم مجموعات واتساب مع أصدقائهم في المدرسة الثانوية والجامعة من بيرو وهؤلاء هم الأشخاص الذين قد يلتقون بهم بين الحين والآخر عند عودتهم إلى ليما، كما أن لديهم أيضًا مجموعات عائلية عديدة مثل مجموعة الأسرة النواتية المحلية لأبناء العم ومجموعة الأشقاء [التي يتم من خلالها تنسيق رعاية الآباء المسنين] بالإضافة إلى مجموعات متنوعة للعائلة الممتدة، ولديهم أيضًا «المجموعات المهنية» بما في ذلك جميع زملائهم في مكان العمل وتتسع هذه الأخيرة لتشمل أشخاصًا غير بيروفيين، وأخيرًا هناك مجموعات اجتماعية مثل الأخوية المسيحية أو نوادي المدن البيروفية. جعل واتساب – مثله في ذلك مثل سكايب وفيسبوك ماسنجر – تجربة العيش في الغربة بأكملها أكثر سلاسة، فالآن يمكن للمهاجرين البيروفيين أن يظلوا على اتصال ليس فقط بالآخرين في بيرو ولكن أيضًا بالبيروفيين الذين هاجروا إلى اليابان أو الولايات المتحدة. غالبًا ما يتفكر في هذا الأمر أولئك الذين يتذكرون أوائل التسعينيات،





8.14أ، 8.14ب مثال على نوع الرسائل التي يرسلها إنريكي على واتساب. الصورة على اليسار [الشكل 8.14أ] هي رسالة مساء الخير مصحوبة بفقرة من الإنجيل وصورة للمسيح المصلوب. الصورة على اليمين [الشكل 8.14ب] أرسلت يوم العيد القومي لبيرو [28 يوليو] وتقول الكلمات: «لم أختر أن أولد في بيرو ولكن الله أنعم على بذلك».

وهو الوقت الذي لم يكن لديهم فيه سوى الاتصالات الشحيحة باهظة الثمن والتي كان عليهم الذهاب إلى أكشاك الهاتف في معرض القواقع بجوار ميدان السلاح [Plaza de Armas] وهي الساحة الرئيسية في سانتياغو] لإجرائها. بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون بعيدًا عن أحبائهم كانت التكنولوجيا تحولًا عميقًا في حياتهم.

يردد مسار هذا القسم من الفصل صدى الحجة الأكثر نظرية للتواصل الاجتماعي القابل للتوسع، وكما هو الحال في ذلك المثال الأخير من سانتياغو فإن أهمية واتساب لا تقتصر على العائلة الفردية والمجتمع والجماعات الدينية فقط ولكنها تشمل أيضًا تمكين كل واحدة من تلك الكيانات من التدفق إلى الأخرى. رغم ذلك تبزغ بعض المشاكل من هذا الاتساع في الاستخدام والتي أصبحت إحداها تُعرف باسم «انهيار السياق»،[27] ويأتي المثال على ذلك بعيدًا عن مجال الدين من الصين حيث يشجع اتساع نطاق الاستخدام – لويتشات في هذه الحالة – على حدوث تسرب بين مختلف مجالات التواصل الاجتماعي. في الموقع الميداني في شنغهاي على سبيل المثال اشتكت السيدة رويون من الضيق الشديد الذي شعرت به عندما اكتشفت أن ابنتها تشينغ «حظرتها» على ويتشات، ولكن الواقع هو أن تشينغ لم تحظرها على الإطلاق بل قامت فقط بتفعيل إعدادات الخصوصية الأكثر صرامة على ويتشات بحيث يمكن لجميع جهات الاتصال الخاصة بها رؤية منشوراتها حتى ثلاثة أيام مضت فقط، وعلى النقيض من «حظر» جهات اتصال معينة فإن هذا الإعداد عشوائي، فحتى إذا أراد المستخدمون استبعاد بعض جهات الاتصال فقط من مشاهدة مشاركاتهم السابقة إلا أنه لا توجد طريقة لتطبيق قاعدة «ثلاثة أيام فقط» على جهات الاتصال غير المرحب بها دون غيرها. كان السبب وراء تفعيل تشينغ لذلك الإعداد هو أنها حضرت مؤخرًا مؤتمرًا صناعيًا كبيرًا وأضافت لتوها العديد ممن كانوا حاضرين في المؤتمر إلى جهات الاتصال الخاصة بها على ويتشات. وشرحت ذلك قائلة:

> هناك عدد كبير جدًا من المنشورات حول حياتي الشخصية على ويتشات الخاص بي بما في ذلك صور شهر العسل مع زوجي منذ بضع سنوات وصور ابني، وأنا لا أريد حقًا منح معارف العمل الجدد هؤلاء الفرصة لمعرفة الكثير عني. ومع ذلك فسوف تكون وقاحة مني إذا منعتهم تمامًا من رؤية منشورات ويتشات الخاصة بي لأنهم سيعرفون أنني حظرتهم على وجه الخصوص.

كان التحدي الذي واجهته تشينغ هو كيفية الحفاظ على علاقة ودية مع جهات الاتصال الجديدة من مكان العمل وفي نفس الوقت حماية خصوصيتها ولقد أنقذها إعداد «ثلاثة أيام فقط»[28] للخصوصية الذي يوفره ويتشات. لا يأخذ معظم الأشخاص هذا التصرف بمحمل شخصي [أو سيأخذونه بشكل أقل حدة] وذلك لأن الإعداد يتم تطبيقه على جميع جهات الاتصال لكن والدتها بالطبع أخذته بمحمل شخصي كما ذكرنا أعلاه، ولقد نشأت المشكلة هنا تحديدًا لأنه أصبح من الصعب فصل استخدام الأسرة لهذه التطبيقات عن الاستخدام العام.

التطبيق المفيد

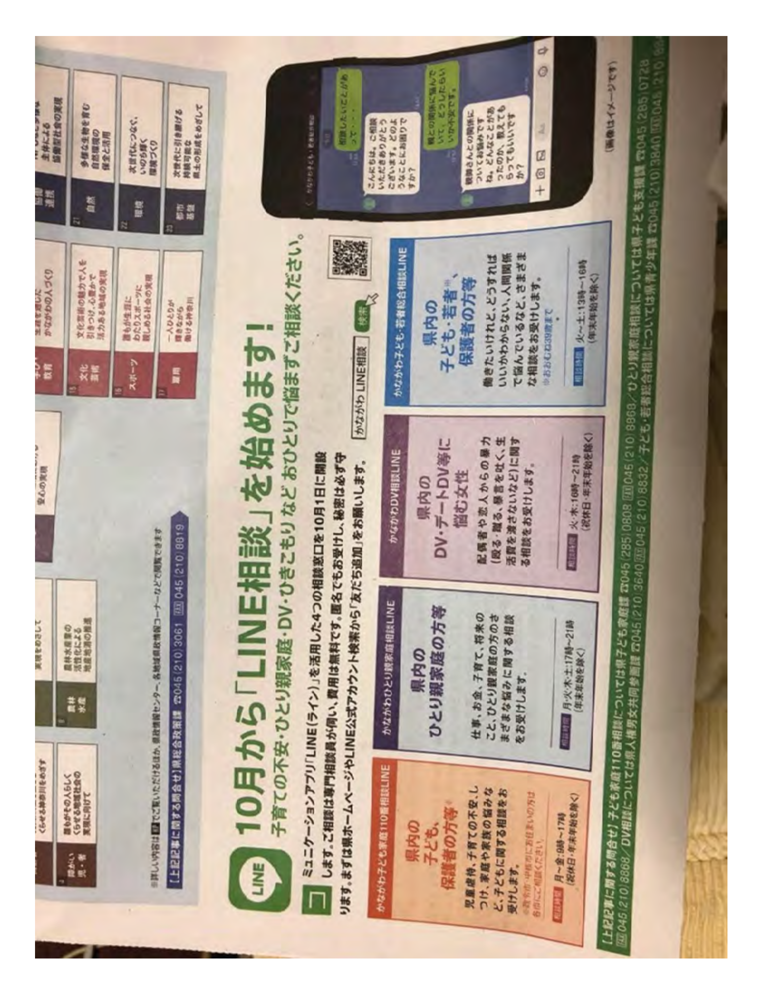
لايزال النقاش حتى الآن يحتاج لإبراز أحد أهم جوانب تلك التطبيقات خاصة في حالة لاين وويتشات، وهذا الجانب هو الطريقة التي توسعت بها تلك التطبيقات من خلال دمج أكبر عدد ممكن من الوظائف المختلفة وهو ما يجعلها تحل محل منظومة التطبيقات التي يقوم عليها الهاتف الذكي غالبًا. بينما أبرز القسمان السابقان دور تلك التطبيقات في التواصل يقر هذا القسم الأخير بتطور على نفس القدر من الأهمية في تلك التطبيقات الأساسية ألا وهو الطريقة التي أصبحت بها مركز الإستفادة الأساسية من الهاتف الذكي حيث تصبح هي الطريقة التي يفعل بها الناس «الأشياء» أكثر فأكثر، ولتوضيح هذه النقطة قدمنا مثالين من مجال الصحة لأنه كان المجال الذي ركز فيه مشروعنا على إمكانية استخدام الهواتف الذكية لأغراض أكثر عملية.

في يناير 2019 أطلقت لاين خدمة الاستشارات الطبية عن بُعد لليابان بالشراكة مع أكبر منصة طبية يابانية تسمى إم ثري [M3].[29] كانت إمكانات لاين كوسيلة للتدخلات الصحية هي موضوع بحث لورا هابيو-كيرك التطبيقي بالتعاون مع د. كيمورا باحث التغذية الاجتماعية في جامعة أوزاكا. قد تشمل فوائد لاين المحتملة القدر الكبير من خصوصية الرسائل عند مقارنتها بالمكالمات الصوتية خاصةً عند العيش بالقرب من أفراد الأسرة أو للتقليل من الوصم المرتبط بزيارة الطبيب النفسي. تشير نفس النقطة إلى ملاءمة لاين للموضوعات الموصومة الأخرى كما يشير إعلان نُشر مؤخرًا في إحدى الصحف المحلية في كاناجاوا وهي منطقة حضرية قريبة من طوكيو [الشكل 8.15] حيث يقول الإعلان أن مجلس المدينة سيبدأ في تقديم استشارات عبر لاين في مواضيع التربية والآباء والأمهات المنفردين والعنف المنزلي والانسحاب الاجتماعي [hikikomori].

هذا الإعلان موجه بشكل خاص إلى الشباب [من تقل أعمارهم عن 39 عامًا] الذين يكافحون من أجل العثور على وظيفة أو الذين يواجهون صعوبة في الاختلاط بالآخرين. من الصعب تحديد رقم دقيق لعدد الأشخاص المنسحبين اجتماعيًا الذين لا يغادرون منازلهم وهذا لأن عائلاتهم تميل إلى إخفاء المشكلة، ومع ذلك فقد قام مسح أجرته الحكومة اليابانية في مارس 2019 بتقدير رقم الهيكيكوموري في البلاد بأكثر من مليون شخص منهم 613000 شخص تتراوح أعمارهم بين الـ 40 والـ 64 عامًا.[30]

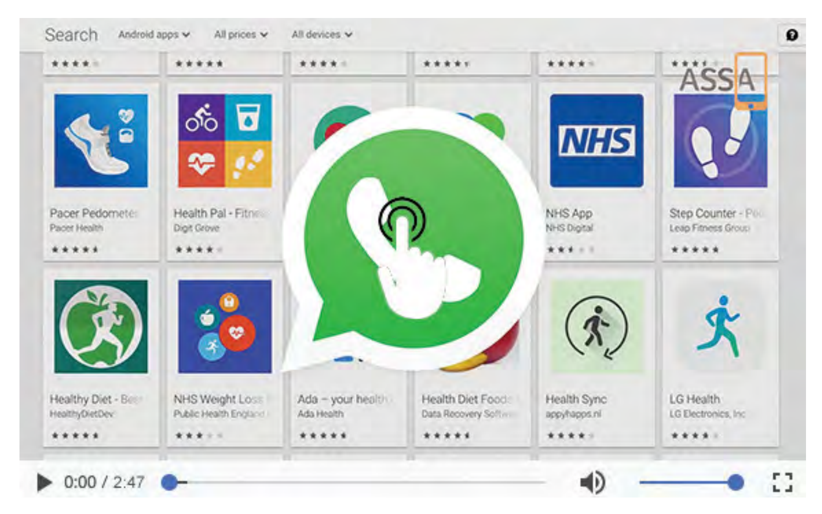
وبالمثل تتجلى الأهمية النفعية لتطبيق واتساب في مشروع ألفونسو للصحة التطبيقة والذي يتم تنفيذه كجزء من الإثنوغرافيا الخاصة به في مركز أورام بمستشفى عام في سانتياغو – وهو المستشفى العام الوحيد في سانتياغو الذي قام بتنفيذ نموذج «التمريض الإرشادي» للرعاية الصحية. يعمل هؤلاء الممرضين والممرضات كوسطاء بين مرضى الأورام، وهو ما يساعدهم على معرفة طريقهم عبر الأنظمة الطبية والبيروقراطية التي غالبًا ما تكون موجودة في المستشفيات العامة.

تمثل علاجات السرطان نظامين معقدين على المريض معرفة طريقه عبرهما. يمثل الأول تعقيد الطب، حيث يمكن أن يكون لكل من علاجات السرطان المختلفة تأثيرات عديدة على أنظمة الجسم المختلفة لذا فإن التعامل مع العلاج



8.15 إعلان في صحيفة يابانية يعلن عن توفر استشارات في مواضيع مثل العنف المنزلي والانسحاب الاجتماعي من خلال تطبيق لاين. تصوير لورا هابيو-كيرك.

يعني التعامل مع الكثير من المعلومات. يعتمد العلاج على سلسلة من الإجراءات [فحوصات الأشعة وجلسات العلاج الكيماوي وتحاليل الدم وما إلى ذلك] التي تتطلب روشتات طبية ومواعيد ويجب إجراؤها بترتيب معين خلال فترة زمنية معينة، والفشل في هذا الأمر يمكن أن يقلل من احتمالات نجاحها. يمتلك الممرضون المرشدون خبرة التعامل مع تعقيدات العلاج نفسه إلى جانب تعقيدات الأمور البيروقراطية وإحاطة المريض علمًا بكلاهما، ولهذا الغرض يحتاج الممرضون إلى تحديد مواعيد للفحوصات وتحاليل الدم وما إلى ذلك وهو الأمر الذي يتطلب قدرًا كبيرًا من المعاملات الورقية، كما يحتاجون إلى البقاء على اتصال بالمرضى في حالة وجود شكوك أو أسئلة لدى هؤلاء المرضى. على مستوى ما يشكل هؤلاء الممرضون والممرضات المتفانون عاملًا بشريًا في الرعاية الصحية لا يمكن لأي تطبيق هاتفي استبداله، ولقد كانوا أيضًا المجموعة التي قامت باستخدام واتساب بالطرق الأكثر شمولًا وإبداعًا إلى حد كبير.



8.16 فيلم: (ما تعلمته من خلال استخدامي لواتساب). متاح من خلال http://bit.ly/learnedfromwhatsapp.

وفقًا لهم كان واتساب مثاليًا لإنشاء مجموعة متنوعة من طرق الاتصال التي تتوافق مع الخصوصيات والاحتياجات الفردية لكل مريض، حيث يفضل بعض المرضى إجراء المكالمات الهاتفية بينما يحتاج البعض الآخر إلى رؤية المعلومات مكتوبة في رسالة نصية في حين يشعر آخرون بالاطمئنان إذا رأوا صورة للروشتة الطبية أو لطلب إجراء الفحص الطبي ويحتاج البعض إلى رسالة صوتية يمكنهم الاستماع إليها عدة مرات لفهمها فمعظم هؤلاء المرضى ذوو دخل منخفض وتعليم محدود للغاية. أصبح واتساب أيضًا جزءًا لا يتجزأ من الطريقة التي يتيح بها الممرضون المرشدون أنفسهم وأوقاتهم للإجابة عن أي شكوك أو أسئلة قد تكون لدى المرضى هذا بالإضافة إلى مواساتهم والإبقاء على العلاقة الاجتماعية الأساسية التي تدعمهم من خلال العلاج والرعاية عن بعد، وقد تستمر هذه العلاقة لعدة سنوات.

يوضح المثال الثالث التحول العام لتوجهات مشروعنا. كما أشرنا في الفصول السابقة كانت النتيجة الرئيسية لبحثنا فيما يتعلق بالصحة هي الدليل الذي يشير إلى أننا قد نعيد ضبط زاوية رؤية مجال الصحة عبر الهاتف فنتحول من التركيز على التطبيقات المتخصصة للتركيز بدلًا من ذلك على إمكانات التطبيقات التي يستخدمها الأشخاص بشكل عام. في هذا الفيلم القصير [الشكل 8.16]، تناقش ماريليا دوكي ما تعلمته حول إمكانات واتساب لتحسين التواصل والرعاية الصحية في ساو باولو.

التجارة والشركات

هناك مجال آخر لم تتم مناقشته حتى الآن بأي تفاصيل ولكنه مهم بشكل كبير للطريقة التي أصبحت بها هذه التطبيقات جوهر الاستخدام العام ألا وهو التجارة، وهو المجال الذي كان ويتشات على وجه الخصوص في الصدارة منه. رأينا في سلسلة (لماذا ننشر) كيف أن ويتشات قد بدأ يصبح ذا شأن كبير بالفعل بالنسبة للمدفوعات والتجارة الإلكترونية[31] وأكثر تطبيقات الدفع عبر الهاتف المحمول استخدامًا في الصين الآن هي مدفوعات ويتشات [WeChat Pay] ومدفوعات علي [Alipay]. كان غالبية المشاركين في البحث [72 في المائة][32] من شنغهاي الذين تتراوح أعمارهم بين 45 و 70 عامًا يعتبرون الدفع عبر الهاتف المحمول هو خيارهم الأول للمدفوعات اليومية ولقد بلغت

نسبة من يسددوا مدفوعات عبر الهاتف الذكي أكثر من 90 في المائة. أصبح من الشائع الآن ألا يأخذ الناس أي نقود سائلة أو بطاقات مصرفية معهم حين يخرجون طالما أن هواتفهم الذكية معهم، ولقد أفاد موظفو المتاجر في الحي الذي تعيش فيه شينيوان أن أقل من 10 في المائة من الدخل اليومي للمحل كان نقدًا.

نقطة البداية للتربح من ويتشات تعرف بشكل كبير على أنها كانت يوم 28 يناير 2014 وهو اليوم الذي أُطلقت فيه خاصية «المظروف الأحمر لويتشات» [WeChat red envelope] التي هي خاصية تسمح للمستخدمين بإرسال مظاريف رقمية حمراء من الأموال إلى جهات اتصال ويتشات عبر الإنترنت. قامت خاصية المظروف الأحمر لويتشات التي نشأت كامتداد للتقليد الصيني القديم المتمثل في توزيع المظاريف النقدية الحمراء كهدايا في الاحتفالات أو المناسبات بتحويل هذا التقليد إلى نشاط يمارس عبر الإنترنت مما جعل ممارسته أكثر إمتاعًا. أيضًا الآن يمكن للحسابات الخدمية توفير خدمة دفع مباشرة للمستخدمين داخل التطبيق من خلال خاصية مدفوعات ويتشات ويُسمح للعملاء بالدفع مقابل الأشياء أو الخدمات المتاحة على صفحات الويب داخل التطبيق أو بالدفع داخل المتاجر عن طريق مسح رموز الـ [QR] الخاصة بويتشات ضوئيًا [الشكل 8.17].

في عام 2015 أطلق ويتشات مشروع «خدمات المدينة» الذي أدى إلى توسيع نطاق الخدمات من خلال السماح للمستخدمين بدفع فواتير المرافق وحجز زيارات الأطباء وإرسال الأموال إلى الأصدقاء والحصول على قسائم الشراء حسب الموقع الجغرافي وما إلى ذلك. أصبح ويتشات أيضًا مهمًا في التطور الأوسع للتجارة الإلكترونية في الصين، فبالإضافة إلى المؤسسات التجارية يمكن لجميع حسابات ويتشات العامة بيع المنتجات أو الخدمات على ويتشات، كما أن العديد من البرامج المصغرة التي ناقشناها سابقًا تستخدم في التجارة الإلكترونية كمنافسة لشركة علي بابا وهي الشركة المهيمنة في مجال التجارة الإلكترونية في الصين.[33]

هذا الذي عرضناه هو جانب واحد من جانبي المعادلة ولكنه على الأقل ينطوي على شيئ آخر، فرغم أننا لم نبحث في أمر الشركات بأنفسنا إلا أنه من المستحيل أن ننظر في تلك التطورات دون الاعتراف بالقوى الكامنة وراء إنشائها

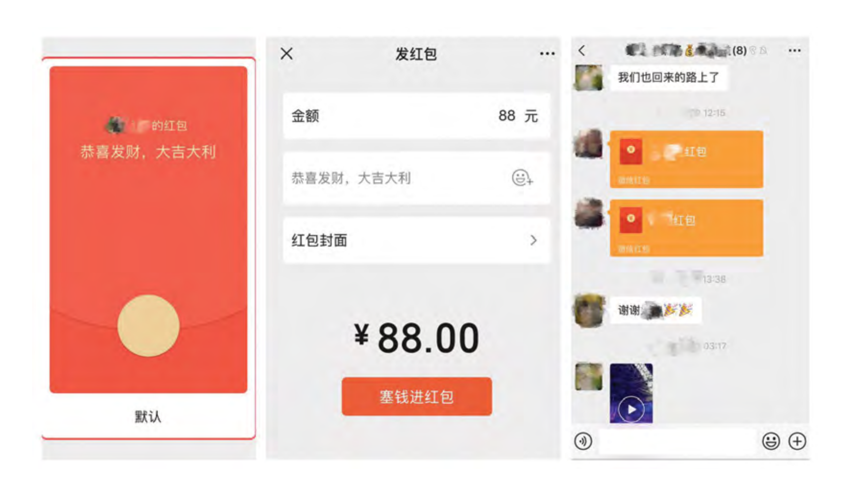


8.17 صورة تظهر تنوع رموزQR المستخدمة للدفع عند أحد بائعي الطعام في الشارع. الأخضر هو الرمز الخاص بنظام ويتشات للدفع. تصوير شينيوان وانج.

والتي سهلت على المستخدمين تبنيها ومواءمتها. من المحتمل أن تكون معظم الاستخدامات التي وصفناها في هذا الفصل لا سيما الاستخدامات الربحية التي تمت مناقشتها في هذا القسم قد تم تطويرها بواسطة الشركات على خلفية أن تلك الشركات تقوم بإجراء الأبحاث – مثلهم في هذا مثل علماء الأنثروبولوجيا – حول كيفية تبني ومواءمة المستخدمين لمنتجاتها. من الواضح إذًا أنه من مصلحة الشركات الحفاظ على ملاءمة تطبيقاتها لأي تطورات قد تطرأ على طريقة استخدامها.

خير مثال على هذا هو الطريقة التي تحاول بها تنسنت [الشركة الصينية التي أنشأت وتملك ويتشات] الآن تطوير وظائف تعكس فهم الشركة لكيفية عمل العلاقات الاجتماعية في الصين. أصبح هذا واضحًا عندما أطلقت خاصية مدفوعات ويتشات وظيفة جديدة تسمى «بطاقة القرابة» [qinshu ka] في يونيو 2018 والتي تتيح للأشخاص إدراج أربعة أقارب كحد أقصى بما في ذلك الوالدين وطفلين ضمن وظيفة مدفوعات ويتشات الخاصة بهم.[34] تشمل مدفوعات بطاقة القرابة أيضًا كبار السن والأبناء الذين لم يبدأوا استخدام مدفوعات الهاتف المحمول حتى الآن لأسباب مختلفة – ربما لأنهم لا يمتلكون حسابًا بنكيًا بعد أو لأنهم قلقون بشأن استخدام أنظمة الدفع عبر الهاتف المحمول، ولا يحتاج المنتفعون من بطاقة القرابة إلى تقديم معلومات البطاقة البنكية إلى ويتشات لأن حاملي البطاقات هم من يقرون بعملية الدفع عبر ويتشات. تلخص الطريقة التي يعمل بها هذا النظام العديد من مبادئ القرابة الصينية حيث يمكن اعتبار إدراج الوالدين بهذه الطريقة كتعبير عن بر الأبناء كما أنه يأتي على خلفية إدراج الأبناء سابقًا في المظروف الأحمر [الشكل 8.18].

انجذبت السيدة جونج وهي إحدى المشاركات إلى بطاقة القرابة هذه لأسباب تتعلق جزئيًا بالأمان المالي حيث يمكن لحامل البطاقة دائمًا التحقق من كل ما يتم إنفاقه، كما ساعدتها البطاقة أيضًا مع والدتها التي كانت طيلة الوقت تتوجس من الاحتيال الالكتروني. قبل إنشاء بطاقة القرابة كانت السيدة جونج تقوم بتحويل 250 جنيهًا إسترلينيًا شهريًا إلى حساب مدفوعات ويتشات الخاص بوالدتها لكنها الآن تقوم ببساطة بضبط رابط بطاقة القرابة على هذه الميزانية. يبلغ الحد الأقصى الذي تسمح به بطاقة القرابة حوالي 450 جنيهًا إسترلينيًا وهو ما يكفي لتغطية النفقات اليومية مع تجنب الاحتيالات الكبيرة. من ناحية أخرى بدأ السيد جوو – الذي لديه بعض الالتزامات المالية الكبيرة



8.18 الظرف الأحمر الرقمي على ويتشات يطابق في الواقع الظرف الأحمر الذي اعتاد الناس على تقديم النقود فيه كهدايا. لقطات الشاشة لشينيوان وانج.

مثل تكاليف منزله الجديد – في القلق عندما طلبت منه والدته بطاقة قرابة فقد كان قلقًا من أن يؤثر ذلك على نفقاته الخاصة، وشعر السيد جوو بالارتياح إلى حد ما عندما وجد أن والدته أنفقت جنيهان إسترلينيان فقط في الشهر الأول من استخدامها لبطاقة القرابة. يوضح جوو قائلًا: «أدركت حينها أن الأمر لا يتعلق بالمال على الإطلاق. هي فقط كانت تريد الحفاظ على ماء الوجه [diu mianzi] أمام أصدقائها المقربين لأن بعضهم قد حصل على بطاقات قرابة من أطفالهم».

يصف كتاب صدر حديثًا العلاقة بين المستخدمين وويتشات[35] بأنها «شديدة الالتصاق» وهي تسمية تشير إلى الصعوبة الشديدة التي قد يواجهها المستخدمون في مغادرة هذه المنصة الضخمة بمجرد دخولهم إليها. «يستجيب ويتشات شديد الالتصاق لاحتياجات المستخدمين وأساليب الحياة الراسخة في الصين، وهو بذلك يعيد أيضًا تشكيل أنماط الحياة الصينية على واجهته الهاتفية».[36] حقيقة أن ويتشات شديد الالتصاق «يلصق» المستخدمين بفعالية بالتطبيق تنبع على الأقل جزئيًا من أن تصميم التطبيق والإستراتيجية التي يطبقها مطور التطبيق يتبعان حيثية مشابهة لدراستنا، حيث يسعى كلاهما إلى فهم الكيفية التي يمكن بها للهاتف الذكي أن يتواءم بشكل كامل مع الأنماط الصينية التقليدية للعلاقات الاجتماعية. لذلك لا يقتصر الأمر فقط على قيام التجارة بتخليق جهاز يتم تبديل استخداماته لاحقًا بواسطة المستخدمين فنحن نتوقع أيضًا من الشركات أن تتعلم بدورها من هذا الاستخدام وأن تطور إمكانيات جديدة تسهل أو تحاول تسويق أنماط الاستخدام هذه نفسها.

الاستنتاجات النهائية

ما الذي تعلمناه من دراستنا لهذه التطبيقات التي وصفناها في بداية هذا الفصل بأنها «قلب» الهاتف الذكي المعاصر؟ هناك ثلاثة استنتاجات أولية. الأول هو أن هذه التطبيقات قد تشير إلى اتجاه حركة الهاتف الذكي نفسه. والثاني هو أنها قد اكتسبت هذا الوضع المركزي من خلال اتساع نطاق توظيفاتها. والثالث يدل على أن عمق التوظيف لا يقل أهمية عن اتساعه.

أولا، بالنسبة لمسار الحركة يمكن تسمية كل من لاين وويتشات وواتساب بالتطبيقات أو المنصات الفائقة، ومع ذلك فإن ما تحاكيه هذه التطبيقات هو على الأغلب الهاتف نفسه أي الجهاز الوحيد الذي يخدم كل الأغراض. أظهر ويتشات على وجه الخصوص من خلال برامجه المصغرة القدرة على إحلاله محل جميع التطبيقات من خلال دمجها داخله، وكما ذكرنا في عدة فصول فإن الكثيرين من الأشخاص يرون أيضًا أن الهواتف الذكية هي في المقام الأول أجهزة واتساب أو لاين. يبدو اتجاه الحركة هذا مشابهًا للهيمنة التي بسطتها ميكروسوفت ويندوز [Microsoft Windows] أو مجموعة الأوفيس [Office Suite] الخاصة بها. سيكون هناك منافسون وفي هذه الحالة هناك آبل، ولكن إذا اكتملت المقارنة فإن هذه التطبيقات تنبيء بالهيمنة المتزايدة لواجهة معينة دون غيرها وهو ما سيكون متناقضًا تناقض صارخ مع الانتشار غير العادي للتطبيقات ومطوري التطبيقات الذين يحتلون معظم الهواتف الذكية اليوم.

من الواضح أن هذا التطور هو بالضبط ما تريده الشركات القوية مثل فيسيبوك وتنسنت التي تقف خلف هذه التطبيقات، ولكن الدلائل تشير إلى أنهم ينجحون في ذلك على الأقل بهذا القدر لأن معظم الناس لا يريدون ثقافة التطبيقات في حد ذاتها. يركز المستخدمون ببساطة كما قيل في الفصل الرابع على سهولة الاستخدام، فإذا كان ذلك يعني التعامل مع شركة واحدة مهيمنة فمعظمهم يبدي الاستعداد لقبول تلك الهيمنة من خلال سلوكهم حتى وإن احتجوا لفظًا على سلطة تلك الشركات. قد تكون ثقافة التطبيقات مجرد مرحلة مؤقتة في تطور الاتصالات.

مسار الحركة هنا هو مسار توسعي يتألف من عنصرين رئيسيين. العنصر الأول هو قدرة تلك التطبيقات على دمج أكبر عدد ممكن من الوظائف المختلفة، حيث أصبحت هذه التطبيقات ذات أهمية كبيرة في مجالي الصحة والرفاهية اللذين كانا المثالين الرئيسيين في الاستفادة من هذه التطبيقات واللذين تمت مناقشتهما في هذا الفصل على الرغم من أن مناقشة استخدام هذه التطبيقات في مجال الدين أيضًا كان يهدف إلى توضيح نفس النقطة. العنصر الثاني من التوسع وصفناه في هذا الفصل بالتواصل الاجتماعي القابل للتوسع أي قدرة هذه التطبيقات على تغطية نطاق واسع يمتد من التواصل الأصغر والأكثر حميمية إلى التواصل الأكبر والأكثر علنية، وقادنا هذا النقاش من التركيز على الأسرة إلى النظر في استخدام المجموعات لتلك التطبيقات ثم في استخدام المجتمعات لها، وفي هذه الحالة كان الدين يمثل مجموعة من المؤمنين التي تمتد إلى ما هو أبعد من ذلك كنوع من المجتمع الأكبر.

ومع ذلك فإذا تأملنا في الشيء الذي أوجد تلك الخاصية التي وصفناها بالاعتمادية «شديدة الالتصاق» فلربما نجد أن هذا الشيء هو قدرة تلك التطبيقات على أن تصبح وسيلة للعمق بالضبط كما أنها وسيلة للاتساع. جوهر التطبيقات الثلاثة هو التواصل الاجتماعي، ولقد استغلت هذه التطبيقات أو تسلقت فوق اعتماديتنا البشرية الأساسية أي اعتماديتنا على بعضنا البعض. طالما أن الهاتف الذكي يُنظر إليه على أنه وسيلة لتسهيل التواصل فإن عيوبه ونواقصه تتضاءل ويصبح أولًا وأخيرًا وسطًا للعلاقات التي تجعل للحياة معنى. كان أكثر الجزء الأول من هذا الفصل يدور حول الحب، ولقد أخذ مصطلح «الانتهازية المتواصلة» الذي قدمناه في الفصل الخامس هنا دلالة مرتبطة به ألا وهي الشعور بالاتصال الدائم كدليل على الاهتمام.[37] تحمل تلك القدرة على التواصل الدائم بدورها في طياتها الرغبة في الدعم المستمر سواء كان عاطفيًا أو ماليًا، و كانت مخططات الائتمان الدوارة [التي يطلق عليها التونتينات في الكاميرون] من الأمثلة التي أوردناها على ذلك في فصلنا هذا والتي كانت جوهرية لبحثنا الإثنوغرافي في كل من ياوندي ولوسوزي في أوغندا، وفي ياوندي تجمع هذه المخططات بسلاسة ما بين الدعم الاجتماعي والمالي لكنها تمتد بعد ذلك لتشمل أكثر من ذلك بكثير. كل تطبيق من هذه التطبيقات يبدأ من التواصل ثم يتطور بعد ذلك ليصبح بالتالي أحد «تقنيات الحياة».[38]

كان المثال الرئيسي الذي ناقشناه في القسم الأول من الفصل هو استخدام الصور المرئية. نحن كبشر متحفظون بشكل طبيعي في تفكيرنا وإذا كان التواصل وجهًا لوجه قد جاء أولًا فنحن حتمًا نراه على أنه «طبيعي» أكثر، ولكن بالنسبة لعلماء الأنثروبولوجيا لا يوجد شيء اسمه علاقة طبيعية أو غير متأثرة. أوضح عالم الاجتماع جوفمان[39] أن الحديث وجهًا لوجه انطوى دومًا على غابة شائكة من القواعد الثقافية التي تملي علينا ما هو مناسب وما هو غير مناسب، وغالبًا ما يحيط الإتيكيت والأداء والخوف من الحرج والأطر الثقافية الأخرى بالتواصل وجهًا لوجه حتى أنه يصعب علينا قول أي شيء على الإطلاق. قم مثلًا بزيارة إحدى البارات في لندن وسوف يبدو لك أن معظم ما يدور من حديث إما ابتذال أو مزاح.[40] بالنظر إلى الأمر من هذه الزاوية لا يوجد سبب على الإطلاق يجعلنا لا نعتبر أن الصور المرئية هي الوسيط «الطبيعي» أكثر فهي في بعض الأحيان قد تمنح الشعور بالدفء أكثر من الكلام المباشر، ويمكن للصور المرئية على وسائل التواصل الاجتماعي أن تعبر عما لا يستطيع الناس النطق به وجهًا لوجه، وهي قد أصبحت – كما هو الحال في اليابان – مكمل بديل للحديث وجهًا لوجه. الآن أصبح على الأشخاص بدورهم إنشاء قواعد ومعايير جديدة تلائم استخدامهم للعناصر المرئية داخل هواتفهم الذكية،[41] ولم يبد لنا العنصر المرئي جانبيًا أو سطحيًا في مواقعنا الميدانية، كما أن للصور القدرة على التحدث من القلب إلى القلب.

تستند مركزية العمق هذه أيضًا إلى الاستنتاجات النهائية للفصل السابع. قد يعتقد المرء أن من شأن الطريقة التي تسربت بها تلك التطبيقات إلى أكثر جوانب التواصل العائلي حميمية أن تكون كافية جدًا لتوضيح هذه النقطة، فالعمق هو مفتاح اعتمادية الناس اللاحقة على تلك التطبيقات الثلاثة. ولكن في الواقع طرح القسم الخاص بالعائلة شيئًا أقرب إلى استنتاجات الفصل السابع بشأن التطور المشترك، فهذه التطبيقات لا تعكس العلاقات العائلية والتواصل العائلي فحسب فنحن هنا نذهب إلى أنها أيضًا تغير هذا الذي نفهمه ونختبره كعائلة بشكل عميق. ثم إن هناك مسارًا آخر لاستنتاجات هذه الفصل وهو المسار الذي يقود بشكل طبيعي إلى النقاش الأوسع والنظري بشكل أكبر الذي يقدمه الفصل التالي والأخير.

ملاحظات

1 انظر Ahmed 2004.
2 Steinberg 2020.
3 Bushey 2014.
4 Akimoto 2013.
5 Smith 2020.
6 Russell 2019.
7 Wang 2016، الصفحات 28 إلى 37.
8 Cecilia 2014.
9 Graziani 2019.
10 Iqbal 2019.
11 Fiegerman 2013.
12 BBC News 2014.
13 Drozdiak 2016.
14 Iqbal 2019.
15 Duque 2020.
16 اخترع موظف من موظفي شركة الهواتف اليابانية NTT Docomo الرموز التعبيرية عام 1998.
17 انظر Linecorp 2019.
18 Shu 2015.
19 للاطلاع على الطرق الأخرى التي يمكن للرموز التعبيرية بها تلطيف التواصل في سياق مختلف تمامًا ألا وهو سياق الأعمال انظر Stark and Crawford 2015.
20 Shifman 2013، الصفحات 78 إلى 81 و 156 إلى 170.
21 Ahlin 2018a.
22 Kress 2003.
23 يشهد داني ميلر بنفسه على هذا، فزملاء المدرسة والجامعة الذين كان قد فقد الاتصال بهم تمامًا يقترحون الآن بعد أن وصلوا إلى سن التقاعد أن يلتقوا ثانية.
24 استنادًا إلى استطلاع الرأي الذي أجراه باتريك أووندو أثناء عمله الميداني. تضمنت العينة 65 شخص.
25 تتمتع هذه بالأهمية في العديد من المناطق الأخرى بالعالم. انظر Ardener 1964.
26 المعهد القومي للاحصاء Instituto Nacional De Estadisticas (INE) 2019.
27 انظر Marwick and boyd 2010.
28 بعيدًا عن إعداد «آخر 3 أيام فقط» يمكن للمرء ضبط الخصوصية على إعداد «آخر 6 أشهر فقط» والذي يعني أنه يمكن لجهات الاتصال رؤية منشوراته حتى ٦ أشهر سبقت فقط.
29 Pulse News KR 2019.
30 Kyodo News Agency 2019.
31 McDonald 2016 الصفحات 169 إلى 170 و Wang 2016 الصفحات 37 إلى 50.
32 أُخذت هذه الأرقام من استطلاع رأي أُجري حول استخدام مدفوعات الهاتف المحمول على 220 شخص [ممن هم فوق الـ 45 عام]. أجرت شينيوان وانج الاستطلاع في شنغهاي [أبريل 2018 – يونية 2018].
33 Sheng 2020.
34 فقط لكي نكون واضحين لا يوجد من الأسباب ما يدعونا للظن بأن هذه الخاصية قد تأثرت ببحثنا، ولكنها بالتأكيد قد تأثرت بفهم وتأويل ممارسات القرابة الصينية.
35 Chen et al. 2018.
36 Chen et al. 2018، ص 107.
37 انظر مقال Singh في Prendergast and Garattini 2015 الذي تشرح فيه أن مجرد وجود نقطة تقول أن شخص ما يستخدم هاتفه أيضًا في نفس الوقت قد تكون نوعًا من التواصل الاجتماعي المحدود بالنسبة لكبار السن. Singh 2015.
38 Cruz and Harindranath 2020.
39 Goffman 1971.
40 Fox 2014، الصفحات 88 إلى 108.
41 Horst and Miller 2012، الصفحات 28 إلى 30.

الفصل التاسع
تأملات عامة ونظرية

المواقع الميدانية: **بنتو** - ساو باولو، البرازيل. **دار الهوى** - القدس الشرقية. **دابلن** - أيرلندا. **لوسوزي** - كامبالا، أوغندا. **كيوتو وكوتشي** - اليابان. **نولو** - ميلانو، إيطاليا. **سانتياغو** - تشيلي. **شنغهاي** - الصين. **ياوندي** - الكاميرون.

مقدمة

كان هدف هذا الكتاب هو نسج بعض الاستنتاجات العامة والنظرية بداخل كل فصل. كان التركيز الأكبر في العديد من هذه الفصول يقع على الجوانب التنظيمية للهاتف الذكي كتقنية بما في ذلك هيكله والتطبيقات التي يحتوي عليها وعلاقته بالأجهزة الأخرى، ومع ذلك ففي هذا الفصل الختامي نركز بشكل أكبر على عواقب الهواتف الذكية على الأشخاص لأنه في النهاية وبصفتنا علماء أنثروبولوجيا فإننا أقل اهتمامًا بالتكنولوجيا في حد ذاتها – أي مسألة ماهية الهاتف الذكي – من اهتمامنا بالاستفادة من دراسة مثل هذه الأجهزة لإلقاء الضوء على الأفراد والمجتمع والثقافة بهدف إصقال فهمنا للإنسانية.

لنعيد أولًا ترديد بعض تلك الحجج السابقة. بدأ الفصل الأول بشرح منحانا الذي نسميه «الذكاء العام» وأشار إلى أن هذا الجهاز في معظم نواحيه لا يشبه الهاتف التقليدي إلا قليلًا على الرغم من تسميته بالهاتف الذكي، كما أنه لا يخضع لطموحات [S.M.A.R.T] أي قدرة الجهاز على التعلم من استخدامه. تعرض الفصل الثاني للأحاديث الشائعة حول الهاتف الذكي موضحًا أنه بدلًا من تقديم الأدلة على استخدام الهاتف الذكي وعواقبه غالبًا ما تستغل هذه الخطابات الجهاز كوسيلة للدخول في مجموعة متنوعة من الجدليات الأخلاقية حول المجتمع المعاصر.

تفحص الفصل الثالث الهاتف الذكي كشيء مادي ووضعه في سلسلة من السياقات التي تضمنت مفهوم «إيكولوجيا الشاشة» والتي نعرفها على أنها العلاقة بين الهاتف الذكي والأجهزة الأخرى ذات الشاشات ومفهوم «الإيكولوجيا الاجتماعية» والتي نعرفها على أنها العلاقات الاجتماعية التي تتضمنها مشاركة الهواتف الذكية والتطبيقات، وكلا المفهومين مهمان لفهم الهاتف الذكي نفسه. ربط هذا الفصل أيضًا بين الهواتف الذكية والشبكات الأخرى مما يشكل نوعًا من مراكز التحكم عن بعد لكل من الأشخاص و ربما كذلك «إنترنت الأشياء».

نظر الفصل الرابع في الطريقة التي كان استخدام الهاتف الذكي بها منصبا على المهام وأهمية ذلك لفهم ثقافة التطبيقات وطريقة انتشارها. قدم الفصل مفهوم «الحلول التوسعية»، أي النطاق الذي يتراوح من التطبيقات ذات الوظيفة الواحدة [«يوجد تطبيق لذلك»] إلى تطلعات تعددية الوظائف [مثل سكين الجيش السويسري]

لتطبيقات ويتشات ولاين التي تسعى جاهدة لتكون شاملة وقادرة على أداء أي مهمة مطلوبة، ولكننا أشرنا أيضًا إلى أن المستخدمين قد يستخدمون تطبيقًا ذا إمكانات أوسع بكثير كجهاز لغرض واحد لا أكثر. شكلت ملاحظة «الانتهازية المتواصلة» أساس الفصل الخامس الذي بُني على عدة أنواع من الاستخدام مثل التصوير الفوتوغرافي والنقل والأخبار والترفيه.

نظرًا لتنوع ما تتيح لنا الأيقونات الموجودة على شاشة الهاتف الذكي فعله وأيضًا تنوع طرق توظيفها يتجنب هذا الكتاب استخدام مصطلحات مثل «التطبيقات» أو «الأنظمة الأساسية» كأساس له، وبدلًا من ذلك يبدأ النقاش من الاستخدام اليومي للهاتف الذكي مما يسمح بالتركيز على حياة مستخدمي الهواتف وليس على التقنية. هذا التحول إلى التركيز على الأشخاص بدلًا من التركيز على الجهاز نفسه مكتمل إلى حد كبير منذ بداية الفصل السادس والذي نظر في الطريقة التي يتم بها صياغة الهاتف الذكي ليعكس الأفراد والعلاقات والقيم الثقافية الأوسع. عرض الفصل السابع كيف أن الهاتف الذكي يمكنه – نتيجة لقدرتنا على تحويله – أن يتوائم بشكل وثيق مع المعايير الاجتماعية أي العمر في حالتنا هذه، بينما ذهب الفصل الثامن بأنه يجب اعتبار ثلاثة تطبيقات/ منصات بعينها على أنها قلب الهاتف الذكي لأن التطبيقات الأهم هي تلك الأكثر ارتباطًا بالعلاقات الاجتماعية كما هو الحال في التعبير عن الاهتمام والمودة في الأسرة والمجتمع. تقدم الفصول من السادس إلى الثامن أيضًا الدلائل الرئيسية للاستنتاجات التي يتم بلورتها الآن في هذا الفصل الأخير.

ستبدأ استنتاجاتنا بمحاولة إعادة توجيه فهمنا لكيفية تعامل الأشخاص مع الهاتف الذكي بناءً على مصطلح «المنزل المتنقل»، ثم سنستكشف المزيد من قضايا الحميمية والمراسلات بين الأشخاص وهواتفهم عارضين في ذلك الصدد مفهوم «ما وراء التجسيد الآدمي»، يلي ذلك ملخص للطريقة التي تدخل بها الهواتف الذكية إلى – وأحيانًا تحول – العلاقات الاجتماعية تحت عنوان «الهاتف الذكي العلائقي». يبدأ القسم الرابع من الفصل بالنظر في مشكلة عامة أكثر وهي التناقض والازدواجية، ويذهب بأن هذه التأملات قد ظهرت بوضوح كبير نتيجة لوباء كوفيد-19 بما في ذلك النقاشات حول الخط الرفيع الفاصل بين الهاتف الذكي كأداة للرعاية والهاتف الذكي كأداة للمراقبة، ويؤدي اختتام هذا النقاش إلى الفرضية الأولية المتمثلة في «الذكاء العام».

المنزل المتنقل

هناك العديد من السوابق لاعتبار الإنترنت وعوالم الإنترنت كالمنزل نوعا ما، وهناك على سبيل المثال عمل لعالم الاجتماع هايكي مونيكا جريشكي يحمل عنوان (هل هناك منزل في الفضاء الإلكتروني؟)،[1] ومع ذلك فالمفهوم المقدم هنا تحت عنوان «المنزل المتنقل» يمتد إلى ما هو أبعد من أي تشبيه سابق أو نقاش يشير إلى مثل هذا المنزل الإلكتروني. ننطلق هنا من التأكيد على أن الهاتف الذكي يمكن فهمه بشكل أفضل ليس فقط كجهاز نتواصل من خلاله ولكن أيضًا كمكان نعيش الآن فيه، فنحن نشعر دائمًا بأننا «في المنزل» عندما نستخدم هواتفنا الذكية[2] وأصبحنا مثل الحلزونات البشرية التي تحمل منازلها في جيوبها، وربما كان الهاتف الذكي هو أول ما تفوق على المنزل نفسه [وربما على مكان العمل أيضًا] من حيث مقدار الوقت الذي نقضيه فيه أثناء ساعات اليقظة. يتكون «المنزل المتنقل» كمصطلح من عدة عناصر، فبالإضافة إلى أنه يشير لمفهوم المنزل فهو أيضًا يعترف بالهاتف الذكي كبوابة يمكننا من خلالها الانتقال من منطقة إلى أخرى، وهناك أخيرًا المقارنة بوسائل النقل باعتباره وسيلة للحركة أيضًا.

انظر مثلًا إلى الاتهام الشائع الذي وُجه للهاتف الذكي والذي أشرنا إليه في الفصل الثاني. يتضايق معظم الناس عندما يجلسون مع شخص ما في مطعم مثلًا ثم ينسحب رفقاءهم فعليًا من صحبتهم ويستغرقون في هواتفهم الذكية

بدلًا من التواجد معهم، ولكن ما يحدث هنا هو أن هؤلاء الأشخاص – فعليًا – قد غادروا إلى منازلهم، فهم يمكنهم استخدام هذه البوابة للانزواء من المكان الذي يجلسون فيه والعودة إلى المنزل الذي يمكنهم فيه القيام بالعديد من الأنشطة المألوفة من البحث عن الترفيه إلى تنظيم جدولهم أو إرسال الرسائل إلى الأصدقاء والأقارب من خلال الوسائل النصية والمرئية. في السابق كنا نحترم تمامًا حق أي شخص في الاستئذان للمغادرة والعودة إلى منزله الخاص ولكنه شيء مزعج أن ينسحب الشخص الذي يبدو جالسًا إلى جوارنا فجأة إلى مكان آخر تم استبعادنا منه دون حتى أن يقول كلمة وداع، فهم قد يبقون ماديًا في صحبتنا ولكنهم فعليًا يكونون قد انفصلوا عنا. لقد اعتدنا على فكرة أن الإنترنت هو «موت المسافات»[3] ولكن يبدو أن الهاتف الذكي الآن ينطوي على فكرة موازية هي «موت التقارب». أينما كان المكان الذي يبدو الشخص متواجدًا فيه إلا أنه من الممكن أن يكون في الحقيقة منسحبًا إلى منزله المتنقل، ويؤدي هذا الأمر إلى الانقلاب الجذري للمفاهيم التقليدية السابقة حول العام والخاص مما يؤدي بدوره إلى الاحتجاج على هذا التصدع الصارخ للآداب التقليدية.

تكمن أهمية المنزل المتنقل في الهشاشة المتزايدة للمعنى التقليدي للمنزل بقدر ما تكمن في قدرة الهاتف الذكي على تعويض هذا النقص.[4] لقد أصبح العالم دائم الحركة بسبب الهجرة وأنماط العمل وتحسن وسائل التنقل وعوامل أخرى متعددة،[5] يحوي موقعنا الميداني في نولو مثلًا نسبة عالية من المهاجرين من مناطق إيطالية أخرى وكذلك من الخارج، ولقد رأى هؤلاء الأشخاص بالفعل قيود المفهوم التقليدي للمنزل كمكان مادي أوحد والذي من شأنه أن يفصلهم عن جزء كبير من عائلاتهم وعن نشأتهم الاجتماعية والثقافية. بالنسبة للصقليين الذين يعيشون في ميلانو يساعدهم الهاتف الذكي على قبول فكرة أن ميلانو هي المكان الذي يقيمون فيه لأنه يتيح لهم أيضًا البقاء في «أرضهم» [mia terra] في صقلية محل ذكرياتهم وأحلامهم.

خلال النصف الثاني من القرن العشرين في اليابان أدت الهجرة من المناطق الريفية إلى المدينة إلى فراغ تلك الأخيرة من السكان بشكل كبير، ومع ذلك يوثق بحث لورا هجرة مضادة معاصرة من المدينة إلى البلدات الصغيرة والقرى الريفية والتي اشتدت قوتها منذ الكارثة الثلاثية للزلزال والتسونامي والانهيار النووي التي حدثت في 11 مارس 2011، حيث أدت عواقب تلك الكارثة إلى تضاؤل الثقة في البنية التحتية للدولة[6] والعودة إلى المناطق الريفية بدافع من الشعور بالغربة وانعدام الجذور في المدينة. اتفق العديد من الأشخاص في المواقع الميدانية اليابانية في كلا من الريف والحضر على أن الهاتف الذكي هو الآن مركز حياتهم حيث أنه يربطهم ليس فقط بأسرهم وأصدقائهم ولكن أيضًا بالعديد من أنشطتهم اليومية.

على عكس العديد من المهاجرين الذين شاركوا في البحث الذي أجريناه في إيطاليا أو تشيلي فإن المشاركين اليابانيين لا يشعرون أن هذا أمر جيد بالضرورة، حيث يشعر الكثيرين منهم بمشاعر مزدوجة حيال قضاء الكثير من الوقت على هواتفهم الذكية بينما هم في نفس الوقت يقولون أنها غيرت حياتهم لأنها أتاحت لهم الحفاظ على علاقات وثيقة مع الأصدقاء والأبناء والأحفاد الذين يعيشون بعيدًا عنهم في أغلب الحالات. على الرغم من أنهم ربما قد بدأوا في استعمال الهواتف الذكية مؤخرًا فقط خاصة إذا كانوا أكبر سنًا إلا أنهم يعانون من الاعتماد الكبير عليها، ويرجع ذلك جزئيًا إلى مركزية الهاتف الذكي للعديد من أنشطتهم اليومية ولكنه ربما يرجع أيضًا إلى الشعور المتزايد بالانفصال خارج الهاتف الناجم بدوره عن الأحياء الخالية من السكان.

أشرنا في الفصل الأول إلى حجة بوغوست التي ارتأت إلى أننا نعيش الآن – بفضل الهاتف الذكي – في عالم خالٍ من الاستقرار والذي يمكن رؤيته كنسخة أخرى مما اعتبره أوجي[7] تجربة شائعة جدًا للتشتت. لكن مفهوم المنزل المتنقل يقلب هذه الحجة رأسًا على عقب حيث أننا لا نجد أنفسنا بلا مكان بأي حال من الأحوال وحيث أننا يمكننا دائمًا معرفة المكان الذي نعيش فيه ومعرفة الكيفية التي يمكن بها لمكونات هذا المكان المختلفة أن تجتمع طالما أننا على

استعداد لاعتبار الهاتف الذكي هذا المكان المستقر. ما يهم هو الطريقة التي يكون بها الهاتف المحمول غير متحرك ويكون باستمرار متواجدًا معنا.

لهذه الحجة بعدًا زمنيًا كما أن لها بعدًا مكانيًا أيضًا. هناك وجود كثيف في موقع شنغهاي الميداني لكبار السن الذين كانوا قد انتقلوا للعيش في المدينة لرعاية أحفادهم، وهؤلاء قد يجدون صعوبة في التكيف مع الحياة الجديدة هناك بعد أن أُقتلعوا من شبكاتهم الاجتماعية السابقة ومن الدعم الاجتماعي الذي كانوا يتلقونه في مساقط رؤوسهم، وهم الآن يتشبثون بشيء يمنحهم حس المنزل، شيء يشعرون فيه بالأمان ومن ثم يأملون أن يصبح منزلًا لهم.

يصبح نشر الهاتف الذكي كمنزل بديل أكثر أهمية عندما ننتقل إلى وضع الشباب في أوروبا. في أماكن مثل ميلانو أو دبلن يتمثل أحد مصادر القلق الرئيسية في أنه بينما كان الأشخاص من الجيل السابق قادرون على تحمل تكلفة شراء منازلهم الخاصة – على الأقل عندما أرادوا تكوين أسرة – فلم يعد هذا هو الحال الآن. المشكلة هنا هي أن متوسط العمر المتوقع للفرد قد ارتفع وزاد عليه الإخفاق في بناء منازل إضافية كافية لمواجهة قلة المنازل المترتبة على ذلك وتصفية المساكن الحكومية، ونتيجة لذلك تتضاءل فرص الكثير من الشباب لشراء أملاكهم الخاصة قبل تكوين أسرهم ولقد أصبحوا يتساءلون عما إذا كانوا قادرين على القيام بهذه الخطوة على الإطلاق. ليس من المستغرب إذًا أن ينشأ عندهم هم أيضًا ارتباطًا يتناسب مع المنزل الوحيد الذي يمكنهم تحمل تكاليفه، المنزل الذي يمنحهم مكانًا يمكنهم على الأقل أن يكونوا فيه دائمًا وبعنوان ثابت وينتمي إليهم. عندما ينتقد كبار السن الشباب لالتصاقهم بشاشات هواتفهم الذكية يصبح من المعقول بالنسبة للشباب أن يشيروا بدورهم إلى أن الأشخاص الذين يوجهون هذه الانتقادات يمتلكون أو يستأجرون منزلًا خاصًا بهم بينما من الناحية الأخرى تتم إدانة هؤلاء الشباب لاهتمامهم بالمنزل الوحيد الذي يمتلكونه بالفعل ألا وهو هواتفهم الذكية.

عندما يحدث ويترك الأشخاص منزل والديهم فإن عدم استقرار السياق ككل يجعل من المهم أن يجمع الهاتف الذكي العنوان الذي نعيش فيه ورقم هاتفنا وعنوان بريدنا الإلكتروني معًا. تصبح الحياة أسهل بالنسبة للجميع إذا ما كنا دائمًا في «المنزل» داخل هواتفنا الذكية وبالتالي يسهل الاتصال بنا دائمًا، فمع واتساب مثلًا هناك عادة علامة صح تقر بأننا في المنزل وأننا تلقينا رسالة التواصل. في أوقات أخرى قد يصبح الهاتف الذكي – كما هو الحال بالنسبة للمنزل التقليدي – مكانًا يشعر فيه الناس بخصوصية نسبية ليس فقط للاستغراق في أفكارهم الخاصة ولكن أيضًا للقيام بالأشياء دون ملاحظة أحد.

غالبًا ما يتم تقسيم المنازل في الكثير من الأماكن إلى غرف بحيث يكون لدينا على الأرجح غرفة نوم للراحة ومطبخ للطهي وغرفة معيشة للتواصل أو لمشاهدة التلفزيون، وتعمل تلك المنازل في كليتها كنوع من الكائنات الحية مع دوران الطاقة والوقت الروتيني والفضاء المخصص. يتميز المنزل المتنقل بالعديد من الصفات المماثلة للمنزل المادي كما يوضح هذا البيان المعلوماتي [الشكل 9.1]، فكما هو الحال في مثل تلك المنازل يتم تقسيم المنزل المتنقل أيضًا إلى العديد من الساحات يستخدم كل منها لأنواع مختلفة من التجارب. من خلال الضغط على أيقونة ما يمكننا الدخول إلى مكان يمكننا فيه لعب الألعاب أو مشاهدة التلفزيون، وهناك أيقونة أخرى تنقلنا إلى مواقع البحث والدراسة، وأخرى للاستماع إلى الموسيقى، وأخرى لإنجاز الأعمال اليومية مثل التسوق أو الخدمات البنكية.

كما هو الحال داخل المنازل الكبيرة يمكننا قضاء بعض الوقت داخل هذه التطبيقات أو المساحات المتنوعة في هدوء نسبي. قد يكون هذا أحد الأسباب التي تجعلنا مهتمين جدًا بحماية شعورنا بالخصوصية الذي يرتبط بالتواجد داخل المكان الذي نعيش فيه، حيث يشعر الكثير من الناس بالقلق من أن يكون الهاتف الذكي يخونهم وينتهك تلك الخصوصية بجمعه للبيانات التجارية. يمكن للهاتف الذكي توفير العديد من المساحات الخاصة بما في ذلك تلك التي يمكننا فيها إجراء المحادثات من خلال لاين أو ويتشات أو واتساب حيث لا يدري بنا أحد



9.1 بيان معلوماتي من تصميم جورجيانا موراريو يوضح مفهوم المنزل المتنقل.

من حولنا أو حتى تلك التي يمكننا فيها تخزين المواد الإباحية. لكننا يمكننا أيضًا دعوة الآخرين للمرور والزيارة ودعوتهم للمشاركة في النميمة الجماعية وإصابتهم بالملل بأحدث صيحات النظم الغذائية التي نتبعها ومشاركة الأشياء المضحكة معهم.

قد ننظر أيضًا للهاتف الذكي باعتباره مساحة منزلية قد يكون تنظيفها وترتيبها مهمة دورية. تخبرنا سوزانا من سانتياغو بحماس مثلًا كيف تحافظ على هاتفها مرتبًا [mantener de teléfono]: «أقوم بتنزيل الصور من الهاتف مرة في الشهر وأقوم بمسح الصور ومقاطع الفيديو باستمرار. أقوم بتنظيفه كل يوم، كل يوم!». تحب مشاركة أخرى في البحث تدعى إرنستينا تطبيق آوتلوك [outlook] لأنه يمكنها من محو رسائل البريد الإلكتروني بسهولة كما أن وجود ما يسمى بـ «سلة المحذوفات» يساعد في اكتمال تلك المقارنة بالمنزل. عندما

تقول إرنستينا «أحب إبقاء الهاتف مرتبًا» لا يسع ألفونسو إلا أن يلاحظ مدى ترتيب غرفة المعيشة في شقتها. يمكن للهواتف الذكية أن تصبح شديدة الفوضى، وقد نتعايش مع تلك الفوضى أو نتخذ إجراءًا إزاءها كحذف كل تلك القمامة الزائدة على سبيل المثال أو إعادة ترتيب الأشياء الموجودة في المكان الخطأ أو استبدال تطبيق ما بتطبيق أفضل أو الموافقة على تحديث النظام. يستخدم الناس في شنغهاي الآن مصطلحًا يعني «الرفض - التخلص - الفصل» [duan- she- li] فالحفاظ على المنزل مرتبًا يتطلب رفض شراء المزيد من الأشياء والتخلي عن ما هو غير مطلوب، ولكن شينيوان وجدت من خلال عملها الميداني أن أكثر استخدام تلك العبارة كان للإشارة إلى ترتيب الهواتف الذكية وفرز ما بها. تشير جوانجوا على سبيل المثال إلى الآتي: «منذ عام 2016 وأنا أقوم بالرفض - التخلص - الفصل بانتظام على ويتشات الخاص بي، وعادة ما أشعر بالرضا بعد حذف بعض جهات الاتصال غير الضرورية». التعبير المناسب لذلك الأمر في ياوندي هو «القيام بالأعمال المنزلية» [faire le ménage] وهو مصطلح تم توسيع معناه الآن ليشمل الهواتف الذكية كأن تقول «تنظيف جهات الاتصال الخاصة بي» [faire le ménage dans mes contacts] أو «تنظيف شاشتي» [ménage sur mon écran faire le] والأكثر وضوحًا هو استخدام الناس لعبارة «هناك أشخاص لن أسمح لهم بدخول منزلي ثانية» [il y'a des gens que je ne veux plus laisser entrer chez moi] في إشارة إلى هواتفهم الذكية وليس إلى المنزل الذي يعيشون وينامون فيه.

يمكننا أيضًا رؤية العديد من صفات المنزل التقليدي الأخرى في المنزل المتنقل كما تذهب ماري دوجلاس[8] قائلة أن المنزل هو الحيز الذي ننظم فيه المكان مع الزمان، فالشيء الذي يعطي للمنزل تماسكه ليس «صلابة الجدران ولكن التنسيق المعقد». المنزل هو أيضًا المكان الذي نوزع فيه انتباهنا على أشخاص آخرين عند إجراء التفاوضات المستترة حول من يجب أن نكون على اتصال به ومتى، وهو المكان الذي نضع فيه روتيننا اليومي ونعرف ما هو الوقت وما يجب أن نفعله في تلك اللحظة، وهو أيضًا أكثر مكان نتعرض فيه لمراقبة وسيطرة الآخرين. الهاتف الذكي هو المكان الذي نغير فيه من عالم التجارب الخاص بنا فنختار ما نراه وما نحتفظ به وهذا هو ما يجعله حيزًا أساسيًا لصياغة أنفسنا داخل العالم كما سيبين القسم التالي.

يمكن للمنزل المتنقل أيضًا استعمار المنزل التقليدي إلى درجة مدهشة وهو غالبًا ما لا يكون شيئًا منفصلًا عن ذلك المنزل وإنما امتداد له،[9] وقد أوردنا مثال على ذلك في نقاشنا حول إيكولوجيا الشاشة في شنغهاي في الفصل الثالث. أصبح الناس يعيشون اليوم بشكل هائل مع مجموعة من الشاشات ذات الأحجام المختلفة، وهو الأمر الذي تكمل فيه الحراكية والمقروئية بعضهما البعض. الهاتف الذكي هو العنصر الأكثر قابلية للتنقل ولكن هناك أيضًا الأجهزة اللوحية والكمبيوتر المحمول والتلفزيون الذكي وكلها متكاملة بشكل كبير، فقد يقرأ بعض الأشخاص الآن عندما يكونون في المنزل رسائل بريدهم الإلكتروني مثلًا على شاشة التلفزيون الذكي. كان المنزل الذي نظرنا فيه في شنغهاي مليء بالهواتف الذكية وقريباتها الأكبر حجمًا بحيث يمكن للعائلة أن تستفيد من البوابات التي تمنحها شاشة أو أخرى في كل غرفة من غرفها، وهنا تصبح الشاشات في واقع الأمر كنوافذ المنزل فمن خلالها يمكن للساكنين رؤية عالم يتجاوز المشهد الذي يرونه من خلال النوافذ المادية. تغير الهواتف الذكية أيضًا من طبيعة العلاقة بين الأشخاص داخل المنزل، ففي بنتو على سبيل المثال يمكن للأزواج الآن العيش معًا بسهولة أكبر لأنهم لا يضطرون إلى الصدام حول من منهما يمكنه استخدام نظام الترفيه أو التحدث إلى أشخاص آخرين وذلك بفضل هواتفهم الذكية المستقلة.

تكمن إيكولوجيا الشاشة أيضًا وراء أحد أهم التغيرات في علاقتنا بالمنازل ألا وهو التغير الذي أصبح واضحًا أثناء الإغلاق الكامل نتيجة لوباء كوفيد-19. كان هذا التغير هو إدراكنا للقدر الضخم من أشكال العمل – وليس العمل فقط وإنما أيضًا التواصل الاجتماعي والتسوق والترفيه وأشكال الحياة بشكل عام – التي يمكن أن تستمر من داخل

حدود المنزل بفضل الاتصالات الرقمية، كما كشفت تجربة الإغلاق الكامل عن جميع قيود التواصل الاجتماعي القائم على الإنترنت فقط بما في ذلك غياب لقاءات العمل وأحضان من نحب، ولكن في نفس الوقت أبدى العالم كله تقريبًا نفس القدر من الامتنان للاتصال عبر الإنترنت الذي لولا وجوده لكانت الأمور لتكون أسوأ بكثير. كان الهاتف الذكي في بعض المناطق مساعدًا للاعب الأساسي ألا وهو الكمبيوتر المزود بتقنية زوم [Zoom] ومنصات الاتصال الأخرى، ولكن مشروعنا هذا تضمن أيضًا مواقع ميدانية لا يكاد أحد يمتلك فيها جهاز كمبيوتر وتعتمد فيها كل تلك الاتصالات على الهاتف الذكي وحده.

ليس كل ما تم وصفه للتو إيجابيًا، فمثلًا هناك التخوف من أن هذا الشيء الذي يستخدم للمحافظة على أو حتى لخلق الشعور بالخصوصية هو في حقيقة الأمر جاسوسًا يعمل ضمن منظومة الرأسمالية الرقابية[10] وينقل البيانات التي تخص العالم الأكثر حميمية للمرء إلى أشخاص غرباء، ولهذا السبب لا يتمتع المنزل المتنقل بالحرمة التي يتمتع بها المنزل التقليدي كمكان للخصوصية. هناك طرق أخرى يمكن للهاتف الذكي بها تقويض خبراتنا السابقة عن المنزل كملاذ، فقد يكون المتوقع من الموظفين الآن هو أن يظلوا على اتصال بعملهم حتى بعد مغادرة مكان العمل، وقد يجد الطفل الذي يتعرض للتنمر من تلاميذ آخرين في مدرسته راحة قليلة أو معدومة في العودة لمنزله الخاص.

سرعان ما أدرك الناس تحت الإغلاق الكامل خلال جائحة كوفيد-19 أنهم لم يفتقدوا احتضان الآخرين خارج المنزل فقط ولكن أن الحفلات والاحتفالات على زوم أيضًا كانت بديلًا ضعيفًا للأشياء الحقيقية. اللقاءات الجنسية والحميمة عبر الإنترنت ليست بالتأكيد كتلك التي تحدث بالاتصال المباشر ويمكن اعتبارها بدائل متدنية للغاية، كما أن الهاتف الذكي لا يأتي مع حديقة يمكنك زراعتها أو مع إمكانية أن يخبز المرء خبزه الخاص. ربما كانت هناك مئات الأمثلة الأخرى التي تكشف ضآلة الحياة التي تعاش على الإنترنت فقط، ومع ذلك فلا ينبغي أن يكون الإبحار في قيود ومخاطر الهاتف الذكي مبنيًا على تلميع صورة المنزل التقليدي بمشاكله الخاصة التي لا تعد ولا تحصى والتي تتراوح من مراقبة الأسرة إلى رهبة الأماكن المغلقة إلى العنف المنزلي. لكل البيوت تناقضاتها.

يتعلق الاختلاف الرئيسي الآخر بالجانب المتنقل للمنزل المتنقل. المنزل المادي غير متحرك ومحدود في قدرته على التفاعل مع العالم الأوسع لأنه يفتقر إلى حركة الجسم بالغة الأهمية، ولكن يوفر المنزل المتنقل[11] على النقيض بوابة اتصال سهلة وفورية بعالم آخر حيث يمكننا الاتصال بالبلدان الأخرى من خلال سكايب أو التسوق في مراكز تجارية افتراضية أو اللعب داخل عوالم أخرى بديلة وكل ذلك نفعله دون أن نترك هواتفنا الذكية.[12] للهاتف الذكي ارتباطه الخاص بالمشاعر والعاطفة بداية من الشعور الحسي الذي يأتي من تمرير الأصابع على شاشة اللمس وحتى الشعور الآمن بأنه يرقد بإحكام داخل جيبك، ونحن أيضا نختبر معه الشعور بالفقد مثلما يحدث في حالة تعطله أو فقدانه فعندها يبدو فجأة وكأننا انقطعنا حتى عن إمكانية القيام باللقاءات الاجتماعية أو منعنا مؤقتًا من جزء من ذاكرتنا الخاصة.

قد تكون العديد من مميزات المنزل المتنقل ذات صلة خاصة بكبار السن، فعندما تقل قدرة الأشخاص على الحركة يصبح الهاتف الذكي أكثر أهمية كمنزل يمكنهم التنقل منه على عكس المنزل الذي يتقيدون بالبقاء داخله. يتجلى ذلك بوضوح في المواقع الميدانية اليابانية حيث يجد كبار السن قيمة كبيرة في دعم الأصدقاء من خلال تطبيق المراسلة لاين مع تقدمهم في العمر وزيادة قيودهم الحركية كما أوضحت السيدة كوماتسو – وهي امرأة من كيوتو في الستينيات من عمرها – قائلة: «أعتقد أننا عندما نتقدم في العمر فهذا يعني أن أصدقاءنا لا يكونون قريبين منا مباشرة. لذلك قد يبدو الهاتف الذكي أكثر قيمة بالنسبة لنا [مع تقدمنا في العمر] لأنه يسمح لنا أن نظل اجتماعيين». تنطبق نفس النقطة على عنصر آخر من عناصر المنزل المتنقل ألا وهو النقل، ولقد عرض الفصلان السادس والسابع

عدة حالات لكبار السن الذين لم يعد يُسمح لهم بالقيادة ومن ثم أصبح الهاتف الذكي مركز التحكم في علاقتهم بالنقل بوجود تطبيقات تشمل مواعيد الأوتوبيسات المحلية وأوبر والخرائط. بالنسبة للأشخاص في أيرلندا يمتد هذا الاستخدام إلى حركتهم في النطاقات الأوسع، حيث تستخدم الهواتف الذكية في العديد من جوانب قضاء الإجازات أو صيانة ومتابعة ممتلكاتهم في الخارج بما في ذلك تعلم لغة جديدة أو استخدام [Tripadvisor] أو [Airbnb]. ولكن الأهم من ذلك هو إحساس النقل الذي يأتي مع الهواتف الذكية التي تعتمد على حركة أجسادنا فهي تتمتع بقدرة فريدة على التواجد معنا في جميع الأوقات مما يتيح لنا النفاذية إلى انتهازيتها المتواصلة. لهذه الصفات سلبياتها أيضًا بالطبع كالخوف الذي يشعر به الأشخاص في بنتو الذين يعتقدون أن الرد على المكالمات أو تفقد هواتفهم الذكية في الأماكن العامة قد يجعلهم هدفًا للسرقة.

أخيرًا، يجب أن يكون واضحًا من قراءة هذا الكتاب أن الإشارات إلى الحجج العامة والنظرية دائمًا ما تكون دقيقة في درجات اختلافها تبعًا للموقع الميداني. على سبيل المثال سوف يأخذ المنزل المتنقل حتمًا معانٍ مختلفةً في كل موقع من المواقع الميدانية نتيجة للطرق المختلفة التي يفهم بها الناس ماهية المنزل والطرق المختلفة التي يستخدمون بها هواتفهم الذكية. يجسد الفيلم القصير المعروض هنا هذه النقطة فيما يتعلق باليابان [الشكل 9.2].

وختامًا، فإن أهمية النظر في الهاتف الذكي كمنزل متنقل بالنسبة للأنثروبولوجيا تكمن في الاعتراف بتلك العلاقة الإشكالية للغاية بين المهاجرين والشباب والبعض الآخر من ناحية والبيوت التقليدية من ناحية أخرى بالضبط كما تكمن في تقدير إمكانية الهاتف الذكي على تعويض تلك الخسارة. يجمع الهاتف الذكي بين العديد من الإمكانيات االتي تتراوح من تعدد الأنشطة التي تحدث في «غرفه» المنفصلة إلى إمكانية تقديم الرعاية عن بعد من خلاله أو إمكانية استخدامه كمركز تحكم عن بعد يكون مرتبطًا بدوره بأنظمة أخرى كالنقل. يؤثر الهاتف الذكي كمنزل متنقل تأثيرًا عميقًا بداية من موت التقارب وحتى توفير اتصال آمن للواهنين، ولكل هذه الأسباب نرحب بمزيد من الأبحاث التي تستقصي ذلك التغير المستمر الذي يمكننا ملاحظته في العلاقة بين المنزل الهاتفي الذكي وأماكن أخرى كالمنزل والمكتب.[13]



9.2 فيلم: (الهاتف الذكي كمنزل متنقل في اليابان). متاح من خلال http://bit.ly/transportalhomeinjapan.

ما وراء الآلة المتجسدة

لأكثر من قرن من الزمان[14] كانت البشرية مفتونة بإنشاء الروبوت وبقدرته المحتملة على تحقيق تخيلاتنا للآلة المتجسدة أي الآلة التي تشبه الإنسان إلى حد كبير. كان هذا تمرينًا على الآخرية حيث كان الروبوت يُصوَر في المعتاد كآلة تشبهنا بشكل كبير مع احتفاظها بكونها شيئا مختلفًا عنا كبشر، ولهذا السبب نحن مفتونون بإحتمالية انقلاب الروبوت علينا أو حصوله على الحقوق «كنوع من البشر» التي هي تيمة منتشرة في أعمال الخيال العلمي. وربما كان هذا الافتتان بالروبوتات هو ما قادنا لإهمال مسار أكثر عمقًا وتقدمًا نحو ووراء الآلة المتجسدة ألا وهو المسار الذي يمر عبر الحميمية مع البشر أكثر من أي وقت مضى وليس عبر التشابه أو الآخرية، وهذا التطور يتحقق على وجهه الأكمل في الهاتف الذكي.

تعكس التصورات الشائعة للروبوت على أنه يجب أن يكون مجسدًا تجسيدًا ماديًا مفاهيمًا سطحية،[15] وعلى النقيض لا يشبه الهاتف الذكي الإنسان مثقال ذرة، فهو مثلًا ليس لديه ذراعين أو ساقين ولا يحتاج إلى الأطراف ولكنه يحظى بقدرته المادية على التنقل بحملنا له في جيوب بناطيلنا أو حقائب يدنا. تطور التجسيد المادي للهاتف [anthropomorphism] من خلال عمليات معينة مثل العمليات التكاملية [كتوليه بعض مهام الذاكرة على سبيل المثال] أو التعويضية [كتوسيعه لقدرتنا على معرفة ما هو موجود حولنا]، هذا بالإضافة إلى قدرة الهاتف الذكي على تغيير الفرد الذي ينتمي إليه فنحن قد نغير عاداتنا وممارساتنا اليومية بمجرد ما نمتلك هاتفًا ذكيًا.

تأتي الدلائل الرئيسية على «ما وراء التجسيد الآدمي» من الفصل السادس، فقد كشف لنا مثال إلينور من أيرلندا كيف قد يعبر الهاتف الذكي أيضًا عن شخصية مالكه بشكل كامل مثل الرغبة في أن يُنظر إلى الشخص على أنه شخص مهني بارع كما في حالة إلينور نفسها، أو مثل الذكورة التقليدية لسليل الصيادين الفظ كما في مثال آخر من نفس الموقع الميداني. يبدو الهاتف الذكي كما لو أنه أصبح امتدادًا للأشخاص تمامًا مثل الديمون [daemon] في روايات فيليب بولمان – أي ذلك الشيء المنفصل عنّا إلى حد ما ولكن بغيابه نشعر بأننا فقدنا جزءًا كبيرًا من أنفسنا. الهاتف الذكي جهاز يوسع من قدراتنا ليس فقط على معرفة الأشياء أفضل مما نستطيع أن نفعل بمفردنا ولكن أيضًا على أن نكون أكثر تنظيمًا، ونرى هذا على وجه الخصوص في أولئك الذين لديهم موارد محدودة أو عوائق لاستخدام الهواتف الذكية. ليلى من القدس – وهي إحدى مؤلفي هذا الكتاب – كفيفة، ولقد وجدت كلًا من التعويض والإحباط في هاتف آيفون الجديد الخاص بها ولكنها لا تستطيع العيش بدونه الآن. ربما لم يحدث أبدًا أن تمكن جهاز من أن يحظى بهذا المستوى من الألفة أو الاستمرارية مع الإنسان [الشكل 9.3].

في الفصل السادس تعاملنا مع عملية إنشاء هاتفًا ذكيًا على أنها عملية صياغة خلاقة، وفي المقابل أصبح التماثل بين صياغة الهاتف الذكي وصياغة الحياة واضحًا بدوره في هذا المشروع البحثي بشكل خاص حيث أن معظم علماء الإثنوغرافيا الذين عملوا عليه كانوا يدرسون التقاعد في نفس الوقت.[16] قد ينطوي التقاعد على اتخاذ مسلسل كاملة من الأنشطة والسلوكيات الجديدة وعلى استمرار بعض الأنشطة وخسارة البعض الآخر، ولقد أصبح التقاعد في أغلب الأحيان الآن مشروعًا مشتركًا مع الهاتف الذكي. وجود المزيد من الوقت للإبحار في دبلن مثلًا قد يعني أيضًا استخدام سبعة تطبيقات مختلفة للإبحار، أما في ياوندي فالتقاعد قد يعني وجود المزيد من الوقت الذي يمكن تكريسه للكنيسة وتنزيل الكتاب المقدس والتطبيقات الدينية الأخرى. في اليابان كان المشاركون من المتقاعدين قد بنوا هوياتهم حول حياتهم العملية بالكامل في معظم الأحيان، ونتيجة لذلك كان بعضهم غير مؤهلين لإدارة حياتهم خارج نطاق العمل وقد يرفض هؤلاء المشاركون الهاتف الذكي مفضلين الاحتفاظ بهاتفهم القديم ذي المميزات



9.3 بيان معلوماتي من تصميم جورجيانا موراريو يوضح مفهوم ما وراء التجسيد الآدمي.

المحدودة [الجاراكي] الذي يمنحهم اتصالًا ماديًا بعوالمهم الاجتماعية السابقة. ومع ذلك بالنسبة لآخرين من الرجال والنساء على حد سواء فقد منحهم الهاتف الذكي قدرًا أكبر من التحكم في أعمالهم التي يعملون فيها بدوام جزئي في السنوات التي تلت التقاعد، فوجود التطبيقات التنظيمية يعني أنه أصبح بإمكانهم تجنب المكالمات المحرجة مع أصحاب العمل والتي كان من الصعب فيها أن يقولوا «لا».

لم تعمل معظم النساء الأكبر سنًا في دار الهوى بأجر أبدًا وبالتالي فهن لم «يتقاعدن»، ومع ذلك وجدت الكثيرات أن الهواتف الذكية تلعب دورًا رئيسيًا في حياتهن بعد أن أصبحن جدات، وتغير تفاعلاتهن العائلية في تلك المرحلة – مثل سماحهن للأحفاد بمشاهدة يوتيوب على هواتفهن الذكية – علاقتهن بهذه الأجهزة أيضًا بشكل كبير. تتكون هذه الصياغة في مجملها من مزيج لطيف من القديم والجديد حيث تكتمل الصورة الأيقونية للحفيد في غرفة المعيشة بالمشاركة اليومية لما يفعله الحفيد في اليوم. هل الهاتف الذكي جزء منا أم أنه شيء منفصل؟ اعترفت مشاركة من الموقع الميداني الأيرلندي بخجل قائلة أنها الآن وقد أصبح لديها عداد الخطوات فهي تمشي أكثر «لأنني أحب أن أبهر تطبيقي».

كيف تعمل هذه الصياغة؟ يبدو الهاتف الذكي عند الشراء كما لو كان مجرد آلة فتبدو مثلًا جميع أجهزة سامسونج جالاكسي نوت في المتجر متطابقة حتى شراؤها، ولكن بمجرد الشراء يصبح لدى الشخص مطلق الحرية لتحديد ما لن يستخدمه من تطبيقات الجهاز المثبتة مسبقًا أو ما سيفعله بالوظائف المدمجة مثل المصباح أو البلوتوث. يشرع الشخص بعد ذلك في تنزيل تطبيقات جديدة قد يرتبها حسب أهميتها فيصبح لديه واجهة وخلفيات عبر شاشات عدة فيكون لديه في الخلفية التطبيقات التي يستخدمها نادرًا أو التطبيقات المستحدثة مثل تطبيق يمكنه التعرف على أصوات الطيور عند الخروج للمشي نهارًا وآخر يمكنه التعرف على المجموعات النجمية عند المشي ليلا.

يتضمن المستوى التالي تعديل هذه التطبيقات فقد يغير صاحب الهاتف الإعدادات لتلقي الأخبار التي تهمه فقط أو لتحديد موقع منزله كأساس لاستخدامه للخريطة، وعادة ما يكون المستوى الذي يلي ذلك من عملية إضافة البصمة الشخصية تلك هو الأكثر بروزًا وذلك هو إنشاء واختيار المحتوى. قد يكون لدى العديد من مستخدمي الهواتف الذكية تطبيق يستخدمونه للقراءة ولكن هذا التطبيق قد يحتوي على أي شيء من سلسلة هاري بوتر إلى مسرحيات شكسبير، وقد تكون صورهم عبارة عن صور سيلفي أو عن شرائح باوربوينت. هذه الإمكانية لاختيار المحتوى عبر العديد من التطبيقات هي ما يعطينا فكرة عامة أفضل عن الشخص كذوقه وقيمه واهتماماته، فإذا كان هذا الشخص من دار الهوى مثلًا فمن المحتمل أن يرغب في أن يعكس محتوى هاتفه الذكي قيم الإسلام.

حوّل الفصلان الرابع والخامس زاوية الاهتمام من ثقافة التطبيقات إلى إثنوغرافيا الحياة اليومية حيث يكون التركيز الأساسي في كثير من الأحيان على المهام وليس على التطبيقات. كان العديد من كبار السن الذين التقينا بهم أثناء تعلمهم استخدام الهواتف الذكية مهتمين بشكل أساسي بتسلسل الخطوات التي إما يعرفونها أو على استعداد لتعلمها، وبهذا تم اختزال الهاتف الذكي في دور واحد هو أداء المهام من خلال تسلسل من الخطوات وأصبح أي شيء آخر قد يكون الهاتف الذكي قادرًا على القيام به غير مهم ويتم تجاهله ببساطة. قد يتضمن العمل على الهاتف الذكي الطرح كما يتضمن الجمع كما هو الحال في أنواع الصياغة الحرفية الأخرى، وينتج عن هذه الصياغة علاقة حميمة مع الهواتف الذكية تصبح معبرة جدًا عن الفرد كما أسلفنا وصفها في الفصل السادس. يمكن ملاحظة تأثير هذه العلاقة الوثيقة في حدث كالذي وصفناه في الفصل السابع عندما فقدت نورا من دار الهوى اتصالها بالواتساب مؤقتًا حيث كان شعورها اللحظي بالصدمة والقنوط آتيًا من تقديرها لوضع واتساب الآن كجزء لا يتجزأ من البنية التحتية لحياتها، فقد شعرت نورا بالألم وكأن الخسارة عميقة وهذا هو المقصود بالعلاقة الحميمة.

ومع ذلك فهذا النهج في إضفاء الطابع الشخصي على الهاتف الذكي بعد الشراء لا يعني التقليل من أهمية شركات الهواتف الذكية والتطبيقات بأي حال من الأحوال. يجب أولًا أن يُنسب إليهم الفضل في إنشاء كل تلك الإمكانيات في المقام الأول لأن تلك الإمكانيات هي ما يجعل الصياغة اللاحقة ممكنة، فغالبًا ما يكون المصممون – إلى جانب اختبارات الاستخدام الكثيفة – هم من يقوموا بإنشاء الظروف المناسبة لكل تلك التحولات اللاحقة. على عكس معظم السلع الأخرى التي تنتجها الشركات ويستهلكها الأشخاص يتم تزويد الهاتف الذكي بقدرة خاصة على تعميق علاقته الحميمة بالمستخدم ويتم تصميم التطبيقات للتعلم من خلال التفاعل بشكل كبير، وهذا هو المقصود بمصطلح «ذكي» في قاموس المصطلحات التقنية أي قدرة الجهاز على التعلم. خاصية الموقع مثلًا ليست مجرد قدرة نظام [GPS] على تحديد مكاننا فهي قد تتضمن أيضًا التنبؤ بموقعنا بناءً على المكان الذي كنا فيه أو المكان الذي أظهرنا الاهتمام بالذهاب إليه، كما أن المساعد الشخصي الذي يعمل بالصوت يصبح أكثر دقة إذ يتعلم الجهاز عن صوتنا. من خلال هذه الطرق تُمَكِن خوارزميات التعلم الآلي التطبيقات من التعلم منا ومن بيئتنا ومن بعضنا البعض كطفيليات تتسلق وسائط التواصل الاجتماعي لمعلومات الموقع أو تاريخ البحث الخاصة بنا، وهذه بدورها عملية ذات اتجاهين حيث تظل الشركات من خلالها تشارك في جمع ومعالجة البيانات كما تظل تستثمر في التحسين المستمر للتطبيقات حتى تكون أكثر انسجامًا مع دورها في تلك العملية لأغراض مثل الإعلانات المخصصة.

ومع ذلك فإن التركيز الزائد على العنصر «الذكي» في الهاتف الذكي قد يكون مضللًا لأنه عند فحص الهاتف الذكي بشكل مفصل نجد أن الطريقة التي يقوم بها الشخص بتكييف الجهاز وفقًا لاحتياجاته الخاصة له تأثير أكبر بكثير على تجربته من الطريقة التي يتكيف بها الجهاز معه من خلال الخوارزميات. ربما تكون الشركات قد ضخت مواردها في محاولة لجذب المستخدمين للاعتماد على مساعدي الهاتف [phone assisstants] ولكننا وجدنا أن العديد من المشاركين يعتبرون مساعد سامسونج جالاكسي المسمى بيكسبي مجرد مصدر إزعاج يثير الحنق لأنه لا يمكن التخلص منه وأيضًا من النادر أن تجد أليكسا – وهو مساعد هاتفي آخر – يؤدي دورًا أكبر من اعتباره مجرد

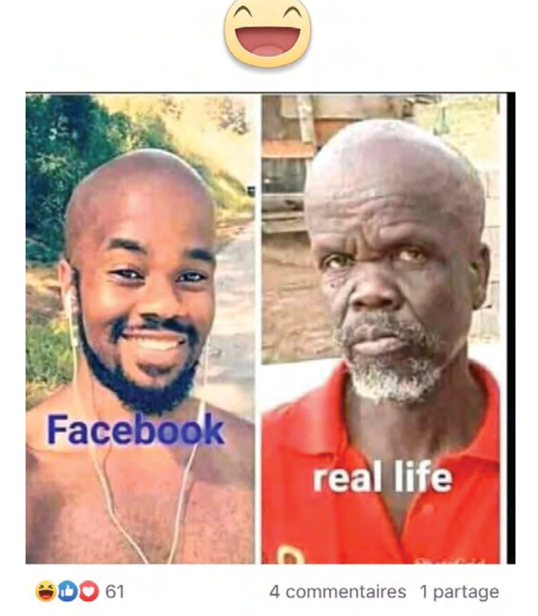
راديو يعمل بالصوت. ربما تجد روبوتات الدردشة المبرمجة بالذكاء الاصطناعي في المستقبل موطئ قدم مناسب كأصدقاء أو حتى كمعالجين لنا،[17] ولكن يظل التأثير حتى الآن محدودًا.

تفرز هذه الصياغة مزيج حميم يتجاوز التجسيد الآدمي. في كتابه الممتاز (أذكى مما تعتقد) يوثق كلايف طومبسون[18] الطريقة التي أصبح بها البشر أكثر ذكاءً من خلال دمج تلك الأجهزة في حياتهم، فعدم الاضطرار إلى حفظ «الحقائق» وإنما عوضًا عن ذلك حفظ الطريقة التي نستخدم بها الهاتف الذكي للبحث عن الحقائق يجعلنا أكثر ذكاء. يوضح طومسون هنا لم أن أفضل لاعب شطرنج ليس شخصًا ولا جهاز كمبيوتر وإنما الاثنين وهما يعملان معًا، وربما يكون التشبيه الأفضل لظهور الهواتف الذكية هو اختراع الطباعة ثم الكتب، فهذا الإنجاز أحال الكثير من والظائف السابقة للذاكرة – والتي كانت تعتمد على الذاكرة المعرفية وحدها – إلي «المستطيل الصلب» الذي هو الكتاب والذي يمكننا اعتباره مقدمة للقرص الصلب. لن يعترض على هذا الرأي الذي يقول أن الكتب جعلت البشرية أكثر ذكاء سوى قلة من الناس لأن البشر كانوا على استعداد للتنازل عن الكثير من الذاكرة للكلمة المكتوبة،[19] وبالمثل فإن العديد من المشاركين في هذا البحث يرون الهاتف الذكي حرفيًا كمذكرة تنظم لهم ملاحظاتهم بينما آخرون – مثل فرناندا من بنتو – يستخدمون تطبيقات التمارين العقلية وهو الأمر الذي يرجع جزئيًا إلى قلقهم الشديد من الإصابة بالخرف. تقريبا تستدعي جميع الصور في هذا الكتاب شمولية أوسع تتجاوز التمييز بين الشخص والآلة عندما يتعلق الأمر **بطريقة** تفكيرنا.

تظهر العديد من الأمثلة في هذا الكتاب أن هذا الذي يتم صياغته هو أيضًا شخص بنفس القدر، وهي النقطة التي تم إيضاحها بشكل جيد في حالة إدواردو من بنتو والتي ناقشناها في الفصل السادس حيث كان إدواردو صريحًا جدًا بشأن استخدامه للهاتف الذكي لمساعدته في تصور ما ستصبح عليه حياته الجديدة الآن وقد أصبح متقاعدًا. تؤدي نتيجة تلك العمليات إلى قصص مثل تلك الخاصة بماريو من نولو الذي أصبح هاتفه الذكي نسخة من العديد من اهتماماته الصميمة التي تتراوح من البستنة إلى تنظيم مخصصات المجتمع المحلي، ونجد مثالًا آخر على ذلك في ماتيس الذي هو في الأصل من ليتوانيا ويعيش الآن في أيرلندا حيث أن شغف ماتيس بإصلاح السيارات يهيمن على هاتفه الذكي كما يهيمن عليه هو نفسه. يبدو واضحًا في بعض الأحيان أن الهاتف الذكي هو الذي يقوم بصياغة الشخص تمامًا كما يقوم الشخص بصياغة الهاتف الذكي.

قد تبدو الصياغة للوهلة الأولى وكأنها نوع من التزييف مثلما يحدث في حالة جعل الشخص يبدو أصغر بكثير من عمره الحقيقي كما يظهر في هذا الميم من ياوندي [الشكل 9.4]، أم ربما كان الميم هو ما يعطينا الانطباع الخاطئ؟ يستجيب العديد من المشاركين لذلك بإخبارنا مرارًا وتكرارًا أنهم يشعرون بأنهم أصغر سنًا مما يوحي به مظهرهم. يرى هؤلاء كما أشرنا في الفصل السادس أن مظهرهم الخارجي مزيف وأن الهاتف الذكي كجهاز يمكنه إظهارهم كما هم على حقيقتهم، وهم كانوا على أي حال يفعلون الكثير بالفعل لتحسين مظهرهم الخارجي. إذن من هو الشخص «الحقيقي»؟ هل هو الجسد غير المزين، أم هو الجسد الذي أعددناه للعرض العام من خلال مستحضرات التجميل والملابس، أم هو الصورة التي صغناها لتقدمنا في الهيئة التي نتخيل أنفسنا عليها؟ ليس لنا كمؤلفي هذا الكتاب أن نجيب عن هذا السؤال لأننا بدلًا من ذلك نحترم أن تكون إجابة الناس في ياوندي مختلفة تمامًا عن إجابة الناس في شنغهاي. لا يمكن أن ندعي بشكل مطلق بأن الهاتف الذكي يقوم – أو لا يقوم – بإنشاء صور مزيفة لأشخاص زائفين، بل نقول بأن الدلائل التي يحتويها هذا المؤَلَف تشير إلى أنه في بعض المجتمعات تعتبر النتائج كشخص مزيف بينما في حالات أخرى يُنظر إليها على أنها صياغة لتعبير أوضح عن حقيقة شخص.

اقتبست خاتمة الفصل الثامن جوفمان في استنكاره لفكرة أن الاتصال المباشر وجهًا لوجه هو الاتصال «الطبيعي». يقول الناس في الصين من خلال هواتفهم الذكية ما لا يمكنهم قوله وجهًا لوجه، وهم يشيرون إلى جميع أنواع الرموز التعبيرية



9.4 ميم متداول على وسائل التواصل الاجتماعي في ياوندي. لقطة الشاشة لباتريك أووندو.

والملصقات بمسمى «بياوتشينج» [biaoqing] والتي تعني حرفيًا «تعبير الوجه» بالصينية. كثيراً ما يستخدم الناس البياوتشينج للتعامل مع المواقف التي لولاها لكانت محرجة أو مخجلة، فعلى سبيل المثال يمتلك السيد هونغ الموظف المدني المتقاعد أكثر من 100 بياوتشينج محفوظة على ويتشات الخاص به والتي توفر له مستودعًا يستخدمه للمشاعر والإيماءات الاجتماعية الاعتيادية مثل إبداء الأسف. يوظف السيد هونغ البياوتشينج المختلفة بمهارة بناءًا على سياقات محددة ومستقبلين محددين، فهو مثلًا قد يقدم اعتذارًا لطيفًا لأصدقائه عندما يكون غير قادر على حضور تجمع لهم من خلال ملصق على طراز المانجا يصور يدان متشابكتان مع نص متضمن داخله يقول «آسف، آسف»، أو قد يغيظ حفيده بقطة مطأطأة الرأس تقول «آسف» أيضًا. عندما كان على السيد هونغ أن يرفض طلب أحد الأصدقاء للمساعدة فعل ذلك من خلال شخصية كرتونية تبكي قائلة «يا صاحب الجلالة أنا حقا لا أستطيع أن أفعل ذلك» للتقليل من قسوة الرفض. نتيجة لذلك علق السيد هونغ في إحدى المناسبات قائلًا: «في بعض الأحيان أتمنى حقًا أن أتمكن من استخدام هذه البياوتشينج في المحادثات التي أقوم بها وجهًا لوجه أيضًا، فهذا من شأنه أن يجعل الحياة أسهل كثيرًا». المشكلة هنا هي أن المحادثات التي يقوم بها السيد هونج وجهًا لوجه يضع فيها رداء من الجدية والوقار حافظ عليهما لعقود كشخص بالغ محترم، ومع ذلك فعندما يستخدم ويتشات يستدعي مستودعه من البياوتشينج طبقات متعددة من العواطف والمهارات الاجتماعية التي ليس لها وجود في عالم الاتصالات غير الإلكترونية. يمكننا في المقابل أن نتوقع أن تتطور قيود وآداب تلك الأشكال من المحادثات بمرور الوقت.

النقطة الأخيرة هي أنه لا ينبغي أن يُفْرِط مفهوم ما وراء التجسيد الآدمي في إضفاء الطابع الرومانسي على مثالية كينونة الإنسان، فإذا كان الهاتف الذكي قد تطبع بإنسانيتنا فهو يمكنه بنفس القدر أن يعبر عن عدم إنسانيتنا.

تُستخدم الهواتف الذكية بسهولة للملاحقة أو التنمر أو كأدوات للسلطة، وتكمن تلك الممارسات وراء العديد من الاتهامات التي سجلناها في الفصل الثاني والتي يُنظَر فيها إلى الهواتف الذكية على أنها ترمز لعدم إنسانيتنا الشديدة وعلى أنها مسؤولة عن جعل الناس أكثر سطحية أو معاداة للمجتمع. ومع ذلك وكما هو مذكور أعلاه فليست هناك ضرورة لأن يتضمن المنزل المتنقل معاني السعادة المنزلية، فقد كانت المنازل أغلب الوقت أماكنًا للتنمر وصراع القوى وسوء المعاملة وعدم المساواة. الذهاب بأن الهواتف الذكية أصبحت مماثلة للأشخاص لا يعني بالضرورة أنها جيدة أو أخلاقية فهذا بالأحرى يعتمد على الأشخاص الذين أصبحت الهواتف تشبههم.

الهاتف الذكي العلائقي

هناك مشكلة تنشأ عن كلا من مفهومي المنزل المتنقل وما وراء التجسيد الآدمي ألا وهي أنهما يخضعان لذلك التركيز على إبراز الفرد وجهازه، ورغم ذلك تعد أحد المساهمات الرئيسية لهذا الكتاب هي أن كل فصل يحتوي على دليل يعارض مثل هذا الاختزال لصالح الفرد. أصبح الهاتف الذكي محوريًا لجميع العلاقات والجماعات ليس فقط كوسيط للتواصل ولكن أيضًا كشيء أصبح الآن يشكل جزئيًا تلك العلاقات أو الجماعات أو – بشكل كبير – الشبكات.[20]

كان واضحًا بالفعل من نقاشنا للإيكولوجيا الاجتماعية في الفصل الثالث أننا لا يمكن أن نعتبر الناس أفرادًا منعزلين عندما يتعلق الأمر بالهاتف الذكي. يشارك العديد من الأشخاص في لوسوزي هواتفهم مع الأقارب والأصدقاء، وقد لا يهتم بعض كبار السن في شنغهاي بتنزيل تطبيق ما لأنهم يفعلون كل شيء مع شريكهم ولذا فلا فارق من منهما يمتلك التطبيق على هاتفه. ربما كان تأثير الانتهازية المتواصلة التي ناقشناها في الفصل الخامس لا يزال أكثر أهمية حيث حوّل هذا المفهوم العلاقات إلى محادثات أكثر استمرارًا، فالآن لم يعد عليك الانتظار حتى ترى صديقك أو قريبك لأنه حين يظهر شيء تشعر أنه قد يرغب في معرفته يأتي دور لاين أو ويتشات أو واتساب في نفس اللحظة. تحدث المشاركة طوال اليوم وكل يوم. قد يشعر كبار السن الذين اعتادوا أن يكون لديهم زرًا أحمرًا للطوارئ الآن بالأمان بفضل هواتفهم الذكية، فهم يعلمون أنهم إذا سقطوا فسوف يظل بإمكانهم الاتصال بشخص ما بسرعة وسهولة. تؤدي تلك الملاحظات إلى السؤال الأكبر حول ما إذا كانت الهواتف الذكية في الحقيقة تغير – وليس فقط تسهل – هذه العلاقات والمجموعات.

أقوى حجة على هذا التغيير هي الطرح بأن الهواتف الذكية ربما تقوم بقلب أحد المسارات الأساسية للأسرة وهو المسار الذي ظهر على مدى قرون في بعض المناطق أو خلال العقود الأخيرة في مناطق أخرى. هذا المسار في جوهره هو التحول من العائلة الممتدة إلى الأسرة النواتية، وهو أمر يتضح بشكل كبير في التغير الذي طرأ على التقاليد المتبعة في تصميم المنازل حيث كانت المنازل في العديد من المناطق تبنى في السابق لاستيعاب عائلات أكبر حجمًا بكثير،[21] ولكن في معظم المناطق المترفة الآن يتم إنشاء الشقق الحديثة وأنواع المساكن الأخرى دائمًا بفرض استخدامها بواسطة الأسر النواتية أو العزاب كما هو الحال بشكل كبير في اليابان. ومع ذلك فعندما نتعمق أكثر في الاستخدامات الأكثر حميمية للهواتف الذكية وللتطبيقات مثل واتساب يبدو لنا أن هذا الاتجاه الذي تطور على مدى زمني طويل يقابل الآن حركة ارتدادية بدرجة ما. يأتي المثال على ذلك من النقاش الخاص بإيكولوجيا الشاشة متمثلًا في ذلك المنزل في شنغهاي، فهناك لم يكن الأمر يتعلق بأن الشاشات منتشرة حول أرجاء المنزل فقط ولكن بالأحرى بأن تلك الشاشات كانت تستخدم لإستحضار العائلة الممتدة للتواصل المستمر مرة أخرى. كانت نتيجة ذلك أن العائلة الممتدة أصبحت تشارك الزوجين المسنين هذا المنزل الذي يعيشان فيه مرة أخرى، أو على الأقل بدرجة ما.

جاء أوضح دليل على هذا التغيير من بنتو، حيث أصبح أبناء العمومة والعمات والأعمام والأقارب البعيدين – الذين غالبًا ما يتقابلون فقط في الكريسماس وحفلات الزفاف والجنازات – متواجدين بشكل دائم داخل المنزل المتنقل، وحيث استبدلت المحادثات الرسمية الملائمة للمناسبات بالطابع غير الرسمي للدردشة اليومية. ربما يرجع السبب في أن العائلة الممتدة ترحب جدًا بوجودها داخل هذا المنزل المتنقل إلى أنهم تحديدًا لا يعيشون معًا في نفس المنزل، فهذه العلاقات تكون قريبة ولكنها ليست قريبة جدًا حيث يوفر الهاتف الذكي إمكانية دائمة للتواصل دون الضغوط التي تنشأ من تقاسم نفس المساحة المادية. إذا كنت بحاجة إلى الدردشة وكان الشخص الذي ترغب في الحديث معه غير متواجد فسوف تجد في الغالب شخصًا آخر للتحدث معه في المنزل المتنقل، ولكن على الجانب الآخر يمكنك استخدام الهاتف الذكي لتجنب المخالطة الاجتماعية اللصيقة أيضًا. في القطارات المزدحمة في اليابان عندما يكون الشخص محاطًا بالغرباء في المحيط المادي يصنع الهاتف الذكي في الحقيقة فقاعة خاصة ولكنها اجتماعية في نفس الوقت لكل شخص. تشير الدلائل من مواقع ميدانية عدة بشكل عام إلى أن الهاتف الذكي يوفر وسط يقوم بعمل توازن بين الفترات التي تكون فيها المخالطة الاجتماعية إما مفرطة الكثافة أو غير كثيفة بما يكفي.

قد تلعب الهواتف الذكية أيضًا دورًا فيما يبدو أنه علاقة أكثر سلاسة بين القرابة والصداقة. قد تثبت الهواتف الذكية في الصين الملاحظة التي تقول أن هذه هي المرة الأولى التي ينشئ فيها معظم الناس أي نوع من أنواع العلاقات ذات القيمة مع الغرباء،[22] وهي ذات قيمة لأنك قد تخبر كل أسرارك وأسوأ مخاوفك فقط لشخص لا يعرفك. يستخدم المتقاعدون في أيرلندا الهواتف الذكية لتنظيم لقاءاتهم مع الأصدقاء في المقاهي وللتخطيط للتجمعات الأكثر انتظامًا مثل نوادي الكتاب، ويؤدي هذا التوسع في مفهوم العائلة والصداقة بدوره إلى زيادة في استخدام الهواتف الذكية في المجتمع. قد يساعد واتساب في تنظيم مجموعات الائتمان الدورية التي تقدم الدعم المالي في لوسوزي وياوندي، ويحمل تبادل الصور مع أولئك الذين لم يستطيعوا الانضمام لنزهة ما في دار الهوى مدلولات بمشاركتهم في تلك النزهة بشكل ما. كان فيسبوك في نولو هو الموقع الرئيسي الذي استخدم للترتيب والإعلان عن الاجتماع الجماهيري الذي عقد في مكان عام بعد ظهر أحد أيام السبت من شهر مايو 2018 حيث وقف الناس جنبًا إلى جنب ممسكين بأيدي بعضهم البعض لتشكيل سلسلة بشرية [catena umana] بلغت 4 كيلومترات في الطول في إشارة تحتفي بوحدة مجتمعهم وتتحدى النظرة السلبية لحيهم باعتباره «حيًا للمهاجرين». وصفت المراسلة زيتا دادزي الحدث لصحيفة (الجمهورية) [La Repubblica] الإلكترونية من موقعها في ميلانو بأنه سلسلة بشرية ضد العنصرية في فيا بادوفا: «نحن مواطنون ولسنا مهاجرين غير شرعيين».

أصبح فيسبوك الموقع الرئيسي لأخبار المجتمع المحلي ولتاريخ المجتمع وصور المجتمع في نولو، وهو أيضًا المكان الذي يعبر فيه الناس عن استعدادهم لتقديم الوقت أو يد العون لمساعدة بعضهم البعض. تجد إحدى المشاركات في البحث من نولو أنه من الرائع أن يكون هناك ما بين 20 لـ 30 رد في المتوسط كل مرة ينشر فيها شخص ما على مجموعة فيسبوك أنه مريض أو يحتاج إلى المساعدة مثلًا، وهؤلاء الأشخاص يبدون الاستعداد لتقديم المساعدة من شراء البقالة الأساسية وحتى شراء الأدوية. امتد مجتمع نولو في الآونة الأخيرة إلى إنستاجرام أيضًا وحظي بالاهتمام والدعم من عمدة ميلانو.

الوضع في أيرلندا مشابه لذلك، ففيسبوك يُستَخدم هناك لتنظيم المسيرات الخيرية ولتوفير مواقع نشر للمجموعات الرياضية المحلية ولتسهيل التنمية المجتمعة في المشاريع الإسكانية الجديدة ولإنشاء مواقع لأهم الأنشطة المجتمعية مثل مسابقة [Tidy Towns]. في كوان – وهي أحد مواقع دبلن الميدانية – انضم 2300 شخص [من أصل عدد سكان يبلغ 10000] بسرعة كبيرة إلى مجموعة جديدة على فيسبوك تسمى «كوان ضد كوفيد-19». أما في دار الهوى فلم يعد الفلسطينيون الذين يعيشون هناك يقلقون بشأن وجودهم خارج المدى السمعي للمساجد حولهم فهواتفهم الذكية يمكنها الآن إطلاق الأذان، كما أصبح لفيسبوك دور كبير في توفير المعلومات الدينية مثل الأحداث المرتبطة بالإفطار في شهر رمضان المبارك.

بعد أن ناقش الفصل السادس الهاتف الذكي فيما يتعلق بالأفراد والعلاقات والجماعات والمجتمعات انتهى على ملاحظة أكثر شمولية، حيث نظرت الاستنتاجات النهائية للفصل في كيفية تعبير الهواتف الذكية عن القيم الثقافية التي برزت بشكل طبيعي في دراسة كانت منهجيتها الأساسية هي الإثنوغرافيا المقارنة. أبرزت مثلًا العديد من الجدات اللاتي تعرفت عليهن شيرين في نولو المكانة العظيمة للـ «نونا» [الجدة] في الرعاية والتواصل للأسرة المعاصرة، وكما هو الحال في العديد من الحالات الأخرى يتوافق الهاتف الذكي مع المفاهيم والمثل التقليدية للنونا ولكنه يلعب أيضًا دورًا في توسع وتغير الأدوار الاجتماعية بما يتماشى مع الظروف المعاصرة. تساعد الهواتف الذكية النونا على سبيل المثال في لعب دور نشط في رعاية الأطفال وتقديم الدعم العملي في السياقات الأسرية الحضرية كما في ميلانو.

تعتبر الهواتف الذكية بالنسبة للبيروفيين في سانتياغو وسكان دار الهوى في القدس أدوات دينية قد تخلق أعراف شديد الوضوح. كذلك غالبًا ما تجد في اليابان إجماع مشترك على ما قد يعتبر استخدامًا مناسبًا أوغير مناسبٍ للهواتف الذكية، فالتحدث عبر الهاتف عند استقلال وسائل النقل العام مثلا يستدعي نظرات صارمة من بقية الركاب نحوك بينما يكاد التقاط صورة لوجبتك في المطعم قبل تناولها أن يعتبر شرطًا أساسيًا للاستمتاع بالوجبة حق استمتاعها. يمكن أن يكون الهاتف الذكي أيضًا جزءًا من ظهور معايير مجتمعية جديدة وكان هذا هو الحال في الكاميرون حيث ترسخت الهواتف الذكية كأداة في إنشاء مجال عام جديد للنقاش السياسي للطبقة المتوسطة حديثة الظهور.

يخلق الهاتف الذكي العلائقي مشاكل جديدة أثناء حله لمشاكل أخرى، ولقد كشف بحثنا عن العديد من الأمثلة على علاقات إشكالية بين الأجيال. كان من الضروري للفصل السابع عرض الفجوة الرقمية بين كبار السن والشباب من حيث معاناة الكبار لمعرفة كيفية استخدام هواتفهم الذكية بشكل صحيح. يتصرف الشباب في سانتياغو والعديد من المواقع الميدانية الأخرى بنفاذ صبر لا يصدق وهم يلتقطون الهاتف الذكي ويقومون بمحاولة خاطفة لتوضيح كيفية عمل شيء ما، ولكنهم بعد ذلك في الزيارة التالية يرفضون تكرار نفس التوضيح حيث أن الشخص الكبير الذي يطلبه «قد عرف بالفعل» كيف يعمل الهاتف. قد يدعي الشباب في أيرلندا أن الهاتف الذكي شيئًا «بديهيًا» مما يحمل المعني الضمني بأن الشخص الأكبر سنًا الذي يعاني في استخدامه غبي نوعًا، ولكن الفحص السريع للهواتف الذكية يظهر أنها ليست بديهية على الإطلاق. يعكس هذا التفضل في ياوندي وفي أماكن أخرى انقلابًا أوسع نطاقًا للأدوار التقليدية المتعلقة بالأقدمية والسلطة بما أن الحكمة التي كانت في السابق تأتي من الخبرة الطويلة أصبحت اليوم تنزاح أمام المعرفة بأحدث التقنيات.

غالبًا ما يحصل كبار السن على هواتفهم الأولى كهواتف مستخدمة تلقوها من الشباب وهو ما يبدو كحركة ارتدادية للمسار التقليدي، ومن ثم يجد الكبار أنفسهم بحاجة لحذف المواد المسيئة التي تظهر مرة أخرى عندما يصر الشباب على استعارة الهواتف. يمكن للشباب أيضًا أن يعبروا بقسوة عن رفضهم لشعور الفقد الذي يعاني منه كبار السن ممن قضوا عقودًا في غرس معرفة أصبحت الآن لا حاجة لها بسبب الهواتف الذكية. أتذكر تلك السيدة التي أصبحت بارعة في العثور على الأماكن بعد أن عملت في تسليم الزهور لسنوات؟ من يهتم الآن بتلك المهارة التي اكتسبتها تلك السيدة بشق الأنفس وهناك خرائط جوجل؟

هذه عملية ذات اتجاهين، فلقد كانت وسائل التواصل الاجتماعي موجودة منذ فترة طويلة بما يكفي لتتغير بدورها بواسطة هذه التوترات بين الأجيال. أحد الأسباب الرئيسية التي تجعل الشباب في العديد من مواقعنا الميدانية يتجنبون المنصات مثل فيسبوك هو أنها أصبحت مستعمرة من جيل آبائهم. عندما تكون والدتك أو حتى جدتك على فيسبوك فمن الأفضل أن تعبر عن نفسك بعيدًا من نظراتهم أولًا على إنستاجرام ثم بعد ذلك – عندما يستعمرون إنستاجرام أيضًا – بالانتقال إلى تيك توك. بعضًا من أهم التغيرات في وسائل التواصل الاجتماعي

واستخدام منصات بعينها لا علاقة له بسيطرة الشركات ولا بما توفره المنصات وإنما ببساطة تكون انعكاسًا للتوترات في العلاقات بين أجيال المستخدمين.

التناقض والازدواجية

لم يكن الفصل الأول الذي تعرض لصلب الموضوع في هذا الكتاب يدور حول ما يفعله الناس بالهواتف الذكية وإنما حول ما يقولونه عنها، وكان الاستنتاج المفحم للفصل هو أن الناس بشكل عام متناقضون. يتحدث كبار السن باستمرار عن الضرر الذي تسببه الهواتف الذكية للشباب زاعمين أنهم أصبحوا «مدمنون لشاشاتهم» مما جعلهم سطحيين ومعادين للمجتمع وغير متصلين بالعالم الحقيقي. أما فيما يتعلق باستخدامهم الخاص فيقول كبار السن في نولو أنهم يضيعون وقتهم أو أن الهواتف الذكية تسبب لهم «الكثير من الارتباك» [troppo confusione]. يشكو الناس في اليابان من ضغوط الرد على الرسائل بشكل فوري ويعتبرونه تطفل وإضافة إلى الضغوط الاجتماعية اليومية للتفاعل بالطريقة الصحيحة، بينما يشير الناس كثيرًا في أيرلندا إلى أصوات واتساب التي لا تنتهي والتي يجب الآن الاعتراف بها.

ومع ذلك وفي الوقت نفسه يسهب الناس في التغني بالأشياء الرائعة التي يمكنهم القيام بها بواسطة تطبيقات بعينها في الهاتف الذكي. لم يعد الأزواج مثلًا يصيحون في بعضهم البعض في السيارة عندما يفقد الشخص الذي يجلس في المقعد الذي يجاور السائق طريقه عبر خريطة الشوارع التي يمسك بها وأصبحوا بدلًا من ذلك يسبون [GPS] الخاص بهاتفهم، بينما يشعر الأجداد بالحبور لأن أحفادهم في أستراليا يظهرون لطفاء بدرجة رهيبة على كاميرا الويب، ولا تضطر امرأة مسنة بركبتين ضعيفتين للانتظار تحت المطر لأن التطبيق يخبرها بموعد وصول الأوتوبيس التالي. في كل مكان يكون الهاتف الذكي نعمة ونقمة في نفس الوقت، وفي سانتياغو غالبًا ما يقول التشيليون الأكبر سنًا شيئًا سلبيًا وشيئًا إيجابيًا للغاية عن الهواتف الذكية في نفس الجملة فتبدو الجمل دومًا هكذا: «هذا ...» ولكن أيضًا «ذلك ...». إذا كان الناس أينما كانوا يناقضون أنفسهم في نفس الجملة وإذا كان لما يقولونه صلة لا تذكر بما يفعلونه فقد يفترض المرء أنهم إما منافقون أو جاهلون. ومع ذلك تشير الدلائل في هذا الكتاب كله إلى أن هذا التناقض قد يكون الاستجابة المعقولة الوحيدة لظاهرة هي نفسها كتلة من التناقضات، ولقد قدم كل فصل من فصول هذا الكتاب الدلائل على النفع والضرر اللذين يتزامنان معًا كعواقب للهواتف الذكية.

بعد انتهاءنا من العمل الميداني ناقش الفريق النتائج العامة للمشروع، ولقد أخذ أحد تلك النتائج عنوان «الخيط الرفيع بين الرعاية والمراقبة»، وكان هذا قبل أن يصبح ذلك الاكتشاف مكونًا مهمًا في الاستجابة لوباء كوفيد-19 بوقت قصير ولكنه شيء لم نكن نتوقعه. أصبح الهاتف الذكي وقت كتابة هذا الكتاب عنصرًا أكثر أهمية للخطاب الأخلاقي من النوع الموصوف في الفصل الثاني لأن عملية الكتابة كانت في 2020 قبل وجود أي نوع من أنواع اللقاح ولذلك كان الحل الأساسي لقمع فيروس كوفيد-19 في العديد من المناطق خاصة شرق آسيا هو التتبع الكثيف لحركات الأفراد بناءً على مجموعة من بيانات الهاتف الذكي والمقابلات. كشف هذا التطور عن إمكانات الهواتف الذكية أمام الجميع والتي من الممكن أن تكون أدوات للمراقبة الشخصية بسبب حميميتها غير المسبوقة: لقد انكشف الأخ الأكبر* الذي يقبع داخل حقائبنا وجيوبنا. ومع ذلك وفي الوقت نفسه لوحظ أن الاستخدام الفعال للتتبع كان سببًا رئيسيًا للنجاح النسبي في الحد من عواقب هذا الفيروس في بعض المناطق. هكذا يبدو الهاتف الذكي كمنقذ محتمل وكمنذر للديستوبيا على حد سواء.

---

* ملاحظة من المترجم: الأخ الأكبر هو شخصية رمزية في رواية جورج أورويل (ألف تسعمائة وأربعة وثمانون)، وهو الزعيم الظاهري لدولة أوشانيا الشمولية التي يمارس فيها الحزب الحاكم إنجزوك سيطرة كاملة على السكان من خلال المراقبة الشاملة والتحكم الكامل في كل ما يفعلونه.

هناك ثلاثة اعتبارات أساسية لهذه التطورات. الأول هو فحص مسألة المراقبة، والثاني هو دراسة طبيعة تلك الرعاية، والثالث وهو الأهم هو النظر في الآثار المترتبة على هذه الأحداث لتحقيق التوازن بين المراقبة والرعاية. للمراقبة وجود مزدوج في هذا الكتاب، فهي من ناحية موضوع جوهري في الخطاب المباشر الذي يستخدمه المشاركون. حينما كان ألفونسو يقوم بتدريس استخدام الهواتف الذكية لكبار السن من التشيليين في سانتياغو لاحظ أن الأشخاص يرفضون استخدام [GPS] لأنهم ببساطة يرون الجهاز الذي يسجل كل الأماكن التي يذهبون إليها كجهاز متطفل بشكل لا يطاق، وبالمثل انتقد أولئك المستخدمون الحذرون الإعلانات الموجهة على الإنترنت باعتبارها دليل على أن جوجل يعرف عنهم أكثر مما يجب. لا تخفي المراقبة بواسطة الهاتف الذكي على أحد، وتعتبر القدرة المفترضة للجهاز على التعلم من مستخدميه واحدة من أكثر مميزاته إثارة حيث يحظى الجهاز بالقدرة على استباق استفساراتهم وأفعالهم، وفي كل مرة ينجح فيها الهاتف الذكي في تلك المهمة فهو في نفس الوقت يواجه مستخدمه بالدليل المباشر على مقدار ما يعرفه عنه.

تتجلى هذه المراقبة واضحة للعيان، ولكنها فقط القمة لجبل جليدي كبير من مراقبة أوسع تقبع تحت المياه المظلمة. قد يتم توجيه بيانات المستخدم الشخصية التي يحاول الهاتف الذكي التعلم منها أيضًا إلى الشركات لتصبح جزءًا من مجال شاسع هائل من البيانات الضخمة وتوفر هذه بدورها الوقود الذي يدفع الذكاء الاصطناعي، وهذه العملية سرعان ما تتحول إلى عوالم لا نستطيع رؤيتها ولا فهمها في الغالب. قد يكون هذا هو أكثر الخارجيات أهمية بالنسبة للجميع.[23]

هناك نوعان رئيسيان من تلك المخاوف تم تمثيل الأول منهما في كتاب (عصر رأسمالية المراقبة) لشوشانا زوبوف[24] الذي ذهبت فيه بأن القوة الدافعة الأساسية للرأسمالية – ألا وهي البحث عن الربح – أدت إلى قدرة غير عادية على استخراج المعلومات عنا وإلى التطوير المستمر للاستراتيجيات التي تسعى إلى توظيف تلك البيانات للتحكم بحياتنا. إذا حدث ووجدنا الوقت لقراءة «الشروط والأحكام» التي يتطلبها تسجيل الدخول لتطبيق جديد فسوف نصاب بالصدمة، فتلك الشروط والأحكام تبدو وكأنها تتطلب الوصول إلى جميع أنواع البيانات غير ذات الصلة داخل هاتفنا الذكي. لماذا يجب أن يعرف تطبيقًا ترفيهيًا معلومات عن موقعنا أو أن يستطيع الدخول إلى وسائل التواصل الاجتماعي الخاصة بنا؟ تتنافس الشركات على استخراج أصغر التفاصيل عنا قدر المستطاع، ويقال أن البيانات الشخصية هي بترول هذا العصر.

إذا كان هذا يبدو شيئًا اقتحاميًا أو حتى شريرًا فهذا لأنه كذلك، وتصيغ زوبوف الأمر قائلة أن الشركات مثل جوجل تعطي نفسها الآن الحق في «المطالبة بالتجربة الإنسانية كلها كمادة خام مجانية لترجمتها إلى بيانات سلوكية».[25] تنفق الشركات التقنية مبالغ ضخمة على ممارسة الضغط ضد منع أي تقييد لعملية استخراج البيانات هذه في حد ذاتها أو لاستخدامها لاحقًا في السعي نحو الربحية، وبهذا تحولنا كلنا من كوننا مستهلِكِين للسلع على نطاق واسع إلى أن أصبحنا نحن أنفسنا سلع تُستَهلَك على نطاق واسع وتخضع للتجربة والتحليل المستمر من أجل زيادة اختراق الشركات لحياتنا. يبدو الهاتف الذكي مرة أخرى من هذا المنظور وكأنه جاسوس في جيوبنا – جاسوس يقبع في المكان المثالي الذي يتيح له استقراء كل ما نفعله ونقوله وما نحن عليه.

يُوجه النوع الثاني من هذا النقد للدولة وليس للمراقبة التجارية، وهذه كانت خلفية التجربة التي عاشها أهالي دار الهوى الذين قضوا معظم حياتهم أمام أدلة ملموسة على مراقبة سلطات دولة إسرائيل لهم. بالنسبة لمعظم الأشخاص الآخرين جاء الاكتشاف الأول لحجم الرقابة التي تمارسها الدولة من خلال إفشاء إدوارد سنودن لتلك الرقابة حيث استخدم سنودن منصبه كموظف للدولة للكشف عن مستوى مماثل من الجشاعة في امتصاص

الولايات المتحدة للبيانات الخاصة. أعقبت كشوفات سنودن بعد ذلك فضيحة كامبريدج أناليتيكا التي أظهرت أنه يمكن استخدام بيانات الأفراد لتغيير نتائج الانتخابات الديمقراطية من خلال رسائل استهدافية.

يدعم نموذجًا ثالثًا للتهديدات المعاصرة التي تشكلها الرقابة كلا من هاتين الملاحظتين النقديتين. استند عرض تحليلي حديث كتبه جون لانكستر لمجلة (مراجعة كتب لندن) [*The London Review of Books*] إلى كتابين جديدين هما (جدار حماية الصين العظيم) لجيمز جريفيثس و (لقد تمت مواءمتنا) لكاي ستريتماتر.[26] يذهب هذان الكتابان بأن كل تلك المخاوف قد تحققت بالفعل في الصين المعاصرة حيث يشير ستريتماتر قائلًا أن المراقبة الرقمية أصبحت أكثر الأدوات التي عرفناها فعالية في إقامة الدول الشمولية. وبينما يظل محتوى واتساب مشفرًا إلا أن جميع التفاصيل وكل أنواع المحتوى الخاص على ويتشات متاح بالفعل للدولة الصينية ولا توجد قيود تحكم استخدام الدولة لتقنيات المراقبة كالتعرف على الوجه. تصرح الدولة علنًا بامتلاكها لهذه الصلاحيات بحيث يكون المواطنون على دراية جيدة بالدرجة التي تتم ملاحظتهم بها. أصبحت الإمكانيات الرقابية للهواتف الذكية أكثر وضوحًا مرة أخرى خلال جائحة كوفيد-19 عندما أضافت الدولة الصينية خاصيات معينة إلى الهواتف الذكية للأفراد لضمان امتثالهم للإغلاق الكامل، أما في إسرائيل فقد امتدت أنظمة المراقبة التي كانت مألوفة لسكان دار الهوى لتشمل جميع السكان الآن كشكل من أشكال الرقابة الصحية.[27]

الرعاية

إذا كانت المراقبة تبدو كلعنة الهواتف الذكية فستظهر الرعاية في البداية وكأنها هبة تلك الهواتف. كان هناك انفجار دعائي في الصين بناءً على الدلائل التي تشير إلى أنه على الرغم من أن جائحة كوفيد-19 بدأت هناك وأن الدول الأخرى كان لديها تحذيرات قبل اجتياح الفيروس لها إلا أن الأمر انتهى بالصين بمعدل ثلاث وفيات لكل مليون بينما شهدت معظم الدول الأوروبية معدل وفيات بلغ أكثر من مائة ضعف هذا الرقم. وظفت الدولة الصينية – التي استخدمت الهاتف الذكي كأداة رئيسية لكبح الفيروس – نجاحها كدليل على أنها تهتم بمواطنيها أكثر من الديمقراطيات الغربية، وبالطبع تم تجاهل حقيقة أن الرقم المقابل في تايوان الديمقراطية كان 0.3 حالة وفاة لكل مليون[28] – أي عُشر المعدل في البر الرئيسي للصين – تجاهلًا تامًا.

تقدم الفصول السابقة أمثلة متعددة على استخدام الهواتف الذكية كأدوات للرعاية، وشملت هذه الأمثلة الطريقة التي يساعد بها الناس في لوسوزي في رعاية الأقارب الأكبر سنًا الذين لا يزالون يعيشون في مواطنهم القروية والتي غالبًا ما تكون عن طريق إرسال الأموال لهم عبر الهاتف المحمول. يمكن أن تحطم العناصر البصرية في اتصالات الهاتف الذكي في شنغهاي تقاليد المسافات وشكليات العلاقات الأسرية بين الأجيال كما هو مذكور أعلاه، وعلى العكس تفضل إحدى المشاركات في البحث من كيوتو عدم إرسال ملصقات ظريفة لابنتها لأنها قد تراها طفولية ولكنها ترسلهم إلى أصدقائها بسعادة.

كان هناك قدر كبير من البحث المسبق حول استخدام التقنيات الرقمية لتسهيل الرعاية عن بعد سواء فيما يتعلق بالأنظمة داخل الدولة[29] أو بالحاجة المتزايدة للرعاية عبر القارات كالمهاجرين المغتربين على سبيل المثال.[30] تشير الدلائل الإثنوغرافية التي نقدمها في هذا الكتاب إلى أننا قد انتقلنا الآن من الرعاية عن بعد إلى «الرعاية التي تتجاوز المسافات» [الشكل 9.5]. لم تكن ماريليا في بعض الأحيان تعرف أي حفيد كانت إحدى المشاركات في البحث من بنتو تشير إليه – الذي يقيم في بنتو أم الذي يعيش في نيويورك – لأن الطريقة التي تتواصل بها مع حفيديها من خلال واتساب كانت واحدة مع الحفيدين. في إحدى الحالات أشارت امرأة تعيش بمفردها في ساو باولو وتعيش ابنتها في فرنسا قائلة: « قال أصدقائي أنها تتخلى عني لكنها أقرب إليّ بكثير من بنات صديقاتي اللاتي يعشن في ساو باولو».



9.5 رسم توضيحي لمفهوم الرعاية المتجاوزة للمسافات من تصميم جورجيانا موراريو.

من الواضح أن الرعاية والمراقبة وجهان لعملة واحدة. يشارك العديد من المشاركين في دبلن في رعاية آبائهم الذين يبلغون التسعينيات من العمر في معظم الحالات مما يعني إصابة العديد منهم بالخرف، وبينما يبقى الآباء في منازلهم أصبحت المراقبة تهيمن على العديد من ممارسات الرعاية الخاصة بهم. سرعان ما أنشأ الناس في العديد من المواقع الميدانية مجموعات واتساب لدعم كبار السن الواهنين حيث كان أحد الأهداف الرئيسية لتلك المجموعات هو مشاركة عبء متابعة الضعفاء. يتم متابعة المتقاعدين في ياوندي عن كثب بواسطة أبنائهم «لمراقبتهم بشكل أفضل» [avoir un oeil sur eux] إما بأخذهم للعيش معهم أو من خلال مجموعات واتساب العائلية النشطة جدًا التي غالبًا ما يلعب فيها طفل أو اثنان دورًا رقابيًا.

لا يوجد فاصل واضح إذًا بين الرعاية الحميدة والمراقبة الخبيثة. قد تكون المراقبة في كثير من الأحيان دليلًا على تخوف حقيقي ومستمر بما في ذلك الرعاية المقدمة من دولة الرعاية الاجتماعية أثناء جائحة كوفيد-19، وبالمثل هناك دراسات أنثروبولوجية عديدة تتعلق بالجانب المظلم من الرعاية لا سيما فيما يخص قضايا الهجرة.[31] أحيانًا تشمل الطريقة التي يعبر بها الناس عن الرعاية مراقبة الشخص الذي استأجروه لتقديم الرعاية، فعلى سبيل المثال كان العمل تحت المراقبة في كثير من الأحيان جزءًا من تجربة المهاجرين الريفيين في الصين الذين جاءوا إلى شنغهاي لرعاية المسنين حيث فطن أرباب أعمالهم إلى إمكانات الهواتف الذكية في التجسس على مقدمي الرعاية المستأجَرين. من المهم في اليابان أن تمتلك مهارات المراقبة الاجتماعية للحفاظ على علاقات اجتماعية جيدة ولكن يمكن لهذا الأمر أن يكون مرهقًا أيضًا وإذا تمت ممارسته بشكل غير صحيح يمكنه أن يؤدي إلى النبذ الاجتماعي. يعد فهم ممارسات الرعاية – بما في ذلك الرعاية من خلال المراقبة الاجتماعية في العصر الرقمي – أمرًا بالغ الأهمية في سياق توجه اليابان نحو التكنولوجيا للتعامل مع مشكلة شيخوخة السكان ونقص القوى العاملة في مجال الصحة والرعاية.

يمكن للهواتف الذكية في كل تلك الحالات أن تصبح أيضًا أدوات تستخدم لتقييد أو تقويض الاستقلالية، وتدور الكثير من التخوفات في اليابان حول إيجاد طرق لاحترام استقلالية وكرامة كبار السن في ظروف المراقبة المستمرة

هذه.[32] يدرك بعض كبار السن أن رفضهم لامتلاك الهواتف الذكية يمكن أن يصبح وسيلة يضمنوا بها أن الاتصال الرقمي لن يحل محل الاتصال المادي أو أنه لن يجعل الهاتف الأرضي الذي يألفونه لا حاجة له، ومع ذلك فالمراقبة القائمة على الهواتف الذكية في العديد من المواقع الميدانية هي ما يطمئن الأبناء البالغين أنه لا يزال من الممكن لآبائهم المسنين الاحتفاظ ببعض الاستقلالية بالبقاء في منزلهم الخاص. في مثل تلك الحالات تؤمن المراقبة المستمرة استمرار الاستقلالية.

الأيدولوجيا والخصوصية والخيط الرفيع بين الرعاية والمراقبة

يمهد هذا النقاش حول المراقبة والرعاية والعلاقة بينهما الطريق للتطورات اللاحقة التي نتجت عن جائحة كوفيد-19 حيث أتاح التركيز على الهواتف الذكية كحلول للرعاية في أعقاب الجاحة للمراقبة وأيضًا للهاتف الذكي نفسه أن يفلتا من النقد. نشر إيفيجيني موروزوف[33] مقالًا في (الجارديان) تحت عنوان «**الحلول** التقنية لفيروس كورونا تأخذ دولة المراقبة للمستوى التالي»، وذهب فيه بأن «الشرطي الطيب في هذه الدراما هو أيديولوجية حل المشكلات والتي تجاوزت أصولها في وادي السيليكون لتشكل طريقة تفكير النخب الحاكمة لنا الآن». مفتاح حل المشكلات هو الهاتف الذكي ويتمثل هذا في البرنامج الصيني للتصنيف الصحي المرمز بالألوان للهواتف الذكية. في اليوم التالي نشرت مجلة (الإيكونوميست) مقالًا بعنوان «مجهر عالمي مصنوع من الهواتف»[34] لمناقشة التعاون بين آبل وجوجل لإنشاء تطبيق لتتبع المخالطين بالإضافة إلى دور الحكومات في مثل هذه المشاريع.

بيد أن الأحداث اللاحقة تبدو وكأنها تسوغ لحجج هذا الكتاب حيث أن المرحلة التالية لم تكن تتعلق بالاعتماد المباشر لإمكانات الهواتف الذكية ولكن بالتباين المذهل في الاستجابة للإمكانيات التكنولوجية، والسبب في ذلك هو أن نشر التعقب والتتبع أبرز مسألة التوازن بين الرعاية والمراقبة مما يحول نشر التكنولوجيا إلى قضية أخلاقية وهو ما يكشف بدوره عن الأيديولوجيات التحتية التي خلقت التباين في الاستجابات الإقليمية، وبالتالي نحن بحاجة أيضًا إلى أخذ هذه الأيديولوجيات التحتية في الحسبان عند القيام بأي نوع من أنوع الدراسة لمفهوم «الخيط الرفيع».

إن مسألة التوازن بين الرعاية والمراقبة معضلة قديمة حيث يتم مثلًا تعريف الله في معظم الأديان على أنه الوجود العليم الذي يرى كل شيء ويرعى الجميع، وهذا هو جوهر الأبوة والأمومة أيضًا، ولطالما قايضت الحكومات المعرفة بالرعاية كذلك. كان لاستخدام الهواتف الذكية في أعقاب جائحة كوفيد-19 في الصين بوادر فيما يسمى بنظام الائتمان الاجتماعي الذي بمقتضاه يمكن أن يفقد المواطن صلاحية حجز رحلات الطيران أو القطارات فائقة السرعة إذا أبدى أي سلوك تعتبره الدولة معاديًا للمجتمع أو معاديًا للدولة بالإضافة إلى تعرضه للعديد من القيود الأخرى.

ما كان ينقصنا هو فهم ما يشعر به الشعب الصيني نحو هذا النظام وهو ما أصبح لاحقًا أحد مكونات بحث شينيوان، ولقد وجدت شينيوان ثلاثة أسباب تفسر لم أصبح نظام الائتمان الاجتماعي في معظم الحالات تطورًا مستحبًا. يكمن السبب الأول في التحول بعيدًا عن الاقتصاد الزراعي الذي كان الناس فيه يعرفون سمعة كل من يتعاملون معه على الأقل على المستوى الشخصي، وبالتالي كانت الثقة مبنية على العلاقات الاجتماعية [guanxi]. تم استبدال الحياة الزراعية بمجتمع حضري لا يعرف فيه الناس شيئًا تقريبًا عن أولئك الذين يضطرون إلى التفاعل معهم، وهم يعتقدون أن هذا أدى إلى ارتفاع هائل في عمليات الاحتيال والنصب وبالنسبة للكثيرين فالغاية [أي مكافحة الاحتيال] تبرر وسائل رقابة الدولة.[35] السبب الثاني هو أن الناس يعتقدون أن نظام الائتمان الاجتماعي يلحق بفكرة التصنيف الائتماني الضعيف في الغرب. العامل الثالث هو الاعتقاد بأن نظام الائتمان الاجتماعي يتفق مع المفهوم التقليدي للكون استنادًا إلى فكرة الطاوية بأن السماء [tian] ترى سلوكنا كله وأن مصيرنا الحسن يعتمد على الأعمال الصالحة.[36] هناك إذن أيديولوجية تحتية معقدة وتاريخ يجب أن يؤخذ في الاعتبار لفهم الوضع في

الصين، وتذكرنا ادعاءات الحزب الشيوعي بكونه راعي أبوي – وهو الدور الذي يتم التعبير عنه من خلال المراقبة – بقرون من الحكم الإمبراطوري.

لا تقل الأيدولوجيا أهمية في فهم ردود الفعل في مناطق مثل أوروبا والولايات المتحدة حيث يستند التحفظ الأساسي ضد المراقبة على الخصوصية المسلم بها في الغرب وحيث يبدو الهوس بالخصوصية الفردية بالنسبة لزائر من شرق آسيا متطرفًا بنفس القدر. في كتابه (راحة الناس) ذهب داني بأن السبب الأكبر للضرر بالنسبة للمرضى المسنين بجانب مرضهم هو الإصرار المتشدد على السرية التامة مما يؤدي إلى فشل الأعضاء المختلفين من فرق الرعاية الصحية الخاصة بهؤلاء المرضى المحتضرين في إطلاع بعضهم البعض على تطورات حالتهم. عندما يلقي أعضاء فريقنا محاضرات حول ما نأمل أن نصل إليه من استخدام بحثنا لأجل تحسين رعاية الناس يكون السؤال الأكثر شيوعًا الذي يُوجَه لنا متعلقًا بما إن كانت اقتراحاتنا هذه تتطفل على الخصوصية وليس بكيف يمكنها أن تفيد في رعاية تلك الشعوب.

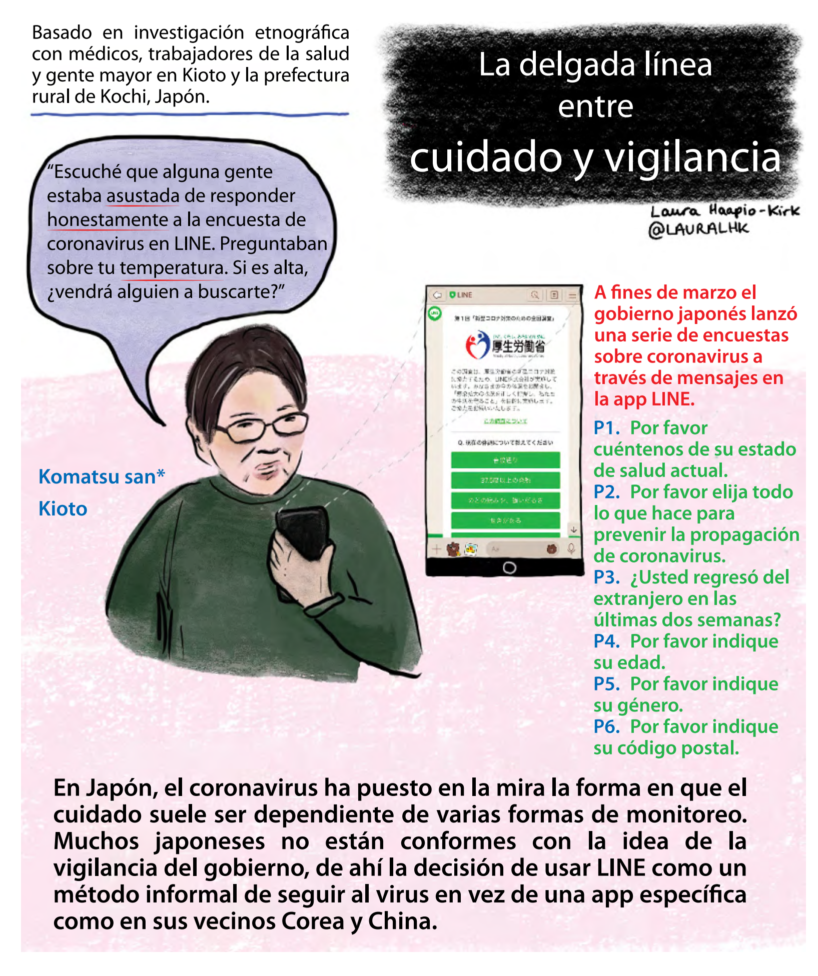
يكمن السبب وراء توصيف هذه المخاوف بشأن الخصوصية بأنها أيدولوجية في أنها تعتبر بديهية حيث أن الفرضيات المتعلقة بالخصوصية بالنسبة لمعظم الناس في أوروبا والولايات المتحدة تعتبر ببساطة شيئًا «طبيعيًا»، وتوسع تلك الفرضيات كأيدولوجيا الليبرالية التاريخية الأساسية. هذا الاعتقاد بأولوية الفرد كأساس للأخلاق أدى إلى وضعًا مثاليًا للفرد كمنبع لحقوق الإنسان الأساسية، ويشمل نظام الليبرالية «الجديدة» هذا الاعتقاد الصميم بأن الأفراد يمتلكون حقًا إنسانيًا جوهريًا في التحكم في جميع المعلومات المتعلقة بهم.[37] يختلف الموقف من الخصوصية المستمد من الليبرالية «الجديدة» اختلافًا عظيمًا عن الأيديولوجيات الاشتراكية مثلًا التي افترضت أنه إذا أمكن للدولة تعزيز الرفاهية الاجتماعية من خلال جمع المعلومات عن الأفراد فإن هذا يبطل الحقوق الفردية تلقائيًا.

ربما تكون الولايات المتحدة وأوروبا من أشد المؤيدين لهذه الخصوصية الليبرالية «الجديدة» ولكنها تتخذ أشكالًا مختلفة جدًا. يتم حماية الخصوصية في أوروبا من خلال اللوائح البيروقراطية مثل اللائحة العامة لحماية البيانات [GDPR]، وفي المقابل تبدو الطريقة التي تطورت بها حقوق الخصوصية في الولايات المتحدة أكثر تماشيًا مع الليبرالية الجديدة للاقتصاد السياسي حيث تكون هذه الحقوق جزءًا من أيدولوجيا مرتبطة بحريات الأفراد والاختيار والتي تستخدم أيضًا لإضفاء الشرعية على الرأسمالية المعاصرة، وهذه الحقوق تُنصَب فورًا ضد أشكال تدخل الدولة بما في ذلك «التطفل» بدلا من أن تصبح أداة لبيروقراطية الدولة.[38]

بمجرد اعترافنا بأهمية الأيدولوجيات «المسلم بها» يصبح من الأسهل كثيرًا فهم تباين ردود الفعل على تطبيقات التتبع المتعلقة بكوفيد-19. كان من المتوقع بالتأكيد أن تشهد الولايات المتحدة مظاهرات احتجاجية على تقييد الحكومة للحريات الفردية وأنه قد يكون متوقعًا من الناخبين الجمهوريين أن يكونوا الأقل امتثالًا للمراقبة القائمة على الهاتف الذكي. لم يكن من المفاجيء أيضًا أن يكون الناس في دولة مثل كوريا الجنوبية – بالتقاليد التي مارستها من قبل في تعيير الأشخاص على وسائل التواصل الاجتماعي لأي نوع من أنواع السلوك غير اللائق[39] – هم الأكثر امتثالًا لنظام المراقبة العامة على حساب الخصوصية الفردية. إذا أسفرت هذه المراقبة عن كشف الخيانات الزوجية[40] كان يتم تبرير ذلك بأنه يتم من أجل كبح الفيروس للصالح العام. أظهرت كوريا الجنوبية مدى الأهمية التي يمكن أن يصبح عليها الهاتف الذكي خارج أي نظام سلطوي فالجهاز لم يستخدم لتتبع المخالطين فقط ولكن أيضًا للاستشعار عن بعد كقياس تشبع الأكسجين، بالإضافة إلى أن الهواتف الذكية أصبحت الوسيلة التي تبقي بها الدولة الناس على إطلاع دائم بأماكن وجود العدوى في كل منطقة من خلال الرسائل النصية المباشرة.

بما أن جائحة كوفيد-19 حدثت بعد انتهاءنا من عملنا الميداني بوقت قصير فقد كان الفريق لا يزال على اتصال بالمشاركين، وهو ما جعل بإمكاننا أن نراقب كيف تتطور الأحداث بطرق انعكست على توصيفنا لتلك المواقع

الميدانية وقت كتابتنا لهذا الكتاب. حاولت الدولة في اليابان على سبيل المثال أن تنأى بنفسها عن أي تقنية رسمية «للتعقب والتتبع» بأن استخدمت وسائل التواصل الاجتماعي كأداة للرصد، ولكن كان الناس يميلون إلى توخي الحذر عند الإجابة على أسئلة الاستطلاعات التي أرسلتها الحكومة عبر لاين بأمانة كما هو موضح في الرسم التوضيحي أدناه [الشكل 9.6]. عندما عرضت الحكومة بعض التعويض المالي [حوالي 1000 جنيه إسترليني] لكل مواطن عن الخسائر التي تكبدها نتيجة للفيروس طلبوا منهم الاشتراك عبر الإنترنت باستخدام الرقم التعريفي المسمى «رقمي» [マイナンバー] والذي يربط جميع سجلات الضمان الاجتماعي الخاصة بهم رقميًا مع أنواع أخرى من البيانات. ومع ذلك أعرب العديد من الأشخاص عن قلقهم من انتهاك هذا النظام لخصوصيتهم مما يتيح للحكومة العلم بمعلوماتهم الخاصة كرصيدهم البنكي وسجلاتهم الصحية أكثر من اللازم. اتضح لاحقًا أن التسجيل عبر الإنترنت للحصول على التعويض أمرًا مرهقًا بسبب ضعف تصميم الموقع الخاص بذلك مما أدى إلى اصطفاف الأشخاص في



9.6 رسم توضيحي للاستجابات لقضايا الرعاية والرقابة من تصميم لورا هابيو-كيرك بناءًا على المقابلات الشخصية مع المشاركين في البحث.

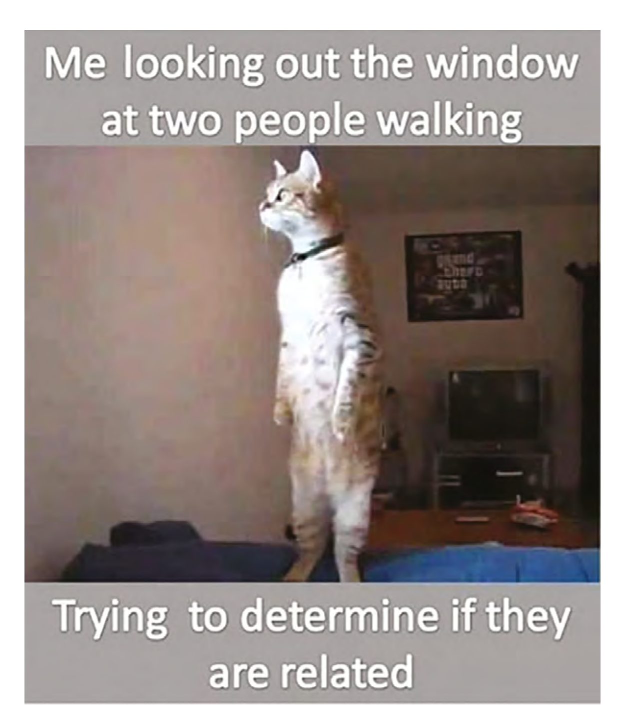
جميع أنحاء البلاد لساعات في قاعات المدن من أجل إعادة تعيين كلمات مرور «رقمي» بأنفسهم.[41] لخصت هذه الواقعة بالنسبة للكثير من الناس تخوفات أكبر بشأن عدم فعالية البنى التحتية الرقمية في اليابان.

في المقابل كان العديد من المشاركين في أيرلندا يعملون هم أنفسهم لدى الدولة في الصحة والتعليم والخدمة المدنية، وكانوا يرون أنه من واجبهم كمواطنين أن يصبحوا أدوات للمراقبة دعمًا للدولة. في هذا الميم الذي تداوله أحد المشاركين في دبلن [الشكل 9.7] يشار بسخرية إلى المدى الهائل لاعتماد نظم المراقبة أثناء الوقت الذي كان من المفترض فيه أن يتواجد الأشخاص مع من يعيشون معهم في نفس المنزل.

بلغ هذا الأمر ذروته حين أطلقت الدولة تطبيق الهاتف الذكي المصمم لـ«التعقب والتتبع» في يوليو 2020. يبدو هنا أن أيرلندا كانت محل لواحدة من أكثر الاستجابات إيجابية في أي بلد لم يكن تنزيل التطبيق فيها إجباريًا، ففي غضون يومين فقط تمت مليون عملية تنزيل أي حوالي ربع عدد السكان المستوفين للشروط.[42]

نقول ختامًا أن العامل التحتي هنا هو أيضًا قوة الهواتف الذكية وانتشارها الهائلين سواء فيما يتعلق بالمراقبة أو بالرعاية، ولكن هذه ليست سوى بداية العملية. الأمر الذي له نفس القدر من الأهمية هو الطرق التي تحدد بها القيم الثقافية التحتية كيفية ارتباط تلك التقنيات بالمثل المعيارية المحلية، وهذا هو ما يعنيه (الهاتف الذكي العالمي) فالهاتف الذكي جهاز يتجلى فيه التنوع العالمي ولا يطمسه.

سوف نذكر اثنين من الآثار المترتبة الأخرى بإيجاز، أحدهما يتعلق بنتائج السياسات لهذا الكتاب والثاني يتعلق بالأبحاث المستقبلية. أولًا فيما يتعلق بالسياسات فمن الواضح أننا لا يمكننا التعلم إلا من الدول التي كانت توجد



9.7 ميم يتم تداوله في دابلن. لقطة الشاشة لدانيال ميلر.

بها على الأقل الإمكانية لانعكاس القيم الثقافية والوجدان الشعبي. هناك القليل مما يمكن استخلاصه من الأنظمة السلطوية التي فرضت الحلول فرضًا، ولا يسعنا إلا أن نعبر عن مساندتنا للشعوب المضطهدة بسبب تلك الأنظمة. ولكن في حين أن كلا من شعبي كوريا الجنوبية والسويد يدفعهما توافق الآراء بشكل نسبي إلا أنهما صدرت منهما استجابات مختلفة تمامًا للجائحة، ولقد أوضحنا للتو تباينًا مشابهًا بين اليابان وأيرلندا.

كوننا استمددنا ملاحظاتنا حول الخيط الرفيع بين الرعاية والمراقبة من أبحاثنا فيما قبل الجائحة لهو شيء كبير الأهمية، فهو يشير إلى أن الناس العاديين يتمتعون بالفعل بخبرة عالية في التعامل مع المشكلة ذات الصلة. الموازنة بين الرعاية والمراقبة أمر محوري لمعضلة الاعتناء بصحة كبار السن مع احترام استقلاليتهم وكرامتهم، وهي على الأقل بنفس أهمية الطريقة التي يتفاوض بها الآباء في علاقاتهم بأبنائهم المراهقين.[43] بالتأكيد يرى كل الآباء أن مراقبة استخدام أطفالهم للهاتف الذكي كمثال على الرعاية بينما يرى كل مراهق نفس السلوك كمثال على المراقبة. يضج هذا الكتاب بأكمله بأمثلة على الازدواجية التي يشعر بها الناس تجاه الهواتف الذكية.

نحن جميعًا باختصار خبراء في محلنا، وهذه هي الخبرة التي يجب البناء عليها عند مواجهة الأزمات العامة مثل جائحة كوفيد-١٩. كانت معظم المعضلات الأساسية التي أثارها الفيروس في وجه الحكومات متمثلة في خيارات أخلاقية مستعصية ومتناقضة: مثل حقوق كبار السن مقابل الأصغر سنًا، والتعليم مقابل الصحة، والأفراد مقابل الجماعة. تخضع هذه المعضلات بعدئذ للنسبية الثقافية حيث يكون على كل شعب إجراء التفاوضات الداخلية الخاصة بهم حول خيارهم «الأقل سوءًا» وحول الدور المناسب للهواتف الذكية. تقول الدلائل من هذا المشروع أن الشعوب لا تملك فقط الحق في أن يتم استشارتها ولكنها أيضًا تملك المؤهلات كنتيجة للخبرة الكبيرة التي تراكمت لدى معظم الناس في محاولة الموازنة بين الرعاية والمراقبة في حياتهم اليومية. الآن هو وقت الإصرار على السماح للشعوب – من خلال التشاور – بأن يكون لها رأي في تحديد التوازن المناسب.

النقطة الثانية هي أهمية البحث المستمر. عندما ظهرت جائحة كوفيد-19 بادرنا بالمساعدة في إنشاء[44] نوع من الاستجابة في صورة «علم المواطنين» [citizen science] من خلال إنشاء موقع على شبكة الإنترنت يسمى anthrocovid.com. وفر هذا الموقع مساحة لعلماء الأنثروبولوجيا للكتابة عن الأحداث أثناء حدوثها على أرض الواقع مستخدمين في ذلك قدرتهم على النفاذية إلى السكان المحليين والتي نشأت في الكثير من الأحيان من خلال الأعمال الميدانية السابقة. أقيمت العديد من المشاريع الأخرى المماثلة أيضا وخاصة في مجال الأنثروبولوجيا الطبية،[45] ويتم إكمال النقص في هذه الاستقصاءات الأنثروبولوجية من خلال مجالات بحثية أخرى تنقب في وجهات نظر ودلائل مختلفة، ولقد قدمنا رصد موجز لبعض تلك الدراسات في الفصل الأول. كانت سرعة الاستجابة واضحة من خلال ديبورا لوبتون التي سرعان ما نشرت رصدًا للدراسات ذات الصلة كما وضحت أيضًا في مجموعة المصادر التي جمعها إيفيجيني موروزوف.[46] بدأت قصة الهواتف الذكية للتو ونأمل أن يكون كتابنا هذا قد أظهر أهمية القيام بمزيد من البحث في عواقبها للإنسانية[47] كما نتمنى أن يلعب الكتاب دوره في تحريك مزيد من البحث عبر المجالات البحثية المختلفة.

»الاستنتاجات النهائية: »الذكاء العام

تعيد هذه الملاحظات بخصوص جائحة كوفيد-19 – أي الخيط الرفيع بين الرعاية والمراقبة، وخبرات المواطنين العاديين، والحاجة إلى المزيد من البحث التعاوني – هذا الكتاب إلى الروح التي بدأ منها أي التعليل المنطقي لفرضية المشروع الأساسية «الذكاء العام». نحتاج جميعًا إلى ملاحظة والاستماع إلى والتعلم من الطريقة التي يستخدم بها الناس الهواتف الذكية في الحياة اليومية. اتخذت الكثير من الاستجابات الأولية لكوفيد-19 شكل من أشكال

الحلول التكنولوجية من أعلى إلى أسفل حيث كانت الحكومات هي من اختارت تطبيقات الهواتف الذكية التي استخدمت لتتبع المخالطين ثم أبلغت الشعوب بالكيفية التي ينبغي عليهم الامتثال بها. هناك الكثير من العلم وراء تطوير التطبيقات وزيادة فعاليتها ولكن التوازن بين الرعاية والمراقبة هو قرار سياسي في الأساس ويجب أن تتضمن السياسة التشاور متى كان هذا ملائمًا. ذكرنا في القسم الأخير أننا طالما تفاوضنا على هذا التوازن في حياتنا، وحتى يمكن للسكان استيعاب هذه التقنيات بشكل فعال فإن الحكومات سوف تبلي بلاءً أحسن كثيرًا باحترام تلك الخبرة المنتشرة.

الكتاب بأكمله مستند إلى روح مماثلة، فإن كانت نتائج هذه الدراسة تبدو مختلفة عن النقاشات السائدة عن الهواتف الذكية فهذا ليس لأن فريقنا البحثي يحاول جعل الهواتف الذكية تبدو إما «جيدة» أو «سيئة» وإنما لأن بحثنا يعتمد على الاحترام الشديد لما يملكه الأشخاص العاديين من سعة حيلة ومهارة في الصياغة. حتى وإن لم تكن جائحة كوفيد-19 قد ظهرت أبدًا فقد كنا لنقدم أيضًا حجة لمناظير «الذكاء العام» لا تقل قوة بناءً على دراساتنا حول الصحة عبر الهاتف. وجد بحثنا أن الاستخدام الإبداعي للتطبيقات العادية المنتشرة في كل مكان مثل واتساب[48] هو ما كان يترك انطباعًا حقيقيًا عند الإدارة الصحية كأعظم أهمية وضرورة من التطبيقات المخصصة للصحة المصممة من أعلى إلى أسفل. كان المثال الثالث هو النتيجة التي تفيد بأنه بشكل عام ليس ما يجعل الهواتف الذكية «ذكية» هو الآلة الذكية [S.M.A.R.T] التي تتعلم من الاستخدام بل ما يلحق ذلك من تعديلات وإنشاء للمحتوى على يد المستخدمين.

كان يهمنا في هذا البحث أيضًا ألا نعتمد على الاستبيانات والاستطلاعات حول العلاقة بين الفرد وهاتفه الذكي فقط، فلقد ركز النهج الشمولي لإثنوغرافاتنا بنفس القدر أيضًا على تأثير الأزواج والمجموعات والشبكات والقيم الثقافية الأوسع. يفسر هذا الأمر أيضًا الأسلوب الذي كتب به هذا الكتاب حيث أن استخدام البورتريهات في جميع أنحاء الكتاب يعكس اهتمامًا إنسانيًا بعدم القدح فيما هو مميز في الأشخاص. قد تنطبق التعميمات التحليلية حول مفاهيم مثل المنزل المتنقل وما بعد الأنثروبومورفيزم – والتي تشكل مادة هذا الفصل الأخير – على بعض الفئات السكانية التي درسناها ولكنها نادرا ما تنطبق عليها كلها، كما يمكن أن تؤدي النظرية والصياغة المفاهيمية بدورهما إلى توصيف شديد التجريد والتعميم والانفصال عن العوالم الفوضوية المتنوعة التي تنبثق من الملاحظة الإثنوغرافية. مجابهة هذا التوجه كانت سببًا آخر لاستمرارنا في غمر الاستنتاجات العامة بقصص الأشخاص، فهناك تعميم حول الرجال في دبلن ولكن هناك إيمون أيضًا، وهناك تعميم حول النساء في دار الهوى ولكن هناك نورا أيضًا.

ولا ينبغي أن يتعارض نهجنا مع إسهامات مصممي ومطوري وشركات الهاتف الذكي وهو الشيء الذي حاولنا إقراره من وقت لآخر ولكننا لم نبحث فيه بشكل مباشر، كما أننا ندرك أيضًا تأثير منهجيتنا البحثية التي أدت إلى كتاب يركز على ما هو واضح في الإثنوغرافيا. لم يكن من المحتمل أن يكون المصممون والمطورون حاضرين في تلك المواقع الميدانية الإثنوغرافية وهي نقطة تنطبق أيضًا على العديد من المساهمات المهمة الأخرى التي لا يمكن الاعتراف بها إلا كعوامل خارجية. هذه هي الأسباب التي تجعلنا نقترح استخدام هذا الكتاب جنبًا إلى جنب مع دراسات من مجالات بحثية أخرى تهتم بالسياقات الأخرى ذات الصلة بفهم الهواتف الذكية بطرق لم تكن متاحة لنهجنا الإثنوغرافي، ولقد ناقشنا بعضًا من هذه الدراسات في الفصل الأول.

كان التعبير عن التفهم والتعاطف نحو الفئات السكانية الأقل احتمالًا أن يتم تمثيلها في دراسات الهواتف الذكية جزءًا من روح «الذكاء العام» لهذا البحث، ولقد قمنا بهذا من خلال التركيز على تركيبة سكانية ممن هم ليسوا شبابًا ولا مسنين ونطلق عليهم هنا مسمى «كبار السن» في الغالب. لم يكن المنطق وراء اختيار المواقع الميدانية

هو أننا كنا نعتبرها مميزة بأي شكل من الأشكال بل كان بالأحرى مجرد تمثيل لتنوع العالم والذي يبرر تسمية هذا الكتاب بـ (الهاتف الذكي العالمي).

من مباهج دراسة الهاتف الذكي هو أنه يتيح لنا النفاذ إلى الطرق التي يمكن أن يكون **الناس** بها أذكياء والتي لا حصر لها. ليست هذه الطرق جيدة بالضرورة فالكتاب يعج بأمثلة على كيفية إظهار الهاتف الذكي لإنسانيتنا وكذلك لعدم إنسانيتنا، ولكن تسليط الضوء على الطرق التي يساهم بها الناس العاديون بإبداعهم في صنع ما أصبحت عليه الهواتف الذكية قد يساعد البشرية على استعادة القليل من احترام الذات لا سيما في وجه القدرات والتقنيات الجديدة المخيفة وفي وجه الشركات والدول ذات النفوذ الهائل التي تقف وراءها. لقد كان الناس العاديون هم من حولوا قابلية الهواتف الذكية بأن تكون مجرد «ماهرة - ذكية» للقابلية بأن تكون «حساسة - ذكية»، وهم من يعود لهم الفضل في أن كل هاتف ذكي فريد من نوعه. ربما كانت الشركات هي من خلقت قدرة الهاتف الذكي على تجاوز التجسيد الآدمي ولكن أي لمحات لاحقة من الإنسانية أو انعدام الإنسانية نلاحظها في الهاتف الذكي – وهو الدليل الأساسي الذي قدمناه هنا – قد خُلِقَت على يد الأشخاص الذين قابلتهم في هذا الكتاب.

ملاحظات

1 Greschke 2012. انظر أيضًا Morley 2000.

2 نظرًا لأن هذا الكتاب هو كتاب عن التنوع لذا يجب أن ننوه أن هذه الشهادة وأخرى مماثلة في هذا الفصل سوف يكون لها العديد من الاستثناءات.

3 Cairncross 1997.

4 Jackson 1995

5 تعمل تلك بمعدلات زمنية ودرجات مختلفة على المستويين المحلي والعالمي. انظر Eriksen 2016.

6 Alison 2014.

7 Augé 2008.

8 Douglas 1991, 306.

9 تزعم العديد من الدراسات في de Souza e Silva 2014 أن الهاتف غالبًا ما يستخدم لربطنا بالأماكن بطرق جديدة.

10 Zuboff 2019, 6.

11 للاطلاع على عمل سابق انظر Boullier 2002. مثل تلك البوابات تميل إلى أن تكون أكثر حضورًا في الخيال العلمي أو كتب الأطفال، مثل *The Lion, the Witch, and the Wardrobe* بقلم C. S. Lewis، أو *The Subtle Knife* بقلم Philip Pullman، أو مثل آداة الانتقال portkey في سلسلة Harry Potter، أو مثل *Doraemon* في الرسوم المتحركة اليابانية وهو مثال على كيف سمحت التكنولوجيا للبشرية بـ «تحقيق» شيء كان في السابق مجرد خيال وفكرة مثالية. تتم مناقشة هذا بشكل أكثر تجريدًا كنظرية الإحراز Theory of Attainment في كتاب *Webcam*. انظر Miller and Sinanan 2014.

12 تستند هذه الحجج إلى دراسات سابقة كما تستند أيضًا إلى هذه الدراسة، حيث يمكننا أن نرى أن الأشخاص يستخدمون هذه الوسائط الجديدة لمحاولة خلق شعور بالتواجد المشترك برغم العيش في بلدان مختلفة. انظر على سبيل المثال Madianou and Miller 2012 و Miller and Sinanan 2014.

13 مثل Hjorth et al. 2021.

14 Russell 2017.

15 .لم يعد هذا صحيحًا تمامًا اليوم حيث أننا بدأنا نفكر في الروبوتات كعاملين مصانع آلبين أو في مجال الجراحة الطبية. لا تشير أي من هذه الحالات إلى هذا النوع من الأنثروبومورفيزم، انظر على سبيل المثال Hockstein et al. 2007.

16 نستثني لوسوزي حيث أن معظم الأشخاص هناك كانوا لايزالوا عاملين.

17 كما تم التنبؤ في Sherry Turkle 1984.

18 Thompson 2013.

19 Ong 1982.

20 Rainie and Wellman 2014.

21 Waterson 2014.

22 McDonald 2016.

23 نوقشت مجموعة متنوعة من الأمثلة على المراقبة الرقمية في Lupton 2015. هناك العديد منها الأوراق البحثية ذات الصلة في الدورية العلمية *Surveillance and* Society.

24 Zuboff 2019.

25 Zuboff 2019, 14.

26 Lanchester 2019.

27 Bateman 2020.

28 Worldometers.info 2020. جمعت البيانات من مصادر رسمية حول العالم. آخر تاريخ دخول كان في 1 أكتوبر 2020.

29 Pols 2012 and Oudshoorn 2011.

30 Wilding and Baldassar 2018. انظر أيضًا Lutz 2018. انظر أيضًا Baldassar et al. 2016 و Baldassar et al. 2017.

31 مثل Ticktin 2011 وأيضًا الإصدار الخاص من *Ethos* المخصص لـ«الرعاية في آسيا». انظر Johnson and Lindquist 2020. لأخذ فكرة عامة عن التشابكات الخاصة بالرعاية والمراقبة انظر أيضًا Schwennesen 2019.

32 Kavedžija 2019.

33 Morozov 2020.

34 *The Economist*، 16 أبريل 2020.

35 Wang 2019a.

36 Wang 2019b.

37 انظر Rossler 2005, 22: «ترتكز نظرية الخصوصية التي سنتعامل معها فيما يلي على إطار سياسي وفلسفي محدد، ألا وهو الليبرالية». انظر De Bruin 2010.

38 وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الحجة تحديدًا حول خصوصية الليبرالية «الجديدة» هي في الأساس موقف يتخذه داني والذي يستند إلى بحثه استنادًا جزئيًا: على سبيل المثال الضرر الذي يلحق بالمرضى المسنين نتيجة للتشدد في السرية [Miller 2017b, 41– 50] والمشكلات التي يواجهها القطاع التطوعي نتيجة للوائح الـ GDPR الأوروبية. لن نجد توافقًا في الآراء على مثل هذه القضايا بين المؤلفين حيث أن العديد منهم يركزون أكثر بكثير على مخاطر المراقبة وليس مخاطر الخصوصية.

39 مثل حادثة فتاة غائط الكلب Dog Poop Girl في 2005. انظر Heing 2005.

40 BBC News 2020, 5 March 2020.

41 Asahi Digital 2020.

42 McGrath 2020.

43 موضوع شائع في المدونات القائمة باسم «التربية من أجل مستقبل رقمي» التي تديرها الأستاذة سونيا ليفينجستون والدكتورة أليسيا بلوم-روس وكيت جيلكريست وبايج موستين. آخر دخول كان في 1 أكتوبر 2020. يمكن القراءة من الرابط التالي:https://blogs.lse.ac.uk/parenting4digitalfuture

44 إلى جانب هايدي جيسمار وهانا نوكس من مركز الأنثروبولوجيا الرقمية بكلية لندن الجامعية. يمكن الوصول إلى الموقع من خلال الرابط التالي: https://anthrocovid.com/

45 على سبيل المثال زملاؤنا في كلية لندن الجامعية في الأنثروبولوجيا الطبية والذين يقومون بالتدوين هنا: https://www.ucl.ac.uk/anthropology/ study/ graduate- taught/ biosocial- medical- anthropology- msc/ medicalanthropology-blog- posts بالإضافة إلى المدونات التعاونية الأخرى. انظر على سبيل المثال Somatosphere.net 2020.

46 شاهد قراءات فيروس كورونا من «المنهج» لموروزوف على الرابط https://the-syllabus.com/coronavirus-readings/. انظر أيضًا Lupton 2020.

47 نوقشت العلاقة بين الرعاية والمراقبة خاصة في سياق الأسرة والمنزل نقاشًا متعمقًا مؤخرًا في Hjorth et al. 2020. يشمل أحد أهم الأمثلة على ما يسمونه «المراقبة الودية» أدلة تستند إلى عملهم الميداني في شنغهاي ويعزونها هم أيضًا إلى نشأة الرعاية عن بعد. انظر Hjorth وآخرون، 2020، 65-73.

48 Duque 2020.

ملحق: المنهجية والمحتوى

السياق

بدأ الفصل الأول من هذا الكتاب بإقرار حقيقة أن الهاتف الذكي ليس له علاقة تذكر بالهواتف المحمولة السابقة بما أنه وسع من قدراته لتشمل مجموعة غير عادية من الاستخدامات، وإذ نقوم الآن بإنهاء الكتاب فسوف يكون من الصعب أن نتخيل غياب الهواتف الذكية عن أي مجال مهم من مجالات الحياة اليوم على الأقل فرضيًا. لحسن الحظ أن الإثنوغرافيا – وهي الطريقة البحثية الأساسية للأنثروبولوجيا – قد صممت خصيصًا لتناسب المشكلة التي يمثلها هذا الأمر لدراسة الهاتف الذكي. تقوم الإثنوغرافيا في هذا المشروع على «وضع الأمور في سياقها بشكل شمولي»، وهو ما يعني أن كل شيء ندرسه يكون بدوره السياق لكل شيء آخر ندرسه. قد ننظر في مفهوم الجندر مثلًا من أجل فهم الأسرة [الجنس الاجتماعي] باعتباره سياقها، ومن ثم فلكي نفهم كيفية تصور الناس للجندر فقد ندرس الأسرة باعتبارها سياقه. بدلًا من استخدام الفرضيات يعترف علماء الإثنوغرافيا أنهم ببساطة لا يعرفون مسبقًا بما سوف يتضح أنه ذا صلة بالموضوع الذي يدرسونه، وهم يستجيبون لذلك بمحاولتهم أن تتضمن أبحاثهم الملاحظات التي تغطي مجموعة واسعة من جوانب الحياة اليومية.

على الرغم من أننا نسمي وضع الأمور في سياقها بشكل شمولي طريقة بحثية إلا أنه أيضًا مجرد انعكاس لواقع حياة الناس. لا يوجد أناس يعيشون فقط فيما يتعلق بأسرهم ولا بعملهم ولا بنشاطهم على الإنترنت ولا بسياستهم ولا بعاداتهم الغذائية، فهم يعيشون فيما يتعلق بكل هذه الأشياء في وقت واحد. نمارس جميعًا وضع الأمور في سياقها بشكل شمولي في الحياة الواقعية، وتعترف الاثنوغرافيا بهذا الأمر وهذا الإقرار يتوافق مع التعريف الآخر للإثنوغرافيا ألا وهو أنها طريقة تدرس الناس في ظروف حياتهم الطبيعية وليس ضمن بيئة اصطناعية كمختبر أو نقاشات جماعية مركزة.

لا تتوقف مثالية الشمولية عند حدود مواقعنا الميدانية فقد تتأثر الأسباب التي تجعل الناس يتصرفون كما يتصرفون بالقوى التجارية أيضًا أو باللوائح الحكومية أو الطقس أو عوامل أخرى، لذا فإن وضع الأمور في السياق بطريقة شمولية لا يعرف الإثنوغرافيا فقط بل ويتجاوزها أيضًا. ما نعنيه بكلمة «شمولي» هنا هو أن نشمل أي شيء يظهر أنه ذو صلة بفهم تجارب مشاركينا سواء كان من ممكن ملاحظته في الإثنوغرافيا أم لا، وهذا هو السبب في أن هذا الكتاب قد استند في بعض المواضع إلى مواد مستمدة من التاريخ ووسائل الإعلام والاقتصاد السياسي الأوسع كما هو الحال في استنتاجات الفصل التاسع، ورغم ذلك فقد كان تركيزنا الأساسي في (الهاتف الذكي العالمي) على النتائج التي خرجنا بها بأنفسنا بناءً على ملاحظاتنا الإثنوغرافية الأولية.

رغم أن الخيار المثالي من المفترض أن يكون النظر في جميع جوانب حياة المشاركين إلا أنه من المحتم أن يكون هناك بؤرة تركيز تعطي الأفضلية لبعض الأنشطة عن الأخرى، ولقد تم تحديد ذلك منذ البداية في الطلب الأصلي الذي

قدمناه لمجلس البحوث الأوروبي الذي قام بتمويل المشروع. حدد الطلب منحى ثلاثي التشعب للشيخوخة والهواتف الذكية والصحة عبر الهاتف وكان لا بد من أن تتبع بحوثنا اللاحقة تلك التعهدات، ونتيجة لذلك ركز كل فصل من فصول البحث على كبار السن رغم أنه نادرًا ما كان هذا التركيز عليهم وحدهم فلقد ربطتهم هواتفهم الذكية بالعائلة والأصدقاء رغم كل شيء. كانت نتيجة أن الباحثين عاشوا في نفس المكان لمدة 16 شهرًا أنهم كونوا صداقات بشكل طبيعي مع جميع الفئات العمرية أيضًا بما في ذلك الأشخاص في نفس عمرهم.

نعترف بأن مفهوم «كبار السن» يبدو غامضًا إلى حد ما بالفعل. في البداية كنا نرتئي أن نركز على من هم في منتصف العمر – أي من هم عادةً يرون أنفسهم ليسوا بالشباب ولا بالمسنين – ولكن التنوع في مواقعنا الميدانية أعطانا تجارب شديدة التباين بدءًا من اليابان حيث كان بعض المشاركين لا يشعرون «بالشيخوخة» عند عمر الـ 80 عامًا إلى أوغندا حيث كان من الممكن اعتبار الأشخاص كبارًا في سن الأربعين بناءًا على نمط حياتهم. تذهب واحدة من حجج هذا الكتاب إلى أن الهاتف الذكي قد لعب دورًا في تغيير تصورات الناس عن العمر، ولقد أوضحنا في الفصل السابع أن الأشخاص الذين كانوا يواجهون صعوبات في استخدام الهاتف الذكي كانوا غالبًا ما يشعرون بأن ذلك يضعهم في فئة «الكبار سنًا» بينما كانت الكفاءة في كثير من الأحيان سبب لأن ينظروا لأنفسهم على أنهم شباب نسبيًا. تتكرر النقاشات حول العلاقات بين الأجيال في جميع أجزاء الكتاب وذلك ببساطة لأنه أصبح من الواضح أن الهاتف الذكي قد انخرط بعمق في تلك العلاقات. يمكنك أن تجد المزيد من المعلومات حول نتائج المشروع فيما يتعلق بالتقدم في العمر في المونوغرافات [الدراسات الفردية] وسوف تُنشر كلها تحت عنوان (الشيخوخة مع الهواتف الذكية في ... [المواقع الميدانية المعنية]).

كان العنصر الثالث في هذا المشروع بالإضافة إلى الهواتف الذكية والتقدم في العمر هو الصحة عبر الهاتف [health] وهو ما يفسر التركيز على القضايا المتعلقة بالصحة في الفصل الرابع على سبيل المثال. كما أشرنا في الفصل الأول كانت طموحاتنا لهذا الجزء من المشروع مختلفة نوعًا ما عن دراسات الشيخوخة أو الهواتف الذكية لأنها كانت تأخذ اتجاهات أكثر عملية، فقد كانت غايتنا تطوير دراسات أو تدخلات من شأنها أن يكون لها نتائج مباشرة لرفاهية السكان في المناطق التي عملنا بها. ولكن كما حدث في عملنا على الشيخوخة والهواتف الذكية فإن فهمنا للموضوع قد تغير بشكل كبير عن توقعاتنا الأولية، وهو باختصار أننا عندما تقدمنا في عملنا البحثي أخذت تلك الأبحاث المشروع كله بعيدًا عن مساره الرئيسي ألا وهو التركيز على الصحة عبر الهاتف في شكلها التقليدي المتعارف عليه على أنه إنتاج تطبيقات مخصصة للصحة للهواتف الذكية. ما وجدناه هو أن تلك التطبيقات كان لها حتى ذلك الحين تأثيرًا ضئيلًا نسبيًا على تلك الفئات السكانية الإثنوغرافية في أغلب الأحيان، ولذلك تحولت بؤرة التركيز إلى الطريقة التي يوظف بها الأشخاص التطبيقات اليومية المستخدمة للأغراض العامة مثل وتشات أو واتساب أو يوتيوب للأغراض الصحية. سوف تُنشر نتائج هذه الدراسات في مكان آخر،[1] بيد أنها أثرت تأثيرًا كبيرًا في المنحى الذي أخذه هذا الكتاب فعلى سبيل المثال يهيمن النقاش حول الصحة على الفصل الرابع والثلث الأول من الفصل الثامن.

الإثنوغرافيا

الإثنوغرافيا كما هو مذكور أعلاه هي المنهجية البحثية الأساسية لعلماء الأنثروبولوجيا وتهدف لدراسة الناس وهم يعيشون حياتهم اليومية، وهو الشيء الذي لا توجد طريقة واحدة لتحقيقه ولذلك فمن المهم أن تكون مرنًا وأن تغير طريقة البحث إذ تتعلم عن كل مجموعة سكانية على حدة بل وأيضًا عن كل مشارك في البحث على حدة، فقد تنجح في تكوين الصداقات في مكان ما من خلال الذهاب إلى الحفلات بينما في مكان آخر من خلال حضور المراسم



م.1 بيان معلوماتي من تصميم شينيوان وانج يظهر الإثنوغرافيا كدائرة عناصرها متداخلة ومنطمسة.

الدينية. لفهم الكيفية التي خرجنا بها بنتائج هذا الكتاب قد يكون من المفيد أن تتخيل الإثنوغرافيا على أنها دائرة ذات أربعة أجزاء ينطمس كل منها في الأجزاء الأخرى [الشكل م.1].

يُفهم الجزء الأول عادةً على أنه قلب الإثنوغرافيا وهو المعني بمراقبة المشاركين في البحث حيث قضى الفريق أوقاتًا مع المشاركين لتبادل خبراتهم مباشرة. انضم كل من شارلوت وباتريك إلى مخططات الادخار الدورية باجتماعاتها المتكررة، بينما كانت بولين تخرج للتمشية بانتظام مع مجموعة في ثورنهيل. انخرط ألفونسو بعمق في الأنشطة الدينية للبيروفيين الذين يعيشون في سانتياغو، ورافقت لورا المشاركات بانتظام في نزهات عشاء للفتيات كما أنها تطوعت للفحوص الطبية، وانضمت شيرين لفرق الكورال ومجموعات الخياطة. كانت بعض المشاركات نتيجة لمبادرات أطلقناها نحن، حيث أصبح كل من ألفونسو وداني وماريليا ومايا وبولين مشتركين في تعليم استخدام الهواتف الذكية للكبار، بينما ساعدت شينيوان في إقامة المعارض مع أبناء حيها ولهم، وكانت ليلى مشاركة نشطة في إحدى المجموعات النسائية في القدس.

يقضي الباحثون معظم الأيام في هذه الملاحظة للمشاركين، وهذه الملاحظة هي الفعل الأكثر اندماجًا وانغماسًا وتركيزًا في البحث. ولأن مشروعنا يبحث في الأنثروبولوجيا الرقمية لذا امتدت ملاحظة المشاركين إلى الانخراط المباشر في عوالم الإنترنت مثل منصات التواصل الاجتماعي التي تمثل مجال آخر يمكننا من خلاله ملاحظة أشكال التواصل لدى المشاركين مع تسجيل درجة الشعبية التي تتمتع بها الملصقات في محادثات لاين في اليابان على سبيل المثال.

يتألف الجزء الثاني من المقابلات الشخصية، فقد اتفق الباحثون على إجراء مقابلات شخصية مع ما لا يقل عن 25 شخصًا لكل مجال من المجالات الثلاثة الرئيسية للبحث [الشيخوخة والهاتف الذكي والصحة]، وهؤلاء لم نكن نعتبرهم عينة رسمية ولكننا استخدمنا بياناتهم للحصول على بعض الفهم لما كان مشتركًا لدى معظم المشاركين وبالتالي لما هو قابل للتعميم. انتهت تلك المقابلات التي كانت غير رسمية وكانت مفيدة في تسجيل كيفية مناقشة

الأشخاص لهذه الموضوعات بكلماتهم الخاصة، ولقد أثرت تلك المقابلات هذا الكتاب بالعديد من الأمثلة على الطرق التي عبر بها المشاركين عن أنفسهم. تساعد المقابلات الباحث الإثنوغرافي أيضا في تقييم ما يبدو نمطيًا لمجموعة سكانية ما وفي استكشاف التفضيلات الأكثر غرابة لفرد بعينه، وكانت هذه المقابلات مهمة بشكل خاص للفصل الثاني الذي كان نقاشًا للخطاب أي ما يقوله الناس عن الهواتف الذكية.

هناك مجموعة محددة من المقابلات كانت مهمة بشكل خاص لمحتوى هذا الكتاب وهي التي تم تلخيصها في الفصل الرابع. أثناء تلك المقابلات طلبنا من الأشخاص استعراض كل تطبيق من تطبيقات هواتفهم الذكية واحدًا تلو الآخر ومناقشة استخدام كل منها على حدة. كنا أحيانًا نطلب تفاصيل أخرى بعد ذلك مثل عدد المكالمات الهاتفية التي أجروها خلال الأسبوع السابق أو ماذا تكون مجموعات واتساب التي ينتمون إليها وكم مجموعة منها تتكون من أفراد الأسرة. قد ينكر كبار السن استخدامهم الشخصي لهواتفهم الذكية في المناقشات العامة كما أشرنا في الفصل الثاني زاعمين أنهم يستخدمونه فقط للرسائل النصية والمكالمات الصوتية، ولكن باستعراض كل تطبيق من تطبيقات هواتفهم تتجلى صورة مختلفة ففي معظم الأحوال كان يتبين أن نفس هؤلاء المشاركين كانوا يستخدمون حوالي من 25 إلى 30 تطبيق ووظيفة مختلفة يمكن أن تؤدي مناقشة كل منها إلى قصص وأمثلة ربما لم تكن ملاحظتها لتتم بشكل مباشر.

ورغم ذلك فربما كانت المقابلات في تلك الفترة الزمنية التي استغرقت 16 شهرًا أقل أهمية بكثير من محادثة دامت ثلاث ساعات مع شخص ما أثناء المشي في الريف أو تبادل القيل والقال أثناء احتساء القهوة، فتلك اللقاءات قد تؤدي إلى الجزء الثالث والذي يتألف من الصداقات، فسوف يكون من الغريب أن تعيش في مكان ما لمدة 16 شهرًا دون أن تكون أي صداقات فيه. هؤلاء الأصدقاء ليسوا بأي حال من الأحوال «مزيفين» أو مجرد أدوات، فالصداقات التي تتكون أثناء العمل الميداني غالبًا ما تكون طويلة الأمد وتستمر إلى ما بعد فترة العمل الميداني بوقت طويل. العديد من الإلهامات الرئيسية التي يسترشد بها هذا الكتاب مثلًا كان مصدرها الأصدقاء الذين تعرف الباحثون عليهم أثناء العمل الميداني وكذلك الكثير من الملاحظات اليومية [الشكل م.2]. نحن نكتب عن هؤلاء الأصدقاء بإذنهم وبعد مناقشات معهم حول الأخلاقيات والسرية، فالصراحة مع كل من هم ذوي صلة بشأن كوننا نعيش في ذلك المكان كإثنوغرافيين محترفين في محاولة لفهم الحياة اليومية هناك مما يعني حتما أننا نتعلم منهم أيضًا هو جزء من تلك الصداقة.



م.2 تعلم داني سريعا ألا يذهب لمنزل أحد بدون البراك وهو نوع من خبز الفاكهة منتشر في أيرلندا. تصوير دانيال ميلر.

نوضح أيضًا للمشاركين كيف يمكن لمثل هذه المعرفة أن تستخدم في إصداراتنا المنشورة أو لأغراض تعليمية ونتأكد أنه ليس بينهم من لا يدرك هذا. بمرور الوقت يطمئن الناس إلى تكتمنا في عدم نقل القيل والقال، وبمجرد بناء تلك الثقة غالبًا ما يجدون التحدث مع شخص ليس قريبًا لهم ولا هو جزء من شبكاتهم الاجتماعية القائمة شيء مريح جدًا. لا يزال داني مثلًا يحتفظ إلى اليوم بصداقة بعض الترينيداديين الذين التقى بهم خلال عمله الميداني في ترينيداد في الثمانينيات، وهؤلاء كانوا في البدء مشاركين في البحث ولكنهم أصبحوا بعد ذلك اصدقاء عزيزون، وهو يخطط للعودة إلى ترينيداد قريبًا وحينها سوف يصبحون مشاركين في البحث مرة أخرى.

تميل تلك الاستمرارية إلى أن تكون أقوى بكثير اليوم بفضل وسائل التواصل الاجتماعي. يكمن أساس الصداقة في الثقة التي هي أيضًا أساس الإثنوغرافيا، وهي ما يجعل هذه الدراسات تعاونية في طبيعتها ليس فقط بيننا وبين المشاركين ولكن أيضًا بين المؤلفين وبعضهم البعض. الجميع تقريبا مفتون بالهواتف الذكية فقد يكون مشاركينا الذين أصبحوا أصدقاءنا مهتمين بمحاولة فهم وشرح ما يفعلونه بالهواتف الذكية بنفس قدر اهتمامنا. جرت العادة أن يتحدث علماء الأنثروبولوجيا عن رؤاهم وتحليلاتهم الأولية أولًا ثم يطلبوا من هؤلاء الأصدقاء أن يدلوا بتعليقاتهم حول ما إذا كانت هذه التحليلات تبدو معقولة وصادقة بالنسبة لتجاربهم أم لا، لكننا أيضًا على استعداد لمعارضة مشاركينا في البحث عندما تبدو ممارساتهم الحقيقية مثلًا شديدة الاختلاف عما يدعونه.

يتضمن الجزء الأخير مناقشات مع الأشخاص الذين يقدمون الخدمات في كل من المواقع الميدانية المحلية، وهؤلاء قد يشملون سائقي سيارات الأجرة أومصففي الشعر أوالعاملين في مجال الصحة أو في صيانة الهاتف في المحلات التجارية أو في الأماكن العامة مثل الحانات أو في الشرطة أو من يقدمون الاستشارات النفسية والعلاج النفسي أو السياسيين أو عمال النظافة. يمكن لمن يشغلون هذه المناصب أن يكون لديهم نفاذية لخبرات أو لملاحظات يمكنها إضافة معلومات قيمة وهو ما بدوره يساعد الإثنوغرافي في اكتساب فهم أفضل للسياق.

السبب في أننا طمسنا مركز الدائرة الموضح في الشكل م.1 هو أن هذه الأجزاء ليست منفصلة فالشخص نفسه قد يظهر في كل جزء من الأجزاء الأربعة، وهي كلها تعتمد على الالتزام العميق بقضاء قدر كبير من الوقت في كل من المواقع الميدانية حيث يضمن قضاء 16 شهرًا الخروج ببحث قوي تم التحصيل عليه من خلال البحث عن الأنماط والسلوكيات المتكررة وليس بحثًا قصصيًا. هذه الفترة ضرورية أيضًا لبناء الثقة لأن تلك الثقة بدورها تجعل الناس تشعر بالراحة عند التحدث عما يشعرون به حقًا وليس عما يعتقدون أنهم من المفترض أن يشعروا به أو عما «ينبغي» أن يقولوه للباحثين. تعتمد مثالية وضع الأمور في سياقها بطريقة شمولية على هذا الالتزام طويل الأمد نفسه، حيث يستغرق الأمر وقتًا لاستشعار تفاصيل العيش في حي ما ولفهم إيقاعات الحياة اليومية فيه ولاستكشاف الأماكن التي يتواجد بها مجتمع ذلك الحي وتلك التي تتسم بالعزلة والشعور بالوحدة على حد سواء ففي تلك الأخيرة نجد الأشخاص الذين ما كنا لنقابلهم أو نسمع عنهم حتى نعيش في الموقع الميداني لشهور عديدة.

يُستمد هذا البحث من برنامج أنشأته كلية لندن الجامعية في الأنثروبولوجيا الرقمية،[2] وهو برنامج يهدف إلى إقرار الأهمية المتزايدة لأنشطة الإنترنت في حياتنا؛ ورغم ذلك تختلف الأنثروبولوجيا الرقمية عن الإثنوغرافيا عبر الإنترنت. تألف معظم العمل الميداني لهذا المشروع من العمل الإثنوغرافي التقليدي خارج الإنترنت وكانت مكونات الإثنوغرافيا الخاصة بالإنترنت تميل إلى التطور بشكل أكثر طبيعية من خارجه، فبما أن الناس يستخدمون ويتشات أو فيسبوك بشكل كبير في تفاعلاتهم مع الآخرين لذلك كان الباحثون يميلون إلى الانخراط معهم عبر الإنترنت وكذلك خارجه، وعندما يصبح الباحثون جزءًا من المجتمع المحلي يشاركون في الوجه العام لعوالم الإنترنت التي أصبحت موردًا مهمًا للمجتمعات. انتهى العمل الميداني لأغلب هذا المشروع في يونيو 2019 باستثناء القدس حيث كان الباحثون هناك مشغولون بأعمال أخرى. الآن بما أن الإثنوغرافيا تنشئ الصداقات وتدفع للمشاركة في وسائل

التواصل الاجتماعي أصبح من المحتم أن يكون هناك استمرارية، وهي شيء مهم بشكل كبير في حالتنا هذه بسبب الأحداث المحيطة بجائحة كوفيد-19 فلقد كان جميع مؤلفي هذا الكتاب بطبيعة الحال قلقون بشأن المشاركين في البحث وبقوا على تواصل معهم خلال تلك الفترة، ونتيجة لهذا كان عدد من الملاحظات الواردة في الكتاب يغطي هذه الأحداث الأخيرة ولم تنتهي تلك الملاحظات بانتهاء العمل الميداني رسميًا.

رغم أن استخدام الهاتف الذكي كان موضوع هذا البحث إلا أنه أصبح أيضًا أداة مهمة للبحث. أتاحت الهواتف الذكية للفريق البحثي لهذا العمل أن يكونوا على تواصل مستمر مع الأشخاص الذين عملوا بينهم بنفس الطريقة التي يتواصل بها هؤلاء الأشخاص مع بعضهم البعض،[3] ومثلما كان الحال تمامًا مع المشاركين في البحث مكنتنا الهواتف الذكية أيضًا من البقاء على اتصال بأصدقائنا وأزواجنا وأقاربنا في الوطن. أتاحت لنا التقنيات الرقمية الجديدة أيضًا أن نعمل بشكل تعاوني ومقارن بطريقة لم تكن ممكنة من قبل، فخلال فترة العمل الميداني كلها كتب الباحثون تقاريرًا شهرية بلغت 5000 كلمة للتقرير الواحد وكان جميع أعضاء الفريق الآخرين يقرأون كل من تلك التقارير ثم يناقشونها بشكل جماعي عبر سكايب كل شهر، كما اشتملت هذه الاجتماعات أيضا على مناقشات الفريق فيما يتعلق بما يجب التركيز عليه في الشهر التالي وكان هناك تفاعلًا أكثر استمرارًا عبر واتساب والبريد الإلكتروني. من خلال المناقشات والمجادلات والشرب والضحك شاركنا قصصنا من الميدان ووجدنا عناصر مقارنة بشكل طبيعي من خلال المحادثات عبر الإنترنت وخارجه.

المقارنة والتعميم

يتألف المشروع من 11 باحثًا أجروا 10 دراسات إثنوغرافية في 9 دول، ونقدم الباحثين ومواقعهم الميدانية بطريقة موجزة جدًا في هذا الفيلم القصير [الشكل م.3].

كانت القدرة على مقارنة النتائج التي توصل إليها الباحث مع تلك التي توصل إليها الباحثون الآخرون من الفريق ميزة كبيرة. يبدأ عالم الإثنوغرافيا بعد أشهر قليلة في أخذ الطريقة التي يستخدم بها الأشخاص هواتفهم الذكية محليًا كأمر مسلم به، ولكنه يكتشف من المناقشات أن ما كان ينظر إليه على أنه استخدام منطقي لواتساب يظهر في موقع ميداني آخر كشيء يفعله الناس أكثر من خلال يوتيوب. يختلف الناس من موقع ميداني لموقع ميداني آخر



م.3 فيلم: (من نحن). متاح من خلال http://bit.ly/assawhoweare.

في درجة تقبلهم للتغييرات التي يضفيها الناس على مظهرهم عند النشر عبر الإنترنت. التعرض المستمر للدلائل التي تقول أن السكان في المواقع الميدانية الأخرى يفعلون الأشياء بشكل مختلف يُذَكِر كل عالم من علماء الأنثروبولوجيا أنه يحتاج إلى تفسير السبب الذي يجعل الأشياء تتم بالطريقة التي لاحظوا أنها تتم بها وأن مجموعتهم السكانية ليست أكثر «طبيعية» من أي مجموعة سكانية أخرى.

نحن نحرص على ترسيم حدود الفرق التي نقارنها كما أشرنا في عدة مواضع من هذا الكتاب، ولهذا فموقع ميداني واحد في الصين لا يمثل «الصينيين» كما أنه ليس كل الرجال منخفضي الدخل في سانتياغو ممن يبلغون منتصف العمر متشابهون. عادة ما يختلف الناس كأفراد اختلافات محيرة، ورغم ذلك يمتلئ هذا الكتاب بالتعميمات. أشرنا أيضا إلى أن إحدى النقاط الرئيسية في الإثنوغرافيا طويلة الأمد هي ملاحظة التكرارات والأنساق حتى نستطيع تحديد نوع الأشياء التي يمكن أن نعتبرها نمطية، وهو شيء يختلف عن القولبة. قولنا أن الأشخاص في موقع شنغهاي الميداني يحبون استخدام رموز [QR] أكثر من الأشخاص في الموقع الميداني الأيرلندي هو تعميم قائم على الملاحظة ولا يعني أن هذا التفضيل خاصية متأصلة لكون المرء صينيًا، فقد يكون هناك مشارك واحد في شنغهاي يكره رموز [QR] وقد يحب الأشخاص في الموقع الميداني الأيرلندي بعد 20 عامًا من الآن رموز [QR] أكثر من الأشخاص في شنغهاي. كل ما نلاحظه هو نتيجة لأن الأشخاص ينشئون في إطار معايير وتوقعات مجتمعاتهم التي تتطور بمرور الوقت، وكان سلوكهم ليكون مختلفًا إذا كانوا نشأوا اجتماعيًا في مناطق مختلفة عن تلك التي نشأوا فيها. ليس التعميم كالقولبة لأن التعميمات ليست ماهية، فلا شيء في هذا الكتاب يتعلق بالسلوكيات التي يمكن اعتبارها من الفطرة أو من الخواص الجوهرية لأي شخص من أي فئة معينة من البشر.

عملت شيرين في أحد أحياء ميلانو التي تضم الكثير من الناس الذين هم في الأصل من بلدان أخرى، وكان من بينهم أشخاص جاءوا إلى إيطاليا من مصر وبيرو والفلبين – وكذلك شعب الهزارة من أفغانستان – في أوقات مختلفة وظروف متفاوتة. كان من المحتمل في التعامل مع مواضيع مثل المواطنة والهوية أن تنسق شيرين النتائج التي توصلت إليها على أنها تباين بين الإيطاليين والمهاجرين ولكنها بدلًا من ذلك ركزت على التنوع الأوسع لخبرات الناس في تلك البيئة الحضرية لإدراكها أن العديد من الإيطاليين في ميلانو هم أنفسهم مهاجرون من أجزاء أخرى من إيطاليا. يسلط هذا المنحى الذي انتهجته شيرين الضوء على أهمية فهم التصنيف الاجتماعي والقانوني والسياسي للناس، وهي عملية تضمنت توثيق تجارب الإقصاء والاحتواء. هناك مسألة أخيرة تخص التعميم وهي أن هذا الكتاب كتبه عدة مؤلفون ولذلك فعندما نصرح فيه بعبارة ما لا ينبغي أن يُفترض أن كل مؤلفي الكتاب يوافقون عليها أو أنها تنطبق على كل المواقع الميدانية، ولكن كان الكتاب ليكون مملًا للغاية إذا قلنا هذا التنويه مع كل جملة.

أجرى جميع أفراد الفريق استبيانات كمية أكثر من تلك التي تظهر في هذا الكتاب، ونحن نفضل أن نرى نتائجنا الكمية متكاملة مع دلائلنا النوعية الأساسية. قد تساعدنا الاستبيانات على فهم مدى نمطية شيء ما، لكننا لا نرغب في أن نعطي الأفضلية للأشياء التي يمكن إحصائها على حساب العوامل غير القابلة للقياس الكمي ولقد كان النقاش حول عدد التطبيقات التي يستخدمها الأشخاص في الفصل الرابع مثال على هذا، كما أن هذا الكتاب قد استند أكثر بكثير إلى الملاحظة اللصيقة للمشاركين لمدة 16 شهرًا التي استغرقتها المنحة. على الطرف الآخر من الطيف المنهجي قد يعطي استخدامنا للقصص والفينيات انطباعًا مضللًا بنفس القدر بأن العمل الميداني كان قصصيًا، ولكن كان يمكننا جمع الحكايات في زيارة تستغرق أسبوعان بينما كان الهدف من البقاء لمدة 16 شهرًا في الميدان هو مراقبة أنماط السلوك اليومي لفترة من الزمن حتى يتمكن عالم الأنثروبولوجيا من التأكد مما إذا كانت حالة ما تصنف كحالة نمطية أم شاذة ولماذا.

الأخلاقيات

اشتمل هذا المشروع البحثي الذي تضمن 10 دراسات إثنوغرافية متزامنة عبر 9 دول على تطبيق مجموعة واسعة من المعايير الأخلاقية التي استند بعضها إلى الامتثال لمجموعة من الشروط التي وضعتها لجان الأخلاقيات بما في ذلك مجلس البحوث الأوروبية وكلية لندن الجامعة وكذلك إلى اتباع السياسات المحددة للجان الأخلاقيات المؤسسية والوطنية في كل من المواقع الميدانية، ولقد ضمنت هذه السياسات أن يكون المشاركين على دراية كاملة بأهداف البحث والنشر للمشروع بما في ذلك استخدام استمارات الموافقة وحماية البيانات. كانت سرية الهوية محورية أيضًا لأخلاقيات مشروعنا البحثي حيث لم يتم الكشف عن هوية الأشخاص إلا من اختاروا ذلك كما كان الحال في بعض الأفلام، ولقد استخدمنا أساليب مختلفة لإخفاء الهوية مثل تغيير الأسماء حتى أننا استخدمنا أسماء مستعارة لبعض الأماكن، ولنفس السبب أيضًا غيرنا بعض تفاصيل الأشخاص التي كانت غير ذات صلة بالنقاط التي أوردناها. يضيف العمل عبر الإنترنت بعدًا آخر، ففي بعض الحالات يستريح الناس لكونك تلاحظ منشوراتهم على وسائل التواصل الاجتماعي لكنهم لا يتوقعون منك في المقابل أن تقوم بالنشر بينما في أماكن أخرى لا يستريح الأشخاص إلا إذا قمت بالنشر بنفس طريقتهم.

تمتد الأخلاقيات بالنسبة لعلماء الأنثروبولوجيا إلى ما هو أبعد من شروط الامتثال التي ترسيها لجان الأخلاقيات، وكان القول الفصل بالنسبة لفريقنا هو ببساطة التأكد من عدم تعرض أي مشارك في بحثنا لأي ضرر بسبب مشاركته. يتطلب منع الأذى منا أن نكون حساسين تجاه المفاهيم المحلية والشخصية حول السلوكيات الملائمة مثل تلك الخاصة بمشاركة المعلومات. أحيانًا يواجه الباحثون الإثنوغرافيون أيضًا قرارات صعبة بشأن كيفية الاستجابة للطوارئ الصحية أو الصعوبات المالية والتي يمكن أن يكون لها تأثير طويل المدى على نظرة الناس لهم أو على تقييم طبيعة صداقتهم بهم. بالإضافة إلى ذلك قد يولي باحثي الإثنوغرافيا أيضًا الانتباه لما يصفه عالم الأنثروبولوجيا ديديه فاسين بأنه «الأخلاقيات المتواضعة»[4] أي أن مكان الباحث الإثنوغرافي يشمل مشاعر الناس تجاه جنسيتهم أو جنسهم. يضم فريق [ASSA] باحثين من المجموعات السكانية التي تتم دراستها وباحثين من مجموعات سكانية مختلفة تمامًا عن تلك التي تتم دراستها في موقعهم الميداني.[5] في أيرلندا مثلًا عملت بولين كعالمة أنثروبولوجيا أيرلندية بينما كان يُنظر لداني على أنه ممثل للنظام الاستعماري الأسبق لكونه بريطانيًا. تم توظيف معاونين بحثيين في بعض المواقع الميدانية، ولقد عملت شارلوت الباحثة البريطانية في كامبالا مع مشاركين من مختلف مناطق أوغندا ويتحدثون العديد من اللغات المختلفة وساعدها في المشروع باحثة مشاركة وعائلتها الذين نشأوا في المنطقة وكانوا معروفون جيدا ويتمتعون باحترام المجتمع.

ليلى من الأفراد النشطين في إحدى مجتمعات القدس، أما باتريك فقد كان من مواليد الكاميرون ولكنه عاش في الخارج لمدة 10 سنوات قبل العمل الميداني وكان يعود للكاميرون في زيارات سنوية. نتج عن التغيرات العميقة التي وقعت في الكاميرون على مدار هذا العقد شعورًا بالالتباس داخل باتريك بشأن كونه «من داخل المكان»، وينعكس هذا الالتباس في موقف السكان المحليين منه حتى أن بعضهم قد يراه على أنه مبنغوي [mbenguist] وهو مصطلح محلي يطلقه الكاميرونيون على الأشخاص المغتربين في الغرب. يذهب عالم الأنثروبولوجيا الكاميروني فرانسيس ب. نيامنجوه[6] أن الإثنوغرافيا حوار مستمر أو ما يسميه «تشارك الأصوات» [collaboration of voices]،[7] و في الغالب تتصدر مشكلات «الاتصال» المشهد عندما يكون موضوع الدراسة هو الهاتف الذكي الذي هو الجهاز الرئيسي الذي يتواصل الناس من خلاله الآن.

النشر

يمكن كتابة الكتب الأكاديمية بمجموعة متنوعة من الأساليب حسب الجمهور المستهدف، وفي حالتنا هذه افترضنا أن فهم استخدامات وتبعات الهواتف الذكية بشكل أفضل من الممكن أن يكون موضوعًا مثيرًا للاهتمام بالنسبة لأي شخص في أي مكان تقريبًا. لهذا السبب كتبنا هذا الكتاب لجمهور أوسع بكثير من جمهور معظم كتب العلوم الاجتماعية، فعلى الرغم من أننا أشرنا للنقاش الذي ورد في الفصل التاسع بـ«النظرية» إلا أننا حاولنا كتابته بالكامل باللغة الدارجة التي يمكن لشخص أكمل دراسته الثانوية أو بدأ دراسته الجامعة لتوه أن يفهمها. تم نشر جميع الكتب في هذه السلسلة ككتب متاحة للجميع ويمكن تنزيلها مجانًا بلا أي تكلفة على القارئ، كما أننا استثمرنا أيضًا في الترجمات بقدر ما تسمح به الميزانية حتى نضمن وصول المجموعات السكانية التي درسناها لنتائج الدراسة. قمنا أيضًا بالتدوين خلال فترة العمل الميداني كلها وأثناء كتابة هذا الكتاب بالإضافة إلى تصوير أفلام قصيرة كوسيلة لتوصيل نتائج بحثنا بطريقة سهلة، وكل هذا يمكن الحصول عليه من الموقع الإلكتروني للمشروع.[8]

تعمدنا بناء هذا الكتاب – كما ذكرنا في النص الرئيسي له – باستخدام بورتريهات الأفراد التي تهدف إلى نقل التزامنا بالفلسفة الإنسانية واحترامنا للشخصية الفريدة لجميع الأشخاص الذين التقينا بهم كمشاركين في البحث، فالاعتراف بهم كأفراد يتوازن مع ضرورة احتواءنا للأفكار التجريدية والتعميمات النظرية والتحليلة في كتابنا الأكاديمي. بالإضافة إلى نص الكتاب يحتوي الكتاب أيضًا على الصور والبيانات المعلوماتية، ولكن لنقل الأجواء متعددة الحواس للمواقع الميدانية فإننا نوصي بشدة أيضًا بمشاهدة بعض الأفلام القصيرة التي تم تسجيلها كجزء من العمل الميداني.[9] يشعر كل مؤلف من مؤلفي هذا الكتاب بالإحباط بسبب أن المقتطفات التي تظهر هنا من مواقعهم الميدانية موجزة جدًا وخارج السياق الأكبر ولذلك يأملون في أن القراء الذين يرغبون في التعرض لتلك السياقات الأكبر وفهمها قد يرغبون الآن أيضًا في قراءة دراساتهم المنفردة [المونوغرافات].

ملاحظات

1 على سبيل المثال Duque 2020.

2 Horst and Miller 2012. الأنثروبولوجيا الرقمية هي أيضًا المجال الذي تدرب عليه العديد من أفراد الفريق.

3 انظر de Bruijn et al. 2009, 15 . تتضمن مقدمة الكتاب مقتطفات من (متزوج لكن متوفر، رواية بقلم فرانسيس ب. نيامنجوه). في قصة نيامنجوه هذه تفقد الباحثة الأوروبية الخيالية الزائرة في إفريقيا ليلي لوفليس هاتفها وفي نفس الوقت شبكاتها وعلاقاتها وهويتها وشعورها بالأمان والحياة الطبيعية. تستخدم هذه القصة لتصوير الهاتف المحمول كأداة إثنوغرافية وكموضوع للبحث في نفس الوقت حيث أنه يربط الناس بعلاقاتهم الاجتماعية وبالتالي يكشفها.

4 Fassin 2008.

5 لمزيد من النقاش حول هذا الوضع للأشخاص من الداخل والخارج انظر Griffith 1998 و Merton 1972.

6 Nyamnjoh 2012.

7 Clifford 1986.

8 يمكن رؤية مدونة مشروعنا على الرابط التالي: https://www.ucl.ac.uk/ anthropology/ assa/ كما يمكن رؤية الموقع الإلكتروني لمشاريعنا على الرابط التالي: https://www.ucl.ac.uk/ anthropology/ assa/

9 تستغرق هذه الأفلام عمومًا بضع دقائق ويمكن مشاهدتها على قناة يوتيوب الخاصة بمشروعنا على الرابط التالي: https://www.youtube.com/ channel/UC8gpt3_urYwiNuoB83PVJlg ولأفلام حول المنهجية على وجه الخصوص راجع الرابط التالي: https://www.youtube.com/ playlist?list=PLm6rBY2z_ 0_gCJCxU5ninztHVIP_ ZewZn

المصادر

Abacus News (Part of SMCP). 2019. "Podcasts are booming in China and Ximalaya FM leads the charge". 30 de agosto de 2919. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.abacusnews.com/digitallife/podcasts-are-booming-china-and-ximalaya-fm-leads-charge/article/3025066.

Accessa, S. P. 2018. "RG 033 – Resultados – POnline 2017". Consultado el 1 de octubre de 2020. http://www.acessasp.sp.gov.br/wp-content/uploads/2019/01/ponline-2017.pdf.

Agar, Jon. 2013. Constant Touch: A global history of the mobile phone. Londres: Icon.

Ahlin, Tanja. 2018a. "Frequent callers: 'Good care' with ICTs in Indian transnational families". Medical Anthropology 39 (1): 69–82. https://doi.org/10.1080/01459740.2018.1532424.

Ahlin, Tanja. 2018b. "Only near is dear? Doing elderly care with everyday ICTs in Indian transnational families: Elderly care with ICTs in Indian families". Medical Anthropology Quarterly 32 (1): 85–102. https://doi.org/10.1111/maq.12404.

Ahmed, Sara. 2004. "Affective economies". Social Text 22 (2): 117–39. https://doi.org/10.1215/01642472-22-2_79-117.

Akimoto, A. 2013. "Looking at 2013's Japanese social-media scene". The Japan Times, 17 de diciembre de 2013. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.japantimes.co.jp/life/2013/12/17/digital/looking-at-2013s-japanese-social-media-scene-3/#.Xl4ycaj7Q2w.

Al Jazeera. 2017. "Cameroon shuts down internet in English-speaking áreas". Al Jazeera, 26 de enero de 2017. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.aljazeera.com/news/2017/01/cameroonanglophone-areas-suffer-internet-blackout-170125174215077.html.

Albarrán-Torres, C. y G. Goggin. 2017. "Mobile betting apps – Odds on the social". En Smartphone Cultures, editado por J. Vincent y L. Haddon, 25–37. Londres: Routledge.

Al-Heeti, Abrar. 2019. "Facebook lost 15 million US users in the past two years, report says – CNET". CNET. 6 de marzo de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.cnet.com/news/facebook-lost-15-million-us-users-in-the-past-two-years-report-says/.

Allison, Anne. 2014. Precarious Japan. Durham, NC: Duke University Press.

Andall, Jacqueline. 2002. "Second-generation attitude? African-Italians in Milan". Journal of Ethnic and Migration Studies 28 (3): 389–407. https://doi.org/10.1080/13691830220146518.

Anderson, M. Y A. Perrin. 2017. "Tech adoption climbs among older adults". PEW Research Center. 17 de mayo de 2017. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.pewresearch.org/internet/2017/05/17/tech-adoption-climbs-among-older-adults/.

Andjelic, J. 2020. "WhatsApp statistics: Revenue, usage, and history" (actualizado en mayo de 2020). Fortunly. Mayo de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://fortunly.com/statistics/whatsapp-statistics/#gref.

Anthrocovid.com. 2020. "Collecting COVID-19 | anthropological responses". Anthrocovid.com.2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://anthrocovid.com/.

Antonsich, M., S. Camilotti, L. Mari, S. Pasta, V. Pecorelli, R. Petrillo y S. Pozzi. 2020. "New Italians: The re-making of the nation in the age of migration". Sitio web de investigación. New Italians. 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://newitalians.eu/en/.

Apple Inc. 2020. "Buy iPhone 11 Pro". Sitio web Apple 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.apple.com/us-hed/shop/buy-iphone/iphone-11-pro.

Apple Inc. 2020. "Preparing apps for review". Apple Developer. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://developer.apple.com/app-store/review/.

Archambault, J. 2017. Mobile Secrets: Youth, intimacy, and the politics of pretense in Mozambique. Chicago: University of Chicago Press.

Ardener, Shirley. 1964. “The comparative study of rotating credit associations”. The Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland 94 (2): 201. https://doi.org/10.2307/2844382.

Asahi Digital. 2020. “10万円給付、窓口に人が殺到 総務相「改善が必要」”. Asahi Digital, 12 May 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.asahi.com/articles/ASN5D3K6YN5DULFA00C.html.

Augé, Marc. 2008. Non-Places: Introduction to an anthropology of supermodernity, segunda edición en inglés. Londres; Nueva York: Verso.

Baldassar, Loretta, Mihaela Nedelcu, Laura Merla y Raelene Wilding. 2016. “ICT-based co-presence in transnational families and communities: Challenging the premise of face-to face proximity in sustaining relationships”. Global Networks 16 (2): 133–44. https://doi.org/10.1111/glob.12108.

Baldassar, Loretta, Raeline Wilding, Paolo Boccagni y Laura Merla. 2017. “Aging in place in a mobile world: New media and older people’s support networks”. Transnational Social Review 7 (1): 2–9. https://doi.org/10.1080/21931674.2016.1277864.

Barry, Christopher T., Hannah Doucette, Della C. Loflin, Nicole Rivera-Hudson y Lacey L. Herrington. 2017. “Let me take a selfie: Associations between self-photography, narcissism, and self-esteem”. Psychology of Popular Media Culture 6 (1): 48–60. https://doi.org/10.1037/ppm0000089.

Bateman, Tom. 2020. “Coronavirus: Israel turns surveillance tools on itself”. BBC News, 11 May 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.bbc.com/news/world-middle-east-52579475.

Baym, N. 2010. Personal Connections in the Digital Age. Cambridge: Polity.

BBC News. 2007. “Apple’s ‘magical’ iPhone unveiled”. 9 de enero de 2007. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://news.bbc.co.uk/1/hi/technology/6246063.stm.

BBC News. 2014. “Facebook to buy messaging app WhatsApp for $19bn”. 20 de febrero de 2014. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.bbc.co.uk/news/business-26266689.

BBC News. 2016. “WhatsApp is now free (and there still won’t be adverts)”. 18 de enero de 2016. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://www.bbc.co.uk/newsbeat/article/35345731/whatsapp-is-now-free-and-there-still-wont-be-adverts.

BBC News. 2020. “Coronavirus privacy: Are South Korea’s alerts too revealing?” 5 de marzo de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.bbc.co.uk/news/world-asia-51733145.

Bell, C. and J. Lyall. 2005. “I was here”: Pixelated evidence”. En The Media and the Tourist Imagination: Converging cultures, editado por D. Crouch, R. Jackson y F. Thompson. Londres: Penguin Books.

Benedict, R. 1946. The Chrysanthemum and the Sword: Patterns of Japanese culture. Boston, MA: Houghton Mifflin.

Bernal, Victoria. 2014. Nation as Network: Diaspora, cyberspace, and citizenship. Chicago: University of Chicago Press.

Bhardwaj, P. 2018. “Tencent’s business is about as big as Facebook’s thanks to its stronghold in China”. Business Insider. 16 de mayo de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.businessinsider.com/tencent-compare-facebook-revenue-charts-2018-5?r=US&IR=T.

Bikoko, A. B. 2017. “Cameroun: Le téléphone portable, au-delà de la valeur d’usage, la mort”. Mediaterre, 26 de julio de 2017. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.mediaterre.org/climat/actu,20170726042927,6.html.

Bogost, Ian. 2020. “Every place is the same now”. The Atlantic. 16 de enero de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.theatlantic.com/technology/archive/2020/01/smartphone-has-ruined-space/605077/.

Bolter, Jay David y Richard Grusin. 2003. Remediation: Understanding new media. Sexta edición. Cambridge, MA: MIT Press.

Boullier, D. 2002. “Objets communicants, avez-vous donc une âme ? Enjeux anthropologiques”. Les Cahiers Du Numérique 3 (4): 45–60.

Boumans, J. 2005. “Paid content: From free to fee”. En E-Content Technologies and Perspectives for the European Market, editado por P. A. Bruck, Z. Karssen, A. Buchholz y A. Zerfass, 55–75. Berlin; Heidelberg: Springer. https://doi.org/10.1007/3-540-26387-X_3.

Bourdieu, Pierre. 1977. Outline of a Theory of Practice. Cambridge: Cambridge University Press.

Boyd, Danah y Kate Crawford. 2012. “Critical questions for Big Data: Provocations for a cultural, technological, and scholarly phenomenon”. Information, Communication & Society 15 (5): 662–79. https://doi.org/10.1080/1369118X.2012.678878.

Boyd, Danah. 2014. It’s Complicated: The social lives of networked teens. New Haven, CT: Yale University Press.

Boyd, Joshua. 2019. “The history of Facebook: From BASIC to global giant”. Brandwatch Blog (blog). 25 January 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.brandwatch.com/blog/history-offacebook/.

Boylan, Dan. 2018. “Ugandans riot after President imposes social media tax to fight ‘fake News’ and gossip”. The Washington Times, 15 de julio de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.washingtontimes.com/news/2018/jul/15/yoweri-museveni-ugandapresident-fights-fake-news-/.

Bruijn, M. de, F. Nyamnjoh y I. Brinkman, eds. 2009. Mobile phones: The new talking drums of everyday Africa. Bamenda, Camerún: Langaa Publishers.

Bruns, Axel. 2019. Are Filter Bubbles Real? Cambridge, Inglaterra; Medford, MA: Polity.

Bruns, Axel, Gunn Enli, E. Skogerbo, Anders Olof Larsson y C. Christensen. 2018. The Routledge Companion to Social Media and Politics. Nueva York, Londres: Routledge.

Brunton, F. 2018. “WeChat: Messaging apps and new social currency transaction tolos”. En Appified: Culture in the age of apps, editado por Jeremy Wade Morris y Sarah Murray, 179–87. Ann Arbor, MI: University of Michigan Press.

Buganda.com site. 2020. “The clans of Buganda”. Buganda.com. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://www.buganda.com/ebika.htm.

Bunz, Mercedes y Graham Meikle. 2017. The Internet of Things. Cambridge, Inglaterra; Malden, MA, Estados Unidos: Polity.

Burgess, Adam. 2004. Cellular Phones, Public Fears, and a Culture of Precaution. Nueva York: Cambridge University Press.

Burke, Hilda. 2019. The Phone Addiction Workbook: How to identify smartphone dependency, stop compulsive behavior and develop a healthy relationship with your devices. Berkeley, CA: Ulysses Press.

Burrell, Jenna. 2010. “Evaluating shared access: Social equality and the circulation of mobile phones in rural Uganda”. Journal of Computer-Mediated Communication 15 (2): 230–50. https://doi.org/10.1111/j.1083-6101.2010.01518.x.

Burrell, Jenna. 2012. Invisible Users: Youth in the internet cafes of urban Ghana. Cambridge, MA: MIT Press.

Bushey, R. 2014. “How Japan’s most popular messaging app emerged from the 2011 earthquake”. Business Insider. 12 de enero 2014. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.businessinsider.com/history-of-line-japan-app-2014-1?r=US&IR=T.

Cadwalladr, Carol y Emma Graham-Harrison. 2018. “Revealed: 50 million Facebook profiles harvested for Cambridge Analytica in major data breach”. The Guardian, 17 de marzo de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.theguardian.com/news/2018/mar/17/cambridge-analytica-facebook-influence-us-election.

Cairncross, Frances. 1997. The Death of Distance: How the communications revolution will change our lives. Boston, MA: Harvard Business School Press.

Carrier, Mark. 2018. From Smartphones to Social Media: How technology affects our brains and behavior. Santa Barbara, CA: Greenwood, an imprint of ABC-CLIO, LLC.

Carroll, R. 2020. “Why Ireland’s data centre boom is complicating climate efforts”. The Irish Times, 6 de enero de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.irishtimes.com/business/technology/why-ireland-s-data-centre-boom-is-complicating-climate-efforts-1.4131768.

Cecilia. 2014. ‘WeChat dominates APAC mobile messaging in Q3 2014”. China Internet Watch. 27 de noviembre de 2014. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.chinainternetwatch.com/10939/wechat-dominates-apac-mobile-messaging-q3-2014/.

Chambers, D. 2014. Social Media and Personal Relationships. Londres: Palgrave Macmillan.

Chatzimilioudis, Georgios, Andreas Konstantinidis, Christos Laoudias y Demetrios Zeinalipour-Yazti. 2012. “Crowdsourcing with smartphones”. IEEE Internet Computing 16 (5): 36–44. https://doi.org/10.1109/MIC.2012.70.

Chen, X. and P. H. Ang. 2011. “The internet police in China: Regulation, scope and myths”. En Online Society in China: Creating, celebrating, and instrumentalising the online carnival, editatod por D. K. Herold yP. Marolt, 52–64. Abingdon, Oxon; Nueva York: Routledge.

Chen, Yujie, Zhifei Mao y Jack Linchuan Qiu. 2018. Super-Sticky WeChat and Chinese Society. Inglaterra: Emerald Publishing.
Cheng, Yinghong. 2009. Creating the 'New Man': From Enlightenment ideals to socialist realities. Honolulu: University of Hawai'i Press.
Clark, Lynn Schofield. 2013. The Parent App: Understanding families in the digital age. Oxford, Nueva York: Oxford University Press.
Clements, Alan. 2014. Computer Organization & Architecture: Themes and variations. Stamford, CT: Cengage Learning.
Clifford, J. 1986. "Introduction: Partial truths". En Writing Culture: The poetics and politics of ethnography, editado por J. Clifford y G. E. Marcus, 1–26. Berkeley, CA: University of California Press.
Clough, Marinaro, I. y J. Walston. 2010. "Italy's 'second generations': The sons and daughters of migrants". Bulletin of Italian Politics 2 (1): 5–19.
Coleman, E. Gabriella. 2013. Coding Freedom: The ethics and aesthetics of hacking. Princeton, NJ: Princeton University Press.
Coleman, E. Gabriella. 2014. Hacker, Hoaxer, Whistleblower, Spy: The many faces of Anonymous. Londres; Nueva York: Verso.
Costa, Elisabetta. 2018. "Affordances-in-Practice: An ethnographic critique of social media logic and context collapse". New Media & Society 20 (10): 3641–56. https://doi.org/10.1177/1461444818756290.
Couldry, Nick, Sonia Livingstone y Tim Markham. 2007."“Connection or disconnection?: Tracking the mediated public sphere in everyday life".En Media and Public Spheres, editado por Richard Butsch, 28–42. Basingstoke, Inglaterra: Palgrave Macmillan.
Couldry, Nick y Ulises Ali Mejias. 2019. The Costs of Connection: How data is colonizing human life and appropriating it for capitalism. Stanford, CA: Stanford University Press.
Counterpoint. 2019. "India smartphone market share: By quarter". Counterpoint Research (blog). 27 de noviembre de 2019. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.counterpointresearch.com/india-smartphone-share/.
Corte de Justicia de la Unión Europea. 2014. "Judgment in Joined Cases C-293/12 and C-594/12: Digital rights Ireland and Seitlinger and others. The Court of Justice declares the data retention directive to be invalid". 8 de abril 2014. Consultado el 25 de mayo de 2020. https://curia.europa.eu/jcms/upload/docs/application/pdf/2014-04/cp140054en.pdf.
Cronin, Michael. 2013. Translation in the Digital Age. Primera edición. Londres: Routledge. https://doi.org/10.4324/9780203073599.
Cruz, Edgar Gómez y Ramaswami Harindranath. 2020. "WhatsApp as 'technology of Life': Reframing research agendas". First Monday 25 (12). https://doi.org/10.5210/fm.v25i12.10405.
Daniels, Inge. 2015. "Feeling at home in contemporary Japan: Space, atmosphere and intimacy". Emotion, Space and Society 15 (Mayo): 47–55. https://doi.org/10.1016/j.emospa.2014.11.003.
DataSenado. 2019. "Redes sociais, notícias falsas e privacidade de dados na internet". Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www12.senado.leg.br/institucional/datasenado/arquivos/maisde-80-dos-brasileiros-acreditam-que-redes-sociais-influenciam-muito-a-opiniao-das-pessoas.
Dazzi, Zita. 2018. "Catena umana contro il razzismo in via Padova: Siamo cittadini, non clandestini". La Repubblica, 5 de mayo de 2018. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://milano.repubblica.it/cronaca/2018/05/05/news/catena_umana_via_padova-195600267/.
De Bruin, B. 2010. "The liberal value of privacy". Law and Philosophy 29 (5): 505–34.
De Pasquale, C., C. Sciacca yZ. Hichy. 2017. "Italian validation of smartphone addiction scale short version for adolescent and young adults (SAS-SV)". Psychology 8 (10): 1513–18. https://doi.org/10.4236/psych.2017.810100.
Deloitte. 2016. "Game of phones: Deloitte's mobile consumer survey. The Africa cut 2015/2016". Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www2.deloitte.com/content/dam/Deloitte/za/Documents/technology-media-telecommunications/ZA_Deloitte-Mobile-consumer-survey-Africa-300816.pdf.
Denworth, L. 2019. "Social media has not destroyed a generation". Scientific American, noviembre de 2019. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.scientificamerican.com/article/socialmedia-has-not-destroyed-a-generation/.

Deursen, Alexander J. A. M. van, Colin L. Bolle, Sabrina M. Hegner y Piet A. M. Kommers. 2015. “Modeling habitual and addictive smartphone behavior”. Computers in Human Behavior 45 (Abril): 411–20. https://doi.org/10.1016/j.chb.2014.12.039.

Dijck, José van. 2007. Mediated Memories in the Digital Age. Stanford, CA: Stanford University Press.

Dijk, Jan A. G. M. van. 2006. “Digital divide research, achievements and shortcomings”. Poetics 34 (4–5): 221–35. https://doi.org/10.1016/j.poetic.2006.05.004.

Dijk, Jan A. van yAlexander van Deursen. 2014. Digital Skills: Unlocking the information society. Nueva York, NY: Palgrave Macmillan.

Doi, Takeo. 1985. Anatomy of Self: The individual versus society. Japón: Kodansha.

Donner, Jonathan. 2015. After Access: Inclusion, development, and a more mobile internet. Cambridge, MA: MIT Press.

Donner, Jonathan y Patricia Mechael. 2013. MHealth in Practice: Mobile technology for health promotion in the developing world. Bloomsbury Academic. https://doi.org/10.5040/9781780932798.

Doron, Assa y Robin Jeffrey. 2013. The Great Indian Phone Book: How the cheap cell phone changes business, politics, and daily life. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Douglas, M. 1991. “The idea of home: A kind of space”. Social Research 58 (1): 287–307.

Drazin, Adam y David Frohlich. 2007. “Good intentions: Remembering through framing photographs in English homes”. Ethnos 72 (1): 51–76. https://doi.org/10.1080/00141840701219536.

Drozdiak, N. 2016. “WhatsApp to drop subscription fee”. The Wall Street Journal, 18 de enero de 2016. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.wsj.com/articles/whatsapp-to-dropsubscription-fee-1453115467.

Duque Pereira, Marília. 2018. “Seriam os dados sublimes?” Novos Olhares 7 (2): 38–52. https://doi.org/10.11606/issn.2238-7714.no.2018.149040.

Duque, Marília. 2020. Learning from WhatsApp: Best practices for health. Communication protocols for hospitals and medical clinics. Londres: ASSA.

Duque, Marília y A. Lima. 2019. “Share on the Whats: How WhatsApp is turning São Paulo into a smart city for older people”. The Global South Conference en São Paulo, Brasil.

Edwards, Elaine. 2018. “Department seeks tender to monitor social media for keywords”. The Irish Times, 27 de agosto 2018. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.irishtimes.com/news/social-affairs/department-seeks-tender-to-monitor-social-media-for-keywords-1.3608275.

Eede, Yoni van den. 2019. The Beauty of Detours: A Batesonian philosophy of technology. Albany, NY: State University of New York.

Elhai, Jon D., Haibo Yang, Jianwen Fang, Xuejun Bai y Brian J. Hall. 2020. “Depression and anxiety symptoms are related to problematic smartphone use severity in Chinese young adults: Fear of missing out as a mediator”. Addictive Behaviors 101 (Febrero): 105962. https://doi.org/10.1016/j.addbeh.2019.04.020.

Encyclopaedia Iranica Online. 2020. ‘HAZ RA Iv. Hazāragi Dialect’. En Encyclopaedia Iranica Online. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://www.iranicaonline.org/articles/hazara-4#.

Eriksen, Thomas Hylland. 2016. Overheating: An anthropology of accelerated change. Londres: Pluto Press.

European Commission. 2020. “eHealth Network”. Sitio web de la Comisión Europea. 2020. http://ec.europa.eu/health/ehealth/policy/network/index_en.htm.

Fan, Zhang. 2018. “People’s daily commentator observes: Learning is the best retirement”. The People’s Daily, 15 de noviembre de 2018. http://opinion.people.com.cn/n1/2018/1115/c1003-30401293.html.

Fassin, Didier. 2008. “L’éthique, au-delà de la règle: Réflexions autour d’une enquête ethnographique sur les pratiques de soins en Afrique du Sud”. Sociétés contemporaines 71 (3): 117. https://doi.org/10.3917/soco.071.0117.

Favero, Paolo S. H. 2018. The Present Image: Visible stories in a digital habitat. Londres: Palgrave Macmillan.

Feigenbaum, E. 2003. Chinese Techno-Warriors: National security and strategic competition from the Nuclear Age to the Information Age. Stanford, CA: Stanford University Press.

Fiegerman, Seth. 2013. “WhatsApp tops 250 million active users”. Mashable. 21 de2013. Accessed 1 October 2020. https://mashable.com/2013/06/21/whatsapp-250-million-users/?europe=true.

Fischer, Claude. 1992. America Calling: A social history of the telephone to 1940. Berkeley y Los Angeles: University of California Press.

Fortunati, Leopoldina. 2002. “Italy: Stereotypes, true and false”. En Perpetual Contact, editado por J. E. Katz y M. Aakhus, 42–62. Cambridge: Cambridge University Press.
Fortunati, Leopoldina. 2013. “The mobile phone between fashion and design”. Mobile Media & Communication 1 (1): 102–9. https://doi.org/10.1177/2050157912459497.
Fortunati, Leopoldina, James E. Katz y Raimonda Ricini. 2003. Mediating the Human Body. Mahwah, NJ: Lawrence Erlbaum Associates, Inc.
Foster, R. Y H. Horst, eds. 2018. The Moral Economy of Mobile Phones: Pacific Islands perspectives. Acton, Australia: Australian National University Press.
Fox, Kate. 2014. Watching the English: The hidden rules of English behavior. Revisado y actualizado. Boston, MA: Nicholas Brealey Publishing.
Frey, Nancy. 1998. Pilgrim Stories: On and off the road to Santiago. Berkeley, CA: University of California Press.
Frey, Nancy. 2017. “The Smart Camino: Pilgrimage in the internet age”. Presentado en Annual General Meeting of the London Confraternity of St James, St Alban’s Centre, Londres, 28 de enero de 2017. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.walkingtopresence.com/home/research/text-pilgrimage-in-the-internet-age.
Friedberg, Anne. 2006. The Virtual Window: From Alberti to Microsoft, Primera edición de bolsillo. Cambridge, MA: MIT Press.
Frith, Jordan. 2015. Smartphones as Locative Media. Cambridge, Inglaterra; Malden, MA: Polity.
Fu, Xiaolan, Zhongjuan Sun y Pervez N. Ghauri. 2018. “Reverse knowledge acquisition in emerging market MNEs: The experiences of Huawei and ZTE”, Journal of Business Research 93 (Diciembre): 202–15. https://doi.org/10.1016/j.jbusres.2018.04.022.
Gadgets Now. 2019. “10 biggest smartphone companies of the world | Gadgets Now”. Febrero de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.gadgetsnow.com/slideshows/10-biggestsmartphone-companies-of-the-world/photolist/68097589.cms.
Garnham, N. 1986. “The media and the public sphere”. En Communicating Politics, 44–53. Leicester: Leicester University Press.
Garsten, Christina. 1994. Apple World: Core and periphery in a transnational organizational culture: A study of Apple Computer Inc. Stockholm: Almqvist & Wiksell International.
Giordano, Cristiana. 2014. Migrants in Translation: Caring and the logics of difference in contemporary Italy. Berkeley, CA: University of California Press.
“Giovani Musulmani d’Italia GMI”. 2020. Página de grupo de Facebook, 2020. Consultada el 1 de octubre de 2020. https://www.facebook.com/GiovaniMusulmanidItaliaGMI/.
Goffman, Erving. 1971. Relations in Public: Microstudies of the public order. Nueva York: Basic Books.
Goffman, Erving. 1972. Frame Analysis. Nueva York: Harper and Row.
Gombrich, E. H. 1984. The Sense of Order: A study in the psychology of decorative art. Segunda edición. Londres: Phaidon Press.
Gómez Cruz, Edgar y Eric T. Meyer. 2012. “Creation and control in the photographic process: iPhones and the emerging fifth moment of photography”. Photographies 5 (2): 203–21. https://doi.org/10.1080/17540763.2012.702123.
Gómez Cruz, Edgar y Asko Lehmuskallio, eds. 2016. Digital Photography and Everyday Life: Empirical studies on material visual practices. Londres; Nueva York: Routledge.
Gopinath, Sumanth S. y Jason Stanyek, eds. 2014. The Oxford Handbook of Mobile Music Studies, vol. 2. Oxford: Oxford University Press.
Governo do Brazil (Gobierno de Brazil). 2020. “Governo trabalha para digitalizar todos serviços públicos”. Gov.br. Official government website for Brazil. 13 de julio de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.gov.br/pt-br/noticias/financas-impostos-e-gestao-publica/2020/07/governo-trabalha-para-digitalizar-todos-servicos-publicos.
Governo Federal (Gobierno Federal de Brasil). 2020. ‘Desenvolvimento social’. Ministério Da Cidadania (Brazil). 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://desenvolvimentosocial.gov.br/auxilio-emergencial/auxilio-emergencial-de-600.
Graham, Mark y William Dutton, eds. 2019. Society and the Internet: How networks of informationand communication are changing. Segunda edición. Oxford: Oxford University Press.
Gray, Mary L. y Siddharth Suri. 2019. Ghost Work: How to stop Silicon Valley from building a new global underclass. Boston, MA: Houghton Mifflin Harcourt.
Graziani, Tomas. 2019. “WeChat Official Account: A simple guide”. Walk the Chat. 11 de diciembre de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://walkthechat.com/wechat-official-account-simpleguide/#wechat-official-acct.

Green, Nicola y Leslie Haddon. 2009. Mobile Communications: An introduction to new media. Edición inglesa. Oxford; Nueva York: Berg.
Greenwald, Glenn. 2014. No Place to Hide: Edward Snowden, the NSA and the surveillance state. Londres: Hamilton.
Greschke, Heike Mónika. 2012. Is There a Home in Cyberspace? The internet in migrants' everyday life and the emergence of global communities. Abingdon, Oxon; Nueva York: Routledge.
Griffith, Alison I. 1998. "Insider /outsider: Epistemological privilege and mothering work". Human Studies 21 (4): 361–76. https://doi.org/10.1023/A:1005421211078.
Grupo Casa. 2012. "Waze arrives officially in Brazil". 22 de junio de 2012. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://grupocasa.com.br/waze-arrives-officially-in-brazil/.
Guess, Andrew, Jonathan Nagler y Joshua Tucker. 2019. "Less than you think: Prevalence and predictors of fake news dissemination on Facebook". Science Advances 5 (1): eaau4586. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://doi.org/10.1126/sciadv.aau4586.
Gupta, S. ay I. Dhillon. 2014. "Can Xiaomi shake the global smartphone industry with an innovative services-based business model?" Journal of Management & Research 8 (3/4): 2177–97.
Habermas, J. 1989. The Structural Transformation of the Public Sphere. Cambridge: Polity.
Halavais, Alexander M. Campbell. 2017. Search Engine Society. Cambridge, Inglaterra; Medford, MA: Polity.
Haynes, Nell. 2016. Social Media in Northern Chile. Londres: UCL Press.
Headspace. 2020. "Mindfulness for your everyday life". Sitio web de la app Headspace. 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.headspace.com/.
Hell-Valle, J. y A. Storm-Mathisen, eds. 2020. Media Practices and Changing African Socialities. Londres: Berghahn.
Hendry, J. 1995. Wrapping Culture: Politeness, presentation, and power in Japan and other societies. Oxford: Oxford University Press.
Henig, Samantha. 2005. "The tale of dog poop girl is not so funny after all". Columbia Journalism Review, 7 de julio de 2005. https://archives.cjr.org/behind_the_news/the_tale_of_dog_poop_girl_is_n.php.
Henrique, Alfredo. 2019. "Cidade de São Paulo tem 13 celulares roubados por hora" ('Cada hora roban trece teléfonos móviles en São Paulo'), Folha de São Paulo, 7 de junio de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://agora.folha.uol.com.br/são-paulo/2019/06/cidade-desao-paulo-tem-13-celulares-roubados-por-hora.shtml.
Hingle, Melanie, Mimi Nichter, Melanie Medeiros y Samantha Grace. 2013. "Texting for health: The use of participatory methods to develop healthy lifestyle messages for teens". Journal of Nutrition Education and Behavior 45 (1): 12–19. https://doi.org/10.1016/j.jneb.2012.05.001.
Hirshauga, O. y H. Sheizaf. 2017. "Targeted prevention: The new method of dealing with terrorism is exposed". Haaretz, 26 de mayo de 2017. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.haaretz.co.il/magazine/.premium-MAGAZINE-1.4124379.
Hjorth, L., K. Ohashi, J. Sinanan, H. Horst, Sarah Pink, F. Kato y B. Zhou. 2020. Digital Media Practices in Households. Amsterdam: Amsterdam University Press.
Hobbis, Geoffrey. 2020. The Digitizing Family: An ethnography of Melanesian smartphone. Cham, Suiza: Springer Nature Switzerland AG.
Hockstein, N. G., C. G. Gourin, R. A. Faust y D. J. Terris. 2007. "A history of robots: From science fiction to surgical robotics". Journal of Robotic Surgery 1 (2): 113–18. https://doi.org/10.1007/s11701-007-0021-2.
Holroyd, K. 2017. "The digital Galapagos: Japan's digital media and digital content economy". Japan Studies Association Journal 15 (1): 41–65.
Horst, Heather A. 2013. "The infrastructures of mobile media: Towards a future research agenda". Mobile Media & Communication 1 (1): 147–52. https://doi.org/10.1177/2050157912464490.
Horst, Horst, Heather A. y Daniel Miller, eds. 2012. Digital Anthropology. Edición inglesa. Londres; Nueva York: Berg.
Huang, Zheping. 2019. "China's most popular app is a propaganda tool teaching Xi Jinping thought". South China Morning Post, 14 de febrero de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.scmp.com/tech/apps-social/article/2186037/chinas-most-popular-apppropaganda-tool-teaching-xi-jinping-thought.
Hughes, Christopher y Gudrun Whacker. 2003. China and the Internet: Politics of the digital leap forward. Londres; Nueva York: Routledge.
Humphreys, Lee. 2018. The Qualified Self: Social media and the accounting of everyday life. Cambridge, MA: MIT Press.

IEEE. 2020. IEEE Internet of Things Journal. 2020. https://ieeexplore.ieee.org/xpl/Recent Issue.jsp?punumber=6488907.

Instituto Nacional Dde Estadísticas (INE) y Departamento de Extranjería y Migración (DEM). 2019. “Estimación de personas extranjeras residentes en Chile 31 de diciembre 2018”. Santiago, 9781787359635_Chile: Estadísticas Migratorias. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.extranjeria.gob.cl/media/2019/04/Presentaci%C3%B3n-Extranjeros-Residentes-en-Chile.-31-Diciembre-2018.pdf.

Iqbal, Mansoor. 2019. “WhatsApp revenue and usage statistics (2019)”. Business of Apps, 19 de febrero de 2019. https://www.businessofapps.com/data/whatsapp-statistics/.

Iqbal, Mansoor. 2020. “Line revenue and usage statistics (2020)”. Business of Apps, 28 de abril de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.businessofapps.com/data/line-statistics/.

Istepanian, R. S. H., S. Laxminarayan y C. Pattichis, eds. 2006. M-Health: Emerging mobile health systems. Nueva York: Springer.

Ito, Mizuko. 2005. “Mobile phones, Japanese youth, and the re-placement of social contact”. En Mobile Communications, 131–48. Londres: Springer-Verlag. https://doi.org/10.1007/1-84628-248-9_9.

Itō, Mizuko, Daisuke Okabe y Misa Matsuda, eds. 2005. Personal, Portable, Pedestrian: Mobile phones in Japanese life. Cambridge, MA: MIT Press.

Jackson, Michael. 1995. At Home in the World. Durham, NC: Duke University Press.

Jao, N. 2018. “A clone of a failed mobile game has just gone viral on WeChat”. Technode, 9 de enero de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://technode.com/2018/01/09/wechat-viral-game/.

Jia, Kai, Martin Kenney y John Zysman. 2018. “Global competitors? Mapping the internationalization strategies of Chinese digital platform firms”. En International Business in the Information and Digital Age, editado por Rob van Tulder, Alain Verbeke y Lucia Piscitello, 187–215. Progress in International Business Research series, vol. 13, cap. 8. https://doi.org/10.1108/S1745-8862 20180000013009.

Jia, Lianrui y Dwayne Winseck. 2018. “The political economy of Chinese internet companies: Financialization, concentration, and capitalization”. International Communication Gazette 80 (1): 30–59. https://doi.org/10.1177/1748048517742783.

Jiang, M. 2012. “Internet companies in China: Dancing between the party line and the bottom line”. Asie Visions 47 (January). https://ssrn.com/abstract=1998976.

Johnson, M. y J. Lindquist. 2020. “Care in Asia”. Ethnos 85 (2): 195–399.

Jorgensen, D. 2018. “Toby and ‘the mobile system’: Apocalypse and salvation in Papua New Guinea’s wireless network”. En The Moral Economy of Mobile Phones: Pacific Islands perspectives, editado por R. Foster y H. Horst, 53–73. Acton, Australia: Australian National University Press.

Jovicic, Suzana. En revisión. “Scrolling and the in-between spaces of boredom: Youths on the periphery of Vienna”.

Jurgenson, N. 2019. The Social Photo: On photography and social media. Londres; Nueva York: Verso.

Katz, James Everett y Mark A. Aakhus, eds. 2002. Perpetual Contact: Mobile communication, private talk, public performance. Cambridge; Nueva York: Cambridge University Press. https://doi.org/10.1017/CBO9780511489471.

Kavedžija, Iza. 2019. Making Meaningful Lives: Tales from an aging Japan. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.

Keane, Michael. 2020. “Civilization, China and digital technology”. Acceso abierto. E-International Relations, 1 de febrero de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.e-ir.info/2020/02/01/civilization-china-and-digital-technology/.

Kedmey, D. 2014. “Facebook’s new tool let you tell your friends you’re safe during an emergency”. TIME Magazine, 16 de octubre de 2014. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://time.com/3513016/facebook-safety-check/.

Kelty, Christopher M. 2008. Two Bits: The cultural significance of free software. Durham, NC: Duke University Press.

Kemp, Simon. 2020. “Digital trends 2020: Every single stat you need to know about the internet”. The Next Web, 30 de enero de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://thenextweb.com/growthquarters/2020/01/30/digital-trends-2020-every-single-stat-you-need-to-know-about-theinternet/

Kim, S. D. 2002. "Korea: Personal meanings". En Perpetual Contact: Mobile communication, private talk, public performance, editado por J. Katz yM. Aakhus, 63–79. Cambridge: Cambridge University Press.

Kirkpatrick, David. 2010. The Facebook Effect: The real inside story of Mark Zuckerberg and the world's fastest-growing company. Nueva York: Simon and Schuster.

Kodama, M., ed. 2015. Collaborative Innovation: Developing health support ecosystems, vol. 39. NuevaYork; Londres: Routledge.

Kress, Gunther R. 2003. Literacy in the New Media Age. Londres; Nueva York: Routledge.

Kriedte, Peter, Hans Medick y Jürgen Schlumbohm. 1981. Industrialization before Industrialization: Rural industry in the genesis of capitalism. Cambridge; Nueva York: Cambridge University Press.

Ku, Yi-Cheng, Yi-an Lin y Zhijun Yan. 2017. "Factors driving mobile app users to pay for freemium services". Artículo presentado en 21st Pacific Asia Conference on Information Systems (PACIS 2017): Langkawi, Malaysia, 16–20 de julio de 2017. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://pdfs.semanticscholar.org/1414/42501c8130fb480e4958a300bd295482d26d.pdf.

Kumar, V. 2014. "Making "freemium" work". Harvard Business Review, mayo de 2014. https://hbr.org/2014/05/making-freemium-work.

Kurniawan, Sri. 2006. "An exploratory study of how older women use mobile phones". En UbiComp 2006: Ubiquitous computing, editado por Paul Dourish y Adrian Friday, 4206:105–22. Berlín; Heidleberg: Springer. https://doi.org/10.1007/11853565_7.

Kusimba, Sibel, Yang Yang y Nitesh Chawla. 2016. "Hearthholds of mobile money in Western Kenya". Economic Anthropology 3 (2): 266–79. https://doi.org/10.1002/sea2.12055.

Kyodo News Agency. 2019a. "613,000 in Japan aged 40 to 64 are recluses, says first government survey of hikikomori', 29 de marzo de 2019. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.japantimes.co.jp/news/2019/03/29/national/613000-japan-aged-40-64-recluses-says-firstgovernment-survey-hikikomori/#.Xl6UCKj7Q2w.

Kyodo News Agency. 2019b. "Japan enacts bill aimed at lowering mobile phone fees". Japan Times, 10 de mayo de 2019. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.japantimes.co.jp/news/2019/05/10/business/corporate-business/japan-enacts-bill-aimed-lowering-mobile-phone-fees/#.Xr6LymhKg2x.

Lanchester, J. 2019. "Document number nine". London Review of Books, 10 de octubre de 2019. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.lrb.co.uk/the-paper/v41/n19/john-lanchester/document-number-nine.

Lasch, Christopher. 1979. The Culture of Narcissism: American life in an age of diminishing expectations. Nueva York: Norton & Company.

Lavado, T. 2019. "Facebook lança rival do tinder no Brasil". Globo, 20 de abril de 2019. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://g1.globo.com/economia/tecnologia/noticia/2019/04/30/facebook-lanca-rival-do-tinder-no-brasil.ghtml.

Leswing, Kif. 2019. "Inside Apple's team that greenlights iPhone apps for the App Store". CNBC, 21 de junio 2019. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.cnbc.com/2019/06/21/how-applesapp-review-process-for-the-app-store-works.html.

Leung, Rock, Charlotte Tang, Shathel Haddad, Joanna Mcgrenere, Peter Graf y Vilia Ingriany. 2012. "How older adults learn to use mobile devices: Survey and field investigations". ACM Transactions on Accessible Computing 4 (3): 1–33. https://doi.org/10.1145/2399193.2399195.

Li, Shancang, Li D. Xu e Imed Romdhani. 2017. Securing the Internet of Things. Cambridge, MA: Syngress.

Li Sun, Sunny, Hao Chen y Erin G. Pleggenkuhle-Miles. 2010. "Moving upward in global value chains: The innovations of mobile phone developers in China". Editado por Robert Tiong. Chinese Management Studies 4 (4): 305–21. https://doi.org/10.1108/17506141011094118.

Licoppe, C. y Heurtin, J.-P. 2002. "France: Preserving the image". En Perpetual Contact, editado por J. Katz and M. Aakhus, 94–109. Cambridge: Cambridge University Press.

Lim, S. S. 2020. Transcendent Parenting: Raising children in the digital age. Oxford: Oxford University Press.

Linecorp 2019. "LINE Announces Custom Stickers -Create Your Own Stickers in Minutes Using Popular LINE Characters". Sitio web de Linecorp, 11 de abril de 2019. Consultado el 8 de enero de 2021. https://linecorp.com/en/pr/news/en/2019/2666.

Ling, Richard Seyler. 2004. The Mobile Connection: The cell phone's impact on society. San Francisco, CA: Morgan Kaufmann.

Ling, Richard Seyler. 2012. Taken for Grantedness: The embedding of mobile communication into society. Cambridge, MA: MIT Press.
Ling, Richard Seyler y Birgitte Yttri. 2002. "Hyper-coordination via mobile phones in Norway". En Perpetual Contact, editado por J. Katz y M. Aakhus, 170–92. Cambridge: Cambridge University Press.
Lipset, D. 2018. "A handset dangling in a doorway: Mobile phone sharing in a rural sepik village (Papua New Guinea)". En The Moral Economy of Mobile Phones: Pacific Islands perspectives, editado por R. Foster y H. Horst, 19–38. Acton, Australia: Australian National University Press.
Liu, Xuefeng, Yuying Xie y Mangui Wu. 2015. "How latecomers innovate through technology modularization: Evidence from China's Shanzhai industry". Innovation 17 (2): 266–80. https://doi.org/10.1080/14479338.2015.1039636.
Livingstone, Sonia. 2009. Children and the Internet. Cambridge: Polity.
Livingstone, Sonia. 2019. "Parenting in the digital age". TED Talk presentada en TED Summit 2019, julio de 2019. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.ted.com/talks/sonia_livingstone_parenting_in_the_digital_age.
Livingstone, Sonia y Julian Sefton-Green. 2016. The Class: Living and learning in the digital age. Nueva York: New York University Press.
Livingstone, Sonia, Alicia Blum Ross, Kate Gilchrist y Paige Mustain. 2020. "Welcome to our blog". Parenting 4 Digital Future Blog (LSE) – En blog sobre crecer en un mundo digital. 2020. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://blogs.lse.ac.uk/parenting4digitalfuture/
Long, Susan O. 2012. "Bodies, technologies, and aging in Japan: Thinking about old people and their silver products". Journal of Cross-Cultural Gerontology 27 (2): 119–37. https://doi.org/10.1007/s10823-012-9164-3.
Lui, Natalie. 2019. "WeChat mini programs: The complete guide for business". Dragonsocial (sitio web comercial). 19de junio de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.dragonsocial.net/blog/wechat-mini-programs/.
Luo, Chris. 2014. "China's latest internet sensation: Young man's hand-drawn guide to WeChat for his parents". South China Morning Post, 26 de febrero de 2014. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.scmp.com/news/china-insider/article/1435568/sons-hand-drawn-guidewechat-parents-goes-down-storm-chinese.
Lupton, Deborah. 2015. Digital Sociology. Abingdon, Oxon; Nueva York: Routledge.
Lupton, Deborah. 2020. "Topical mapping of academic publications on social aspects of Covid-19". 2020. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://simplysociology.files.wordpress.com/2020/07/lupton-map-of-social-research-on-covid-19-july-2020-3.pdf.
Lury, Celia. 1997. Prosthetic Culture: Photography, memory and identity. Abingdon, Oxon; Nueva York: Routledge.
Lutz, Helma. 2018. "Care migration: The connectivity between care chains, care circulation and transnational social inequality". Current Sociology 66 (4): 577–89. https://doi.org/10.1177/0011392118765213.
MacKenzie, Donald A. y Judy Wajcman, eds. 1999. The Social Shaping of Technology. Segunda edición. Buckingham, Inglaterra; Philadelphia, PA: Open University Press.
Madianou, Mirca. 2015. "Digital inequality and second-order disasters: Social media in the typhoon Haiyan recovery". Social Media + Society 1 (2): 205630511560338. https://doi.org/10.1177/2056305115603386.
Madianou, Mirca y Daniel Miller. 2012. Migration and New Media: Transnational families and polymedia. Abingdon, Oxon; Nueva York: Routledge.
Maistre, Xavier de y Stephen Sartarelli. 1994. Voyage around My Room: Selected works of Xavier DeMaistre. Nueva York, NY: New Directions.
Margetts, Helen, Peter John, Scott A. Hale y Taha Yasseri. 2016. Political Turbulence: How social media shape collective action. Princeton, NJ: Princeton University Press.
Marwick, Alice E. and Danah Boyd. 2010. "I tweet honestly, I tweet passionately: Twitter users, context collapse, and the imagined audience". New Media & Society 13 (1): 114–33. https://doi.org/10.1177/1461444810365313.
Maurer, Bill. 2012. "Mobile money: Communication, consumption and change in the payments space". Journal of Development Studies 48 (5): 589–604. https://doi.org/10.1080/00220388.2011.621944.
Maxwell, Richard y Toby Miller. 2012. Greening the Media. Nueva York: Oxford University Press.
Maxwell, Richard y Toby Miller. 2020. How Green Is Your Smartphone? Cambridge, Inglaterra; Medford, MA: Polity.

McCulloch, Gretchen. 2019. Because Internet: Understanding how language is changing. Londres: Harvill Secker.

McDonald, Tom. 2016. Social Media in Rural China: Social networks and moral frameworks. Londres: UCL Press.

McGrath, Dominic. 2020. "Why was the Covid-19 app so successful in Ireland?" The Journal.Ie, 11 de julio de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.thejournal.ie/covid-19-app-irelandsuccess-5146093-Jul2020/.

Mcintosh, Janet. 2010. "Mobile phones and Mipoho's prophecy: The powers and dangers of flying language". American Ethnologist 37 (2): 337–53. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://doi.org/10.1111/j.1548-1425.2010.01259.x.

McNamee, Roger. 2019. Zucked: Waking up to the Facebook catastrophe. Nueva York: Penguin Press.

"Mensaje Presidencial de S.E. el Presidente de la República, Sebastián Piñera Echenique, en su Cuenta Pública ante el Congreso Nacional". 2018. 1 de junio 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://prensa.presidencia.cl/lfi-content/uploads/2018/06/jun012018arm-cuenta-publica-presidencial_3.pdf.

Merola, Francesco. 2018. "Italiani, sempre più smartphone-mania: Il 61% li usa a letto, Il 34% a tavola". La Repubblica, 26 de junio de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.repubblica.it/tecnologia/2018/06/26/news/dipendenza_degli_italiani_ad_internet-200069807/.

Merton, Robert K. 1972. "Insiders and outsiders: A chapter in the sociology of knowledge". American Journal of Sociology 78 (1): 9–47. https://doi.org/10.1086/225294.

Miller, Daniel. 1987. Material Culture and Mass Consumption. Oxford: Blackwell.

Miller, Daniel 1995. "Style and ontology in Trinidad". En Consumption and Identity, editado por J. Friedman, 71–96. Chur, Suiza: Harwood Academic.

Miller, Daniel. 1997. Capitalism: An ethnographic approach. Oxford, Inglaterra; Washington, D.C: Berg.

Miller, Daniel, ed. 2009. Anthropology and the Individual: A material culture perspective. Oxford; Nueva York: Berg.

Miller, Daniel. 2011. Tales from Facebook. Cambridge, Inglaterra; Malden, MA: Polity.

Miller, Daniel. 2013. "What will we learn from the fall of Facebook?" UCL Blogs – Global social media impact study (blog de la universidad). 24 de noviembre de 2013.

Miller, Daniel. 2015. "Photography in the age of Snapchat". Anthropology & Photography, vol.1. Royal Anthropological Institute. https://www.therai.org.uk/images/stories/photography/AnthandPhotoVol1.pdf.

Miller, Daniel. 2016. Social Media in an English Village. Londres: UCL Press.

Miller, Daniel. 2017a. "The ideology of friendship in the era of Facebook". HAU: Journal of Ethnographic Theory 7 (1): 377–95. https://doi.org/10.14318/hau7.1.025.

Miller, Daniel. 2017b. The Comfort of People. Cambridge, Inglaterra; Medford, MA: Polity.

Miller, Daniel y D. Slater. 2000. The Internet: An ethnographic approach. Oxford: Berg.

Miller, Daniel y Jolynna Sinanan. 2014. Webcam. Cambridge: Polity.

Miller, Daniel, Elisabetta Costa, Nell Haynes, Tom McDonald, Razvan Nicolescu, Jolynna Sinanan, Juliano Spyer, Shriram Venkatraman, y Xinyuan Wang. 2016. How the World Changed Social Media. Londres: UCL Press.

Miller, D. y Jolynna Sinanan. 2017. Visualising Facebook: A comparative perspective. Londres: UCL Press.

Ministerio de Equidad Social de Israel. 2020. "Headquarters for the National Digital Israel Initiative, Ministry of Social Equality'. Sitio web del gobierno israelí. 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.gov.il/en/departments/digital_israel.

Mirzoeff, Nicholas. 2015. How to See the World: A Pelican introduction. Londres: Penguin UK.

Mitchel, W. 1992. The Reconfigured Eye: Visual truth in the post-photographic era. Cambridge, MA: MIT Press.

Mobile Internet Statistics 2020. Consultado el 3 de diciembre de 2020. https://www.finder.com/uk/mobile-internet-statistics#:~:text=Quick%20overview,up%20from%2066%25%20in%202018.

Mohan, Babu. 2019. "Google now takes three days to approve new play store apps". Android Central (blog). 20 de agosto de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.androidcentral.com/google-now-takes-three-days-approve-new-play-store-apps.

Monnerat, A. 2019. “Idosos compartilham sete vezes mais noticias falsas do que jovens no Facebook, diz Pesquisa”. O Estadão, 11 de enero de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://politica.estadao.com.br/blogs/estadao-verifica/idosos-compartilham-sete-vezes-mais-noticias-falsas-do-queusuarios-mais-jovens-no-facebook-diz-pesquisa/.
Moore, G. 1991. Crossing the Chasm: Marketing and selling high-tech goods to mainstream customers. Nueva York: Harper Business.
Morley, David. 2000. Home Territories: Media, mobility and identity. Londres; Nueva York: Routledge.
Morosanu Firth, S. Rintel yA. Sellen. 2020. “Everyday time travel: Future nostalgia, multitemporality, and temporal mobility with smartphones”. En Beyond Chrono(dys)topia: Making time for digital lives, editado por Anne Kaun, C. Pentzold y C. Lohmeier. Londres: Rowman & Littlefield.
Morozov, Evgeny. 2012. The Net Delusion: How not to liberate the world. Londres: Penguin Books.
Morozov, Evgeny. 2013. To Save Everything, Click Here: Technology, solutionism and the urge to fix problems that don’t exist. Londres: Allen Lane.
Morozov, Evgeny. 2020. “The tech “solutions” for coronavirus take the surveillance state to the next level”. The Guardian, 15 de abril de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.theguardian.com/commentisfree/2020/apr/15/tech-coronavirus-surveilance-state-digital-disrupt.
Morris, Jeremy Wade y Sarah Murray, eds. 2018. Appified: Culture in the age of apps. Ann Arbor, MI: University of Michigan Press.
Morris, Jeremy. 2018. “Is It Tuesday? Novelty apps and digital solutionism”. En Appified: Culture in the age of apps, editado por Jeremy Wade Morris y Sarah Murray, 91–103. Ann Arbor, MI: University of Michigan Press.
Mugerwa, Yasiin y Tom Malaba. 2018. “Museveni slaps taxes on social media users”. The Daily Monitor, 1 de abril de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.monitor.co.ug/News/National/Museveni-taxes-social-media-users-Twitter-Skype/688334-4366608-oilivjz/index.htm.
Mumbere, Daniel. 2018. “Digital in 2018: Africa’s internet users increase by 20%”. Africa News, 6 de febrero de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.africanews.com/2018/02/06/digital-in-2018-africa-s-internet-users-increase-by-20-percent/.
Murray, Susan. 2008. “Digital images, photo-sharing, and our shifting notions of everyday aesthetics”. Journal of Visual Culture 7 (2): 147–63. https://doi.org/10.1177/1470412908091935.
Namatovu, Esther y Oystein Saebo. 2015. “Motivation and consequences of internet and mobile phone usage among the urban poor in Kampala, Uganda”. En 2015 48th Hawaii International Conference on System Sciences, 4335–44. HI, USA: IEEE. https://doi.org/10.1109/HICSS.2015.519.
National Information Technology Authority (NITA). 2018. “National Information Technology Survey 2017/18 Report”. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.nita.go.ug/sites/default/files/publications/National%20IT%20Survey%20April%2010th.pdf.
Naughton, J. 2000. A Brief History of the Future: The origins of the internet. Londres: Phoenix (Orion Books).
Nicolescu, Razvan. 2016. Social Media in South Italy. Londres: UCL Press.
Nissenbaum, Helen Fay. 2010. Privacy in Context: Technology, policy, and the integrity of social life. Stanford, CA: Stanford Law Books.
Norman, Jeremy M., ed. 2005. From Gutenberg to the Internet: A sourcebook on the history of information technology. Novato, CA: Historyofscience.com.
Nyamnjoh, Francis B. 2012. “Potted plants in greenhouses: A critical reflection on the resilience of colonial education in Africa”. Journal of Asian and African Studies 47 (2): 129–54. https://doi.org/10.1177/0021909611417240.
O Estado de S. Paulo. 2017. “Roubos de celular atingem metade das ruas de São Paulo’. O Estado de S. Pãulo, 30 September 2017. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://são-paulo.estadao.com.br/noticias/geral,roubos-de-celular-atingem-metade-das-ruas-de-são-paulo,70002022457.
O Globo. 2018. “Golpes na internet: Veja as fraudes mais comuns e como se proteger”. O Globo, 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020.https://oglobo.globo.com/economia/defesa-do-consumidor/golpes-na-internet-veja-as-fraudes-mais-comuns-como-se-proteger-22485183.
Ong, W. 1982. Orality and Literacy: The technologizing of the word. Londres: Methuen.

Otaegui, Alfonso. 2019. "Older adults in Chile as digital immigrants: Facing the 'digital transformation' towards a paperless world". UCL ASSA Blog (blog académico). 22 de abril de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://blogs.ucl.ac.uk/assa/2019/04/22/older-adults-in-chile-as-digitalimmigrants-facing-the-digital-transformation-towards-a-paperless-world/.

Oudshoorn, Nelly. 2011. Telecare Technologies and the Transformation of Healthcare. Houndmills, Basingstoke, Inglaterra; Nueva York: Palgrave Macmillan.

Papacharissi, Zizi. 2010. A Networked Self: Identity, community, and culture on social network sites. Londres: Taylor and Francis.

Papacharissi, Zizi. 2018. A Networked Self and Love. Londres: Taylor and Francis.

Pariser, Eli. 2012. The Filter Bubble: What the internet is hiding from you. Londres: Penguin Books.

Parulis-Cook, S. 2019. "Survey: WeChat mini-program use for travel". DragonTrail Interactive (sitio web de marketing). 19 de febrero2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://dragontrail.com/resources/blog/wechat-mini-program-travel-survey.

Patil, Adwait. 2016. "Tracking down India's $4 smartphone". The Verge. 2016. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.theverge.com/2016/3/18/11260488/india-ringing-bells-4-dollarsmartphone-controversy.

Peters, Benjamin. 2016. How Not to Network a Nation: The uneasy history of the Soviet internet. Cambridge, MA: MIT Press.

Petsas, Thanasis, Antonis Papadogiannakis, Michalis Polychronakis, Evangelos P. Markatos y Thomas Karagiannis. 2013. "Rise of the Planet of the Apps: A systematic study of the mobile app ecosystem". En Proceedings of the 2013 Conference on Internet Measurement Conference – IMC '13, 277–90. Barcelona, España: ACM Press. https://doi.org/10.1145/2504730.2504749.

Pinney, Christopher. 2012. "Seven theses on photography". Thesis Eleven 113 (1): 141–56. https://doi.org/10.1177/0725513612457864.

Plantin, Jean-Christophe y Gabriele de Seta. 2019. "WeChat as infrastructure: The technonationalist shaping of Chinese digital platforms". Chinese Journal of Communication 12 (3): 257–73. https://doi.org/10.1080/17544750.2019.1572633.

Pols, Jeanette. 2012. Care at a Distance: On the closeness of technology. Amsterdam: Amsterdam University Press.

Postill, John. 2011. Localizing the Internet: An anthropological account. Anthropology of Media, vol. 5. Nueva York: Berghahn Books.

Postill, John. 2018. The Rise of Nerd Politics: Digital activism and political change. Londres: Pluto Press.

Prefeitura de São Paulo (Prefectura de São Paulo). 2013. 'LEI No 15.937 DE 23 DE DEZEMBRO DE 2013'. Prefeitura de São Paulo. http://legislacao.prefeitura.sp.gov.br/leis/lei-15937-de-23-de-dezembro-de-2013.

Prendergast, D. 2019. "Ethnography, technology design and the future of ageing in place". HRB Grant Holder's Conference, Athlone, Irlanda. 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.youtube.com /watch?v=5sSWrz5Dkig&list=PL5egX8ZzHdSyM4FCC9vJ5v1fTcTlOW5ZG&index=4.

Price, Catherine. 2018. How to Break up with Your Phone. Londres: Trapeze.

Pulse News KR. 2019. "Naver takes telemedicine business to Japan through JV with M3", 16 de enero de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://pulsenews.co.kr/view.php?year=2019&no=33579#:~:text=South%20Korean%20internet%20giant%20Naver,platform%20firm%20M3%20in%20Tokyo.

Pype, Katrien. 2015. "Remediations of Congolese urban dance music in Kinshasa". Journal of African Media Studies 7 (1): 25–36.

Pype, Katrien. 2016. "Blackberry girls and Jesus's brides". Journal of Religion in Africa 46 (4): 390–416. https://doi.org/10.1163/15700666-12341106.

Pype, Katrien. 2017. "Smartness from Below: Variations on technology and creativity in contemporary Kinshasa". In What Do Science, Technology, and Innovation Mean from Africa?, 97–115. Cambridge, MA: The MIT Press.

Rainie, Lee y B. Wellman. 2014. Networked: The new social operating system. Cambridge, MA: MIT Press.

Reuters Institute y OII. n.d. "Reuters Institute digital news report 2019". Consultado el 1 de octubre de 2020. https://reutersinstitute.politics.ox.ac.uk/sites/default/files/inline-files/DNR_2019_FINAL.pdf.

Roberts, Sarah T. 2019. Behind the Screen: Content moderation in the shadows of social media. New Haven, CT: Yale University Press.
Rossler, Beate. 2005. The Value of Privacy. Cambridge: Polity.
RTÉ Radio 1. 2020. “News at One”, 15 de enero de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. www.rte.ie/radio/radioplayer/html5/#/radio1/11140162.
Russell, Ben. 2017. Robots: The 500-year quest to make machines human. Londres: Scala Arts & Heritage Publishers Ltd.
Russell, John. 2019. “Chat app line injects $182m into its mobile payment business”. TechCrunch, 4 de febrero de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://techcrunch.com/2019/02/04/line-pay/.
Samat, Sameer. 2019. “Improving the update process with your feedback”. Android Developers Blog, 15 de abril de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://android-developers.googleblog.com/2019/04/improving-update-process-with-your.html.
Sarvas, Risto y David M. Frohlich. 2011. From Snapshots to Social Media: The changing picture of domestic photography. Londres; Nueva York: Springer.
Scancarello, G. 2020. #Addicted: Viaggio dentro le manipolazioni della tecnologia. Milán: Hoepli.
Schafer, M. 2015. “Digital public sphere”. En The International Encyclopaedia of Political Communication, editado por Gianpietro Mazzoleni, K. Barnhurst, K. Ikedia, R. Maia y H. Wessler, 322–28. Londres: Wiley Blackwell.
Schaffer, Rebecca, Kristine Kuczynski y Debra Skinner. 2008. “Producing genetic knowledge and citizenship through the internet: Mothers, pediatric genetics, and cybermedicine”. Sociology of Health & Illness 30 (1): 145–59. https://doi.org/10.1111/j.1467-9566.2007.01042.x.
Schwennessen, Nete. 2019. “Surveillance entanglements: Digital data flows and ageing bodies in motion in the Danish welfare state”. Anthropology & Aging 40 (2): 10–22.
Serger, Sylvia Schwaag y Magnus Breidne. 2007. “China’s fifteen-year plan for science and technology: An assessment”. Asia Policy, no. 4: 135–64. https://doi.org/10.1353/asp.2007.0013.
Servidio, R. 2019. “Self-control and problematic smartphone use among Italian university students: The mediating role of the fear of missing out and of smartphone use patterns”. Current Psychology, julio de 2019. https://doi.org/10.1007/s12144-019-00373-z.
Sheng, Wei. 2020. “WeChat mini programs: The future is e-Commerce”. TechNode, 15 de enero de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://technode.com/2020/01/15/wechat-mini-programs-thefuture-is-e-commerce/.
Shifman, Limor. 2013. Memes in Digital Culture. Cambridge, MA: MIT Press.
Shim, Yongwoon y Dong-Hee Shin. 2016. “Neo-techno nationalism: The case of China’s handset industry”. Telecommunications Policy 40 (2–3): 197–209. https://doi.org/10.1016/j.telpol.2015.09.006.
Shirky, Clay. 2008. Here Comes Everybody. Londres: Allen Lane.
Shirky, Clay. 2015. Little Rice: Smartphones, Xiaomi, and the Chinese Dream. Nueva York: Columbia Global Reports.
Shu, C. 2015. “The secret language of line stickers”. TechCrunch, 10 de julio 2015. https://techcrunch.com/2015/07/10/creepy-cute-line/.
Shuken, Ryan. n.d. “Growth hacking an audio sharing platform with Tian Sun, Vice President of Business Intelligence Center at Ximalaya App”. China Star Pulse. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://chinastartuppulse.simplecast.com/episodes/growth-hacking-an-audio-sharingplatform-tian-sun-ximalaya.
Silverstone, R. y D. Morley, eds. 1992. Consuming Technology. Londres; Nueva York: Routledge.
Simmel, George. 1968. The Conflict in Modern Culture and Other Essays. Nueva York: New York Teachers’ College Press.
Simoni, Emilio. 2019. “Carta do director”. PSafe, 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.psafe.com/dfndr-lab/relatorio-da-seguranca-digital-2018/.
Sina Technology Comprehensive (Sina Corp). 2019. “People’s daily overseas edition: Involving the elderly in the internet needs multiple efforts”. Sina Technology Comprehensive (Sina Corp), 22 de febrero de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://tech.sina.cn/i/gn/2019-02-22/detail-ihqfskcp7412236.d.html?from=wap.
Singh, R. 2015. “Older people and constant contact media”. En Aging and the Digital Life Course, editado por David Prendergast y Chiara Garattini, primera ed., 63–83. Nueva York; Oxford: Berghahn Books. Recueprado el 2 de octubre de 2020 en https://www.jstor.org/stable/j.ctt9qdb6b.

Slater, D., K. Nishimura y L. Kindstrand. 2012. “Social media, information, and political activism in Japan’s 3.11 Crisis’”. The Asia-Pacific Journal 1, 10 (24). Consultado el 1 de octubre de 2020. https://apjjf.org/2012/10/24/David-H.-Slater/3762/article.html.

Smith, Craig. 2020. “65 amazing LINE statistics and facts”. DMR -Business Statistics. 20 de febrero de 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://expandedramblings.com/index.php/line-statistics/.

Social Street. 2020. “Social Street: Dal virtuale al reale al virtuoso”. 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://www.socialstreet.it/.

Solon, Olivia. 2018. “Teens are abandoning Facebook in dramatic numbers, study finds”. The Guardian, 1 de junio de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.theguardian.com/technology/2018/jun/01/facebook-teens-leaving-instagram-snapchat-study-user-numbers.

Somatosphere.net. 2020. “Medical anthropology weekly: COVID-19”, 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://somatosphere.net/medical-anthropology-weekly-covid-19/.

Sorokowski, P., A. Sorokowska, A. Oleszkiewicz, T. Frackowiak, A. Huk y K. Pisanski. 2015. “Selfie posting behaviours are associated with narcissism among men”. Personality and Individual Differences 85: 123–27.

Sousa Pinto, A. E. de. 2018. “Uso do celular prolonga saúde mental de idosos”. Folha de São Paulo, mayo de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www1.folha.uol.com.br/cotidiano/2019/05/uso-do-celular-prolonga-saude-mental-de-idosos.shtml.

Souza e Silva, Adriana de. 2014. Mobility and Locative Media: Mobile communication in hybrid spaces. Londres; Nueva York: Routledge. https://doi.org/10.4324/9781315772226.

Spadafora, A. 2018. “Tablet device sales struggle again”. 2 de noviembre de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.techradar.com/news/tablet-device-sales-struggle.

Spyer, Juliano. 2017. Social Media in Emergent Brazil: How the internet affects social change. Londres: UCL Press.

Srnicek, Nick. 2017. Platform Capitalism. Cambridge, Inglaterra; Malden, MA: Polity.

Standage, Tom. 2013. Writing on the Wall: Social media -The first 2,000 years. Londres: Bloomsbury.

Stark, Luke y Kate Crawford. 2015. “The conservatism of emoji: Work, affect and communication”. Social Media + Society 1 (2): 205630511560485. https://doi.org/10.1177/2056305115604853.

Statista. 2019. “Number of smartphone users by country as of September 2019 (in millions)”. Statista, Septiembre de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.statista.com/statistics/748053/worldwide-top-countries-smartphone-users/.

Statista. 2020. “Number of monthly active WeChat users from 2nd Quarter 2011 to 1st Quarter 2020”. Statista, 20 de mayo de 2020. https://www.statista.com/statistics/255778/number-of-activewechat-messenger-accounts/.

Steinberg, Marc. 2020. “LINE as super app: Platformization in East Asia”. Social Media + Society 6 (2): 205630512093328. https://doi.org/10.1177/2056305120933285.

Subsecretaría de Telecomunicaciones de Chile. 2019. “Conexiones 4G se disparan 35% en 2018 y abre expectativas de cara al despliegue de 5G”. Sitio web del gobierno chileno, subtel.gob.cl, 10 de abril de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.subtel.gob.cl/conexiones-4g-se-disparan-35-en-2018-y-abre-expectativas-de-cara-aldespliegue-de-5g/.

Sumpter, David. 2018. Outnumbered: From Facebook and Google to fake news and filter-bubbles – The algorithms that control our lives. Londres: Bloomsbury Sigma.

Sutton, Theodora. 2017. “Disconnect to reconnect: The food/technology metaphor in digital detoxing”. First Monday, junio de 2017. https://doi.org/10.5210/fm.v22i6.7561.

Sutton, Theodora. 2020. “Digital harm and addiction: An anthropological view”. Anthropology Today 36 (1): 17–22. https://doi.org/10.1111/1467-8322.12553.

Sweeny, Alastair. 2009. BlackBerry Planet: The story of research in motion and the little device that took the world by storm. Mississauga, Ontario: John Wiley & Sons Canada.

Tagal, J. 2008. “The mosaic browser democratises the world wide web, 1993”. Financial Times, 5 de julio de 2008. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.ft.com/content/2126bb5c-47fc-11dd-a851-000077b07658.

Taub Center. 2017. ‘מילשורי .מדיניות ירקחמל בואט זכרמ, (2017) לארשיב תיברעה היכסולואה תואירב. “The health of the Arab Israeli population”. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://taubcenter.org.il/wpcontent/files_mf/healthofthearabisraelipopulationheb.pdf.

Tenhunen, S. 2018. A Village Goes Mobile: Telephony, mediation, and social change in rural India. Oxford: Oxford University Press.

The Economist. 2019. “A global timepass economy – How the pursuit of leisure drives internet use”. 8 de junio de 2019.

The Economist. 2020a. “A global microscope made of phones”. 16 de abril de 2020.

The Economist. 2020b. “England’s contact-tracing system (finally) gets parochial”. Sección “Fighting Covid-19”, 15 de agosto de 2020.

The Economist. 2020c. “How centralisation impeded Britain’s Covid-19 response”. 18 de julio de 2020.

The Guardian [editorial]. 2013. “Civil liberties: Surveillance and the state”. 16 de junio de 2013. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.theguardian.com/commentisfree/2013/jun/16/civil-liberties-surveillance-state-editorial.

The Local. 2019. “Italian government unveils plan to tackle smartphone addiction”. 22 de julio de 2019. Consultado el 30 de septiembre de 2020. https://www.thelocal.it/20190722/italian-government-unveils-plan-to-tackle-smartphone-addiction.

The Telegraph. 2019. “Quarter of mobile phone users make less than five calls a month, Ofcom figures show”. 10 de octubre de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.telegraph.co.uk/news/2019/10/09/quarter-mobile-phone-users-make-less-five-calls-month-ofcom/.

Thompson, Clive. 2013. Smarter than You Think: How technology is changing our minds for the better. Nueva York: Penguin Books.

Thumala, Daniela. 2017. “Imágenes sociales del envejecimiento”. Conferencia/material de curso presentado en “Cómo envejecemos: una mirada transdisciplinaria”, Universidad Abierta, Universidad de Chile.

Ticktin, Miriam Iris. 2011. Casualties of Care: Immigration and the politics of humanitarianism in France. Berkeley, CA: University of California Press.

Tiongson, James. 2015. “Mobile app marketing insights: How consumers really find and use your apps”. Think with Google. 2015. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.thinkwithgoogle.com/consumer-insights/mobile-app-marketing-insights/.

Travezuk, Thomas. 2018. “Brasil soma quase 26 mil tentativas de golpes virtuais por dia”. R7, 29 de julio de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://noticias.r7.com/economia/brasil-soma-quase-26-mil-tentativas-de-golpes-virtuais-por-dia-29072018.

Turkle, Sherry. 1984. The Second Self: Computers and the human spirit. Cambridge, MA: MIT Press.

UCL Anthropology. 2020. “Medical anthropology blog posts”. UCL Medical Anthropology Blog Posts, 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.ucl.ac.uk/anthropology/study/graduatetaught/biosocial-medical-anthropology-msc/medical-anthropology-blog-posts.

Venkatraman, S. 2017. Social Media in South India. Londres: UCL Press.

Vertesi, Janet. 2014. “Seamful spaces: Heterogeneous infrastructures in interaction”. Science, Technology, & Human Values 39 (2): 264–84. https://doi.org/10.1177/0162243913516012.

Vieira, N. 2019. “Idosos: Um público cada vez mais adepto à tecnología”. CanalTech, 17 de noviembre de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://canaltech.com.br/comportamento/idosos-umpublico-cada-vez-mais-adepto-a-tecnologia-154977/.

Villalobos, A. 2017. “Conceptos básicos acerca del autocuidado”. Conferencia/material de curso presentado en “Cómo envejecemos: una mirada transdisciplinaria”, Universidad Abierta, Universidad de Chile.

Vries, M. de. En revisión. “The voice of silence: Practices of participation among East Jerusalem Palestinians”.

Wallis, Cara. 2013. Technomobility in China: Young migrant women and mobile phones. Nueva York: New York University Press.

Walton, S. 2016. “Photographic truth in motion – The case of Iranian photoblogs”. Anthropology & Photography 4. Consultado el 30 de septiembre de 2020. http://www.therai.org.uk/images/stories/photography/AnthandPhotoVol4.pdf.

Wang, H. 2014. “Machine for a long revolution: Computer as the nexus of technology and class politics in China 1955–1984”. Tesis doctoral. Hong Kong: The Chinese University of Hong Kong.

Wang, Xinyuan. 2016. Social Media in Industrial China. Londres: UCL Press.

Wang, Xinyuan. 2019a. “Hundreds of Chinese citizens told me what they thought about the controversial social credit system”. The Conversation, 17 de diciembre de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://theconversation.com/hundreds-of-chinese-citizens-told-me-what-they-thoughtabout-the-controversial-social-credit-system-127467.

Wang, X. 2019b. “China’s social credit system: The Chinese citizens perspective”. UCL ASSA blog. 9 de diciembre de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://blogs.ucl.ac.uk/assa/2019/12/09/chinassocial-credit-system-the-chinese-citizens-perspective/.

Ward, Mark. 2009. “Celebrating 40 years of the net”. BBC News, 29 de octubre de 2009. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://news.bbc.co.uk/1/hi/technology/8331253.stm.

Wardlow, H. 2018. “HIV, phone friends and affective technology in Papua New Guinea”. En The Moral Economy of Mobile Phones: Pacific Islands perspectives, editado por R. Foster y H. Horst, 39–52. Acton, Australia: Australian National University Press.

Waterson, Roxana. 2014. The Living House: An anthropology of architecture in South East Asia. North Clarendon, VT: Tuttle Publishing.

WeAreSocial. 2018. “Digital 2018: Cameroon”. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://datareportal.com/reports/digital-2018-cameroon.

WeAreSocial. 2020. “Digital 2020: Cameroon”. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://datareportal.com/reports/digital-2020-cameroon.

Web Foundation. 2020. “Sir Tim Berners-Lee invented the world wide web in 1989”. Sitio web de Web Foundation, 2020. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://webfoundation.org/about/vision/historyof-the-web/.

Weiser, Eric B. 2015. “#Me: Narcissism and its facets as predictors of selfie-posting frequency”. Personality and Individual Differences 86 (Noveimbre): 477–81. https://doi.org/10.1016/j.paid.2015.07.007.

Wilding, Raelene y Loretta Baldassar. 2018. “Ageing, migration and new media: The significance of transnational care”. Journal of Sociology 54 (2): 226–35. https://doi.org/10.1177/1440783318766168.

Wilken, R. G. Goggin y Heather A. Horst, eds. 2019. Location Technologies in International Context. Abingdon, Oxon; Nueva York: Routledge.

Williams, L. y C. Smith. 2005. “QSEMSM: Quantitative scalability evaluation method”. Artículo presentado en la conferencia de Int. CMG (International Computer Measurement Group), Orlando, Florida, 2005. PerfX and Performance Engineering Services. Accessed 1 October 2020. https://pdfs.semanticscholar.org/1ba0/8541f2cf3723d1af109c0ef08e2e12f46c74.pdf?_ga=2.77758556.952171762.1582645803-397802861.1582645803.

Wired Magazine. 2019. “Oggi la tecnologia non ha età”. Wired Italy, 18 de enero de 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.wired.it/attualita/tech/2019/01/18/tecnologia-amplifon-eta/.

Worldometers.info. n.d. “Covid-19 Coronavirus pandemic”. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://www.worldometers.info/coronavirus/.

Woyke, Elizabeth. 2014. The Smartphone: Anatomy of an industry. Nueva York: The New Press.

Wright, J. 2019. “The new frontier of robotics in the lives of elders: Perspectives from Japan and Europe”. En The Cultural Context of Aging: Worldwide perspectives, editado por J. Sokolovsky, cuarta edición. Westport, CT: Praeger.

Wu, Jyh-Jeng, Chien Shu-Hua y Liu Kang-Ping. 2017. “Why should I pay? Exploring the determinants influencing smartphone users’ intentions to download paid app”. Telematics and Informatics 34 (5): 645–54. https://doi.org/10.1016/j.tele.2016.12.003.

Xiang, Biao. 2007. Global ‘Body Shopping’: An Indian labor system in the information technology industry. Princeton, NJ: Princeton University Press.

Xinhua. 2019. “Chinese smartphone brand transsion most popular in Africa in Q2: IDC Study – Xinhua | English.News.Cn”, 2019. Consultado el 1 de octubre de 2020. http://www.xinhuanet.com/english/2019-08/29/c_138345934.htm.

Yalla Italia Twitter Account. 2020. “Yalla Italia Twitter Account” (cuenta de red social), 2020. Consultada el 1 de octubre de 2020. https://twitter.com/yallaitalia.

Yong, V. y Saito, Y. 2012. “National long-term care insurance policy in Japan a decade after implementation: Some lessons for aging countries”. Ageing International 37 (2012): 271–84. https://doi.org/10.1007/s12126-011-9109-0 https://link.springer.com/article/10.1007/s12126-011-9109-0.

Zhao, X. 2018. “Deals | Offering middle-aged users with a content generation tool, post editing app Meipian Banks $6.6m”. 3 de enero de 2018. Consultado el 1 de octubre de 2020. https://kr-asia.com/offering-middle-aged-users-with-its-content-generation-tool-post-editing-app-meipianbanks-6-6m.

Zuboff, Shoshana. 2019. The Age of Surveillance Capitalism: The fight for a human future at the new frontier of power. Londres: Profile Books.

فهرس

الهاتف الذكي هو حرفيًا أمام أنفنا باستمرار، وهو الأمر الذي يجعلك تعتقد اننا نعرف ما هو. لكن هل نحن نعرفه فعلاً؟ للإجابة على ذلك، قام 11 من علماء الأنثروبولوجيا بقضاء 16 شهرًا في مجتمعات في إفريقيا وآسيا وأوروبا وأمريكا الجنوبية، مع التركيز على استخدام كبار السن للهواتف الذكية. وقد أسفر ناتج بحثهم عن أن الهواتف الذكية هي تقنية للجميع ، وليس فقط من أجل الشباب.

قدم الهاتف الذكي العالمي سلسلة من وجهات النظر الأصلية المشتقة من هذا المشروع البحثي العالمي والمقارن. الهواتف الذكية أصبحت مكانًا نعيش فيه بقدر ما هو جهاز نستخدمه لتوفير "الانتهازية الدائمة" ، وذلك نظراً لوجودهم الدائم معنا. يوضح المؤلفون كيف يتخطى الهاتف الذكي كونه أكثر من مجرد "جهاز تطبيقي"، ويقوموا باستكشاف الاختلافات بين ما يقوله الناس عن الهواتف الذكية وكيفية استخدامهم لها.

الهاتف الذكي هو غير مسبوق من حيث الدرجة التي يمكننا القيام بتحويلات له. ونتيجة لذلك ، فإنه يستوعب القيم الشخصية بشكل سريع. من أجل فهم الهاتف الذكي ، يجب أن نأخذ في الاعتبار مجموعة من الفروق الوطنية والثقافية ، مثل الاتصال المرئي في الصين واليابان ، الأموال المتنقلة في الكاميرون و أوغندا ، والوصول إلى المعلومات الصحية في تشيلي وأيرلندا – كل ذلك جنبًا إلى جنب مسارات متنوعة للشيخوخة في القدس والبرازيل وإيطاليا، وعندها فقط نستطيع معرفة ماهية الهاتف الذكي وفهم عواقبه على حياة الناس حول العالم.

دانيال ميلر هو أستاذ الأنثروبولوجيا في جامعة لندن **ليلى عبد ربه** هي باحثة في معهد هاري س. ترومان لتعزيز السلام. **باتريك أووندو** هو باحث ما بعد الدكتوراه في الأنثروبولوجيا بجامعة كاليفورنيا ، ومحاضر في جامعة ياوندي. **مايا ده - فريس** هي باحثة ما بعد الدكتوراه في الجامعة العبرية في القدس. **ماريليا دوكي** هي باحثة في المدرسة العليا للإعلام والتسويق بساو باولو. **بولين غارفي** هي أستاذة مساعدة في الأنثروبولوجيا في جامعة ماينوث بمقاطعة كيلدير بإيرلندا. **لورا هابيو كيرك** هي طالبة دكتوراه بقسم الأنثروبولوجيا في كلية لندن الجامعية، وزميلة ببرنامج ال "ليتش / راي" في الأنثروبولوجيا العامة. **شارلوت هوكينز** هي باحثة ما بعد الدكتوراه بقسم الأنثروبولوجيا في كلية لندن الجامعية. **ألفونسو أوتيغي** هو محاضر في الجامعة البابوية الكاثوليكية في شيلي **شيرين والتون هي** محاضرة في الأنثروبولوجيا في كلية جولد سميث بجامعة لندن. **شينيوان وانغ** هي باحثة ما بعد الدكتوراه في جامعة لندن.



Free open access
version available from
www.uclpress.co.uk



UCLPRESS

Cover Design:
Jason Anscomb